

الشيخ خليل رزق

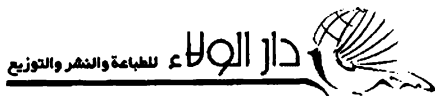
مطبوعة
جديدة
ومنتجة

الإمام المهدي واليوم الموعود



دار السلام

بيروت - لبنان



لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - ستر فضل الله
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwala.com - info@daralwala.com
E-mail: daralwala@yahoo.com

الكتاب:	الإمام المهدي عليه السلام واليوم الموعود
المؤلف:	الشيخ خليل عبد الأمير رزق
الناشر:	دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة:	الثالثة - بيروت ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الإمام المهدي عليه السلام واليوم الموعود

الشيخ خليل عبد الأمير رزق

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

دار الولاہ

بیروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأخيار المتجيين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. السلام عليك يا خليفة الله وخليفة آبائه المهديين، السلام عليك يا وصي الأوصياء الماضين. السلام عليك يا داعي الله وَرَبَّائِي آياته، السلام عليك يا حجة الله ودليل إرادته. السلام عليك حين تقوم السلام عليك حين تقعد... السلام عليك حين تُصَلِّي وتقت السلام عليك حين تركع وتسجد... السلام عليك في الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلَّى، السلام عليك أيها الإمام المأمون السلام عليك أيها المقدَّم المأمول، السلام عليك بجوامع السلام... في وحشة الليل حيث السكون والظلام، ينتظر الإنسان بعين الأمل بزوغ الفجر وإشراقه شمس الصباح...

وفي عصر الهزيمة والإنكسار وفي زمنٍ يتحكَّم فيه البعض بقراب المسلمين، تلوح للمؤمن رايات العز والانتصار وهي تمحو عن جبين البعض آثار الخزي والعار...

وفي هذا العالم الذي يكسوه لباس الظلم والجور، يَشُعُّ فينا ضياء كلام الحبيب المصطفى ﷺ وهو يُخبرنا ويحدِّثنا عن آخر الزمان حيث شاءت الإرادة الإلهية أن تهوي عروش الطغاة والجبابرة والظالمين، وتخفق رايات الهدى في سماء الدنيا وأرجاء الكون تردَّد بصوت أمين وحي الله جبرائيل عليه السلام وهو يصدح بصوتٍ وبلغَةٍ يفهمها كل قوم بلغتهم معلناً خروج القائم من آل

محمد ﷺ الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

والذي ادخره الله تبارك وتعالى لنصرة الدين وإعزاز المؤمنين، والانتقام من الجاحدين والمارقين.

سيدي: مهما تطاولت الدهور وتعمدت الأعصار لن نزداد فيك إلا يقيناً، ولك إلا حباً، ولظهورك إلا توقّعاً وانتظاراً، لنبذل بين يديك المهج والأنفس والأرواح والأهل والولد والأموال... فنحن رهن أمرك وإشارتك نتصرف في غيبتك ومحضرك الشريف بأمرك ونهيك، ولم تكن في غيبتك بعيداً عنا... فأنت تسكن القلوب والأرواح والعقول... نعلم أنك توازننا وتنصرنا وتحميننا وتهدينا إلى سواء السبيل وصراط الله المستقيم.

هذا هو إيماننا الراسخ ويقيننا الثابت وعقيدتنا التي لا تهزها الشكوك.

سيدي يا بن الحسن لأن تطاولت بعض الأقلام الحاقدة والأأيادي العابثة في تاريخ الإسلام محاولة النيل من عقيدتنا وإيماننا العميق بك، وتشوّه أعظم وأهم الحقائق الغيبية التي جاء بها النبي الأكرم ﷺ، فجرت على السنة الصحابة والرواة والمحدثين والعلماء كقضية يقينية، ولم يجادل بها إلا من سيطر على عقله ونفسه سوء بل الكفر والضلال.

ومع هذا كله تبقى قضية الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام ناصعة جلية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. ومن الحقائق الثابتة كغيرها من قضايا الدين والعقيدة.

ولهذا كانت هذه البحوث التي أستمحك سيدي يا بن الحسن عذراً بها لأضعها بين يدي القراء محاولاً من خلالها إزاحة الستار وإزالة الأوهام عن بعض الملابس التي اكتنفت هذه الحقيقة والعقيدة، وعن ما اعترى البعض من شكوك، ومن ثمّ ملامسة وبيان مسيرة العز التي سبداها أيها الأمل والوعد المنتظر مع أصحابك وأنصارك وشيعتك لتغيير معالم وصفحات التاريخ.

وقد تناولت في هذه البحوث جملة مواضيع حاولت من خلالها الإطلالة على

سيرة الإمام المهدي عليه السلام من الولادة إلى تاريخ ما بعد الظهور، وذلك لينتقل القارى الكريم بذهنه إلى أحداث تلك المرحلة والحقة الهامة من التاريخ.

ولذا كانت أهم فصول هذا الكتاب وأبوابه تتعرض للأمور التالية:

أولاً: ولادة الإمام المهدي عليه السلام والأحداث التي رافقتها والمناقشة في كل الكلمات والأقوال التي حاولت جعل هذه القضية من الأوهام والخيالات الدينية، وقد وقفنا بحمد الله إلى إثباتها بالأدلة والبراهين الكافية.

ثانياً: غيبة الإمام المهدي عليه السلام وفلسفتها وضرورتها، وكل الشبهات التي أثيرت حولها، وأحوال السفراء والنواب في عصر الغيبة.

ثالثاً: يوم الظهور وعلاماته وشروطه، وتاريخ الظهور وموعده.

رابعاً: أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره ومواصفاتهم.

خامساً: الأحداث التي ستجري بعد ظهور الإمام عليه السلام على ضوء الروايات والأحاديث الشريفة.

سادساً: دولة الإمام المهدي عليه السلام خصائصها ومميزاتها، ومفهوم الرجعة في الإسلام، وكانت الخاتمة حول واجبات المؤمنين وتكاليفهم تجاه صاحب العصر والزمان عليه السلام.

وأخيراً يسعدني ويشرفني أن أقدم هذا الكتاب وأهدي ثوابه إلى أخي في الله الحاج عدنان عياد كمربون وفاء ومحبة وتقدير لمساهمته في مشاريع الخير والعطاء.

سيدي يا ابن الحسن لأن أدركت أيامك الزاهرة وأعلامك الباهرة فهذا آنذا عبدك المتصرف بين أمرك ونهيك أرجو به الشهادة بين يديك والفوز لديك.

والسلام.

خليل عبد الأمير رزق

القسم الأول

ولادته ﷺ شبهات وردود

- الفصل الأول،
تحقيق في تاريخ ولادته ﷺ
- الفصل الثاني،
الأدلة على ولادة وإمامة ووجود الإمام المهدي ﷺ
- الفصل الثالث،
الإمام المهدي ﷺ في أحاديث الصحابة والرواة
- الفصل الرابع،
الإمام المهدي ﷺ حقيقة تاريخية ودينية وليس فرضية شيعية
- الفصل الخامس،
الإمام المهدي ﷺ أوصافه وخصائصه
- الفصل السادس،
الفرق الإسلامية واختلافها في شخص المهدي ﷺ

الفصل الأول

تحقيق في تاريخ ولادته ﷺ

★ الأحداث التي رافقت الولادة

★ الإمام العسكري عليه السلام وإجراءاته لتثبيت الولادة والإمامة

تحقيق في تاريخ ولادته ﷺ

وُلِدَ الإمام المهدي ﷺ ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بصرى من رأى في أيام الخليفة العباسي المعتمد، فكان الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت الذين هم خلفاء الله في أرضه على العالمين.

وذكر ذلك الشيخ المفيد فقال:

«وكان الإمام بعد أبي محمد ﷺ ابنه المسمى باسم رسول الله ﷺ المكنى بكنيته ولم يُخْلَفْ أبوه ولدًا غيره ظاهراً ولا باطناً، وخلفه غائباً مستتراً... وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، أتاه الله فيها الحكمة وقُضِلَ الخطاب، وجعله آيةً للعالمين وآتاه يحيى صبياً، وجعله إماماً في الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى ابن مريم ﷺ في المهد نبياً»^(١).

ونقل الشيخ حسين الطبرسي النوري رواية حول ولادته ﷺ فقال:

«... وذلك للرواية الصحيحة التي رواها الشيخ الثقة الجليل أبو محمد الفضل بن شاذان - الذي كان موجوداً بعد ولادة الحجة ﷺ وتوفي قبل وفاة الإمام العسكري ﷺ - في كتابه (الغيبة)، قال: حدثنا محمد بن حمزة بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، قال: سمعت أبا محمد ﷺ يقول: قد وُلِدَ وليُّ الله، وحبته على عباده، وخليفتي

من بعدي، مختوناً ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر. وكان أول من غسله رضوان خازن الجنان مع جمع من الملائكة المقربين بماء الكوثر والسلسيل، ثم غسلته عمتي حكيمه بنت محمد بن علي الرضا عليه السلام، ثم سأله الراوي عن أم صاحب الأمر عليه السلام، قال: أمه مليكة التي يُقال لها بعض الأيام سوسن، وفي بعضها ربحانة، وكان صقيل ونرجس وحديث وسوسن أيضاً من أسمائها.

ومن هذا الخبر يتبين وجه الاختلاف في اسمها (سلام الله عليه) فهي تسمى بجميع هذه الأسماء الخمسة^(١).

وكانت الحكمة من تعدد الأسماء تضليل العباسيين لئلا يصلوا إلى أم القائم الحقيقية بسوء، لأنهم حجزوا جارية اسمها صقيل في بيت الخليفة العباسي المعتمد، وتمهدت نسوة الخليفة والقضاة بمراقبتها حتى تضع حملها، واتفق أنه في ذلك الوقت جرت أمور خطيرة وأحداث كبيرة كخروج الصقار، وموت عبد الله بن يحيى، وخروج صاحب الزنج، فسيبت هذه التطورات خروجهن من سامراء وانشغالهن بأنفسهن عن مراقبة صقيل! وقد وقع الخلاف بين المسلمين في أمرين:

الأول: تحديد يوم وسنة ولادة الإمام المهدي عليه السلام - عند من قال بولادته -.

الثاني: في صحة هذه الولادة وعدمها، حيث ذهب البعض إلى الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام ولكن قال هذا البعض بأنه سيولد في آخر الزمان.

ونحن سنبين الرأي الصحيح في كلا هذين الأمرين معتمدين على الأدلة والبراهين والحجج المقتعة إن شاء الله.

فأما ما يتعلّق بتاريخ ولادته فالمشهور أن ولادته اتفقت كما في هذا الحديث

(١) النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب عليه السلام، الشيخ حسين الطبرسي النوري - ص ١٣٥.

الذي نقلناه عن الشيخ المفيد من أنها كانت في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة (٨٦٩م)، وقد وافق الشيخ المفيد في هذا الرأي عدد كبير من علماء الشيعة نذكر منهم:

الكافي في الكليني وروى ذلك عن الكراجكي في كنز الفوائد والشهيد في الدروس، والشيخ المفيد أيضاً في الإرشاد والفصول المختارة ومسار الشيعة، والشيخ الصدوق في كمال الدين والشيخ الطوسي في الغيبة، والشيخ البهائي في توضيح المقاصد، والطبرسي في أعلام الوري، والسيد ابن طاووس في الإقبال، وروى ذلك المجلسي في البحار^(١).

وروى تاريخ هذه الولادة عدد كبير من المصادر المختلفة، كالهداية الكبرى، وإثبات الهداة، وتبصرة الولي، ونبأيع المودة، ومنتخب الأثر، وكشف الغمة، والصراط المستقيم، وحلية الأبرار، وإثبات الرجعة، وكشف الحق، ووسائل الشيعة، والمستدرک، وكفاية الأثر، والنجم الثاقب، وروضة الواعظين، ومهج الدعوات، ونور الأبصار، وإحقاق الحق، وغيرها من عشرات المصادر^(٢).

ومن وافقهم على ذلك من علماء السنة:

ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة حيث قال:

«وُلِدَ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ الْحِجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ الْخَالِصِ بِسَرٍّ مِنْ رَأْيِ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ لِلْهِجْرَةِ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَأَمَّا أُمُّهُ فَأُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا نَرْجِسُ خَيْرُ أُمَّةٍ وَقِيلَ اسْمُهَا غَيْرَ ذَلِكَ»^(٣).

ومنهم ابن خلكان في وفيات الأعيان:

(١) راجع معجم أحاديث المهدي ﷺ، ج ٤، ص ٢٢١ - ٢٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ومنتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، الصافي الكلبايكاني، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.
(٣) راجع منتخب الأثر، الكلبايكاني، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.

«كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين...»^(١).

ومنهم الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، وابن حجر الهيتمي في الصواعق، والشبلنجي في نور الإبصار، والشيخ عبد الله بن محمد بن غامر الشبراوي الشافعي في الإنحاف بحب الأشراف، والشيخ شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي الحنفي في الشذورات الذهبية، وكمال الدين محمد بن طلحة الشامي الشافعي في مطالب السؤل، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، والسويدي في سبائك الذهب، وأبو العباس أحمد بن يوسف الشهير بالقرماني في أخبار الدول وأثار الأول، وعبد الوهاب الشعراني في اليواقيت والجواهر، والشيخ عثمان العثماني في تاريخ الإسلام والرجال، والقندوزي في ينابيع المودة^(٢).

ونحن وإن كنا سئحل القارى إلى الفصول اللاحقة لتأكيد ما ذكرناه لكن القلم يأبى إلا أن تتوضح الحقيقة أكثر فأكثر ويظهر الحق متجلياً بأبهى صورهِ ليساعده في ذلك النظر الثاقب والبصيرة الواعية حيث وفي أثناء كتابة هذا الفصل وقع بين أيدينا إحصاء دقيق لأسماء ما يزيد على مائة شخص من مفكري أهل السنة ومؤرخيهم الذين وافقوا رأي الشيعة وشهدوا بولادة الإمام المهدي عليه السلام في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وهو لواحد من علماء هذا المذهب العلامة الشيخ مهدي فقيه إيماني، وليكون إحصاءه هذا سنداً يضاف إلى أسماء العلماء الذين ذكرناهم ممن قالوا بولادة الإمام المهدي عليه السلام في التاريخ المذكور.

وإذ نذكر هذا الإحصاء نقلاً عن الشيخ إيماني داعين له بالخير والتوفيق من الله العزيز القدير:

١ - أبو بكر محمد بن هارون الرويائي (المتوفى ٣٠٧): في «مسنده» المخطوط

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) راجع الإمام المهدي عليه السلام حقيقة لا خيال، الشيخ كاظم جعفر المصباح، ص ١٢٣ - ١٢٥.

والمتواجد في المكتبة الظاهرية بالشام، وقد دُرِج الجزء الخاص بالإمام المهدي ﷺ من الكتاب في المجلد الثالث من «الإمام المهدي ﷺ» عند أهل السنة.

٢ - ابن أبي الثلج، أبو بكر محمد بن أحمد بن إسماعيل البغدادي (٢٣٨ - ٣٢٢) من كبار المحدثين ومؤلف «تاريخ الأئمة» الذي طُبِع سنة ١٣٠٧ هـ في النجف الأشرف تحت عنوان: «مواليد الأئمة» ملحقاً بكتابي «الفصول العشرة في الغيبة - للشيخ المفيد» و«النوادر للراوندي»، وقد صرح في هذا الكتاب بأن الإمام المهدي ﷺ ينتسب إلى الإمام العسكري، وأنه قد ولد.

٣ - أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي الكندي، تلميذ ابن جرير الطبري، وهو من مشايخ الحافظ أبي نعيم الأصفهاني، مقيم مكة، وراوي كتاب «مواليد الأئمة».

٤ - أبو علي أحمد بن محمد بن علي العمادي النسوي، راوي كتاب «مواليد الأئمة»، لابن أبي الثلج سنة ٣٥٠ عن الكندي السابق الذكر.

٥ - أبو مسعود أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن شاذان البجلي، كاتب رسالة «مواليد الأئمة» ومعلّوها على أبي منصور الشيرازي.

٦ - أبو منصور عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن شرابي الشيرازي، الذي سمع الرسالة المذكورة عن أبي مسعود وكتبها.

٧ - أبو محمد أسد بن أحمد الثقفي، الذي تلقى رسالة «مواليد الأئمة» من أبي منصور.

٨ - أبو ماجد محمد بن حامد بن عبد المنعم بن عزيز بن واعظ الذي اثبت الرسالة عن الثقفي المذكور.

٩ - أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن فاخر القرشي، الذي سمع القرشي، الذي سمع الرسالة عن أبي ماجد ورواها.

١٠ - محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن حسن النجار البغدادي (٦٤٣)، تلميذ ابن الجوزي، والمدرّس بالمدرسة المستنصرية ببغداد،

ومؤلف «ذيل تاريخ بغداد في ٤٠ مجلداً»، وقد سمع رسالة «مواليد الأئمة» عن المشايخ الثلاثة السابقين (أبي محمد الثقفي، وأبي ماجد، وأبي عبد الله القرشي)، وأثبتها.

١١ - النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبد الله البخاري الزيدي (بعد ٣٤١) في «سر السلسلة العلوية» حول اسم الإمام المهدي عليه السلام، طبع في النجف.

١٢ - المؤرخ الشهير علي بن حسين المسعودي (٣٤٦): في «مروج الذهب» ج ٣. ٢٢٥.

١٣ - الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (٣٨٧): في «مفاتيح العلوم» طبعة ليدن سنة ١٨٩٥، ص ٣٢ - ٣٣.

١٤ - الحافظ أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس البغدادي (٣٨٨ - ٤١٢) في «أربعينة» الحديث الرابع، وعنه «كشف الأستار» للمحدث النوري ص ٥٩ - ٦١ الطبعة الأولى.

١٥ - جعفر بن محمد بن المعتز السمرقندي (٤٢٢): في «دلائل النبوة والمعجزات» نقلاً عن الشيعاني في «الصراط السوي».

١٦ - أبو بكر أحمد بن حسين البيهقي الخسروجري الشافعي (٤٥٨): في «شعب الإيمان» طبعة دائرة المعارف بالهند.

١٧ - مؤلف «مجلد التواريخ والقصص» بالفارسية، (تأليف سنة ٥٢٠)، ص ٤٥٨، طبعة طهران.

١٨ - أحمد بن أبي الحسن النامقي الجامي (٥٣٦): وعنه «ينابيع المودة»، في «حياة أمير المؤمنين»، الباب ٨٧ ج ٣ - ٣٤٩.

١٩ - ابن الخشاب أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي (٥٦٧): في «تاريخ مواليد الأئمة و...»^(١)، وعنه «كشف الأستار» و«أعيان الشيعة».

٢٠ - أخطب خوارزم موفّق بن أحمد الحنفي (٤٨٤ - ٥٦٨): «في مقتل الإمام

(١) للاطلاع على مصادر ترجمته ونسخة كتابه، راجع «الذريعة» ٢٣ - ٢٣٣، و«معجم المؤلفين».

- الحسين» - وقد خلط البعض هذا الكتاب مع كتاب «مناقب أمير المؤمنين» للمؤلف نفسه - ج ١ ص ٩٤ - ٩٦ خلال روايتين منقولتين عن «ينابيع المودة» ج ٣ - ٣٩٤ ح ٤٤ و«كشف الأستار» للعلامة النوري.
- ٢١ - يحيى بن سلامة الحصكفي الشافعي (٥٦٨): وعنه مؤلفي «تذكرة الخواص» ص ٣٦٥ طبعة النجف و«ينابيع المودة» باب ٨٧ ج ٣ ص ٣٥٢ باسم بعض الشافعية.
- ٢٢ - ابن أزرق عبد الله بن محمد بن فارقي (٥٩٠): في «تاريخ ميفارقين» وعنه «وفيات الأعيان» ج ٤ - ١٧٦ رقم ٥٦٢.
- ٢٣ - الخليفة العباسي الناصر لدين الله، أحمد بن المستضيء (٢٦٢): على الباب المنحوت في صفة سرداب سامراء الذي تم بناؤه بأمره.
- ٢٤ - شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (٦٢٦): في «معجم البلدان» (ج ٣ ص ١٧٣) تحت كلمة «سامراء».
- ٢٥ - الشيخ فريد الدين العطار محمد بن إبراهيم النيسابوري الهمداني (٦٢٧): في ديوانه «مظهر الصفات»، وعنه «ينابيع المودة» ج ٣ - ٣٥٠ باب ٨٧.
- ٢٦ - ابن الأثير الجزري عز الدين علي بن محمد الشيباني الموصللي (٥٥٥ - ٦٣٠): في «الكامل» ج ٧ - ٢٧٤ ذيل سنة ٢٦٠.
- ٢٧ - الشيخ محيى الدين محمد بن علي المعروف بابن العربي الطائي الأندلسي (٦٣٨) وعنه الشعراني - في «البواقيت والجواهر» ج ٣ - ١٤٣ المسألة ٦٥ - في الباب ٣٦٦ من كتابه «الفتوحات المكية»، ولكن يد الخيانة أسقطت هذا الموضوع عن الكتاب في الطباعات المختلفة بمصر.
- كما نقل الحمزاوي في «مشارك الأنوار» والصبان في «إسعاف الراغبين» هذا الموضوع عن محيى الدين.
- ٢٨ - الشيخ سعد الدين محمد بن مؤيد الحمويه، المعروف بسعد الدين الحموي (٦٥٠): في رسالة «المهدي المنتظر» نقلًا عن الجامي في «مرآة الأسرار».

٢٩ - الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي النصيبي (٥٨٢ - ٦٥٢): في «مطالب السؤل في مناقب آل الرسول» باب ١٢ ص ٢٦٣، وكذلك في «الدّر المنظم»، والذي طبع جزء منه في الباب ٦٨ من «ينابيع المودة» ج ٣ - ٢٠٣^(١).

٣٠ - شمس الدين يوسف بن قزأوغلي سبط أبي الفرج ابن الجوزي (٦٥٤): في «تذكرة خواصّ الأمة» - الفصل الخاص بالإمام المهدي عليه السلام - والذي طبع في طهران والنجف.

٣١ - الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (٦٥٨): في «كفاية الطالب» - تحت اسم الإمام العسكري - وفي «البيان في أخبار صاحب الزمان» - باب ٢٥ - والذي طبع عدّة مرات في إيران والنجف وبيروت.

٣٢ - جلال الدين البلخي الرومي (٦٧٢): في «مثنوي»، خلال قصيدة:

«أي سرور مردان علي مردان سلامت می کنند»^(٢) (ينابيع المودة، باب ٨٧)

٣٣ - جلال الدين القونوي من كبار العرفاء والفلاسفة (٦٧٣): في قصيدته الرائية، نقلًا عن «كشف الأستار» للمحدث النوري ص ٨٨ رقم ٣١.

٣٤ - ابن خلكان (٦٨١): في «وفيات الأعيان» ج ١ ص ٥٧١ طبعة بولاق مصر، وفي طبعة أخرى ج ٤ - ١٧٦ رقم ٥٦٢ طبعة دار صادر.

٣٥ - عزيز الدين عبد العزيز بن محمد النسفي الصوفي (٦٨٦): في رسالة له، نقلًا عن «ينابيع المودة» في نهاية الباب ٨٧ ج ٣ - ٣٥٢ - ٣٥٣.

هذا الراوي يختلف عن عزيز الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي مؤلف «عقائد النسفية» والمتوفى ٥٣٨، حيث خلط مؤلفا «كشف الأستار»

(١) النسخة المخطوطة لكتاب «الدّر المنظم»، موجودة في مكتبة حسين باشا في الآستانة بتركيا تحت رقم ٣٤٦ (الغدير ٥ - ٤١٤).

(٢) أي: يا سيّد الرجال يا علي، يحيتك سكارى حبك.

و«منتخب الأثر» بينهما، وذكر مؤلف كتاب «دانشمندان عامه ومهدي موعود»^(١). إن تاريخ وفاته ٦١٦.

٣٦ - الحكيم الأديب عامر بن بصري نزيل سواين الروم (٦٩٦): في تائيته التي ذكر عنها «معجم المؤلفين» ٥ - ٤٥ أنها - تسمى «ذات الأنوار»، مع مقدمة عبد القادر المغربي، وتم طبعها بإعانة ماسينيون، وذكر العلامة النوري هذا الجزء من القصيدة في ص ٨٧ من «كشف الأستار».

٣٧ - المؤرخ السامي حمد الله بن أبي بكر المستوفي القزويني (٧٣٠): في «تاريخ كزیده فارسي»^(٢) ص ٢٠٦ - ٢٠٧ طبعة ١٣٣٩ بطهران.

٣٨ - شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد بن مؤيد الجويني الحموي الشافعي (٦٤٤ - ٧٣٢): في «فرائد السمطين» ج ٢ ص ٣٣٧ طبعة بيروت.

٣٩ - المؤرخ الشهير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي حاكم حماة من مدن سورية (٧٣٢): في «المختصر في أخبار البشر»، في أخبار سنة ٢٥٤، ج ٢ - ص ٤٥.

٤٠ - كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الكاشاني الصوفي (٧٣٠ أو ٧٣٥): في «تحفة الإخوان في خصائص الفتیان». وعنه سعيد النفيسي في «سرجشمة تصوف در ایران»^(٣) ص ٢١٦.

٤١ - العارف الشهير علاء الدولة السمناني أحمد بن محمد الشافعي (٦٩٥ - ٧٣٦) نقلًا عن خواجه بارسا في «فصل الخطاب پیرامون ذکر ابدال وأقطاب»^(٤)، حيث يؤمن المتصوفة من أهل السنة به.

٤٢ - المؤرخ الشهير شمس الدين محمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨)، وهو تركماني الأصل ونزيل دمشق: في «تاريخ دول الإسلام» ج ١٩، ص ١١٣، في

(١) بالفارسية، أي «مفكرو العامة والمهدي الموعود».

(٢) بالفارسية، أي «التاريخ الفارسي المنتخب».

(٣) بالفارسية، بمعنى «نشأة التصوف في إيران».

(٤) بالفارسية، أي «فصل الخطاب حول ذكر الأبدال والأقطاب».

أخبار سنة ٢٦٠، كذلك في «العبر في خبر من غبر» ج ٢، ص ٢٦، في حوادث سنة ٢٦٠.

٤٣ - ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر بن أبي الفوارس (٦٩١ - ٧٤٩): في «تتمة المختصر» المعروف بتاريخ ابن الوردي، طبعة مصر ج ١، ص ٣١٨ في حوادث سنة ٢٥٤ حول وفاة الإمام الهادي عليه السلام.

٤٤ - الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الزرندي الأنصاري (٦٩٣ أو ٧٤٧ أو ٧٤٨ أو ٧٥٠): في «معراج الوصول إلى معرفة فضيلة آل الرسول»، وتوجد في مكتبتي الخاصة صورة من النسخة المخطوطة للكتاب والموجودة بمكتبة الناصرية في لكهنؤ.

٤٥ - صلاح الدين الصفدي خليل بن إيبك (٧٦٤) مؤلف «الوافي بالوفيات» و«شرح لامية المعجم» و«شرح الدائرة»: وعنه «ينابيع المودة» ج ٣ - ٣٤٧ باب ٨٦.

٤٦ - الحافظ المحدث عبد الله بن محمد المطيري المدني الشافعي النقشبندي (٧٦٥): في «الرياض الزاهرة في فضل آل بيت النبي وعترته الطاهرة»، نقلًا عن «كشف الأستار» للعلامة النوري، ص ٩٣ و ٢١٥ - ٢١٦ من الطبعة القديمة.

٤٧ - المؤرخ الشهير عبد الله بن علي اليافعي اليماني الشافعي (٧٠٠ - ٧٦٨): في «مرآة الجنان» ج ٢ ص ١٧٢ في حوادث سنة ٢٦٠.

٤٨ - السيد علي بن شهاب بن محمد الهمداني مقيم الهند (٧١٤ - ٧٨٦): في «مودة القريب» و«أهل العباء»، وتوجد في مكتبتي الخاصة صورة من النسخة الموجودة في المكتبة الناصرية بالهند، كما دُرَج النص الكامل للرسالة خلال الباب ٥٦ من «ينابيع المودة» ج ٢ ص ٢٥٥ - ٣٤٢.

٤٩ - أبو الوليد محب الدين محمد بن شحنة الحلبي الحنفي (٧٤٩ - ٨١٥): في «روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر» - وهو ملخص «تاريخ أبي الفداء» وقد طبع في هامش «مروج الذهب» سنة ١٣٠٣ بمصر - ج ١ ص ٢٩٤.

٥٠ - العارف الشهير والمؤرخ السامي محمد بن محمود بن محمود البخاري المعروف بخواجه بارسا الحنفي النقشبندي (٨٢٢): في «فصل الخطاب»، وتوجد نسخة منه في مكتبة المجلس، وصورة من هذه النسخة في مكتبتني، ويبدو أن الكتاب قد طبع في الهند، وقد درج الفصل الخاص بالأئمة الإثني عشر من الكتاب في الباب ٦٥ من «ينابيع المودة» ج ٣ ص ١٣٧.

٥١ - المؤرخ الشهير أحمد بن جلال الدين محمد فصيح الخوافي (٧٧٧ - ٨٤٥): في «مجلد الفصيح» طبعة مشهد سنة ١٣٤١، ج ١ ص ٢٣١، خلال حوادث سنة ٢٥٥.

٥٢ - شهاب الدين بن شمس الدين بن عمر الهندي، المعروف بملك العلماء الزوالي الدولة آبادي (٨٤٩): في «هداية السعداء في مناقب السادات» وعنه «كشف الأستار» للعلامة النوري ص ٦٩ - ٧١ و«البرهان» للعلامة السيد محسن العاملي الشامي، طبعة دمشق.

٥٣ - خواجه أفضل الدين بن صدر الدين التركة خجندي الأصفهاني في «تنقيح الأدلة والعلل» وهو ترجمة «الملل والنحل» للشهرستاني (٨٥٠) ص ١٨٦ و ١٨٧.

٥٤ - ابن الصبّاغ نور الدين علي بن محمد المالكي (٧٣٤ - ٨٥٥): في «الفصول المهمة في معرفة الأئمة»، خلال الفصل الخاص بالإمام المهدي (عليه السلام)، ص ٢٩١ مكتبة دار الكتب التجارية - النجف.

٥٥ - الشيخ عبد الرحمن البسطامي (٨٥٨): في «درة المعارف» وعنه «ينابيع المودة» ج ٣ ص ٣٣٧ باب ٨٤.

٥٦ - أبو المعالي سراج الدين محمد بن عبد الله الحسيني الرفاعي المخزومي البغدادي (٧٩٣ - ٨٨٥): في «صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار» ص ١٤٣، طبعة ١٣٠٦ بمصر.

٥٧ - نور الدين عبد الرحمن بن أحمد بن قوام الدين الدشتي الجامي الحنفي الشاعر (٨٩٨)، صاحب «شرح الكافية»: في «شواهد النبوة» الذي طبع في

لكهنو وبمباي في ٤٤ صفحة، وتوجد لدي صورة من النسخة المخطوطة له والموجودة في مجلس الشورى الإسلامي.

٥٨ - محمد بن داود النسيمي المنزلاوي الصوفي (٩٠١): وعنه القندوزي في «ينابيع المودة» باب ٨٦ - ج ٣ - ص ٣٤٨.

٥٩ - المؤرخ السامي ميرخواند محمد بن خاوندشاه (٩٠٣): في «روضة الصفا» ج ٣ ص ٥٩ - ٦٢، الفصل الخاص بالإمام المهدي عليه السلام، يوجد هذا الكتاب في مكتبة المسجد الأعظم في مدينة قم.

٦٠ - القاضي فضل بن روزبهان الخنجي الشيرازي (المتوفى بعد ٩٠٩) وكان من أشد المعادين للشيعة: في قصيدة له يسلم فيها على الأنوار المقدسة للمعصومين الأربعة عشر، وقد ذكرها في المسألة الخامسة من الفصل الثالث من كتاب «إبطال الباطل»، ورويتها - أنا كاتب هذه السطور - في مقدمة كتاب «الإمام المهدي عليه السلام» عند أهل السنة في فصل المخطوطات.

٦١ - ملا حسين بن علي الكاشفي البيهقي السبزواري الهروي (٩١٠): في «روضة الشهداء»، الفصل الثامن، طبعة دلهي وغيرها.

٦٢ - القاضي حسين بن معين الدين المييدي اليزدي الحكيم (٩١١) - من تلامذة الملا جلال الدين الدواني: في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام ص ١٢٣ وص ٣٧١ طبعة طهران.

٦٣ - الفيلسوف الشهير جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني الشافعي (٩٠٧ أو ٩١٨ أو ٩٢٨): في «نور الهداية في إثبات الولاية» وقد طبع أول مرة في نهاية كتاب «الخصائص» لابن بطريق سنة ١٢١١ هـ. ق، ثم طبع سنة ١٣٧٥ في طهران.

٦٤ - أبو الحسن علي بن محمد بن الشاذلي (٨٥٧ ج ٩٣٩): وعنه «الشعراني اليواقيت والجواهر» المبحث ٤٥ ج ٢ - ٧٨، وعنه كشف الأستار ص ٨٠.

٦٥ - المؤرخ السامي خواند مير (٩٤٢)، سبط ميرخواند مؤلف «روضة الصفا»: في تاريخ «حبيب السير» ج ٢ ص ١٠٠ - ١١٢.

- ٦٦ - شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي الحنفي (٩٥٣): في «الأئمة الاثنا عشر» ص ١١٧ طبعة دار صادر، بيروت.
- ٦٧ - الشيخ حسن العراقي (بعد ٩٥٨) المدفون أعلى كرم الريش بمصر: عنه الشعراني في «اليواقيت والجواهر»، المبحث ٦٥ ص ١٤٣، وذكر في «لوائح الأنوار» طبعة ١٣٧٤ بمصر ج ٢ ص ١٣٩ لقاء واجتماعه بالإمام المهدي عليه السلام.
- ٦٨ - الشيخ علي الخواص أستاذ العارف الشهير الشيخ عبد الوهاب الشعراني (بعد ٩٥٨): وعنه تلميذه في «لوائح الأنوار» ج ٢ ص ١٥٠، وفي «اليواقيت والجواهر» المبحث ٦٥ ج ٢ ص ١٤٢.
- ٦٩ - تقي الدين ابن أبي منصور (لم يعلم تاريخ وفاته): روى عنه الشعراني في «اليواقيت والجواهر» في بداية الباب ٦٥ من كتاب «العقيدة» ج ٢، ص ١٤٢.
- ٧٠ - المؤرخ الشهير القاضي حسين بن محمد الدياربكري (٩٦٦): في «تاريخ الخميس» ج ٢ ص ٣٤٣ في حوادث سنة ٢٦٠ وأيام المعتمد العباسي.
- ٧١ - العارف الشهير الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني الشافعي (٨٩٨ - ٩٧٣): في «اليواقيت والجواهر»، المبحث ٥٦ ج ٢ - ١٤٣.
- ٧٢ - شهاب الدين شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي (٩٠٩ - ٩٧٤): في «الصواعق المحرقة» ص ١٦٢ و ٢٠٨.
- ٧٣ - السيد جمال الدين عطاء الله بن السيد غياث الدين فضل الله الشيرازي النيشابوري (١٠٠٠): في «روضة الأحاب» بالفارسية، طبعة ١٢٩٧ في لكهنو ١٣١٠ بالهند، في فصل خاص بالإمام المهدي عليه السلام.
- ٧٤ - المحدث الشهير ملا علي بن سلطا الهروي القاري (١٠١٤): في «المرقاة» في شرح المشكاة ج ٩ ص ٣٤٨ - ٣٥٢ ح ٥٤٥٢ - ٥٤٥٥.
- ٧٥ - المؤرخ الشهير الفاضل أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرماني (٩٣٩ - ١٠١٩): في تاريخ «أخبار الدول وآثار الأول» ص ١١٧، في باب خاص بالخلفاء والأئمة.

٧٦ - الإمام الربّاني أحمد بن عبد الأحمد الفاروقي السرهندي النقشبندي الحنفي (٩٧١ - ١٠٣١) وهو من كبار الصوفية في الهند، وسُمّي بمجدّد الألف الثاني: في «المكتوبات» ج ٣ المكتوب الأخير.

(لا يوجد لدينا غير جزأين من المكتوبات).

٧٧ - العارف الشهير عبد الرحمن جشتي بن عبد الرسول بن قاسم العباسي العلوي الصوفي (بعد ١٠٤٥): في «مرآة الأسرار» بالفارسية، وهو يحتوي على تراجم مشايخ الصوفية، (توجد نسخة منه في مكتبة الآصفية في لاهور، رقم ١٦٧ كتاب ١٣٠٩ كما توجد نسخة أخرى منه في مكتبة المجلس بطهران)، وقد روى عنه أيضاً شاه وليّ الله الدهلوي في كتاب «الانتباه في سلاسل أولياء الله وأساتيد وارثي رسول الله ﷺ».

٧٨ - العارف الشهير بديع الزمان قطب مدار، وقد كتب عبد الرحمن الصوفي كتاب «مرآة الأسرار» من أجله، وكان معاصراً له، ويعتبر من أعلام النصف الأوّل من القرن الحادي عشر، وقد روى العلامة النوري في «كشف الأستار» ص ٨٣ تحت رقم ٢٧ أنّ عبد الرحمن قد أورد قصّة لقائه مع الإمام ﷺ في كتابه.

٧٩ - أبو المجدد عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي البخاري الحنفي (٩٥٩ - ١٠٥٢): في رسالة خاصّة بمناقب الأئمة وحياتهم، نقلًا عن «كشف الأستار» ص ٦٢ تحت رقم ١٢.

٨٠ - المؤرخ الشهير عبد الحيّ بن أحمد، المعروف بابن عماد الدمشقي الحنبلي (١٠٣٢ - ١٠٨٩): في «شذرات الذهب» في حوادث سنة ٢٦٠ هجرية، ص ١٤١.

٨١ - الشيخ محمود بن محمد الشبخاني القادري (بعد ١٠٩٤): في «الصراط السويّ في مناقب آل النبي ﷺ».

٨٢ - عبد الملك بن حسين عبد الملك العصامي المكي (١٠٤٩ - ١١١١): في

كتاب «سمط النجوم العوالي» ج ٣ ص ١٣٧ - حول اسم الإمام الحسن العسكري عليه السلام - وص ١٣٨ .

٨٣ - الميرزا محمد خان بن رستم البдохشي (١١٢٢): في «مفتاح النجا في مناقب آل العبا» ص ١٨١، من مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي بقم، (ملحقات إحقاق الحق ١٣ - ٩٥).

٨٤ - سيّد عباس بن علي المكي (بعد ١١٤٨): في «نزهة الجليس» ج ٢ ص ١٢٨، طبعة القاهرة.

٨٥ - الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوي الشافعي المصري (١١٧٢)، شيخ الجامع الأزهر: في «الإتحاف بحبّ الأشراف» ص ١٧٩ ج ١٨٠، منشورات الرضي، قم.

٨٦ - أحمد بن علي بن عمر، شهاب الدين أبو النجاح الميني الحنفي الدمشقي (١٠٨٩ - ١١٧٣): في كتاب «فتح المثنان» في شرح منظومة «الفوز والأمان» للشيخ البهائي، ص ٣، طبعة القاهرة. وقد طُبِعَ هذا الكتاب في «الإمام المهدي عليه السلام عند أهل السنة».

٨٧ - شاه وليّ الله أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الحنفي (١١١٠ - ١١٧٦): في «المسلسلات» المعروف بـ «الفضل المبين»، حيث ذكر قضية لقاء البلاذري مع الإمام عليه السلام، وقد امتنع عن إبداء الرأي فيه بسكوت يدلّ على الرضا.

٨٨ - الشيخ سراج الدين عثمان دده العثماني (١٢٠٠): في «تاريخ الإسلام والرجال» ص ٣٧٠، بناءً على النسخة المخطوطة منه في مكتبة آية الله المرعشي. (ملحقات إحقاق الحق ١٣ - ٩٢).

٨٩ - الشيخ محمد بن علي الصبّان المصري الشافعي (١٢٠٦): في «إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين»^(١).

(١) طبع هذا الكتاب عدّ مرات في حاشية «نور الأبصار» للشيلنجي، كما طبع مرة في حاشية «امشارك الأنوار» للحمزوي بمصر.

٩٠ - مولوي علي أكبر بن أسد الله المودودي (١٢١٠): من مشاهير علماء الهند والمتعصبين الشديدي التعصب ضد الشيعة: في «المكاشفات» - وهو مجموعة من الحواشي على «نفحات الأنس» للجامي - (ج ٧، ص ٣٢٧) حول ترجمة علي بن سهل الأصفهاني والبحث حول عصمة الأنبياء وعصمة الإمام المهدي الموعود.

٩١ - مولوي محمد مبین الهندي اللكهنوي (١٢٢٠): في «وسيلة النجاة» طبعة كلشن فيض، ص ٣١٦.

٩٢ - الشيخ عبد العزيز بن شاه ولي الله الدهلوي (١١٥٩ - ١٢٣٩)، مؤلف «التحفة الاثنا عشرية»، نقلاً عن «استقصاء الأفهام» ص ١١٩: في «الزهوة» حيث نقل رواية ابن عقلة في لقاء البلاذري عن «الفضل المين» لأبيه، وهذا يدل على اعتقاده بحياة الإمام المهدي عليه السلام.

٩٣ - خالد بن أحمد بن حسين، أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندى الشهرزوري (١١٩٠ - ١٢٤٢)، من كبار الصوفية: في ديوان له بالفارسية وعنه «مجمع الفصحاء» لرضا قلي هدايت، ج ٢، ص ١١، طبعة ١٣٢٩.

٩٤ - رشيد الدين الدهلوي الهندي (١٢٤٣): في «إيضاح لطافة المقال»، وعنه «الإمام الثاني عشر» للعلامة العبقاني، ص ٤٧ طبعة النجف.

٩٥ - النسابة الشهير أبو الفوز محمد أمين السويدي البغدادي (١٢٤٦): في «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» ص ٧٨ بالخط العسكري.

٩٦ - القاضي جواد بن إبراهيم بن محمد ساباط الهجري البصري الحنفي (١١٨٨ - ١٢٥٠)، الذي كان مسيحياً ثم أسلم: في «البراهين الساباطية فيما يستقيم به دعائم الملة المحمدية»، طبعة العراق، وعنه «كشف الأستار» ص ٨٤.

٩٧ - الشيخ عبد الكريم اليماني (قبل ١٢٩١): خلال قصيدة أنشدها في الإمام المهدي عليه السلام، ورواها «تبايع المودة» كاملة ج ٣ ص ٣٣٧.

٩٨ - المحدث الجليل سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المعروف بخواجه كلان (١٢٢٠ - ١٢٩٤): في «ينابيع المودة» في ج ٢ نهاية الباب ٥٦ وج ٣ نهاية الباب ٧٩، والذي طبع مراراً في تركيا والهند والعراق وإيران، وطبع للمرة السابعة سنة ١٣٨٤ في النجف.

٩٩ - الشيخ حسن العدوي الحمزاوي الشافعي المصري (١٣٠٣): في «مشارك الأنوار في فوز أهل الاعتبار» ص ١٥٣، طبعة مصر وج ٢ ص ٥٨ المدرج في الإمام المهدي عليه السلام عند أهل السنة.

١٠٠ - عبد الهادي بن رضوان بن محمد الأبياري (١٣٠٥): في «جالية الكدر» - شرح منظومة السبزواري ج ص ٢٠٧ طبعة مصر.

١٠١ - مؤلف «تشيد المباني» (١٣٠٦)، العلامة المحقق ميرحامد حسين النيسابوري الهندي: في «إستقصاء الإفهام» ص ١٠٣، طبعة لكهنو.

١٠٢ - سيد مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي المصري (١٢٥٢) - بعد ١٣٠٨: في فصل خاص بالإمام المهدي عليه السلام من كتاب «نور الأبصار» ص ٣٤٢، منشورات الشريف الرضي.

١٠٣ - عبد الرحمن بن محمد بن باعلوي الحضرمي (١٣٢٠)، مفتي حضرموت اليمن: في «بغية المسترشدين» ص ٢٩٦، طبعة مصر، نقلاً عن جلال الدين السيوطي.

١٠٤ - محمود بن وهيب القراغولي البغدادي الحنفي: في كتاب «جوهر الكلام» المطبوع، ص ١٥٧، في فصل تحت عنوان «المجلس الثلاثون في فضائل محمد المهدي عليه السلام» المختص بالإمام المهدي عليه السلام، حيث شهد فيه بولادة الإمام وغيته.

١٠٥ - عماد الدين الحنفي: وعنه العلامة النوري عن بعض أصحابه في «كشف الأستار» ص ٦٠، حيث شهد بولادة الإمام المهدي عليه السلام، إلا أن العلامة النوري أشار على عدم اطلاعه على نص كلام عماد الدين.

١٠٦ - الفاضل المحقق القاضي بهلول بهجت أفندي القندوزي الزنكي زوري

(١٣٥٠): في «محاكمة در تاريخ آل محمد عليه السلام»^(١)، الذي ترجم من التركية الآذربايجانية إلى الفارسية، وتم طبعه ما لا يقل عن عشر مرات في إيران، حيث يحوي أروع بحث تحقيقي في الإمامة.

١٠٧ - الشيخ عبيد الله الأمر تسري الحنفي، المعاصر: في كتاب «أرجح المطالب في عذ مناقب أسد الله الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام» الذي حرر بلغة الاردون وتم طبعه في لاهور، ص ٣٧٧.

١٠٨ - السيد عبد الرزاق بن شاکر البدری الشافعي، المعاصر: في كتاب «سيرة الإمام العاشر علي الهادي عليه السلام» ص ١٣١.

١٠٩ - المؤرخ الشهير، وعضو المجمع اللغوي في القاهرة، محمد شفيق غربال (١٣١١ - ١٣٨١): في «دائرة المعارف» التي كتبت في ٢٠٠٠ صفحة جمع من الكتاب، وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٥، حيث أشار تحت عنوان «الأئمة الاثنا عشرية» أن الإمام المهدي عليه السلام قد غاب عام ٨٧٣ ميلادية (الموافق لسنة ٢٦٠ هجرية، أي بداية الغيبة الصغرى).

١١٠ - خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (١٣١٠ - ١٣٩٦): في «الأعلام» ج ٦ ص ٨٠، الطبعة الثالثة، خلال فصل باسم «محمد بن الحسن العسكري عليه السلام»، حيث أشار إلى ولادة الإمام عليه السلام.

١١١ - يونس أحمد السامرائي في كتاب «سامراء في أدب القرن الثالث الهجري»، والذي طبع سنة ١٩٦٨ ميلادية بمساعدة جامعة بغداد، يقول في ص ٤٦ تحت كلمة «العسكري»: «هناك عدد من الشخصيات يحملون هذا اللقب، منهم أبو الحسن علي بن محمد الجواد العسكري، وابنه حسن بن علي، وأبو القاسم محمد بن الحسن العسكري وهو المهدي المنتظر». وأشار في هامش نفس الصفحة إلى قبة الغيبة وسردابها وقال: «وهم يعتقدون أن المهدي المنتظر قد غاب هناك».

(١) أي: محاكمة في تاريخ آل محمد عليه السلام.

ثم يقول: «ويزور هذا السرداب جمع غفير من المسلمين طوال كل عام».

وعلى رغم أنه لم يصرح بتاريخ ولادة الإمام، إلا أنه كتب ما يقوله الآخرون في الإمام المهدي عليه السلام دون أن يبدي أي شك فيه، واعتبر ولادته أمراً مسلماً لا شك فيه.

١١٢ - المستشار عبد الحليم الجندي المصري، المعاصر: في كتاب «الإمام جعفر الصادق عليه السلام» ص ٢٣٨، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، ١٣٩٧.

نعم، لقد صرحت كل هذه الشخصيات الكبيرة من أهل السنة بولادة الإمام المهدي عليه السلام، وعلى ذلك يمكننا أن نقول: أن مسألة ولادة الإمام المهدي عليه السلام تعتبر من المسلمات لدى جمع كبير من علماء أهل السنة، أما من لا يعتقد بولادته ويقول أنه سيولد في المستقبل فهم الأقلية لا أكثر.

كانت هذه بعض تصريحات علماء السنة والشيعه في تاريخ ولادة الإمام المهدي عليه السلام، وهي كما ترى مورد إجماع واتفاق. ولا ندعي هنا أننا قد قمنا بإحصاء أقوال جميع العلماء والمؤرخين، ولكن ما ذكرناه يكفي لإثبات الإجماع على أن تاريخ ولادة الإمام المهدي عليه السلام كانت في الخامس عشر من شهر شعبان من سنة (٢٥٥ هجري).

وأما ما ذكره البعض من وجود الخلاف في تاريخ مولده عليه السلام عند بعض علماء الشيعة واعتباره ذلك مدخلاً للتشكيك بأصل الولادة. فلا يعدو عن كونه محاولة للتدليس والكذب على هذه الحقائق التي وضعناها بين يدي القارى والتي تدحض أقوال هؤلاء المشككين.

فقد ذكر البعض أنّ الروايات اختلفت في تحديد تاريخ مولد الإمام المهدي عليه السلام حيث ذكر الشيخ المفيد في «رسالة مولد الأئمة» (ص ٦) أنه ولد في الثامن من شهر ذي القعدة ٢٥٧ أو ٢٥٨، وذكر الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) أن مولده كان في ٨ شعبان سنة ٢٥٦، وأورد الشيخ الطوسي رواية

مفادها أن ولادته عليه السلام كانت في النصف من رمضان دون أن يحدد السنة^(١).

وقد فات هذا البعض أن الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والشيخ الصدوق إنما ذكروا هذه التواريخ من دون أن يكون هناك تأييد من قبلهم لصحتها وكذبها، وإن كان المرجح بل الواقع والحقيقة أن هؤلاء العظماء من أعلام الشيعة لم يكونوا من الموافقين على صحة هذه الروايات، وأكبر دليل وشاهد أن العلماء الثلاثة المذكورين ذكروا في سائر كتبهم فقط الروايات التي تشير إلى أن ولادته عليه السلام كانت في الخامس عشر من شهر شعبان من عام (٢٥٥ هجري) ولم يأتوا على ذكر غير هذا التاريخ.

وربما يكون ذكرهم لغير هذا التاريخ الذي اعتبره البعض مستمسكاً للتشكيك بولادته عليه السلام إنما هو من قبيل ذكر وإحصاء ما جاء في تاريخ مولده فقط ومن دون التعليق على ذلك أو تأييده.

وأما ما يتعلق بالخلاف حول صحة ولادة الإمام المهدي عليه السلام وعدمها فقد أجمع علماء الشيعة على أنه قد ولد وأنه حي يرزق ولكنه غائب عن الأنظار، وأن أمر خروجه مرهون بإذن الله له.

وقد وافق جمع غفير من علماء السنة وأعيان علماء المذاهب الأربعة على هذا الرأي حيث صرحوا بأن الإمام المهدي عليه السلام قد وُلد، وأنه من نسل الرسول صلى الله عليه وآله ويُسمى باسمه ويُكنى بكنيته، ورووا نصوصاً وروايات وتصديداً لدفع شبهات في قضية الإمام المهدي عليه السلام.

وأورد العلامة المحدث الميرزا حسين النوري الطبرسي أسماء وكلمات لأربعين عالماً من علماء السنة أيدوا ووافقوا وتحذثوا ودافعوا عن قضية الإمام المهدي عليه السلام واثبتوا حقيقة ولادته وصحتها^(٢).

وسنبين تفاصيل هذه المسألة في الفصول اللاحقة وذلك في الحديث عن ما

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي، أحمد الكاتب، ص ١٤٢.

(٢) كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، الميرزا حسين النوري الطبرسي، ص ٤٠ - ٩٥.

ورد من كلمات لكبار علماء أهل السنة فضلاً عن الشيعة وتأيدهم لحقيقة وجود الإمام المهدي ﷺ وأنه قد وُلِدَ، وأنه من ولد فاطمة ومن نسل الإمام الحسين ﷺ .

الأحداث التي رافقت الولادة

كانت ولادته عليه السلام في ظلّ الظروف القاسية والمؤلمة التي عاشها كل من الإمامين العسكريين عليهما السلام (أبوه وجده) حيث كانت السلطات العباسية قد فرضت عليهما الإقامة الجبرية في سامراء عاصمة الدولة العباسية لأنهما كانا يمثلان جانب المعارضة الصامدة أمام إنحراف الحكام عن الخط الرسالي الذي جاء به نبي الإسلام صلى الله عليه وآله.

وفي الوقت ذاته يقومان بدورهما وينهضان بمسؤولية الإصلاح والتبليغ والرعاية التامة لمصالح الأمة في جوٍّ من السرية التامة حيث كانت السلطات العباسية سيما في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام تعيش هاجس ولادة المهدي فتقوم بمراقبة الحوامل من نساؤه، والفحص عن تركته وورثته.

وقد كانت أفكار المسلمين وبخاصة الموالين للأئمة عليهم السلام، مليئة بالاعتقاد بوجود المهدي عليه السلام لكثرة الروايات واستفاضتها بالحديث عنه منذ زمان النبي صلى الله عليه وآله وإلى زمان الإمام الحسن العسكري عليه السلام سواء عن طريق الرواة والمحدثين الشيعة أو السنة كما هو واضح في الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة في صحاحهم.

وكانت سياسة الاعتماد على نظام الوكلاء قد بدأت منذ عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام نتيجة للأوضاع السياسية القائمة آنذاك وجزءاً من التمهيد المباشر لغيبة الإمام المهدي عليه السلام، وكذلك تعويد الأصحاب فكراً وسلوكاً عليها.

وقد رافقت ولادة الإمام المهدي عليه السلام جملة من المعجزات التي أرادها الله

سبحانه وتعالى أن تكون دليلاً يضاف إلى الأدلة والبراهين التي تثبت إمامته وتدحض أقوال المشككين في ذلك ففي الرواية التي سنقلها عن السيدة حكيمة عمة الإمام العسكري عليه السلام والتي رويت في معظم كتب الحديث وبالألفاظ ومضامين متعددة، نلاحظ وجود المعجزات التالية:

١ - سقوط الإمام المهدي عليه السلام لحظة ولادته على الأرض ساجداً.

٢ - ولادته نظيفاً منظفاً لا يحتاج عند الولادة بكبكية الأطفال إلى تغسيل وتنظيف مما يخرج مع المولود من رحم الأم (كالدّم).

٣ - نطقه بالشهادتين وكذلك الشهادة بالأئمة الإثني عشر.

٤ - تلاوته للآية المباركة: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين).

٥ - وجود سنن الأنبياء فيه، فكما ولد النبي موسى عليه السلام في تلك الظروف القاسية التي كان فيها فرعون يقتل كل النساء الحوامل خوفاً من ولادة موسى عليه السلام ومن ثم إلقاءه في اليم من قبل أمه، كذلك المعجزة الباهرة في عدم ظهور الحمل على أم الإمام المهدي عليه السلام وسرعة إخفائه عن الناس. وعندما تسأل عنه السيدة حكيمة والتي كانت الشاهد الوحيد على ولادته يقول لها الإمام العسكري عليه السلام: يا عمة لقد استودعناه الذي استودعته أم موسى عليه السلام.

ولأهمية هذه الرواية نوردتها بالتفصيل وهي:

عن السيدة حكيمة^(١) رضوان الله تعالى عليها أنها قالت: «بعث إلي أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه، قالت: فقلت له: ومن أمه؟ قال لي: نرجس، قلت له:

(١) السيدة حكيمة هي: ابنة الإمام التاسع من أئمة أهل البيت محمد الجواد عليه السلام وأخت الإمام العاشر علي الهادي عليه السلام وعمة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام والد الإمام المهدي عليه السلام.

جعلني الله فداك ما بها أثر، فقال: هو ما أقول لك، قالت: فجئت، فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، قالت فأنكرت قلبي وقالت: ما هذا يا عمة؟ قالت: فقلت لها يا بنية إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيدياً في الدنيا والآخرة قالت: فخرجت واستحييت.

فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فركضت، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة، ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصلت ونامت.

قالت حكيمة: فدخلتني الشكوك فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمة فإن الأمر قد قرب، قالت: فجلست وقرأت ألم السجدة ويس، فبينما أنا كذلك إذا انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: أتحمسين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، قالت فأخذتني فترة^(١) وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضممته إليّ فإذا أنا به نظيف متنظف فصاح بي أبو محمد عليه السلام هلمي إليّ ابني يا عمة فجئت به إليه فوضع يديه تحت إيتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ثم لسانه في فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصلهن ثم قال: تكلم يا بني فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله عليه السلام ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه، ثم أحجم^(٢).

ثم قال أبو محمد عليه السلام: يا عمة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها واتتني به، فذهبت به فسلم عليها ورددته فوضعت في المجلس ثم قال: يا عمة إذا كان يوم السابع فأتينا.

(١) المراد بالفترة سكون المفاصل وهدوؤها قبل غلبة النوم.

(٢) أي سكت. أحجم عنه أي كف ونكص هية.

قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد ﷺ وكشفت الستر لأنفقد سيدي ﷺ فلم أره، فقلت: جعلت فداك ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمة استودعناه الذي استودعته أم موسى ﷺ.

قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست فقال: هلمي إلي ابني، فجئت بسيدي ﷺ وهو في الخرقه ففعل به كفعلة الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبناً وعسلاً، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وثني بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتى وقف على أبيه ﷺ، ثم تلا هذه الآية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَرُئِدَ أَنْ تَتَمَنَّيَ عَلَى الَّذِينَ أَسْتَفْجُوا فِي الْأَرْضِ وَفَعَلَهُمْ أَبْنَاءُ وَفَعَلَهُمُ الْوَارِثُونَ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرُئِيَ رِقْعَتَانِ يُخَوِّدُهُمَا مِنَهُمَا يَنْتَهُمَ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(١).

قال الراوي موسى بن محمد: فسألت عقبة الخادم عن هذا فقال: صدقت حكيمة^(٢).

وكما أشرقت الأرض بنور ربها يوم ولادة المهدي ﷺ فإن أهل السماء أيضاً استبشروا وتباركوا بهذا الحدث العظيم، ففي رواية عن إحدى جوارى الإمام الحسن العسكري ﷺ تذكر فيها أنها رأت في ذلك اليوم الذي ولد فيه صاحب العصر والزمان ﷺ نوراً ساطعاً قد ظهر منه. وبلغ أفق السماء، ورأت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده، ثم تطير، فأخبرت الإمام العسكري ﷺ بذلك فضحك، ثم قال: تلك ملائكة الله نزلت للتبشرك بهذا المولود وهي أنصاره إذا خرج^(٣).

(١) سورة القصص، الآيتان ٥ - ٦.

(٢) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ٢٣٤، ح ٢٠٤ - الإرشاد، للشيخ المفيد، ص ٣٣٩ - كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق، ج ٢، ص ٤٢٦، ح ٢ - البحار، للمجلسي، ج ٥١، ص ٤، ح ٣.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق، ج ٢، ص ٤٣١، ح ٧ - البحار، للمجلسي، ج ٥٢، ص ٥، ح ١٠.

ومما جاء في المرويات عن المعجزات الباهرة التي رافقت ولادته عليه السلام، ما جاء عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

سقط من بطن أمه جائياً على ركبتيه، رافعاً سبائبه نحو السماء، ثم عطس فقال: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله، عبداً ذاكر لله، غير مستنكف ولا مستكبر. زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة. ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك^(١).

وكان يومئذ في مدينة قم منجمٌ يهودي مشهور، قصده أحمد بن إسحاق وكيل أبيه العسكري عليه السلام في قم وصاحبه الجليل وقال له: قد ولد مولود في وقت كذا، فاعمل له ميلاداً وطالماً فنظر اليهودي في الطالع وعمل عملاً وقال لابن إسحاق لست أرى النجوم تدلني فيما يوجبه الحساب... لا يكون هذا المولود إلا نبياً أو وصي نبي. وإن النظر يدلني على أنه يملك الدنيا شرقاً وغرباً، وسهلاً وجبلاً، حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد إلا دان له وقال بولايته!^(٢)

وأما ما جاء في الرواية المتقدمة من أن الإمام المهدي عليه السلام نطق ببعض الكلمات حين ولادته فهو أمر لا ينبغي أن يكون مثار استغراب أو اعتراض عند البعض، لأنه ليس بدعاً في الدهر، وليس شاذاً في أفعال الله تعالى وقدراته الكبرى.

وهذا القرآن يصرح بكل وضوح بنطق عيسى بن مريم في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ مَآئِنِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا...﴾^(٣).

فهو إذن نبي في صغره أيضاً، والإمام المهدي عليه السلام له الشبه من كلتا الناحيتين. أما النطق فباعتبار ما تقدم، وأما الإمامة في الصغر فلأنه تولاهما وعمره خمس سنوات بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠ للهجرة.

(١) البحار، ج ٥١، ص ٤، ح ٦ - إلزام الناصب، للحاتري، ج ١، ص ١٠٠.

(٢) البحار، ج ٥١، ص ٢٣، ح ٣٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٠.

الإمام العسكري ﷺ وأجراءاته لتثبيت الولادة والإمامة

شهدت الفترة التي وُلد فيها الإمام المهدي ﷺ إجراءات تعسفية وقمعية قام بها أركان الدولة العباسية الذين كانوا يسمعون ويقرأون - كما غيرهم من الناس - عن ولادة الإمام المنقذ الذي سيهدم عروش الظالمين ويبعثه الله رحمة للعالمين، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً.

فكان الإمام العسكري ﷺ يعيش تحت رقابة شديدة وقاسية، وكان عليه بالإضافة إلى المهمة الكبرى والعسيرة في حماية مولوده الجديد من الجهاز الحاكم وسيف السلطة العباسية التي تطارده دائماً، كان عليه أن يقوم ببعض الأعمال التي تؤكد وتثبت وجود الإمام المهدي ﷺ تجاه التاريخ وتجاه الأمة الإسلامية، وتجاه مواليه الذين يعتبرون المولود الجديد إمامهم الثاني عشر بحسب النص النبوي الشريف، وحتى لا يدخل الشك والريب إلى قلوب بعض الشيعة في قضية وجوده وولادته.

فعلى صعيد المهمة الأولى كان الإمام الحسن العسكري ﷺ يعلم بأن خبر ولادة الإمام المهدي المنتظر ﷺ باعثٌ للهلع والاضطراب في نفوس الحاكمين الظالمين، ويسلب استقرارهم النفسي، لأنهم علموا فيما سبق بواسطة الأخبار الكثيرة المتواترة عن النبي ﷺ بمجيء الإمام الثاني عشر الذي يمحى الظلم وينشر العدل، وهذا ما استدعى أن يخفي الإمام العسكري ﷺ خبر ولادته عن الظالمين وفي نفس الوقت كان عليه أن يركز في نفوس أصحابه وشيعته حقيقة وجود ولده الإمام الحجة ﷺ وهو أمر بالغ الصعوبة لناعية

إخفائه من جهة وضرورة إثبات ولادته ووجوده من ناحية أخرى. فعندما بشر بعض خاصة شيعته كأحمد بن إسحاق وغيره أمرهم بأن يكتموا أمره ويستروا ولادته عن الآخرين، بقوله:

«وُلِدَ لَنَا مَوْلُودٌ، فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ مُسْتَوْرًا، وَعَنْ جَمِيعِ النَّاسِ (مَكْتُومًا)»^(١).

بل إنه كتم حمله أيضاً حتى عن أخصّ الخواص، ولم يعلم بذلك حتى القريب من أهل بيته، إلا حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام - كما مر - التي أعلمت بذلك في وقت متأخر جداً، وذلك في ليلة النصف من شعبان، وهي ليلة ولادة الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام، فإنه عليه السلام دعاها وأخبرها بأن الحجة عليه السلام سيولد وعلى الرغم من الرقابة المشددة على بيت الإمام ونساء الإمام ظناً منهم بوجود الإمام المهدي عليه السلام جنيئاً في رحم إحدى النساء، استطاع الإمام العسكري أن يدفع ظلم العباسيين ويمنع من تسرب خبر الولادة إليهم طيلة الخمس سنوات التي قضاها المولود الجديد مع والده عليه السلام.

أما بالنسبة إلى الوظيفة الثانية فقد قام الإمام العسكري عليه السلام وبتخطيط دقيق وواع يكشف عن الحكمة في تصرفاته ببعض الإجراءات ليكفل وصول الخبر إلى الخواص من شيعته دون سواهم، لهذا فقد ترك الإمام عليه السلام خبر الإعلان العام عن ولادة المولود الجديد بالكلية، وكان شيئاً لم يحدث على الإطلاق، وترك الأحداث تسير في مجراها الاعتيادي من دون إثارة أي انتباه أو فضول أو شك من أحد في شيء من النشاط أو القول أو العمل. حتى أن خادم الباب في بيت الإمام العسكري عليه السلام لم ينتبه إلى شيء ولم يفهم شيئاً. وإذا لم يحصل الشك والانتباه لم يحصل الفحص والسؤال^(٢).

ومما ساعد الإمام العسكري عليه السلام على الإخفاء مساعدة كبرى، تطبيقه

(١) كمال الدين، ج ٢، ص ٤٣٤.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الصدر، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

سياسة الاحتجاب على نفسه، وانقطاعه عن أصحابه ومواليه إلا بواسطة المراسلات، حيث استطاع ﷺ بذلك تحقيق نتيجتين أساسيتين:
إحدهما: تعويد قواعده الشعبية على فكرة الاحتجاب والقيادة غير المباشرة.

ثانيتهما: استقطاب المهام التي كان يقوم بها، والحوادث التي كان يعيشها بشكل منفرد بعيداً عن الانتباه وتسليط الأضواء، وحيث كان إخفاء ولده من مهامه الرئيسية، فلم يكن ذلك بممتنع عليه بعد تخطيط الاحتجاب^(١).

وكان الإعلان الأول والخالص عن الولادة من قبل الإمام العسكري ﷺ عندما أمر أحد أخص أصحابه عثمان بن سعيد بأن يشتري عشرة آلاف رطل من الخبز، وعشرة آلاف من اللحم، ويوزعها على بني هاشم^(٢).

وفي بعض الروايات عن محمد بن إبراهيم الكوفي أن أبا محمد ﷺ بعث إلى بعض من سمّاه لي بشاة مذبوحة، وقال:
«هذه من عقيقة ابني محمد»^(٣).

عرض الإمام الحجة ﷺ على الأصحاب في اليوم الثالث:

ولأن الإمام العسكري ﷺ يريد أن يثبت وجود وولادة الإمام المهدي ﷺ ولترسيخ هذه الفكرة في عقول وأذهان الشيعة على مرّ التاريخ وإلى يوم الإعلان العام عن الظهور، اختار مجموعة من خيرة أصحابه ومواليه من الذين كان يعرف منهم الصلابة في الإيمان والعمق في الإخلاص، وبخاصة أولئك الذين يرتبط بالإمام ﷺ عن طريقهم مع شيعته وخاصته وينقلون إليه المراسلات والتوقيعات ليكون هؤلاء ممن يستطيع حمل هذه الأمانة والمسؤولية في تبليغ خبر ولادة الإمام المهدي ﷺ إلى الناس.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) راجع كمال الدين، للصدوق، ج ٢، ص ٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٣٢.

وقد روى الشيخ الصدوق عدّة روايات تبين أسماء هؤلاء الذين ائتمنهم الإمام العسكري عليه السلام على هذا السرّ ونحن نذكر بعض ما رواه الصدوق (رضوان الله تعالى عليه).

منها ما رواه أبي غانم الخادم قال: وُلِدَ لأبي محمد عليه السلام وَلَدٌ فسَمَّاهُ محمداً، فمرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدُّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملاها قسطاً وعدلاً^(١).

عرض الإمام الحجة عليه السلام على أحمد بن إسحاق:

وممن شَرَّفَ بنبأ الولادة من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام أحمد بن إسحاق وهو من ثقة أصحاب الإمام عليه السلام الذي علم بالخبر عن طريقين:

الأول: الرسالة التي بعثها إليه الإمام عليه السلام والتي يُبَشِّرُهُ فيها بنبأ ولادة الإمام المهدي عليه السلام. فقد روى الصدوق عن أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال: لما وُلِدَ الخَلْفُ الصالح عليه السلام وَرَدَ عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام إلى جدِّي أحمد بن إسحاق كتاب، فإذا فيه مكتوب بخط يده الذي كان تردُّ به التوقيعات عليه وفيه:

«وُلِدَ لنا مولود، فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً، فإننا لم نُظْهِرْ عليه إلا الأقرب لقرابته، والولي لولايته، أحببنا إعلامك يسرُّك الله به مثل ما سرُّنا به، والسلام»^(٢).

الثاني: الزيارة التي قام بها أحمد بن إسحاق إلى بيت الإمام العسكري عليه السلام، والتي يريد أن يسأله فيها عن الخلف من بعده، ومن يتولى الإمامة بعد وفاته ويضطلع بشؤون الأمة عند ذهابه إلى ربِّه، فيدخل على الإمام عليه السلام، فيقول له الإمام عليه السلام مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق إنَّ الله تبارك

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ج ٢، ص ٤٣١، ح ٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣٣، ح ١٦.

وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ﷺ ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة، من حجة على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض وبه ينزل الغيث وبه تخرج بركات الأرض. قال: فقلت له: يا بن رسول الله، فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فينهض الإمام ﷺ مسرعاً ويدخل أحد الغرف، ثم يخرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين. ثم يقول ﷺ: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا. إنه سمى رسول الله ﷺ وكنيته^(١) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. يا أحمد بن إسحاق، مثله في هذه الأمة مثل الخضر ﷺ ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله عز وجل على القول بإمامته ووفقه الله للدعاء بتعجيل فرجه.

قال أحمد بن إسحاق: فقلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن بها قلبي. فنطق الغلام ﷺ بلسان عربي فصيح: أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب أثراً بعد عين، يا أحمد بن إسحاق.

قال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً. فلما كان الغد عدت إليه، فقلت له: يا بن رسول الله، لقد عظم سروري بما مننت عليّ فما السنة الجارية من الخضر وذي القرنين، قال: طول الغيبة يا أحمد.

قلت: يا بن رسول الله، وإن غيبته لتطول.

قال: أي ورابي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، فلا يبقى إلا من أخذ الله عز وجل عهده بولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه. يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من أمر الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله، فخذ ما أتيتك واكتمه وكن من الشاكرين، تكن معنا في عليين^(٢).

(١) أي أنه متحد معه ﷺ في الاسم والكنية.

(٢) نقلنا هذا الخبر عن تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الصدر، ص ٢٧٩.

عرض الإمام الحجة عليه السلام على أربعين نفرًا من أصحابه:

وقد توسع هذا الإعلان من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي عندما قام الإمام العسكري عليه السلام وأظهر ولده الحجة عليه السلام على جماعة من أصحابه يناهز عددهم على الأربعين رجلاً. فقد روى الشيخ الطوسي في غيبته عن جماعة من الأصحاب قالوا: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام فسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه عليه السلام أربعون رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله عليه السلام أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني فقال له: اجلس يا عثمان فقم مغضباً ليخرج فقال: لا يخرجني أحدن فلم يخرج منا أحد إلى أن كان بعد ساع فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه فقال: أخبركم بما جئتم، قالوا: نعم يا بن رسول الله قال: جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي.

قالوا: نعم.

فإذا بغلام كأنه قطع فمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام.

فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه^(١).

ومثله ما رواه الشيخ الصدوق في (كمال الدين) عن جماعة منهم محمد بن عثمان العمري قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ولده ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً فقال هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه، ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم لتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا، قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلا أياماً قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام^(٢).

(١) منتخب الأثر، ص ٣٦٠، ح ١ و ٢.

(٢) نفس المصدر.

يظهر من هاتين الروایتين أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قبيل وفاته بفترة قليلة أراد تثبيت هذا الأمر بشكل أقوى ولذا اتخذ أسلوب التبليغ عن خليفته في مجلس يحضره أكثر من شاهد وبذلك يكون ثبوت الأمر أفضل مما لو رآه كل واحد من هؤلاء على حدة. فضلاً عن نيته في إيصال رسالة إليهم مفادها أن لإمامهم المهدي عليه السلام غيبة طويلة لا يجوز لأحد إنكارها، وإرجاعهم إلى السفراء.

عرض الإمام الحجة عليه السلام على يعقوب بن منقوش:

روى الصدوق في كتابه كمال الدين وتمام النعمة بسنده عن يعقوب بن منقوش، قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، وهو جالس على دكان في الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مُسَبَّل، فقلت له: يا سيدي من صاحب هذا الأمر؟

فقال: ارفع الستر.

فرفعته، فخرج إلينا غلام خماسي له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دري المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، في خذه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ أبي محمد عليه السلام. ثم قال: هذا صاحبكم.

ثم وثب، فقال له: يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم، فدخل البيت وأنا أنظر إليه.

ثم قال لي: يا يعقوب، انظر من في هذا البيت، فدخلت فما رأيت أحداً^(١).

(١) كمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٤٠٧ - أعلام الوري، ص ٤١٣.

الفصل الثاني

الأدلة على ولادة وإمامة وجود الإمام المهدي عليه السلام

★ الدليل العقلي

★ الدليل النقلی

الأدلة على ولادة وإمامة وجود

الإمام المهدي عليه السلام

اتفق المسلمون على خروج المهدي في آخر الزمان، وأنه من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، وأن اسمه كاسم النبي محمد صلى الله عليه وآله والأخبار في ذلك متواترة عند الشيعة وأهل السنة. فالاعتقاد بالمهدي عليه السلام هو من ملة الإسلام ومتواتراته بل وضرورياته، ولا خلاف فيه بين المسلمين، وإنما اختلفوا في أنه وُلد أو سيولد.

فالشيعة وجماعة من علماء أهل السنة قالوا بأنه وُلد وأنه محمد بن الحسن العسكري عليه السلام. وذهب أكثر أهل السنة إلى أنه لم يولد بعد وسيولد. ونحن الشيعة نقول بأن الحق هو القول الأول ويدل على ذلك الدليل العقلي والنقلي.

الدليل العقلي:

يعتقد الشيعة كما هو المشهور عنهم بأن الإمامة بعد النبوة أصل من أصول الدين، وأن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله قد أوصى قبل رحيله إلى الرفيق الأعلى بالإمامة والولاية إلى الأئمة الإثني عشر أولهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

وهذا الأصل الاعتقادي عند الشيعة ليس مستنده النقل والروايات المتضاربة عن النبي صلى الله عليه وآله فقط بل الأساس فيه هو العقل الحاكم بضرورة وجود الإمام المعصوم المنصوص عليه من قبل النبي صلى الله عليه وآله عن الله عز وجل.

واعتماد الشيعة على الدليل العقلي لم يقتصر على قضية الإمامة بل إن معظم القضايا الاعتقادية عندهم منشأها هو العقل. وإلى هذا يشير الشيخ الصدوق نقلاً عن شيخ المتكلمين وأحد صحابة الإمام الحسن العسكري عليه السلام إسماعيل بن علي التوبختي فيقول: «... إن أمر الدين كله بالاستدلال يُعلم، فنحن عرفنا الله عز وجل بالأدلة ولم نشاهده، ولا أخبرنا عنه من شاهده، وعرفنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكونه في العالم بالأخبار، وعرفنا نبوته وصدقه بالاستدلال، وعرفنا أنه استخلف علي بن أبي طالب عليه السلام بالاستدلال وكذلك عرفنا أن الحسن بن علي عليه السلام إمام مفترض الطاعة...»^(١).

فالمسلك والمنهج العقلي في الاستدلال على ضرورة وجود الإمام المعصوم هو المسلك الشيعي، ونحن في الاستدلال العقلي على وجود الإمام المهدي عليه السلام نقسم الدليل إلى قسمين:

الأول: الدليل على ضرورة وجود الإمام وتعيينه أو نصبه من قبل الله عز وجل، ويمكن التعبير عنه: بالدليل على الإمامة العامة.

الثاني: الدليل العقلي على استمرارية هذه الإمامة للوصول إلى إمام الإمام المهدي عليه السلام، ويمكن التعبير عنه: بالدليل على الإمامة الخاصة.

أما الكلام في الدليل الأول: فقد ذهب الشيعة إلى القول بأن الإمامة مقام ديني خاضع للجعل والتعيين الإلهي، وهي ليست سلطة دنيوية خاضعة للعوامل الاجتماعية.

فحتى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له أي دور مستقل في تعيين خليفته، بل قام بهذا التعيين بأمر إلهي، وفي الواقع إن الحكمة في ختم النبوة مرتبطة - تماماً - بتعيين الإمام المعصوم.

ومن هنا يتبين لماذا طُرِحت الإمامة في الفكر الشيعي كأصل عقائدي، لا كحكم فقهي فرعي.

ولبيان وتوضيح ذلك ننقل بشيء من التصرف كلام العلامة الفيلسوف الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي وما ذكره في الاستدلال على ضرورة وجود الإمام المعصوم:

«إن تحقيق الهدف من خلق الإنسان منوطٌ بهدأيته بوساطة الوحي، وقد اقتضت الحكمة الإلهية بعثة أنبياء يعلمون البشر طريق السعادة في الدنيا والآخرة والاستجابة لهذه الحاجة فيه، وكذلك القيام بتنفيذ الأحكام والتشريعات الاجتماعية الدينية.

وبما أن الدين الإسلامي دينٌ عالمي وخالد؛ وقد خُتِمت النبوة وضمِنَ الله تعالى بقاء الرسالة حتى نهاية العالم... وقد توفّر القرآن الكريم على هذا التكفّل والضمان، وتعهّد الله عز وجل بحفظ هذا الكتاب من كل تحريف، ولكن لا تُستفاد جميع الأحكام والتعاليم الإسلامية من ظواهر الآيات الكريمة. فمثلاً، لا يمكن التعرف من القرآن الكريم على عدد ركعات الصلاة، وطريقة إقامتها، ومثات أخرى من الأحكام الواجبة والمستحبة. وقد كانت هذه المهمة ملقاة على عاتق النبي ﷺ ليبينها النبي ﷺ، من خلال العلم الذي وهبه الله له.

ومن الثابت أن الظروف الصعبة التي عاشها النبي ﷺ وانشغاله بالحروب والمعارك، لم تسمح له ببيان جميع الأحكام والتشريعات الإسلامية للناس كافة، وحتى ما تعلّمه الأصحاب، لم يضمن الحفاظ عليه، فقد اختلف في طريقة وضوئه ﷺ بالرغم من أنها كانت بمرأى من الجميع لسنوات طويلة.

هذه القضايا توضح لنا بأن الدين الإسلامي إنما يمكن طرحه كدين كامل وشامل يستجيب لكل احتياجات البشر حتى نهاية العالم، فيما لو افترض وجود طريق للحفاظ على المصالح الضرورية للأمة، ولا يتمثل هذا الطريق إلا في تعيين الخليفة الصالح للرسول ﷺ الذي يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية: «العلم الموهوب من الله، والعصمة، والتعيين الإلهي» من أجل أن يقوم بالدور الذي قام النبي ﷺ، إذن، ختم النبوة إنما يكون موافقاً للحكمة الإلهية فيما لو

اقترن بتعيين الإمام المعصوم، والإمام الذي يمتلك خصائص نبي الإسلام ﷺ كَلِّها عدا النبوة والرسالة^(١).

وهذا هو مبنى الشيعة في اعتقادهم بضرورة الإمامة بعد النبوة الخاتمة.

ومن الذين استدلوا بالدليل العقلي على ضرورة الإمامة بعد النبوة العلامة السيد عبد الله شبر رحمته الله كغيره من علماء الشيعة حيث قال في كتابه العقائدي حق اليقين:

«إنه يجب على الله نصب الإمام في كل زمان عقلاً ونقلاً. أما العقل فوجوه:

الأول: إنَّ ما ذُكر في بيان الاضطرار إلى الرسل فهو بعينه جارٍ في الاضطرار إلى أوصيائهم وخلفائهم لأن الاحتجاج إليهم غير مختص بوقت دون آخر وفي حالة دون أخرى، ولا يكفي بقاء الكتب والشرائع من دون قيم لها عالم بها...

الثاني: إن اللطف واجب على الله تعالى، ولا ريب أن وجود الإمام في كل زمان لطف من الله تعالى بعبده لأنه بوجوده فيهم يجتمع شملهم ويتصل جبلهم وينتصف الضعيف من القوي والفقير من الغني ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل، فإذا عُدِم بطل الشرع وأكثر أحكام الدين وأركان الإسلام كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء ونحو ذلك فتتفنى الفائدة المقصودة منها.

الثالث: أنه قد دل العقل والنقل على أنه يجب على الله أن يفعل بعباده ما هو الأصح لهم، ولا ريب أنه لا يتم انتظام أمر المعاد والمعاش والدين والدنيا إلا بنصب رئيس ومعلم يرشد الناس إلى الحق عند اختلافهم...

الرابع: أن العقل السليم والفهم المستقيم يحيل على العزيز الحكيم والرسول الكريم مع كونه مبعوثاً إلى كافة الأنام وشريعته باقية إلى يوم القيامة أن يهمل أمته مع نهاية رافته وغاية شففته بهم وعليهم ويترك بينهم كتاباً في غاية الإجمال ونهاية الإشكال له وجوه عديدة ومحامل يحمله كل منهم على هواه

(١) دروس في العقيدة الإسلامية، اليزدي، ج ٢، ص ٣٤٦ - ٣٤٨.

ورأيه، وأحاديث لم يظهر لهم منها إلا القليل وفيها مع ذلك المكذوب والمحرف، ولا يعين لهذا الأمر العظيم رئيساً يُعَوَّل في المشكلات عليه ويُركن في سائر الأمور إليه، إنَّ هذا ممَّا يحيله^(١) العقل على ربِّ العالمين وعلى سيد المرسلين...

الخامس: أنه قد اعترف جمهور المخالفين بجريان عادة الله تعالى من آدم إلى خاتم الأنبياء أنه لم يقبض نبياً حتى عيّن له خليفة وصياً وجرت عادة نبينا ﷺ أنه متى سافر عين خليفة في المدينة، فكيف تخلفت هذه السنة بالنسبة إلى خاتم الأنبياء المرسل إلى هذه الأمة المرحومة بان يهملها ويتركها سدى، مع انقطاع الأنبياء والرسل وبقاء التكليف إلى يوم القيامة...^(٢).

إلى هنا قد أثبتنا ضرورة وجود الإمام، ولكن يبقى السؤال التالي، إنَّ النبوة كظاهرة إلهية غيبية، منقطعة وليست مستمرة، وأنها خُتِمَتْ بالنبيِّ محمد ﷺ، فهل الإمامة أيضاً ظاهرة منقطعة كالنبوة، أم هي مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟

وهذا ما يقودنا إلى البحث التالي:

دلائل استمرار الإمامة:

الذي نستفيدة من ظواهر الآيات والروايات الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ التأكيد على استمرار ظاهرة الإمامة والخلافة وعدم انقطاعها، وطريق إثبات هذه الحقيقة من خلال القرآن والسنة النبوية هو:

القرآن الكريم:

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا

(١) يحيله بمعنى يعتقد باستحالته.

(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر، ج ١، ص ١٣٧ - ١٣٨.

مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا وَيَسْفِكْ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُصَيِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وقد أشارت هذه الآية إلى وجود الخليفة في الأرض، وأن هذا الخليفة ليس هو مطلق الإنسان، وإنما المقصود به إنسان بخصوصه، وأن هذه الخلافة الإلهية غير منقطعة بحسب منطوق الآية، أما من هو ذلك الخليفة في كل زمان فله بحث آخر.

وقوله تعالى في خطاب الله عز وجل لإبراهيم الخليل عليه السلام :

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (٢).

وهذه الإمامة هي غير النبوة والرسالة التي كانت لإبراهيم عليه السلام، والدليل على ذلك:

١ - طلب الإمامة للذرية، حيث قال: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)، وحصول إبراهيم عليه السلام على الذرية كان في كبره وشيخوخته، كما قال:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْتِعْيَالًا وَاسْتَحْقَاقًا﴾ (٣).

ولا يصح هذا الطلب إلا لمن كان عنده ذرية، أما من كان آيساً من الولد ويجب مبشره بقوله:

﴿قَالَ أَبَشِّرْهُنِي عَلَىٰ أَنْ تَسْقَى الْكَبِيرَ فِيمَ بُشِّرُونَ﴾ (٤).

فلا يصح منه والحالة هذه أن يطلب أي شيء لذريته.

٢ - إن قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَوْفَىٰ بِهِمْ بِعَهْدِهِمْ إِذْ عَقَّبُوا عَمَّالَهُمْ فَقَضَاهُمْ فَمَا ذُكِّرُوا وَلَٰكِنْ تَلَوُّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا﴾ (٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٥٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

يدل على أن هذه الإمامة الموهوبة إنما كانت بعد ابتلائه بما ابتلاه الله به من الامتحانات، وليست هذه إلا أنواع البلاء التي ابتلي عليه السلام بها في حياته، ومن أبرزها قضية ذبح ولده إسماعيل عليه السلام.

وهذا ما أكدته جملة من الروايات الصحيحة الواردة في المقام. عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث مطول يقول فيه: «وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله تعالى:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١).

وهذه الإمامة التي ثبتت لإبراهيم عليه السلام طلبها لذريته من بعده، حيث قال:

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

وقد استجاب الله تعالى دعاءه، ولكن لم يجعلها في الظالمين من ذريته، وإنما في غيرهم.

ومن الواضح أن استجابة دعائه في ذريته، لا يختص بالصلبيين فقط، بل هو شامل لجميع ذريته شريطة أن لا يكون ظالماً، وهذا ما يؤكد القرآن الكريم في بيان حصول ذرية إبراهيم عليه السلام على هذا المقام واستمرارها في إسحاق ويعقوب وصولاً إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من بعده عليه السلام.

الروايات والأحاديث الشريفة:

فقد أشارت الروايات المتعددة إلى أن ظاهرة الإمامة مستمرة غير منقطعة نذكر بعضاً منها:

١ - حديث الثقلين: وهو حديث متواتر عند السنة والشيعة. وقد رواه مسلم في صحيحه وورد في سنن الترمذي وسنن الدرامي، وأبي داود، وابن ماجه، ومسنده أحمد، ومستدرک الحاكم وغيرهم. والحاصل أن هذا الحديث هو موضع اتفاق بين جميع علماء المسلمين ولم يناقش في صحة سنده ومضمونه أحد.

(١) أصول الكافي، الكليني، ج ١، ص ١٧٤.

ولفظ الحديث برواية الترمذي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

ومقتضى عدم افتراق العترة عن القرآن الكريم، هو بقاء العترة إلى جنب القرآن إلى يوم القيامة، وعدم خلو زمان من الأزمنة منهما، لأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

٢ - حديث أو روايات: «لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة».

وقد ورد مضمون هذا الحديث بعبارات مختلفة في كلمات الأعلام من الفريقين.

يقول ابن حجر:

«وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هذه الأمة، مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة دلالة للمصحيح من الأقوال، أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة»^(٢).

وكذلك ورد هذا الحديث في مضامين مئات الروايات عند الشيعة منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها، ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها»^(٣).

(١) الترمذي، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، ج ٥، ص ٣٢٧، حديث ٣٨٧٦.

(٢) فتح الباري في صحيح البخاري، ج ٦، ص ٣٨٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٣، ح ١٠.

وقد اعتمد هذا الاستدلال بهذا الحديث عدد كبير من علماء الشيعة منهم الشيخ المفيد والشيخ الطوسي وكذلك الصدوق وغيرهم.

٣ - روايات: «من مات ولم يعرف إمام زمانه».

ومضمون هذا الحديث نقله عدد كبير من علماء السنة والشيعة وجميع كتب الحديث وبالألفاظ مختلفة.

ويدل الحديث دلالة واضحة على وجود الإمام في كل عصر وزمان.

فالإمامة على ضوء ما تقدم من الآيات والروايات ضرورة لا بد منها ووجود الإمام حاجة ضرورية للمجتمع البشري، وهو من الألفاظ الإلهية للأمة، لكي يحفظها من الضلال ويقودها نحو الهداية والرشاد.

أما الكلام في الدليل الثاني: أي في الدليل العقلي على إمامة الإمام المهدي عليه السلام.

فإن ما تقدم في الحديث عن ضرورة استمرار الإمامة بعد النبي عليه السلام يقودنا إلى نتيجة مؤداها أن الله سبحانه وتعالى لم يترك الأرض ولن يتركها على الإطلاق من دون إمام معصوم يحمل مواصفات الرسول الأعظم عليه السلام ويستمر في أداء الوظيفة الإلهية التي من أجلها بُثَّ إلى البشرية هادياً ونذيراً.

ونشير بالإجمال إلى أن تعيين مصاديق الأئمة والخلفاء بعد النبي عليه السلام من الأمور والقضايا التي باتت عند الشيعة من المسلمات والبديهيات نظراً لكثرة ما ورد في ذلك من أحاديث وروايات في كتب الشيعة والسنة.

وأما إثبات خصوص إمامة الإمام المهدي عليه السلام، فإنما يستند فيه العقل إلى النقل بعد ثبوت أصل الدليل العقلي على ضرورة الإمامة.

وبهذا استدل الشيخ الصدوق عليه السلام حيث قال:

«... ويجب عليهم أن يعلموا أن القول بغيبة صاحب الزمان عليه السلام مبني على القول بإمامة آبائه، والقول بإمامة آبائه عليه السلام مبني على القول بتصديق محمد عليه السلام وإمامته، وذلك أن هذا باب شرعي وليس بعقلي محض والكلام في الشرعيات مبني على الكتاب والسنة كما قال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَزْعَمْ فِي

مَقَرُّ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرُّسُولِ»^(١)، فمتى شهد لنا الكتاب والسنة وحجة العقل فقولنا هو المجتبي»^(٢).

ومحصل كلام الشيخ الطوسي عليه السلام في ما يمكن فهمه من استدلاله بالعقل على وجود صاحب الزمان عليه السلام أن كل من قطع على وجوب اعتبار الدليل العقلي قطع على وجود صاحب الزمان عليه السلام وإمامته.

وما سنذكره فيما يأتي من أدلة على وجود الإمام المهدي عليه السلام وإجماع علماء السنة والشيعية على ولادته ووجوده، يعضد الدليل العقلي ويقويه لجهة الإيمان بأن الإمام في هذا العصر هو الإمام المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ المفيد عليه السلام هذا الدليل فقال:

«ومن الدلائل على إمامة القائم بالحق ابن الحسن عليه السلام ما يقتضيه العقل بالاستدلال الصحيح، من وجود إمام معصوم كامل غني عن رعاياه في الأحكام والعلوم في كل زمان، لاستحالة خُلُوِّ المكلفين من سلطان يكونون بوجوده أقرب إلىصلاح وأبعد من الفساد، وحاجة الكل من ذوي النقصان إلى مُؤَدِّبٍ لِلْجُنَّةِ، مَقُومٍ لِلْمُصَاةِ، رَادِعٍ لِلْغَوَاةِ، مُعَلِّمٍ لِلْجُهَّالِ، مُنِيبٍ لِلْغَافِلِينَ، مُحَذِّرٍ مِنَ الضَّلَالِ، مُقِيمٍ لِلْحُدُودِ، مُنْفِذٍ لِلْأَحْكَامِ، فَاصِلٍ بَيْنَ أَهْلِ الْاِخْتِلَافِ، نَاصِبٍ لِلْأَمْوَاءِ، سَادٍ لِلشُّعُورِ، حَافِظٍ لِلْأَمْوَالِ، حَامٍ عَنِ بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ، جَامِعٍ لِلنَّاسِ فِي الْجُمُعَاتِ وَالْأَعْيَادِ.

وقيام الأدلة على أنه معصوم من الزلات لغناه عن الأنام بالاتفاق، واقتضاء ذلك له العصمة بلا ارتياب، ووجوب النص على من هذه سبيله من الأنام، أو ظهور المعجز عليه، لتمييزه عن سواه، وعدم هذه الصفات من كل أحد سوى من أثبت إمامته أصحاب الحسن بن علي عليه السلام وهو ابنه المهدي.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) كمال الدين، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٦٣.

وهذا أصلٌ لن يحتاج معه في الإمامة إلى رواية النصوص وتعداد ما جاء فيها من الأخبار، لقيامه بنفسه في قضية العقول وصحته بثابت الاستدلال^(١).

وقال السيد محسن الأمين رحمته الله في أعيان الشيعة في معرض ذكره للدليل العقلي على إمامة الإمام المهدي عليه السلام.

«أما الدليل العقلي فهو حكم العقل بوجوب اللطف على الله تعالى وهو فعل ما يقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية ويوجب إزاحة العلة وقطع المعذرة بدون أن يصل على حد الإجبار لثلا يكون لله على الناس حجة وتكون له الحجة البالغة فالعقل حاكم بوجوب إرسال الرسل وبعثة الأنبياء ليبينوا للناس ما أراد الله منهم من التكاليف المقربة من الخير والمبعدة عن الشر، ويحكموا بينهم بالعدل وأن يكونوا معصومين من الذنوب منزهين عن القبائح والعيوب لتقبل أقوالهم ويؤمن منهم الكذب والتحريف، وكما يجب إرسال الرسل من قبل الله تعالى، يجب نصب أوصياء لهم يقومون مقامهم في حفظ الشريعة، وتأديتها إلى الناس ونفي التحريف والتبديل عنها، والحكم بين الناس بالعدل، وإنصاف المظلوم من الظالم، ويجب عصمتهم عما عصم منه الأنبياء، للدليل الذي دل على عصمة الأنبياء بعينه، ولقوله تعالى خطاباً لإبراهيم عليه السلام.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وغير المعصوم تجوز عليه المعصية فيكون ظالماً لنفسه.

ويجب أن يكون نصبهم من الله تعالى لا من الناس لأن العصمة لا يطلع عليها إلا الله تعالى، ولأن إيكال ذلك إلى الناس مؤدٌ إلى الهرج والمرج ووقوع النزاع والاختلاف وحصول الفساد، فوجب القول بوجود إمام معصوم في كل زمان منصوب من قبل الله تعالى.

وقد أجمع المسلمون على أن من عدا الأئمة ليسوا بهذه الصفات، فوجب

القول بأن أصحاب هذه الصفات هم الأئمة الإثنا عشر، وإلا لزم خلو العصر من إمام معصوم وقد ثبت بطلانه^(١).

الدليل النقلي:

وأما الدليل النقلي فهو على قسمين: القرآن وروايات النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام.

أ - القرآن والمهدي:

لا يكاد أي كتاب أو مصدر من المصادر الإسلامية يخلو من ذكر الإمام المهدي ﷺ وخروجه وظهوره وقيامه بالعدل والقسط، وقد نقلت هذه المصادر المئات من الروايات التي ذكرها العلماء في كتبهم نقلاً عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليه السلام.

ولم تقتصر هذه القضية على كتب علماء الشيعة فقط ولا أنها كانت من العقائد المختصة بهم، بل تسالم عليها علماء السنة أيضاً وذكروها كما ذكرها علماء الشيعة إن لم يكن أكثر منهم.

والحديث عن الإمام المهدي ﷺ ليس هو مجرد حديث عن شخص يختلف المسلمون في وجوده أو عدم وجوده، ولا هي مسألة نظرية لا ربط لها بالواقع، بل المفروض أنها قضية لها آثارها وانعكاسها على واقع الأمة، لكونها ترسم لها مستقبلها. ولها أبعادها ودلالاتها الكبيرة والهامة والخطيرة.

من هنا يأتي السؤال الكبير وهو:

هل أن موضوع الإمام المهدي ﷺ وكل الحوادث المتعلقة بزمان خروجه والأحداث التي تواكب عصر ظهوره لها جذور في القرآن الكريم بحيث أن القرآن لم يغفل عن ذكرها ولم يهملها، أم أنه لا وجود لهذه القضية سواء بالتصريح أو التلميح في القرآن الكريم؟

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٢، ص ٤٩.

فإذا كان للإمام المهدي عليه السلام هذا الشأن الخاص والهام فلا بد أن يتعرض القرآن الكريم للحديث عنه، وإلا فلا.

أجمع علماء الشيعة قاطبة على وجود العشرات من الآيات القرآنية التي تحدثت عن الإمام المهدي عليه السلام وعلى كون العشرات من الآيات القرآنية مأولة بقيام الإمام المهدي عليه السلام.

يقول الشيخ محمد رضا حكيمي:

«إن موضوعاً على هذه الأهمية البالغة - قد علمه النبي وتحدث عنه كثيراً، ثم ورد الكثير من الحديث والبيان حوله عن علي عليه السلام والأئمة الآخرين - له جذوره القرآنية قطعاً، وقد نزلت بشأنه آيات من الكتاب... لقد جاء الحديث في القرآن الكريم - بالإشارة حيناً وبالتصريح حيناً آخر حول تطورات المستقبل، وحوادث آخر الزمان، وامتداد الصلاح على العالم، وتحقيق حكومة الصالحين. وقد اعتبر المفسرون المسلمون هذا اللون من الآيات، ذا علاقة بالمهدي وظهور آخر الزمان. وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم أشارت إلى لحاظ بسط ولاية المهدي عليه السلام سلطانه - بل كانت صريحة في هذا الصدد...»^(١).

وبعد أن أورد العلامة الشيخ حكيمي عدداً من الآيات القرآنية الواردة أو المأولة والمفسرة بالإمام المهدي عليه السلام ذكر أسماء عدد من كتب التفسير لعلماء أهل السنة والتي فُسرت فيها بعض آيات القرآن الكريم بالإمام المهدي عليه السلام ووقائع ظهوره، والتي جاء فيها ذكر هذا الإمام العظيم، وهذه الكتب هي:

- ١ - تفسير غرائب القرآن الكريم - النظام النيشابوري.
- ٢ - تفسير الكشف والبيان - أبو إسحاق الثعلبي.
- ٣ - تفسير الكشف - جار الله الزمخشري.
- ٤ - تفسير كشف الأسرار - رشيد الدين المييدي.
- ٥ - تفسير مفاتيح الغيب - الفخر الرازي.

(١) شمس المغرب، محمد رضا الحكيمي، ص ١٠٩ - ١١٠.

٦ - تفسير الدر المنثور - جلال الدين السيوطي .

٧ - تفسير المنار - الشيخ محمد عبده .

٨ - تفسير روح البيان - إسماعيل حقي .

٩ - تفسير روح المعاني - شهاب الدين الألوسي .

١٠ - تفسير الجواهر - الطنطاوي^(١) .

أما علماء الشيعة فقد ذكر البعض أكثر من مائة آية من القرآن الكريم من الآيات المأولة والمفسرة بالإمام المهدي عليه السلام، ومن هؤلاء :

١ - المحدث الجليل والعالم النبيل السيد هاشم البحراني (قدس سره) الذي ألف كتاباً وأسماء «المحجة فيما نزل في القائم الحجة» وأورد في كتابه مائة وعشرين آية من القرآن الكريم من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليه السلام وكل هذه الأحاديث تفسر هذه الآيات بالإمام المهدي عليه السلام . ثم ذكر في مستدرك هذا الكتاب اثنا عشر آية من الكتاب العزيز وكلها مأولة أيضاً بالإمام المهدي عليه السلام .

٢ - العلامة الحجة فخر الأمة الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس سره) في موسوعته الحديثية «بحار الأنوار الجامعة لدور أخبار الأئمة الأطهار» في الجزء الواحد والخمسين حيث أورد ستة وستين آية من الكتاب العزيز في باب «الآيات المأولة بقيام القائم عليه السلام» .

٣ - النسابة المحدث الفقيه السيد علي بن عبد الكريم النيلي النجفي وهو من أعلام القرن التاسع، والذي استدلل على إثبات وجود الإمام المهدي وإمامته من الكتاب العزيز بإثنا عشر آية قرآنية .

٤ - شيخ الفقهاء والمحدثين الشيخ علي البزدي الحائري المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ . في كتابه «إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عليه السلام» في الجزء الأول في الغصن الثاني تحت عنوان (أخبار الله تعالى بقيام القائم) وأورد مئة وثلاثة

(١) شمس المغرب، محمد رضا الحكيمي، ص ١١٧ .

وثلاثين آية من القرآن المجيد وكلها تثبت وجود الإمام القائم عليه السلام وغيبته وعلائم ظهوره وقيامه في آخر الزمان.

٥ - آية الله العظمى المرحوم السيد صدر الدين الصدر (قدس سره) الذي نقل عدداً من الآيات القرآنية نزلت في الإمام القائم عليه السلام نقلاً عن أكابر العلماء أمثال ابن حجر صاحب كتاب «الصواعق» في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ). وأبي عبد الله الكنجي صاحب كتاب «نور الأبصار» في قوله تعالى: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا كَوْنَهُ﴾. والخوارزمي في كتابه «المناقب» في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلشَّافِقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. وصاحب كتاب «فرائد السمطين» في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورٍ رَبِّيَّ﴾. وتفسير النيسابوري في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. هذا فضلاً عما نقله من كلمات لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام التي فيها تفسير لبعض آيات الكتاب بحق الإمام المهدي عليه السلام.

٦ - العلامة السيد جواد السيد حسين الحسيني آل علي الشاهرودي في كتابه «الإمام المهدي عليه السلام وظهوره» حيث ذكر ثلاثة وعشرين آية وردت في شأن الإمام المهدي عليه السلام بحسب روايات الشيعة وثلاث آيات بحقه عليه السلام بحسب كتب التفسير وروايات أهل السنة.

٧ - معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام وهو من أعظم وأهم الموسوعات التي تحدثت عن الإمام المهدي عليه السلام وما ورد من آيات قرآنية وأحاديث شريفة نزلت فيه وتحدثت عنه، وقد خُصص الجزء الخامس منه للآيات القرآنية التي نزلت في شأن الإمام المهدي عليه السلام وظهوره والأحداث التي ستحصل في عصره وقيام دولة الحق على يديه وما شاكل ذلك.

وقد أحصي في هذا الجزء حوالي الثمانين سورة من القرآن الكريم وفي كل سورة منها عدد من الآيات التي وردت في شأن الإمام المهدي عليه السلام.

ويمكن للباحث أن يعتبر هذا الكتاب أهم مصدر للإطلاع على ما ورد في القرآن الكريم بشأن الإمام المهدي عليه السلام.

بالإضافة إلى ما ذكره أكابر علماء الشيعة القدامى أمثال الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والشيخ الصدوق وابن طاووس وغيرهم من العلماء حيث أوردوا في طيات كلماتهم وأبحاثهم في كتبهم العديد من الآيات القرآنية التي نزلت أو تحدثت عن الإمام المهدي عليه السلام.

ونحن نكتفي هنا بذكر بعض هذه الآيات من الكتاب العزيز والتي اتفق المسلمون على أن مورد نزولها هو الإمام المهدي عليه السلام.

الآية الأولى: وهي تبين كيفية شمول الإسلام للعالم وزوال الشرك على يد المهدي عليه السلام الموعود مع أصحابه بالاستخلاف في هذه الأرض.

قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

شهد التاريخ البشري صولات وجولات بين أتباع الحق وأتباع الباطل، وكان الأنبياء والمرسلون يمثلون خط الهداية والرشاد والدعوى إلى سبيل الله... سبيل الحق، وكان البشر دائماً ينقسمون بين مؤيد ومعارض أو معاند.

وقد تعرض الدعاة إلى الحق سواء الأنبياء أو من وقف إلى جانبهم وسلك منهجهم إلى الكثير من العذابات وكل ألوان الظلم والجور والتعسف التي مارسها ضدهم الظالمون والمنحرفون، ولطالما صبر أولياء الله على هذا الظلم والجور.

وفي مقابل هذا الصبر والتحمل للأذى يأتي وعد الله سبحانه وتعالى لعباده

المؤمنين بتمكينهم من حكومة الأرض ومن عليها وممارسة سلطة العدل على كافة أرجاء الدنيا ليحكموا فيها، وذلك كما استخلف الله تعالى بعض أوليائه من قبل، وأعطاهم السلطة والإمكانات لتطبيق شعائر دين الله الذي ارتضاه لهم، ومدّهم بالقدرة اللازمة لإرساء حكم الله على الأرض.

فهذه الآية المباركة تتضمن وعد الله لعباده المؤمنين الصالحين من هذه الأمة بتحقيق المجتمع العادل والحياة الطيبة.

عن الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير هذه الآية يقول:

«هم شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«نزلت في القائم وأصحابه»^(٢).

وقد تناول المفسّر الكبير والفيلسوف العظيم السيد الطباطبائي هذه الآية وتفسيرها في كتابه «تفسير الميزان» فقال: وقد اشتهد الخلاف بين المفسرين في الآية...

ف قيل: إنها واردة في أصحاب النبي ﷺ وقد أنجز الله وعده لهم باستخلافهم في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمناً بما أعز الإسلام بعد رحلة النبي في أيام الخلفاء الراشدين، والمراد باستخلافهم استخلاف الخلفاء الأربعة بعد النبي ﷺ أو الثلاثة الأول منهم، ونسبة الاستخلاف إلى جميعهم

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٥، ص ٢٨١ نقلاً عن مجمع البيان ج ٧، ص ١٥٢، وتفسير البرهان، ج ٣، ص ١٥٠، ح ١١، وتفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦٢٠، ح ٢٢٦، وتفسير الصافي، ج ٣، ص ٤٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٢، نقلاً عن البحار، ج ٥١، ص ٥٨، ب ٥٠، ح ٥٠، وعن ينابيع المودة، ص ٤٢٥ - ٤٢٦، ب ٧١.

مع اختصاصه ببعضهم وهم الأربعة أو الثلاثة من قبيل نسبة أمر البعض إلى الكل كقولهم: قُتل بنو فلان وإنما قُتل بعضهم.

وقيل: هي عامة لأمة محمد ﷺ، والمراد باستخلافهم وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمناً بإيراثهم الأرض كما أورثها الله الأمم الذين كانوا قبلهم أو استخلاف الخلفاء بعد النبي ﷺ - على اختلاف التقرير وتمكين الإسلام وانهزام أعداء الدين وقد أنجز الله وعده بما نصر الإسلام والمسلمين بعد الرحلة ففتحوا الأمصار وسخروا الأقطار.

وعلى القولين الآية من ملاحم القرآن حيث أخبر بأمر قبل أو أن تحققه ولم يكن مرجواً ذلك يومئذٍ.

وقيل: إنها في المهدي الموعود عليه السلام الذي تواترت الأخبار على أنه سيظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأن المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي ﷺ والأئمة من أهل بيته ﷺ.

والذي يعطيه سياق الآية الكريمة على ما تقدم من البحث بالتحرز عن المسامحات التي ربما يرتكبها المفسرون في تفسير الآيات وهو أن الوعد لبعض الأمة لا لجميعها ولا لأشخاص خاصة منهم وهم الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات فالآية نص في ذلك، ولا قرينة من لفظ أو عقل يدل على كونهم هم الصحابة أو النبي وأئمة أهل البيت عليه السلام، ولا على أن المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات جميع الأمة وإنما صرف الوعد إلى طائفة خاصة منهم تشريفاً لهم أو لمزيد العناية بهم فهذا كله تحكم من غير وجه...

والمتحصل من ذلك كله أن الله سبحانه يعد الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات أن سيجعل لهم مجتمعاً صالحاً خالصاً من وصمة الكفر والنفاق والفسق يرث الأرض، لا يحكم في عقائد أفرادها عامة ولا أعمالهم إلا الدين الحق، يعيشون آمنين من غير خوف من عدو داخل أو خارج، أحراراً من كيد الكائدين وظلم الظالمين وتحكم المتحكمين.

وهذا المجتمع الطيب الطاهر على ما له من صفات الفضيلة والقداسة لم يتحقق ولم ينعقد منذ بعث النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وإن انطبق فلينتطبق على زمن ظهور المهدي عليه السلام على ما ورد من صفاته في الأخبار المتواترة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليه السلام لكن على أن يكون الخطاب للمجتمع الصالح لا له ﷺ وحده...

فالحق أن الآية إن أعطيت حق معناها لم تنطبق إلا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور المهدي عليه السلام...^(١).

وما ذكره صاحب الميزان هو ما نطق به الروايات الواردة عن النبي وأهل بيته عليه السلام في تأويل هذه الآية الكريمة: إن الوعد الإلهي يتحقق عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ومن هذه الروايات المتواترة التي تصرّح بأن هذه الآية ستطبق على عصر الإمام المهدي عليه السلام ما ورد:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «دخل جندب بن جنادة على رسول الله ﷺ فقال: - في حديث طويل جاء فيه: فقال... يعني جندب: يا رسول الله قد وجدنا ذكرهم في التوراة، وقد بشرنا موسى بن عمران بك وبالأوصياء بعدك من ذريتك. ثم تلا رسول الله ﷺ الآية الكريمة... ثم قال جندب يا رسول الله، فما خوفهم؟ قال: يا جُندُب في زمن كُلِّ واحدٍ منهم سلطان يعتريه ويؤذيه، فإذا عَجَلَ الله خروج قائمنا يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

ثم قال ﷺ:

«طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمتقين على محبتهم، أولئك وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وقال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾»^(٢).

(١) الميزان، ج ١٥، ص ٥٣ - ١٥٦.

(٢) الميزان، ج ٥، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«لم يجيء تأويل هذه الآية، ولو قام قائمنا بفد، سبرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغن دين محمد عليه السلام ما بلغ الليل، حتى لا يكون مشرك على ظهر الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿يَسْبُدُونِي لَا يَسْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾»^(١).

وعن إسحاق بن عبد الله بن علي بن الحسين في هذه الآية: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَعَلَّ نَبْلَ مَا أَتَاكُمْ نَبْطُونَ﴾.

قال: «قيام القائم عليه السلام من آل محمد عليه السلام، وفيه نزلت ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ فقال: نزلت في المهدي عليه السلام»^(٢).

الآية الثانية: وهي تشير إلى أن المستضعفين هم آل محمد عليه السلام وكيف سينهض المهدي عليه السلام ليرفع الظلم والاستضعاف عنهم.

قوله تعالى:

﴿وَرُبُّهُ أَنْ تَمَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَمَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَمَعَهُمُ الْوَزِيرِينَ * وَتَكُنْ لَهُمُ فِي الْأَرْضِ وَرَىٰ فَرَقُونَ وَفَتَنَ وَخَوَّدَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾»^(٣).

هذه الآية الكريمة وردت في جملة ما ورد من الآيات المفسرة والمأولة بالإمام المهدي عليه السلام الذي سيبد الجائرة والفراعة والطفاة، ويرفع الاستضعاف والظلم عن أهل بيت النبي عليه السلام ليوسع المجال أمام إقامة دولتهم وسلطانهم العادل في الأرض.

عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام كما ورد في كشف البيان:

«إن هذه مخصوصة بصاحب الأمر الذي يظهر في آخر الزمان، ويبدأ

(١) مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٤٣.

(٢) الغيبة - الطوسي، ص ١١٠، البحار، ج ٥١، ص ٥٣، باب ٥، ح ٣٤.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٥ - ٦.

الجبابرة والفراعنة، ويملك الأرض شرقاً وغرباً، فيملأها عدلاً كما
مُلِثَ جوراً^(١).

وعن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله
الصادق عليه السلام يقول:

«إن رسول الله ﷺ نظر إلى علي والحسن والحسين عليه السلام فبكى
وقال: أنتم المستضعفون بعدي، قال المفضل: فقلت له: ما معنى
ذلك يا بن رسول الله؟

قال: معناه أنكم الأئمة من بعدي، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَرِيدُ أَنْ
تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَيُّوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْمَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَجْمَلَهُمْ
الْوَرِثَةَ﴾، فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:
«لَتُعْطِفَنَّ عَلَيْنَا الدُّنْيَا بَعْدَ شَمَاسِهَا، عَطَفَ الضُّرُوسُ عَلَى وَلَدِهَا، ثُمَّ
قَرَأَ ﴿وَرِيدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ...﴾»^(٣).

وشرح هذا الحديث:

قوله (لتعطفن)، يقال: عَطَفَتِ الناقةُ على ولدها أي حَثَّتْ عليه ودرَّ لبنها،
(شماسها) يقال: شَمَسَ الفرس يشمس: أي استعصى على راحته ومنع ظهره من
الركوب، (الضرُوس) الناقة السيئة الخلق، تعضُ حالبها.

ومعنى كلامه عليه السلام: إِنَّ الدُّنْيَا تُقْبَلُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عليه السلام بعد الجفاء
الطويل والمكاره الكثيرة، والمقصود: قيام حكومة أهل البيت وانتصاراتهم على
أعدائهم وتذلل جميع الصعوبات التي وقفت حجر عثرة في طريق نهضتهم

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٥، ص ٣٢٤، ح ١٧٥٩.

(٢) البحار، ج ٢٤، ص ١٦٨، باب ٤٩، ح ١، نقلاً عن معاني الأخبار.

(٣) البحار، ج ٢٤، ص ١٦٧، ح ٤٩.

المقدسة، فتسهل لهم الدنيا بعد صعوبتها، وتحلو بعد مرارتها، وتخضع بعد تمردها، وتنقاد بعد عصيانها.

الآية الثالثة: وهي تشير إلى أن الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه هم الموعودون بوراثه الأرض ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

قال صاحب الميزان في تفسير هذه الآية: «الظاهر أن المراد بالزبور كتاب داود عليه السلام وقد سُمي بهذا الاسم في قوله: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾»^(٢)، وقيل المراد به القرآن، وقيل: مطلق الكتب المنزلة على الأنبياء أو على الأنبياء بعد موسى...

والمراد بالذكر قيل: هو التوراة وقد سماها الله به في موضعين من هذه السورة وهما قوله: ﴿فَتَنَلَوُا هَذَا الذِّكْرَ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية ٧، وقوله: ﴿وَذِكْرًا لِلْمُنْفِيكِ﴾ الآية ٤٨ منها، وقيل: هو القرآن وقد سماه الله ذكراً في مواضع من كلامه وكون الزبور بعد الذكر على هذا القول بعدية رتبة لا زمانية، وقيل: هو اللوح المحفوظ...

والمراد من وراثه الأرض انتقال التسلط على منافعها إليهم واستقرار بركات الحياة بها فيهم، وهذه البركات إما دنيوية راجعة إلى الحياة الدنيا كالتمتع الصالح بامتعتها وزينتها فيكون مؤدى الآية أن الأرض ستنتظم من الشرك والمعصية ويسكنها مجتمع بشري صالح يعبدون الله ولا يشركون به شيئاً كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ إلى أن يقول: وبين من يخصصها بالوراثه الدنيوية ويحملها على زمان ظهور الإسلام أو ظهور المهدي عليه السلام الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله في الأخبار

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

المتواترة المروية من طرق الفريقين، ويتمسك لذلك بالآيات المناسبة التي أومأنا إلى بعضها^(١).

وقال الشيخ مغنية في تفسير الكاشف: «والمعنى أن الحكم والسلطان في الأرض، وإن كان الآن بأيدي الطفافة الفجرة فإن الله سينقله من أيديهم إلى الطيبين الأخيار لا محالة، وعندها يعم الأمن والعدل الكرة الأرضية، وينعم بخيراتها وبركاتهما الناس كل الناس، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة وصحيحة، منها ما رواه أبو داود في كتاب السنن وهو أحد الصحاح الستة. قال رسول الله ﷺ:

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يُبعث رجلٌ مني ومن أهل بيتي...»^(٢).

وفي هذا المعنى الذي ذكره أصحاب كتب التفسير وردت روايات منها:
عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، قال: الكتب كلها ذكر. ﴿أَنْتَ الْآرِضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. قال: القائم عليه السلام وأصحابه»^(٣).

الآية الرابعة: ومفادها أن الإسلام سيعم العالم على يد الإمام المهدي عليه السلام.

﴿بُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُشِيعَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٤) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ يُطِيعُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٥).

هذه الآية من الآيات التي وعد الله تعالى فيها عباده الصالحين بسيطرة الدين الإسلامي على العالم بحيث لا يبقى مكان فيه لا لمشرك ولا لكافر.

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية، ج ٥، ص ٣٠٢.

(٣) البحار، ج ٩، ص ١٢٦، باب ١.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٢ - ٣٣.

عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام :

«إن القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز كلها، ويظهر الله به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، (ثم ذكر جملة من علاماته) ثم قال: فعند ذلك خروج قائمنا»^(١).

عن المفضل بن عمر قال: سألت سيدي أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في ضمن حديث طويل إلى أن قال: قلت له: ﴿يُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كَلِمَةً﴾، ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يظهر على الدين قال عليه السلام:

«... يا مفضل لو كان ظهر على الدين كله ما كان مجوسية ولا نصرانية ولا يهودية ولا صابئة ولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا شرك ولا عبدة أصنام ولا أوثان ولا اللات ولا العزى ولا عبدة الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة، وإنما قوله: ﴿يُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كَلِمَةً﴾ في هذا اليوم، وهذا المهدي وهذه الرجعة، وهو قوله: ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ يَلَهُ...﴾...»^(٢).

وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير: «عن أبي هريرة قال: هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان» ثم قال الراوي: «وتمام هذا يحصل عند خروج عيسى»، وقال السدي: «ذلك عند خروج المهدي، لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام، أو أدى الخراج»^(٣).

وسمع أمير المؤمنين عليه السلام من قبل بعض أصحابه وهو يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كَلِمَةً﴾، أظهر بعد ذلك؟ قالوا: نعم.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٥، ص ١٤٢، ح ١٥٦١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤٨، ح ١٥٧٠، نقلاً عن تفسير الرازي، ج ١٦، ص ٤١.

(٣) البحار، ج ٥٣، ص ١، باب ٢٥.

قال: كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا ونادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة وعشيًا^(١).

الآية الخامسة: في كون الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه هم المظلومون.
﴿أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُنتَلَوْنَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٢).
عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ الْعَامَّةَ يَقُولُونَ نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَخْرَجْتَهُ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ وَإِنَّمَا هُوَ الْقَائِمُ ﷺ إِذَا خَرَجَ يَطْلُبُ بَدَمَ الْحُسَيْنِ ﷺ وَهُوَ قَوْلُهُ نَحْنُ أَوْلِيَاءُ الدِّمِ وَطَلَّابُ الدِّيَةِ»^(٣).

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«هِيَ فِي الْقَائِمِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ»^(٤).

الآية السادسة: أن الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه يملكون مشارق الأرض ومغاربها.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ﴾^(٥).

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«هَذِهِ الْآيَةُ لِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَالْمَهْدِيِّ وَأَصْحَابِهِ يَمْلِكُهُمُ اللَّهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَيُظْهِرُ الدِّينَ وَيُمِيتُ اللَّهَ بِهِ وَأَصْحَابَهُ الْبِدْعَ وَالْبَاطِلَ، كَمَا أَمَاتَ السُّفْهَ الْحَقُّ، حَتَّى لَا يَبْرَأَ أَثَرٌ لِلظُّلْمِ»^(٦).

(١) المصدر السابق، ص ١٣٨ - ١٣٩، ح ١٥٥٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٩.

(٣) البحار، ج ٥١، ص ٤٧، باب ٥، ح ٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢٤، ص ٢٢٧، باب ٥٨، ح ٢٣.

(٥) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٦) تفسير القمي، ج ٢، ص ٨٧ - البحار، ج ٢٤، ص ١٦٥، باب ٤٨، ح ٩.

الآية السابعة: النداء من السماء عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(١).

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«انتظروا الفرج من ثلاث، فقبل: يا أمير المؤمنين وما هن؟ فقال: اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفرقة في شهر رمضان. فقبل: وما الفرقة في شهر رمضان؟ فقال: أوما سمعتم قول الله عز وجل في القرآن ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً...﴾ هي آية تخرج الفتنة من خدرها، وتوقف الناس، وتفرع اليقظان»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية قال:

«والله إن ذلك في كتاب الله عز وجل لبين حيث يقول: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾، فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبته لها، فيؤمن أهل الأرض إذا سمعوا الصوت من السماء ألا إن الحق في علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته، قال: فإذا كان في الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض، ثم ينادي: ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته فإنه قُتل مظلوماً فاطلبوا بدمه، قال: فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق وهو النداء الأول، ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم مرض، والمرض والله عداوتنا، فعند ذلك يتبرؤون منا ويتناولوننا فيقولون: إن المنادي الأول سحر من سحر أهل (هذا) البيت، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: ﴿وَلَنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾»^(٣).

(١) سورة الشعراء، الآية: ٤.

(٢) عقد الدرر، ص ١٠٤، ب ٤، فصل ٣ - والبحار، ج ٥٢، ص ٢٢٩، باب ٣٥، ح ٩٥.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٢٩٢، باب ٢٦، ح ٤٠.

الآية الثامنة: وهي تبين أن المهدي عليه السلام يهدي بأمر الله تعالى .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾^(١).

عن زيد بن علي عليه السلام قال: كنت عند أبي علي بن الحسين عليه السلام إذ دخل عليه جابر ابن عبد الله الأنصاري، فبينما هو يحدثه إذ خرج أخيه محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال: أدبر فأدبر فقال: شمائل كشمائيل رسول الله صلى الله عليه وآله ما اسمك يا غلام؟ قال: محمد. قال: ابن من؟ قال: ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: أنت إذا الباقر، قال: فانكب عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله يُقرئك السلام، قال: على رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام.

ثم عاد إلى مصلاه، فأقبل يحدث أبي ويقول:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدي الباقر فأقرئه مني السلام فإنه سمي وأشبه الناس بي، علمه علمي وحكمه حكمي، سبعة من ولده أمتاء معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا...﴾»^(٢).

الآية التاسعة: وهي تشير إلى أن الاعتقاد بالمهدي عليه السلام من الإيمان بالغيب، وأنه عليه السلام أحد أيام ثلاثة لله تعالى .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا﴾^(٣).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٢) البحار: ج ٣٦، ص ٦٥، ح ١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

قال : « . . . الغيب : يوم الرجعة ، ويوم القيامة ، ويوم القائم ، وهي أيام آل محمد ، وإليها الإشارة بقوله : ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِأَنِّمِ اللَّهُ ﴾ ، فالرجعة لهم ، ويوم القيامة لهم ويوم القائم لهم ، وحكمه إليهم ، ومُعَوَّلُ المؤمنين فيه عليهم »^(١) .

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال :

« أيام الله ثلاثة : يوم القائم ، يوم الموت ، ويوم القيامة »^(٢) .

الآية العاشرة : وهي تتحدث عن لقاء الإمام المهدي عليه السلام بأصحابه في مكة وخطبته التي يلقيها فيهم .

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٣) .

يقول الإمام الباقر عليه السلام :

« يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشُعاب ، ثم أوماً بيده إلى ناحية ذي طُوى ، حتى إذا كان قبل خروجه لبليتين ، انتهى المولى الذي يكون بين يديه حتى يلقي بعض أصحابه ، فيقول : كم أنتم ههنا؟ فيقولون : نحو من أربعين رجلاً ، فيقول : كيف أنتم لو قد رأيتم صاحبكم؟ فيقولون : والله لو يأوي بنا الجبال لأويناهما معه .

ثم يأتيهم من القابلة (القابل) فيقول لهم : أشيروا إلى ذوي أسنانكم وأخباركم عشيرة ، فيشيرون له إليهم فينطلق بهم حتى يأتوا صاحبهم ، ويعددهم إلى الليلة التي تليها » .

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي : ج ٥ ، ص ١٩٠ ، ح ١٦١٢ نقلاً عن الشارح اليقين ، ص ١٥٩ .

(٢) البحار : ج ٥٣ ، ص ٦٣ ، باب ٢٩ ، ح ٥٣ ومعاني الأخبار : ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ح ١ .

(٣) سورة النمل ، الآية : ٦٢ .

ثم قال أبو جعفر: واللّه لكأنّي أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثم يُنشدُ الله حقّه، ثم يقول:

«يا أيها الناس من يُحاجّني في الله، فأنا أولى الناس بالله، ومن يُحاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم.

يا أيها الناس من يحاجّني في نوح، فأنا أولى الناس بنوح.

يا أيها الناس من يحاجّني في إبراهيم، فأنا أولى الناس بإبراهيم.

يا أيها الناس من يحاجّني في موسى، فأنا أولى الناس بموسى.

يا أيها الناس من يحاجّني في عيسى، فأنا أولى الناس بعيسى.

يا أيها الناس من يحاجّني في محمد، فأنا أولى الناس بمحمد ﷺ.

يا أيها الناس من يحاجّني في كتاب الله، فأنا أولى الناس بكتاب الله.»

ثم ينتهي إلى المقام فيصلي ركعتين، ثم يُنشدُ الله حقّه.

قال أبو جعفر عليه السلام:

«هو واللّه المضطرّ في كتاب الله، وهو قول الله ﴿أَنْتَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْمَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ وجبرائيل على الميزان، في صورة طائر أبيض، فيكون أوّل خلق الله بياضه جبرائيل، وبياضه الثلاثمائة والبضعة العشر رجلاً»^(١).

كان هذا غيض من فيض مما ورد في القرآن الكريم حول الإمام المهدي عليه السلام وكيفية ظهوره وبسطه لسلطانه ولدولته على العالم. وقد اكتفينا بذكر هذه الآيات كنموذج ومثال ليطلع عليها القارئ، ومن أراد التوسعة والإطلاع تفصيلاً على ما جاء في القرآن الكريم عن الإمام المهدي عليه السلام فيمكنه مراجعة الموسوعات والكتب التي ذكرناها في بداية هذه الفقرة.

(١) مجمع أحاديث الإمام المهدي: ج ٥، ص ٣٠٧-٣٠٨، ح ١٧٣٩ نقلًا عن تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٦، ح ٤٩.

ب - الدليل الروائي:

النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وإخبارهم عن الإمام المهدي عليه السلام:

إن الروايات والأحاديث الشريفة التي جاءت في النص على إمامة محمد بن الحسن عليه السلام وأنه قد ولد، من طرقٍ متعدّدة ينقطعُ بها الأعداء.

قال الشيخ المفيد في هذا المجال:

وقد سبق النص عليه في ملة الإسلام من نبي الهدى عليه الصلاة والسلام، ثم من أمير المؤمنين عليه السلام، ونص عليه الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد إلى أبيه الحسن عليه السلام، ونصّ عليه أبوه عند ثقافته وخاصة شيعته، وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده، وبدولته مستفيضاً قبل غيبته، وهو صاحب السيف من أئمة الهدى عليهم السلام، والقائم بالحق المنتظر لدولة الإيمان وله قبل قيامه غيبتان إحداها أطول من الأخرى...^(١).

وباعتبار أن الأحاديث الواردة في الإمام المهدي عليه السلام تبلغ المئات، ولأنه يمكن الرجوع إليها عن طريق كتب الأحاديث رأينا من المناسب هنا أن نذكر الإحصاء الذي ذكره العلامة لطف الله الصافي في منتخب الأثر، والذي يتضمّن عدد ومجموع الروايات التي رواها السنة والشيعَة حول الإمام المهدي عليه السلام.

أولاً: الروايات التي تُبشّر بظهوره عليه السلام - ٦٥٧ رواية.

ثانياً: الروايات التي تصفه بأنه من أهل بيت النبي ﷺ - ٣٨٩ رواية.

ثالثاً: الروايات التي تدلّ على أنه من أولاد الإمام علي عليه السلام - ٢١٤ رواية.

رابعاً: الروايات التي تدلّ أنه من أولاد فاطمة بنت محمد ﷺ - ١٩٢

رواية.

خامساً: الروايات التي تدلّ على أنه التاسع من أولاد الحسين عليه السلام - ١٤٨

رواية.

(١) نقلًا عن أعيان الشيعة: ج ٢، ص ٤٩.

سادساً: الروايات التي تدل على أنه من أولاد الإمام زين العابدين عليه السلام - ١٨٥ رواية.

سابعاً: الروايات التي تدل على أنه من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام - ١٤٦ رواية.

ثامناً: الروايات التي تبين آباء الإمام الحسن العسكري عليه السلام - ١٤٧ رواية.

تاسعاً: الروايات التي تدل على أنه يملأ العالم قسطاً وعدلاً - ١٣٢ رواية.

عاشراً: الروايات التي تدل على أن للإمام المهدي عليه السلام غيبة طويلة - ٩١ رواية.

حادي عشر: الروايات التي تدل على أنه يعمر عمراً طويلاً - ٣١٨ رواية.

ثاني عشر: الروايات التي تدل على أن الإسلام يعم العالم كله بعد ظهوره - ٤٧ رواية.

ثالث عشر: الروايات التي تدل على أنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام - ١٣٦ رواية.

رابع عشر: الروايات الواردة حول ولادته - ٢١٤ رواية^(١).

وسنذكر فيما يلي بعض النماذج من هذه الروايات كشاهد على الإحصاء الذي ذكرناه.

ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً... ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»^(٢).

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، لطف الله العصفري الكلبايكاني، راجع فهرس الكتاب.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي: ج ١، ص ١٠٤، ح ٥٩ نقلًا من مسند أحمد: ج ٣، ص ٣٦ وعقد الدرر:

ص ١٦، باب ١ ودلال الإمامة: ص ٢٤٩ وغيره.

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«إِنَّ عَلِيًّا وَصِيِّي، وَمَنْ وَلَدَهُ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مَلَأْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا إِنَّ الثَّابِتِينَ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ فِي زَمَانِ غَيْبَتِهِ لَأَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، فَقَامَ إِلَيْهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلْقَائِمِ مِنْ وَلَدِكَ غَيْبَةٌ؟ قَالَ: أَيْ وَرَبِّي لِيَمَحُصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ. ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ إِنْ هَذَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَسَرٌّ مِنْ سَرِّ اللَّهِ فَإِنَّكَ وَالشُّكَّ فَإِنَّ الشُّكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزُّ وَجَلُّ كُفْرٌ»^(١).

وسأل الإمام علي عليه السلام النبي ﷺ فقال :

«يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَّا - آلَ مُحَمَّدٍ - الْمَهْدِيُّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا، بَلْ مِنَّا، بِنَا يَخْتُمُ اللَّهُ الدِّينَ كَمَا فَتَحَ اللَّهُ بِنَا، وَبِنَا يُنْقَذُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ كَمَا أُنْقَذُوا مِنَ الشُّرْكِ، وَبِنَا يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عداوة الْفِتْنَةِ إِخْوَانًا كَمَا أُلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عداوة الشُّرْكِ، وَبِنَا يَصْبَحُونَ بَعْدَ عداوة الْفِتْنَةِ إِخْوَانًا كَمَا أَصْبَحُوا بَعْدَ عداوة الشُّرْكِ إِخْوَانًا»^(٢).

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ للحسين بن علي عليه السلام :

«يَا حُسَيْنُ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ تِسْعَةٌ مِنَ الْأُئِمَّةِ مِنْهُمْ مَهْدِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِذَا اسْتَشْهَدَ أَبُوكَ فَالْحَسَنُ بَعْدَهُ، فَإِذَا سَمَّ الْحَسَنَ فَأَنْتَ، فَإِذَا اسْتَشْهَدْتَ فَعَلِي ابْنُكَ، فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ فَمُحَمَّدُ ابْنُهُ، فَإِذَا مَضَى مُحَمَّدٌ فَجَعْفَرُ ابْنُهُ، فَإِذَا مَضَى جَعْفَرٌ فَمُوسَى ابْنُهُ، فَإِذَا مَضَى مُوسَى فَعَلِيٌّ ابْنُهُ، فَإِذَا مَضَى عَلِيٌّ فَمُحَمَّدُ ابْنُهُ، فَإِذَا مَضَى مُحَمَّدٌ فَعَلِيٌّ ابْنُهُ،

(١) ينابيع المودة: ص ٤٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥١.

فإذا مضى عليّ فالحسن ابنه، فإذا مضى الحسن فالحجة بعد الحسن
يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

وعن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَلِكُ الْأَرْضِ أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ، فَالْمُؤْمِنَانِ ذُو الْقُرْنَيْنِ
وَسُلَيْمَانُ، وَالْكَافِرَانِ نَمْرُودُ وَبَيْخَتُ نَصْرٍ، وَسَيَمْلِكُهَا خَامِسٌ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِي»^(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ لَمَلَكَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي»^(٣).

وعن أم سلمة، زوج النبي ﷺ أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ المهدي،
فقال:

«نعم، هو حق، وهو من ولد فاطمة عليها السلام»^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«مِنَّا الَّذِي يُصَلِّيَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَلْفَهُ»^(٥).

الإمام علي عليه السلام:

عن مالك بن زمرة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه لحال الشيعة
قبل ظهور المهدي عليه السلام:

«يَا مَالِكُ بَنَ زَمْرَةَ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا اخْتَلَفَتِ الشَّيْعَةُ هَكَذَا - وَشَبَّكَ
أَصَابِعَهُ وَأَدْخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ - فَقُلْتَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا عِنْدَ
ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ: الْخَيْرُ كُلُّهُ عِنْدَ ذَلِكَ، يَا مَالِكُ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُومُ

(١) منتخب الأثر: ص ١٠٧.

(٢) عقد الدرر: ص ١٩ - ٢٠.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٠.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٢.

(٥) المصدر نفسه: ص ٢٥.

قائماً فَيَقْدَمُ سَبْعِينَ رَجُلًا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
فَيَقْتُلُهُمْ ، ثُمَّ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ^(١) .

وعن اسم الإمام المهدي عليه السلام ونسبه وبعض أوصافه روى أبو اسحاق أن
علياً عليه السلام نظر إلى ابنه الحسين ثم قال :

«إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، كَمَا سَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدًا ، وَسَيُخْرِجُ اللَّهُ
مِنْ صُلْبِهِ رَجُلًا بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ ، يُشَبِّهُهُ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ يَخْرُجُ عَلَى
حِينَ غَفَلَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَإِمَاتَةٍ لِلْحَقِّ وَإِظْهَارٍ لِلجَّوْرِ ، وَاللَّهُ لَوْ لَمْ
يَخْرُجْ لَضَرِبَتْ عُنُقُهُ ، يَخْرُجُ بِخُرُوجِهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَسُكَّانُهَا ، وَهُوَ
رَجُلٌ أَجْلَى الْجَبِينِ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، ضَخَمُ الْبَطْنِ ، أَزِيلُ الْفَخْذَيْنِ ،
بِفَخْذِهِ الْيَمْنَى شَامَةٌ ، أَفْلَجُ الثَّنَائِيَا ، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ
ظُلْمًا وَجَوْرًا»^(٢) .

وعن شوق الناس للمهدي عليه السلام وحُبُّهم له يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

«إِذَا نَادَى مُنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ الْحَقَّ فِي آلِ مُحَمَّدٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ
الْمَهْدِيُّ عَلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ ، وَيُشْرَبُونَ حُبَّهُ ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرُ
غَيْرِهِ»^(٣) .

وعنه عليه السلام أنه قال :

«التَّاسِعُ مِنْ وَلَدِكَ يَا حُسَيْنُ هُوَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ ، الْمُظْهِرُ لِلدِّينِ ،
وَالْبَاسِطُ لِلْعَدْلِ ، قَالَ الْحُسَيْنُ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنْ
ذَلِكَ لَكَائِنْ ؟ فَقَالَ عليه السلام : إِي وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالنَّبِوَةِ ،
وَاصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَةِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ غِيَبَةٍ وَحِيرَةٍ ، فَلَا يَثْبُتُ فِيهَا
عَلَى دِينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ الْمُبَاشِرُونَ لِرُوحِ الْيَقِينِ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ

(١) البحار: ج ٥٢ ، ص ١١٥ ، باب ٢١ ، ح ٣٤ .

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٣ ، ص ٣٨ ، ح ٥٩٢ نقلًا عن سنن الترمذي والنسائي والبيهقي .

(٣) عقد الدرر: ص ٥٢ ، باب ٤ ، فصل ١ .

وجلّ ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه^(١).

سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله ﷺ: «إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي، مِنْ الْعِترَةِ؟» فقال عليه السلام:

«أَنَا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأَئِمَّةَ التَّاسِعَةَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ تَأْسِمُهُمْ مَهْدِيُّهُمْ لَا يَفَارِقُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَفَارِقُهُمْ حَتَّى يَرِدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَوْضَهُ»^(٢).

الإمام الحسن عليه السلام:

عندما صالح الإمام الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال عليه السلام:

«وَيُحَكِّمُ، مَا تَدْرُونَ مَا عَمِلْتُ، وَاللَّهِ الَّذِي عَمِلْتُ خَيْرَ لَشِيعَتِي مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّي إِمَامُكُمْ مَفْتَرَضِ الطَّاعَةِ عَلَيْكُمْ، وَاحِدِ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَنَصْرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الْخَضِرَ عليه السلام لَمَّا خَرَقَ السَّفِينَةَ وَأَقَامَ الْجِدَارَ وَقَتَلَ الْغَلَامَ، كَانَ ذَلِكَ سُخْطًا لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام إِذْ خَفِيَ عَلَيْهِ وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ حِكْمَةً وَصَوَابًا؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا مَنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَيَقَعُ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةُ لَطَاغِيَةِ زَمَانِهِ إِلَّا الْقَائِمَ الَّذِي يَصْلِي رُوحَ اللَّهِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ خَلْفَهُ؟ فَإِنَّ اللَّهَ هَزَّ وَجْلًا يُخْفِي وَلادته، وَيُغَيِّبُ شَخْصَهُ لئَلَا يَكُونَ لِأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ إِذَا خَرَجَ، ذَلِكَ النَّاسُ مِنْ وَلَدِ أَخِي الْحُسَيْنِ، ابْنِ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ، يُطِيلُ اللَّهُ عَمْرَهُ فِي غَيْبَتِهِ،

(١) كمال الدين: ج ١، ص ٣٠٤، باب ٢٦، ح ١٦، ومختب الأثر: ص ٢٠٥، فصل ٢، باب ١٠، ح ٥.

(٢) البحار: ج ٢٣، ص ١٤٧، باب ٧، ح ١١٠.

ثم يُظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، وذلك ليُعلم أنَّ الله على كل شيء قدير^(١).

الإمام الحسين عليه السلام :

مما جاء عن الإمام الحسين عليه السلام عن الإمام المهدي عليه السلام ونسبه وبعض أوصافه قوله عليه السلام :

«قائم هذه الأمة هو التاسع من ولدي، وهو صاحب الغيبة وهو الذي يُقسَمُ ميراثه وهو حي»^(٢).

وعن دور الإمام المهدي عليه السلام في الانتقام من الظالمين يقول عليه السلام :

«يُظهِرُ الله قائمنا فينتقم من الظالمين، فقبل له: يا بن رسول الله، من قائمكم؟ قال: السابع من وَلَدِ ابني محمد بن علي، وهو الحُجَّةُ بن الحسن ابن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني، وهو الذي يغيبُ مدةً طويلة ثم يظهرُ ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٣).

وعن ثبات المؤمنين وصبرهم في زمن غيبة الإمام المهدي عليه السلام يقول الإمام الحسين عليه السلام :

«مِثْلُ اثْنَا عَشَرَ مَهْدِيًّا، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق، يُحيي الله به الأرض بعد موتها، ويُظهر به دين الحق على الدين كله، ولو كره المشركون، له غيبة يرتدُّ فيها أقوام ويثبتُ فيها على الدين آخرون، فيؤذَنُ ويُقال لهم (منى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أما إن الصابر

(١) كمال الدين: ج ١، ص ٣١٥، باب ٢٩، ح ٢، والبحار: ج ١٤، ص ٣٤٩، باب ٢٤، ح ٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٧، باب ٣٠، ح ٣، والبحار: ج ٥١، ص ١٢٣، باب ٣، ح ٣.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي: ج ٣، ص ١٨١ - ١٨٢، ح ٧٠٤.

في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ^(١).

الإمام علي بن الحسين عليه السلام :

تجري في الإمام المهدي ﷺ سنن من الأنبياء ﷺ ، وَيُحْمَلُ عليه العديد من مواصفاتهم ومميزاتهم ، وعن هذا الأمر يُخبرنا الإمام علي بن الحسين عليه السلام في حديث يقول فيه :

«في القائم مئتا سنن من الأنبياء سنة من أبينا آدم عليه السلام وسنة من نوح عليه السلام ، وسنة من إبراهيم عليه السلام ، وسنة من موسى عليه السلام ، وسنة من عيسى عليه السلام ، وسنة من أيوب عليه السلام ، وسنة من محمد ﷺ ، فأما من آدم ونوح فطول العمر وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس ، وأما من موسى فالخوف والغيبة ، وأما من عيسى فاختلف الناس فيه ، وأما من أيوب فالفرج بعد البلاء ، وأما من محمد ﷺ فالخروج بالسيف»^(٢).

وعن المؤمنين وقوتهم في زمن ظهور الإمام المهدي ﷺ يقول الإمام السجاد عليه السلام :

«إذا قام القائم أذهب الله عن كل مؤمن العامة ، وردَّ إليه قوته»^(٣).

وأيضاً عن ثباتهم وفضلهم في زمن الغيبة يقول عليه السلام :

«من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمتنا أعطاه الله عزَّ وجلَّ أجر ألف شهيد من شهداء بدر واحد»^(٤).

(١) كمال الدين : ج ١ ، ص ٣١٧ ، باب ٣٠ ، ح ٣.

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، باب ٣١ ، ح ٣.

(٣) البحار : ج ٥٢ ، ص ٣١٦ - ٣١٧ ، باب ٢٧ ، ح ١٢.

(٤) المصدر نفسه : ص ١٢٥ ، باب ٢٢ ، ح ٣.

الإمام محمد الباقر عليه السلام :

لم يترك الأئمة المعصومين من أهل البيت عليه السلام أمراً أو حادثاً من الأمور والحوادث المتعلقة بالإمام المهدي عليه السلام وغيبته وما سيجري في عصره إلا وحدثونا عنه . ومن الأمور التي تحدثت عنها الروايات الواردة عنهم ، الفتنة التي ستحصل في بلاد الشام . ومن ذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عندما قال له أحدهم : سمعنا أنه سيخرج منكم رجل يعدل في هذه الأمة ؟ فقال عليه السلام :

«إننا نرجو ما يرجو الناس ، وإننا نرجو لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد سيطول ذلك اليوم حتى يكون ما ترجو هذه الأمة ، وقبل ذلك فتنة شر فتنة ، يُمسي الرجل مؤمناً ويُصبح كافراً ، ويصبح مؤمناً ويُمسي كافراً ، فمن أدرك ذلك منكم فليثق بالله وليحرز دينه ، وليكن من أحلاس بيته»^(١) .

ومن الحوادث التي أنبا عنها الإمام الباقر عليه السلام ما سيجري على الشيعة من ابتلاءات قبل ظهور القائم عليه السلام حيث يقول عليه السلام في جوابه لجابر الجعفي عندما سأله : متى يكون فرجكم ؟ فقال عليه السلام :

«هيهات هيهات ، لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا ، يقولها ثلاثاً حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقي الصفر»^(٢) .

وعن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول :

«والله لَتُمَيِّزُنَّ ، والله لَتَمُحَضَّنَّ ، والله لَتُغْرِبْلُنَّ كما يُغْرِبِلُ الزَّوَانُ من القمح»^(٣) .

(١) منتخب الأثر: ص ٤٣٧ ، فصل ٦ ، باب ٢ ، ح ١٩ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٣١٥ ، فصل ٢ ، باب ٤٧ ، ح ٥ .

(٣) البحار: ج ٥٢ ، ص ١١٤ ، باب ٢١ ، ح ٣٢ .

الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

«الخلف الصالح من ولدي المهدي، اسمه محمد، كُنيتُهُ أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان... وهو ذو الاسمين: خلفٌ ومحمد يظهرُ في آخر الزمان، على رأسه غمامةٌ تُظِلُّهُ من الشمس تدور معه حيثما يدور تُنادي بصوتٍ فصيح هذا المهدي»^(١).

تحدث الإمام الصادق عليه السلام عن غيبة الإمام المهدي عليه السلام وعن تفاصيل هذه الغيبة بكثرة فيما ورد عنه من أحاديث ونحن نشير إلى بعض منها.

عن حَيَّام السَّراج قال: سمعت السيد ابن محمد الحميري يقول: كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن علي بن الحنفية قد ضللت في ذلك زماناً، فمَنْ الله عليّ بالصادق جعفر بن محمد عليه السلام وأنقذني به من النار، وهداني إلى سواء الصراط، فسألته بعد ما صُحَّ عندي بالدلائل التي شاهدها منه أنه حجة الله عليّ وعلى جميع أهل زمانه وأنه الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الاقتداء به، فقلت له، يابن رسول الله قد روي لنا أخبارٌ عن آبائك عليه السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام :

«إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض وصاحب الزمان، واللَّه لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

وقال عليه السلام :

«للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا

(١) منتخب الأثر: ص ٢١٤، فصل ١٢، باب ١٣، ح ١.

(٢) كمال الدين: ج ١، ص ٢٣، والبحار: ج ٤٢، ص ٧٩، باب ١٢٠، ح ٨.

يعلم بمكانه فيها إلا خاصة الشيعة، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة موالیه^(١).

وعن ضرورة وحاجة الناس والأرض إلى الإمام المعصوم، والانتفاع به حتى ولو كان غائباً بجسده عن الأنظار يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«اللهم لا بد لأرضك من حجة على خلقك، يهديهم إلى دينك، ويُعلمهم علمك، لئلا تبطل حجتك، ولا يضل أتباع أوليائك، بعد إذ هديتهم، ظاهراً وليس بالمطاع، أو مُكْتَمًا مُتَرْقِبًا إن غاب عن الناس شخصه في حال مُدْنَةٍ لم يغيب عنهم مشيئته علمه فأدابه في قلوب المؤمنين مُثَبِّتة فهم به عاملون»^(٢).

وقال عليه السلام:

«نحن أئمة المسلمين وحُجج الله على العالمين... ثم قال: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله، فقال له أحد أصحابه: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ فقال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»^(٣).

ومن الأهداف العظيمة التي من أجلها ستكون نهضة الإمام المهدي عليه السلام هي عملية إحياء الدين بعدما عاث به المفسدون الذين استطاعوا خداع بعض الناس وإضلالهم مما أدى إلى انحراف الكثيرين وإغراقهم في متاهات الضلال، لذا كان الإمام المهدي عليه السلام القائد الذي سيخرج في آخر الزمان بعد غيبة طويلة في أكبر عملية تغيير يشهدها التاريخ بعد بزوغ فجر الإسلام على يد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٤٠، ح ١٩.

(٢) منتخب الأثر: ص ٢٧٢، فصل ٢، باب ٢٩، ح ٥.

(٣) كمال الدين: ج ١، ص ٢٠٧، باب ٢١، ح ٢٢.

وقد تحدث الإمام الصادق عليه السلام عن سبب تسمية الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام بالمهدي فقال عليه السلام في الإجابة عن سؤال:

«المهدي والقائم واحد؟ فقال: نعم، فقال السائل: لأي شيء سُمي المهدي؟ قال: لأنه يهدي إلى كل أمر خفي، وسُمي القائم لأنه يقوم بعد ما يموت، إنه يقوم بأمر عظيم»^(١).

وحول ما ورد في هذا الحديث من قول الإمام الصادق عليه السلام: «... يقوم بعدما يموت...» علق الشيخ الطوسي بالقول: «فالوجه في هذه الأخبار وما شاكلها أن نقول بموت ذكره، ويعتقد أكثر الناس أنه بلي عظامه، ثم يظهره الله كما أظهر صاحب الحمار بعد موته الحقيقي، وهذا وجه قريب في تأويل الأخبار، على أنه لا يرجع بأخبار آحاد لا توجب علماً عما دلت العقول عليه، وساق الاعتبار الصحيح إليه، وحضه الأخبار المتواترة التي قدمناها، بل الواجب التوقف في هذه والتمسك بما هو معلوم، وإنما تأولنا بعد تسليم صحتها على ما يفعل في نظائرها، ويعارض هذه الأخبار ما ينافيها»^(٢).

وعنه عليه السلام أنه قال:

«إذا قام القائم عليه السلام دها الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمرٍ قد دُبرَ قُضِلَ عنه الجمهور، وإنما سُمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمرٍ مضلول عنه، وسُمي بالقائم لقيامه بالحق»^(٣).

الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام حول فضل المؤمنين بغيبة الإمام المهدي عليه السلام وثواب المنتظرين لظهوره، والتأكيد على إمامته عليه السلام وأنه هو القائم المنتظر

(١) الغيبة، الشيخ الطوسي: ص ٢٨٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد: ص ٣٦٤.

عندما سأله يونس بن عبد الرحمن: يا بن رسول الله أنت القائم بالحق؟ فقال عليه السلام:

«أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يُظَهَرُ الأرض من أعداء الله عز وجل ويملؤها عدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي، له غيبةٌ يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون». ثم قال عليه السلام: «طوبى لشيعتنا المتمسكين بجلنا في غيبة قائمتنا، الثابتين على مولاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجتنا يوم القيامة»^(١).

وقال عليه السلام:

«أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج»^(٢).

الإمام علي الرضا عليه السلام:

أخبر الإمام الرضا عليه السلام بولادة ابنه الثالث الحسن بن علي العسكري وأن المهدي يكون من ولده عليه السلام فقال عليه السلام:

«الخلف الصالح من ولدي أبي محمد الحسن بن علي، وهو صاحب الزمان وهو المهدي»^(٣).

وعن داود الرقي أنه قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام جعلت فداك إنه والله ما يلج في صدري من أمرك شيء إلا حديثاً سمعته من ذريح يرويه عن أبي جعفر عليه السلام قال لي: «وما هو؟ قال سمعته يقول سابعنا قائمتنا إن شاء الله، قال: صدقت وصدق أبو جعفر عليه السلام، فازددت والله شكاً، ثم قال يا داود بن أبي خالد: أما والله لولا أن موسى قال للعالم: ستجدني إن شاء الله صابراً، ما

(١) كمال الدين، ح ٢، ص ٣٦١، باب ٣٤، فصل ٥.

(٢) البحار: ج ٧٨، ص ٣٢٦، باب ٢٥، ح ٤.

(٣) منتخب الأثر، ص ٢٢٩، فصل ٢، باب ٢٠، ح ٦.

سأله عن شيء، وكذلك أبو جعفر عليه السلام لولا أن قال إن شاء الله لكان كما قال، قال فقطعت عليه^(١).

وعن صفاته البدنية يقول الإمام الرضا عليه السلام :

عن أبي الصلت الهروي قال : قلت للرضا عليه السلام : ما علامات القائم منكم إذا خرج ؟ قال :

«علامته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي، حتى يأتيه أجله»^(٢).

الإمام محمد الجواد عليه السلام :

أكد الإمام الجواد عليه السلام كغيره من أئمة أهل البيت عليه السلام في النصوص الواردة عنهم على إمامة من يأتي بعده، وكان كل إمام يُسمي الأئمة من بعده إلى الإمام الثاني عشر، ومما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في هذا المجال قوله عليه السلام :

«إن الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري وقوله قلولي وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت» فقلت : يا بن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن ؟ فبكى عليه السلام بكاء شديداً، ثم قال : «إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر. فقلت له : يا بن رسول الله لما سُمي القائم ؟ قال : لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقلت له : ولما سُمي المنتظر ؟ قال : لأن له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فَيَنْتَظِرُ خروجه المخلصون ويُنْكِرُهُ المرتابون ويستَهْزِئُ بذكره

(١) البحار: ج ٤٨، ص ٥٦١، باب ٣٢، فصل ٣٧، ح ٦٣١.

(٢) المصدر نفسه: ج ٥٢، ص ٢٨٥، باب ٢٦، ح ١٦٦.

الجاحدون، ويكذب فيها الوقتون، ويهلك فيها المستعجلون،
وينجو فيها المسلمون»^(١).

وعن السيد عبد العظيم بن... بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسيني أنه قال: دخلت على سيدي محمد بن علي الجواد عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره، فابتدأني فقال لي:

«يا أبا قاسم، إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن يُنْتَظَر في غيبته، ويُطَاع في ظهوره، هو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة وخصنا بالإمامة، إنه لو لم يبق في الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله تبارك وتعالى ليُصلِّح له أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمة موسى عليه السلام إذ ذهب ليقبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي، ثم قال عليه السلام، أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»^(٢).

الإمام علي الهادي عليه السلام:

لكي لا يقع المواليون لأئمة أهل البيت عليه السلام ولا سيما في عصر الإمام المهدي عليه السلام في الشك والحيرة نظراً لشهادة الإمام العسكري عليه السلام واستلام ولده القائم عليه السلام لزمام الولاية والخلافة في سن مبكرة اتّبع الأئمة عليهم السلام منهجاً يمنع من وقوع مثل هذا الشك.

وكان من جملة ما سلكوه، الأحاديث والنص من الإمام السابق على اللاحق، هذا فضلاً عن القول بأن هذا الشك لم يعد له مجال خصوصاً في عصر الإمام الجواد عليه السلام الذي استلم الخلافة في سن مبكرة وواجهه الحال هذه كل العلماء والفقهاء الذين أرادوا اللعب بعقول الناس لتشكيكهم بإمامهم وإسقاطه

(١) كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧٨، باب ٣٦، ح ٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٧٧، باب ٣٦، ح ١.

من أعينهم. فكانت القدرة العلمية واحد من الأدلة التي تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أهليتهم للإمامة مهما كان العمر الشريف لهم.

وقد كانت هذه الأسئلة تدور في ذهن صحابة أهل البيت عليه السلام لا سيما في ما سمعوه عن الإمام المهدي عليه السلام لذا تقول الرواية بأن علي بن مهزيار وهو من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام دخل عليه مرة وقال: يا سيدي أيجوز أن يكون الإمام ابن سبع سنين؟ فقال عليه السلام:

«نعم، وابن خمس سنين»^(١).

وعن دور العلماء في زمن الغيبة ومقامهم الشريف عند الله يقول الإمام الهادي عليه السلام:

«لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس، ومن فحاح النواصب، لما بقي أحدٌ إلّا ارتدَّ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أُرمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يُمسكُ صاحب السفينة سُكَّانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عزَّ وجلَّ»^(٢).

الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

إن أعظم خطر كان يواجهه الإمام الحسن العسكري عليه السلام هو محاولات السلطة العباسية العديدة والمتتالية لقتل ولده الإمام المهدي عليه السلام حتى ولو علموا بوجوده وهو في رحم أمه، لذا فقد لعب الإمام العسكري عليه السلام دوراً بارزاً وهاماً في الحفاظ على حياة ولده وإخفاء أمر ولادته، حتى وصلت الحالة إلى تعرّضه هو نفسه للقتل، وقد روى الشيخ الثقة محمد بن يعقوب الكليني عن الإمام العسكري عليه السلام حين ولادة الإمام الحجة قوله:

(١) جامع أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٤، ص ٢١٨، ح ١٢٦١.

(٢) البحار: ج ٢، ص ٦، باب ٨، ح ١٢ نقلاً عن الاحتجاج والتفسير المنسوب للإمام حسن العسكري عليه السلام.

«زعمت الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل، كيف رأوا قدرة القادر، وسماء المؤمل»^(١).

وفي مواجهة أولئك المشككين بولادة الإمام المهدي عليه السلام، وتأكيداً على هذه الحقيقة الثابتة بوجوده عليه السلام يقول الإمام العسكري عليه السلام:

«الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله ﷺ خَلْقاً وَخُلُقاً، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ثم يظهره الله فيملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

وعن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسمّاه محمّداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال:

«هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً»^(٣).

وعن محمد بن عبد الجبار قال: قلت لسيدي الحسن بن علي عليه السلام: يا بن رسول الله، جعلني الله فداك، أحب أن أعلم من الإمام وحجة الله على عباده من بعدك؟ فقال عليه السلام:

«إن الإمام وخُجّة الله من بعدي ابني سمي رسول الله ﷺ وكنيته، الذي هو خاتم حُجج الله، وآخر خلفائه، قال: مِمَّنْ هو يا بن رسول الله؟ قال: من ابنة ابن قيصر ملك الروم، ألا إنه سيولد ويغيب عن الناس غيبةً طويلة ثم يظهر»^(٤).

وروى الصدوق بسنده عن أبي علي بن همام قال: سمعت محمد بن عثمان

(١) البحار: ج ١، ص ٣٠، باب ٢، ح ٥. نقلاً عن الغيبة للطوسي.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٦١، باب ٩، ح ٩، عن كمال الدين للصدوق.

(٣) المصدر نفسه: ص ٥، باب ١، ح ١١، عن كمال الدين للصدوق.

(٤) منتخب الأثر: ص ٢٤٦، فصل ٢، باب ١، ح ٢١.

العمري (قده) يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليه السلام:

«إن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟».

فقال عليه السلام:

«إن هذا حق كما أن النهار حق».

ف قيل له: يا بن رسول الله! فمن الحجة والإمام بعدك؟

فقال عليه السلام:

«ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيه المبطلون، ويكذب فيها الوقتون، ثم يخرج فكأنني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»^(١).

وبهذه الروايات والأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليه السلام نختم الكلام في الأدلة التي تُثبت لنا بشكل قاطع وواضح ولادة وإمامة الإمام المهدي عليه السلام الذي هو خاتم الأئمة والأوصياء الهادين المهديين عليهم صلوات الله أجمعين.

الفصل الثالث

الإمام المهدي عليه السلام

في أحاديث الصحابة والرواة

★ أحاديث المهدي عليه السلام بين الصحة والضعف

★ المناقشة في مقولة ضعف الأحاديث

الإمام المهدي عليه السلام في أحاديث الصحابة والرواة

استعرضنا فيما سبق جملة كبيرة من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام والتي تحدّثت عن تفاصيل هامة تتعلق بولادة الإمام المهدي عليه السلام وصفاته وخصائصه وعن مميزات عصره وكيفية ظهوره، وهو كما ذكرنا نذكر يسير مما تحدث به النبي والأئمة عليهم السلام عن الإمام المهدي عليه السلام.

ولا يخفى أن ما ورد على لسان الصحابة عليهم السلام وأئمة الحديث والرواة عن الإمام المهدي عليه السلام لا يقل أبداً عما ورد على لسان النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار.

ومن هؤلاء الصحابة عليهم السلام الذين رويت عنهم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام نذكر: ابن عباس وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وأم سلمة وأم حبيبة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وسلمان الفارسي وأبو هريرة وأنس بن مالك وعمار بن ياسر وعوف بن مالك وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وقرّة بن إياس وعلي الهلالي وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن الحارث بن حمزة وعمران بن حصين وأبو الطفيل وجابر الصدفى وغيرهم الكثير^(١).

وبالإضافة إلى ذلك فإن جميع علماء المسلمين في مختلف العصور من

(١) المهدي المنتظر بين الدين والفكر البشري: د. محمد طي، ص ٤٩ نقلاً عن عبد المحسن العباد، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد ذي القعدة، ١٣٨٨هـ.

السنة والشيعية اعتبروا قضية الإمام المهدي عليه السلام من البديهيات التي لا يرقى إليها الشك فتحدثوا عنها ورووا الأخبار فيها وأخذوها على أنها من مسلمات العقيدة الإسلامية التي تحدث عنها النبي صلى الله عليه وآله ولذلك نرى أن قضية الإمام المهدي عليه السلام حفلت بها مصنفات وكلمات محدثي وحفاظ أهل السنة ونذكر منهم: الأبري في معاني الوفا. والحافظ ابن الاسكافي - الحارث بن أبي اسامة في المسند - الشيخ ناصر الدين الألباني - خير الدين الألوسي في غالية المواعظ - البرزنجي في الإشاعة - البزار في المسند - مصطفى البكري في الهدية الندية - محمد البليسي في العطر الوردي - البغوي في مصابيح السنة - البيهقي في دلائل النبوة - الترمذي في السنن - سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد - الثعلبي - ابن جرير في تهذيب الآثار - ابن أمير الجزري في جامع الأصول - سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة - ابن القيم الجوزية في المنار المنيف - الحاكم في المستدرک - ابن حبان في مسنده - ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة - أبو حسن الحربي في الحرييات - محمد صديق حسن في حجج الكرامة - محمد الخضير حسين في مجلة التمدن الإسلامي - شهاب الدين الحلواني في القطر الشهدي - نعيم بن حماد في الفتن - الخطيب التبريزي في المتفق والمفترق وتأريخ بغداد والكفاية وتلخيص المتشابه ومشكاة المصابيح - ابن خلكان في وفيات الأعيان - أبو بكر بن خيثمة في فوائد الأخبار - الدارقطني في الأفراد - الدارمي في السنن - أبو داود في السنن - أبو مسعود الدمشقي - الديلمي في مسند الفردوس - الذهبي في الميزان والتلخيص - الروياني في المسند - الزرقاني في شرح المواهب اللدنية - السجاعي في حاشيته على ابن عقيل - السخاوي في فتح المغيث - ابن سعد في الطبقات - السفاريني في لوامع الأنوار - الحسن بن سفيان - السمهودي - السهيلي في شرح السير - جلال الدين السيوطي في فيض القدير، وعنق الزجاجة، والكشف، وإتمام الدراية، والعرف الوردي، والفوائد المتكاثرة - الشبلنجي في نور الأبصار - الشرقاوي - ابن شرويه في الفردوس - الشعراني في اليواقيت والجواهر - الشوكاني في التوضيح - أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف - ابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة -

محمد بن الصَّبَّان في إسعاف الراغبين - ابن صديق في إبراز الوهم المكنون - الطبراني في الصغير والأوسط والكبير - الطبري في ذخائر العقبى - ابن طلحة في مطالب السؤول - ابن طولون الدمشقي في الأئمة الإثنى عشر - الطيبي - ابن عدي - محمد بن إدريس العراقي في المهدي - العزيزي - ابن عساكر في تاريخ دمشق - العظيم آبادي في عون المعبود - العقيلي في حاشية ابن ماجة - العوالي - أبو عوانة - أبو علي الغساني - ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح والمورد الوردی - القرطبي في التذكرة - أحمد الدمشقي القرماني في أخبار الدول وآثار الأول - القسطلاني - القضاعي في مسند الشهاب - القنوجي في الإذاعة - الكناني في نظم المتناثر - ابن كثير في الفتن والملاحم - الكرمانی - الكسائي - أبو غنم الكوفي في الفتن - ابن ماجة في السنن - الماوردي - المرغني في فوائد الفكر - المزي في الأطراف - مسلم في صحيحه - البلخي في البدء والتاريخ - المقدسي - المقرئ في السنن والمعاجم - المناوي في الكبير، وجواهر العقدين، والملاحم، وفيض القدير - ابن منده في الفوائد، وتاريخ أصبهان - المنذري في تهذيب السنن - المنيني في فتح المنان - أبو الأعلى المودودي في البيانات - منصور علي ناصف في الناجع الجامع للأصول - النسائي في السنن - أبو نعيم في الحلية - النضراوي في حاشية الرسالة - النوربشتي - النووي في التقریب وتدريب الراوي والدر المنثور - ابن الهمام في المصنف - المتقي الهندي في كنز العمال - الهيثمي في الزوائد، والعرف الوردی، وموارد الظمآن - الهيثمي في الصواعق المحرقة، والفتاوى الحديثية - ابن الوردی في خريدة العجائب - أبو علي الموصلي - الأمير اليماني - الشيخ عبد الله بن باز مفتي السعودية^(١).

أحاديث المهدي بين الصحة والضعف:

عندما يكون النقد مستنداً إلى الأدلة والحجج والبراهين الدامغة والمقنعة فهذا يعني أنك تخوض في مجال البحث العلمي الرصين والهادف، لذلك تجد

نفسك مضطراً لأن تلقي كل ما تملكه من براهين ومعلومات في سبيل إثبات صحة رأيك وصوابية الفكرة التي تحملها في مواجهة الخصم.

أما أن يكون النقد لمجرد العناد والمكابرة والتكذيب والإفتراء من دون الاستناد إلى الدليل العلمي، لا بل إلغاء كل دليل من دون مواجهته بدليل مثله ويوازيه، فهذا يدعوك إلى إتهام الطرف الآخر بالجهود والمكابرة وعدم الاقتناع بالفكرة لا لكونها غير علمية بل لكونها لا توافق أهواء وطموحاته الشخصية.

وفي الأحاديث المروية عن الإمام المهدي ﷺ عند السنة والشيعية ما يكفي الباحث للاعتقاد بالإجماع على هذه الفكرة وأنها ليست من موضوعات الفكر الشيعي، وأن الشيعة لا يستهدفون شيئاً من وراء ذلك، وإنما هي وليدة بشارات القرآن والنبي الأعظم ﷺ المتعددة لهذه الأمة بتحقيق النصر للمستضعفين وإقامة حكم الله وتطبيق الدولة الإلهية العادلة على هذه الأرض.

وقد تقدم فيما ذكرناه الدليل العقلي والدليل النقل من الآيات والروايات بالإضافة إلى تصريح أكابر المحدثين والرواة الشقات عن قضية الإمام المهدي ﷺ واعتبارها من مسلمات الفكر الإسلامي لا الشيعي فقط...

ومع ذلك كله يأتي بعض المعاندين ليكذبوا هذه الأحاديث وهذا الإجماع من علماء المسلمين قاطبة وليصروا على اعتبار هذه الأحاديث من موضوعات الشيعة فتارةً يصفونها بالروايات الضعيفة وأخرى أنها لا تشير إلى شخص محدد وثالثة أنها لا تفيد أنه قد ولد ورابعة أنها قضية معرض عنها ولا تتعرض للبحث والاجتهاد... لذا يقول هذا البعض: «... بعد كل ذلك... يمكنني القول بعدم وجود قضية مهمة أو معرض عنها في التراث الشيعي كقضية - وجود الإمام المهدي وولادته - ولا توجد قضية خارج البحث والاجتهاد مثل تلك القضية...»^(١).

وفي موضع آخر يقول: «... وإنما نهدف إلى القول إن شخصاً باسم -

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي، الكاتب: ص ٢٠٥.

محمد بن الحسن العسكري - لم يولد ولم يوجد بعد، وبالتالي فإن تلك الآيات أو الأحاديث العامة لا تثبت ولادة ذلك الإنسان أو وجوده، بالرغم من إمكانية المناقشة في دلالة الآيات الكريمة على الموضوع.

أما الروايات الواردة حول (الغيبة) و(الغائب) فهي أيضاً لا تتحدث عن (الغائب) بالتحديد... ولا تذكر اسم (محمد بن الحسن العسكري) ولا تشير إلى غيبته بالخصوص... وبالتالي فإنها لا يمكن أن تشكل دليلاً على (غيبة الحجة بن الحسن) لأنه لم يولد بعد... ولم يغب... وهي لا تتحدث عن أمر قبل وقوعه حتى يكون ذلك إعجازاً ودليلاً على صحة الغيبة...^(١).

إن من ينطق أو يتفوه بمثل هذا الكلام بعد الذي رأيناه من الحشد الهائل من الروايات من السنة والشيعا والتي يفوق عددها على الألفي رواية، وهذا الإجماع الذي قلّ نظيره من علماء المسلمين، وبعد الذي سنذكره في الفصول القادمة عن أسماء كبار العلماء الذين لم يكتفوا بتصحيح روايات الإمام المهدي عليه السلام بل صرحوا بولادته ووجوده وغيبته، لهر أكبر معاند لأنه كمن ينفي وجود الشمس في رابعة النهار.

المناقشة في مقولة ضعف أحاديث المهدي عليه السلام:

وأما وصف أحاديث الإمام المهدي عليه السلام بأنها أحاديث ضعيفة وغير صحيحة فإننا نكتفي في الردّ عليه بما ذكره السيد محمد رضا الحسيني الجلاي في كتابه (المهدي في أحاديث المسلمين حقيقة ثابتة) وبالإحصاء الذي نقله عن الشيخ الفقيه في كتابه (الإمام المهدي عند أهل السنة) والذي يذكر فيه أسماء المحدثين والعلماء الذي أثبتوا أحاديث المهدي في كتبهم واعتبروا أنها أحاديث صحيحة فقال^(٢): «إن بعضهم يصف أحاديث المهدي بأنها (موضوعة) ويكرّر نسبة (الوضع) لها إلى الشيعة».

(١) المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٢) المهدي في أحاديث المسلمين حقيقة ثابتة، السيد محمد رضا الحسيني الجلاي: ص ٢٨ إلى ٥٦.

ولكن من المسلّم به عند دارسي علوم الحديث - كافة - إن مثل أحاديث المهدي، المثبتة في الكتب المعتمدة ومنها الصحاح والمسانيد والسنن، ممّا له طرق عديدة وأسانيد متعدّدة، إن لم تكن صحيحة، فهي لا توصف بالوضع، وإنما أسوأ ما يجرؤ أحدٌ هو أن يعبر عنها بالضعف.

والواقع الملموس: أن أسانيد أحاديث المهدي فيها الصحيح المتفق عليه، وفيها الحسن، وفيها الضعيف، وقد يكون فيها الموضوع! ولم يعبر أحدٌ عنها كلها بالوضع، ولم يصفها بأنها كلّها موضوعة إلا ثلّة من المتأخرين، ممّن لا خبرة لهم بالحديث ومصطلحاته...

وهنا نذكر أسماء المحدثين والعلماء الذين أثبتوا أحاديث الإمام المهدي عليه السلام في كتبهم واعتبروها صحيحة السند، ونقل ما ذكره حولها من النقد، وفقاً لما ذكره الشيخ الفقيه في كتابه (الإمام المهدي عند أهل السنة) كما أشرنا إلى ذلك في الهامش السابق:

١ - أخرجها عبد الرزاق (ت ٢١١) في المصنف، الجزء ١١، الأحاديث ٢١٧٦٩ - ٢٠٧٧٩، طبعة حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي الهندي.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ - ٣١٥ في بعض أحاديث: إن رجاله رجال الصحيح.

٢ - أخرجها ابن ماجة (ت ٢٧٣) في السنن ٢ - ٢٢ - ٢٤، الأحاديث ٤٠٨٢ - ٤٠٨٨، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب، عيسى البابي، مصر.

والحديث ٤٠٨٤ إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقال الحاكم فيه: صحيح على شرط الشيخين - البخاري ومسلم..

٣ - وأخرجها أبو داود (ت ٢٧٥) في السنن ٤ - ١٠٦ - ١٠٩، كتاب المهدي، الأرقام ٤٢٧٩ - ٤٢٩٠، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد - دار إحياء السّنة النبوية - مصر.

٤ - وأخرجها الترمذي (ت ٢٩٧) في الجامع الصحيح المسمى بالسنن، ج ٤، الأحاديث ٢٢٣٠ - ٢٢٣٢، طبعة إبراهيم عطوة عوض - شركة مصطفى البابي، مصر. قال في اثنين من الأحاديث: حسن صحيح.

٥ - وأخرجها الطبراني (ت ٣٦٠) في المعجم الكبير، الجزء ١٠، الأحاديث ١٢١٣ - ١٢٣١ في مسند عبد الله بن مسعود، طبعة حمدي السلفي - مطبعة الوطن العربي - بغداد.

٦ - وأخرجها الحاكم (ت ٤٠٥) في المستدرک على الصحيحين ٤ - ٤٦٤ و ٥٥٧. ومنها حديث:

«... إذا رأيتموه فبايعوه، ولو خَبُوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي».

٧ - أخرجها البغوي (ت ٥١٠) في مصابيح السنة ١ - ١٩٢. (مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة) وعدّ بعضها (من الصحاح) وبعضها (من الحسان).

٨ - ابن تيمية (ت ٧٢٨).

قال في منهاج السنة ٤ - ٢١١ (دار إحياء السنة النبوية): إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم (وأورد بعضها) وهذه الأحاديث غلطٌ فيها طوائف أنكروها!

٩ - الذهبي (ت ٧٤٨) في تلخيص المستدرک للحاكم صحح بعض الأحاديث، في ذيل ذكر الحاكم لها.

وقال العباد: أما الذهبي فقد صحح أحاديث كثيرة من أحاديث المهدي في تلخيص المستدرک.

ذكر ذلك في الفقرة ١٩ من مقاله المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - عدد ٤٥، في الردّ على ابن محمود القطري المنكر للمهدي.

١٠ - ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) في المنار المنيف في الصحيح والضعيف،

فصل ٤٥، ص ١٢٩ - ١٤٣، ح ٣٢٥ فما بعد، تحقيق أحمد عبد الشافي، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ.

أورد فيه الأحاديث ٣٢٦ - ٣٣٩ وقال: وهذه الأحاديث أربعة أقسام: صحاح، وحسان، وغرائب، وموضوعة.

١١ - ابن كثير الشامي (ت ٧٧٤) في كتابه النهاية ١ - ٢٤ - ٣٢، تحقيق طه محمد الزيني - دار الكتب الحديثة - مصر. أورد قسماً من أحاديث المهدي وصححها.

١٢ - الهيثمي (ت ٨٠٧) في مجمع الزوائد ٧ - ٣١٣ - ٣١٨ باب ما جاء في المهدي، نشر مكتبة القدسي - ١٣٥٣هـ، وصحح بعض أحاديثه.

١٣ - البرزنجي المدني (ت ١١٠٣) في كتاب «الإشاعة لأشراط الساعة» ص ٨٧ - ١٢١، فصل الحديث عن المهدي، وصحح كثيراً من الروايات الواردة فيه.

١٤ - محمد صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧) في كتاب «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» طبع مطبعة المدني - القاهرة.

قال في ص ١١٢ - ١١٣: الأحاديث الواردة فيه - على اختلاف رواياتها - كثيرة جداً، وتبلغ حد التواتر.

وأحاديث المهدي عند الترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، والحاكم، والطبراني، وأبي يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة. فتعرض المنكرين لها ليس كما ينبغي.

والحديث يشد بعضه بعضاً، ويتقوى أمره بالشواهد والمتابعات، وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام، على ممر الأعصار.

ونقل عن الشوكاني في (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي والمسيح) قوله: الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها (خمسون) حديثاً، فيها الصحيح، والحسن، والضعيف المنجبر، وهي (متواترة) بلا شك ولا شبهة.

بل يصدق وصف (التواتر) على ما هو دونها، على جميع الاصطلاحات المحرّرة في الأصول.

وأما الآثار عن الصحابة المصّرّحة بالمهدي، فهي كثيرة - أيضاً - لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك (انتهى المنقول عن الشوكاني).

وقال صديق حسن خان في «الإذاعة»: ص ١٤٥، في ردّه على ابن خلدون: لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام، لما تواتر في الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفاً عن خلف، إلا من لا يعتدّ بخلافه.

وإنما قال به أهل العلم، لورود الأحاديث الجمة في ذلك.

فلا معنى للريب في أمر ذلك «الفاطمي المنتظر» المدلول عليه بالأدلة.

بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة، البالغة حدّ التواتر.

ونقل صديق حسن خان في الإذاعة، ص ١٤٦، عن السفاريني الحنبلي في «لوامع الأنوار» قوله: قد روي عن ذكر من الصحابة، وغير من ذكر منهم، بروايات متعدّدة وعن التابعين ومن بعدهم، ما يفيد مجموعه العلم القطعي. فالإيمان بخروج المهدي واجب، كما هو مقرّر عند أهل العلم، ومدوّن في عقائد أهل السُنّة والجماعة. انتهى كلام السفاريني.

١٥ - العظيم آبادي الهندي (ولد ١٢٧٣) في عون المعبود شرح سنن أبي داود ١١ - ٣٦١، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نشر محمد عبد المحسن، المدينة المنورة.

قال في ص ٣٦١، في شرح الحديث ٤٢٩٥، في بداية كتاب المهدي: اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الأعصار أنّه لا يُدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين...

وخارج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة... وإسناد حديث هؤلاء بين صحيح، وحسن، وضعيف.

وقد بالغ الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي في تاريخه في
تضعيف أحاديث المهدي كلها، فلم يُصِبْ بل خطأً.

١٦ - محمد بن جعفر الكتّاني (ت ١٣٤٥) في نظم المتناثر من الحديث
المتواتر، الطبعة الأولى: المطبعة المولوية بفاس المغرب، سنة ١٣٢٨،
والطبعة الثانية، دار الكتب السلفية - مصر.

في الحديث رقم ٢٩٨، أحاديث خروج المهدي الموعود المنتظر الفاطمي.
فذكر رواية ٢٠ من الصحابة ومخزجها، ثم قال: وقد نقل غير واحد عن
الحافظ السخاوي: أنها «متواترة» والسخاوي ذكر ذلك في «فتح المغيث»
ونقله عن أبي الحسين الآبري.

وفي تأليف لأبي العلاء إدريس بن محمد بن إدريس الحسيني العراقي في
المهدي هذا: إن أحاديثه متواترة، أو كادت، وجزم بالأول (أي التواتر) غير
واحد من الحفاظ.

وفي شرح الرسالة للشيخ جسوس ما نصّه: ورد خبر المهدي في أحاديث،
ذكر السخاوي: إنها وصلت إلى حدّ التواتر.

وفي «شرح المواهب» نقلاً عن أبي الحسن الآبري في «مناقب الشافعي»:
قال: تواترت الأخبار أنّ المهدي من هذه الأمة.

وفي «مغاني الوفا بمعاني الاكتفا» نقل كلام الآبري ونصّه: قد تواترت
الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى عليه السلام بمجيء المهدي،
وأنّه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً.

وفي شرح عقيدة السفاريني محمد بن أحمد الحنبلي ما نصّه: قد كثرت
بخروجه الروايات حتى بلغت حدّ التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء
السنة، حتى عدّ من معتقداتهم.

ثم نقل عبارة السفاريني كما أوردها صديق حسن خان في «الإذاعة» وعقبها
بذكر كلام حسن خان في ردّ ابن خلدون كما نقلناه.

١٧ - المباركفوري (ت ١٣٥٣) في تحفة الأحوذى ٦ - ٤٨٤، رقم ٢٣٣١،

تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة الفجالة، مصر، نشر المكتبة السلفية الحديثة.

١٨ - الشيخ محمد الخضر حسين المصري (ت ١٣٧٧) في مقال «نظرة في أحاديث المهدي» المنشورة في مجلة «التمذّن الإسلامي» التي تصدرها جمعية التمدّن الإسلامي - بدمشق - سوريا، في المجلد ١٦ - العدد ٣٥ و٣٦، الصادرين سنة ١٣٧٠.

فقد ردّ فيه ردّاً حاسماً على منكري أحاديث المهدي، ومما قال: اعترف ابن خلدون «بأنّ بعض الأحاديث خلص من النقد، إذ قال: فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان، وكما رأيت: لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل».

قال الخضر حسين: ونحن نقول: متى ثبت حديث واحد من هذه الأحاديث وسلم من النقد كفى في العلم بما تضمنه من ظهور رجل في آخر الزمان. إذ أن مسألة المهدي لم تكن من قبيل العقائد التي لا تثبت إلا بالأدلة القاطعة. والصحابة الذين رويت من طرقهم أحاديث المهدي نحو ٢٧ صحابياً. والواقع أن أحاديث المهدي، بعد تنقيتها من الموضوع والضعيف القريب منه، فإن الباقي منها لا يستطيع العالم الباحث على بصيرة أن يصرف عنها نظره. وقال في خلاصة كلامه: إن في أحاديث المهدي ما يُعدّ في الحديث الصحيح، وبما أنني درست علم الحديث، ووقفت على ما يميّز به الطيب من الخبيث، أراني ملجأ إلى أن أقول - كما قال رجال الحديث من قبلي -: إن قضية المهدي ليست قضية متصنعة.

١٩ - الشيخ منصور علي ناصف، في التاج الجامع للأصول ٥ - ٣٤١ - ٣٤٤، وقال في شرح غاية المأمول في ذيله: الباب السابع في الخليفة المهدي رضي الله عنه: اشتهر بين العلماء - سلفاً وخلفاً - أنه في آخر الزمان لا بُدّ من ظهور رجل من أهل البيت يُسمّى «المهدي» وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة، وخرجها أكابر المحدثين. ولقد أخطأ من ضعف أحاديث المهدي كلها كابن خلدون وغيره.

٢٠ - الشريف أحمد بن محمد بن الصديق أبو الفيض الغماري الحسيني المغربي (ت ١٣٨٠) في كتابه القيم: إبراز الوهم المكنون في كلام ابن خلدون، الذي وضعه للرد على شبهات ابن خلدون وترهاته التي لفتها حول أحاديث المهدي المنتظر.

قال الصديق في مقدمته: ظهور الخليفة الأكبر... محمد بن عبد الله المنتظر، قد تواترت بكونه من أعلام الساعة وأشراتها الأخبار، وصحت عن رسول الله ﷺ في ذلك الآثار، وشاع ذكره وانتشر خبره بين الكافة من أهل الإسلام على مر الدهور والأعصار.

فالإيمان بخروجه واجب، واعتقاد ظهوره - تصديقاً لخبر الرسول - محتتم لازب.

ثم نقل الصديق الأقوال بتواتر حديث المهدي، عن علماء الأمة ومؤلفاتهم، منهم: الآبري صاحب مناقب الشافعي، والسخاوي صاحب فتح المغيب، والسيوطي في الفوائد المتكاثرة في الأحاديث المتواترة، وفي اختصاره، الأزهار المتناثرة وغيرهما من كتبه، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، وغيره من مصنفاته، والزرقاني في المواهب اللدنية، وجم غفير من الحفاظ النقاد للحديث، والمحدثين المتقنين لفنون الأثر.

ثم نقل كلمات القنوجي في الإذاعة، والسفاريني في الدرة المضية في عقيدة الفرق المرضية، وشرحه المسمى: لوامع الأنوار، حيث قال: وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد ذلك من معتقداتهم.

وقد روى عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم، روايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، مما يفيد مجموعته (العلم القطعي).

ثم عقد الصديق فصلاً في البحث عن «التواتر» وتعريفه، واختلاف الناس فيه، وهو الفصل الأول.

ثم ذكر رواية أحاديث المهدي على كثرتهم، وقال في نهاية الفصل: المراد بالتواتر المعنوي: أن القدر المشترك هو المتواتر.

فقال: فكل قضية منها باعتبار إسناده لم يتواتر، ولكن «القدر المشترك» فيها، وهو «وجود الخليفة المهدي آخر الزمان» تواتر باعتبار المجموع. ثم تصدى لابن خلدون - الذي أصبح مرجعاً للمنكرين - فنقل كلامه المذكور في فصل من مقدمته بعنوان: (أمر الفاطمي، وما ذهب إليه الناس من شأنه، وكشف الغطاء عن ذلك)^(١).

حيث قال: أعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار: أنه لا بُد في آخر الزمان من ظهور رجلٍ من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولى على الممالك الإسلامية، ويُسمى بالمهدي، ويحتجون في الباب بأحاديث خرّجها الأئمة... إلى آخر كلامه... حيث ذكر الأحاديث ونقدها حديثاً حديثاً، وضعف أكثرها.

فبدأ الصديق الغماري بنقض كلامه حرفاً حرفاً، وكشف الغطاء عن أهدافه كشفاً، وأبرز أوهامه إبرازاً، وناقش تضعيفاته للأحاديث، وأثبت خطأه في نقده.

إلى أن نقل قول ابن خلدون: فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان.

فقال الصديق راداً عليه: إنّ جميع ما ذكره من الأحاديث «ثمانية وعشرون» حديثاً، لكنّ الوارد في الباب أضعاف أضاعف ذلك.

وها أنا مورد من الأخبار ما أكمل به المائة من المرفوعات والموقوفات، دون المقطوعات، إذ لو تتبعتها، خصوصاً الوارد عن أهل البيت، لآتيت منها بعدد كبير، وقدر غير يسير.

ثم أورد الحديث (التاسع والعشرين) إلى (المائة)، ثم قال في آخر الفصل: ولتقتصر على هذا القدر من الوارد في المهدي، فإنه لا محالة مُبطلٌ لدعوى الطاعن (ابن خلدون).

وإلا، فالأخبار في الباب كثيرة جداً، ولو جمع منها الوارد عن خصوص أئمة أهل البيت لكان مجلداً حافلاً.

انتهى كلام الصديق الغماري رحمه الله.

يقول الجلالى: ومن هنا فلأن الاعتماد على (٢٨) حديثاً فقط، ونقدها، يُعتبر عملاً ناقصاً، حتى لو توصل إلى ضعفها جميعاً، لفرض وجود أحاديث كثيرة أخرى لم ينقدها ولم يفحص أسانيداً.

فكيف يدّعي عدم صحة الأحاديث كلها، وكيف يطمئن إلى النتيجة المعتمدة على الاستقراء الناقص؟!

مع أن ابن خلدون نفسه لم يدّع ضعف الأحاديث كلها، بل اعترف بوجود الصحيح - ولو قليلاً - فيها، حيث قال عن أحاديث المهدي التي نقدها ما نصّه: وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل.

ولنعم ما قال الصديق في ردّه: وقد عرفت استنفاذاً - بالحق - لها عن نقده - بالباطل .. وأن نقده لم يبق موجهاً إلا في القليل أو الأقل، عكس ما قال. وعلى فرض تسليم دعواه، وأنه لم يسلم منها إلا القليل أو الأقل منه: فما الشبهة - عنده - في دفع ذلك القليل السالم من النقد؟!

وما الاعتذار عن عدم قبول ذلك الأقل الذي اعترف بصحته؟! وأقرّ بخلاصه من النقد وسلامته؟! إنما هو عناد ظاهر، واختفاء عن الحق واضح، وتكبر عن الإذعان لما لم يوافق الهوى والمزاج. فكم رأينا يحتاج بأحاديث أفراد ليس لها إلا مخرج واحد، وفي ذلك المخرج - أيضاً - مقال! نعم، تلك لا ضررَ فيها على الناصبة.

وهذه الأحاديث المتواترة (في المهدي)، غير موافقة لأصول مذهب النواصب والخوارج.

فلذلك انتقد منها ما وجد له سبيلاً ولو في غير محلّه . . .

يقول الجلالى: والحق أن الشريف أحمد الصديق الماري قد أحفى القول في إثبات الحق في المسألة والردّ على باطل المنكرين للمهدي، بما لا مزيد عليه، وأبدى بطولة في العلم والمعرفة بعلوم الحديث، مع أدب جم وباع

طويل وصدر رحب، بما يجب أن يشكر عليه، جزاء الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

ويا حسرة على الذي يقول لمثل هذا العالم المخلص: إنه «من أنصار القديم لقدمه»!

٢١ - ناصر الدين الألباني الشامي (معاصر) نشر بعنوان (حول المهدي) بحثاً في حقل «من القراء وإليهم» من مجلة (التمدن الإسلامي) الدمشقية، في الجزأين ٢٧ و ٢٨، الصفحة ٦٤٢، للسنة ٢٢.

قال فيه: فليعلم أن في خروج المهدي أحاديث كثيرة صحيحة، قسم كبير منها له أسانيد صحيحة.

ثم أورد قسماً منها، ونقل كلام صديق حسن خان في (الإذاعة) وقال بعنوان: (شبهات حول أحاديث المهدي): إن السيد رشيد رضا وغيره لم يتبعوا ما ورد في المهدي من الأحاديث حديثاً حديثاً، ولا توسعوا في طلب ما لكل حديث منها من الأسانيد.

ولو فعلوا، لوجدوا فيها ما تقوم به (الحجة) حتى في الأمور الغيبية التي يزعم البعض أنها لا تثبت إلا بحديث متواتر.

ومما يدل على ذلك: أن السيد رشيد رحمه الله ادعى أن أسانيدها لا تخلو من شيعي!

مع أن الأمر ليس كذلك على إطلاقه، فالأحاديث الأربعة التي أوردها ليس فيها رجل معروف بالتشيع.

إلى أن يقول الألباني:

وخلاصة القول: إن عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه عليه السلام، يجب الإيمان بها، لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين، كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُؤْتُونَ زَكَاةً وَيَسْتَمِعُونَ وَحْيَ الْمَلَأَ فِي قُلُوبِهِمْ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّهِمْ﴾

وإن إنكاره لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر.

٢٢ - الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد المدني عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة (المعاصر) في محاضرة «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» ألقاها في الجامعة المذكورة، ونشرت في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثالث، من السنة الأولى، لشهر ذي القعدة سنة ١٣٨٨ هـ.

الأول: ذكر أسماء الصحابة الذين روى أحاديث المهدي، عن رسول الله ﷺ وعددهم - عنده - ستة وعشرون.

الثاني: ذكر أسماء الأئمة الذين خرجوا الأحاديث في كتبهم، وعددهم ثمانية وثلاثون، منهم: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، وأحمد، وابن حبان، والحاكم، وابن أبي شيبه، وأبو نعيم الأصفهاني، والطبراني، والدارقطني، وأبو يعلى الموصلي، والبزاز، والخطيب، وابن عساكر، والديلمي، والبيهقي، وغيرهم من الأئمة والمحدثين والعلماء.

الثالث: ذكر الذين أفردوا في مسألة المهدي بالتأليف، وهم: أبو خيثمة، وأبو نعيم، والسيوطي، وابن كثير، وابن حجر المكي الهيثمي، والمتقي الهندي، والملا علي القاري، والشوكاني، والأمير الصنعاني، وغيرهم.

الرابع: ذكر الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي.

الخامس: ذكر بعض ما ورد في الصحيحين (البخاري ومسلم) من الأحاديث التي تبشر بالمهدي، ولها تعلق بشأنه.

السادس: ذكر بعض الأحاديث بشأن المهدي.

السابع: ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي.

الثامن: ذكر من حكى عنه إنكار أحاديث المهدي. مع مناقشة كلامه.

التاسع: ذكر ما يُظنّ تعارضه مع الأحاديث الواردة في المهدي.

العاشر: كلمة ختامية.

وقال في آخر الفصل السابع: وليعلم أن الأحاديث في المهدي قد تلقّتها الأمة من أهل السنة والأشاعرة بالقبول. وردّ على كلام ابن خلدون مفضلاً. وقال في الكلمة الختامية: إن أحاديث المهدي الكثيرة - التي ألف فيها

المؤلفون وحكى تواترها جماعة، واعتقد موجبها أهل السُّنة والجماعة وغيرهم - تدلُّ على حقيقة ثابتة بلا شك من حصول مقتضاها في آخر الزمان . . .

وقال: فلا عبرة بقول من قفا ما ليس له به علم فقال: إن الأحاديث في المهدي لا تصح نسبها إلى رسول الله ﷺ، لأنها من وضع الشيعة! وإذن، فإن أحاديث المهدي على كثرتها وتعدد طرقها وإثباتها في دواوين أهل السُّنة، يصعب كثيراً القول بأنه لا حقيقة لمقتضاها، إلا على جاهل، أو مكابر، أو مَنْ لم يُمعن النظر في طرقها وأسانيدها، ولم يقف على كلام أهل العلم المعتبر بهم فيها.

والتصديق بها داخل في الإيمان بأن محمداً رسول الله ﷺ، لأن من الإيمان به ﷺ تصديقه فيما أخبر به، وداخل في الإيمان بالغيب الذي امتدح الله المؤمنين به، بقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ.

٢٣ - عبد العزيز بن باز السعوديّ الوهابيّ (معاصر) رئيس الجامعة الإسلامي بالمدينة المنورة، في تعليق له على محاضرة الشيخ عبد المحسن العباد، التي ذكرناها آنفاً، نشر في مجلّة الجامعة نفسها، العدد ٣، السنة الأولى ١٣٨٨، في ذيل المحاضرة ذاتها. قال فيه:

أمر المهديّ معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل «متواترة» وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها. وهي متواترة تواتراً معنوياً، لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها، وصحابتها، ورواتها، وألفاظها، فهي - بحق - تدلُّ على أنّ هذا الشخص الموعود به أمره ثابت، وخروجه حق. وقال: وقد رأينا أهل العلم أثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك. والحق أن جمهور أهل العلم، بل هو الاتفاق: على ثبوت أمر المهديّ، وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان. وأما من شدّد من أهل العلم - في هذا الباب - فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك.

٢٤ - وللشيخ عبد المحسن بن حمد العباد - أيضاً - مقال بعنوان (الردّ على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي) نشر في مجلة الجامعة الإسلامية، العددين ٤٥، و٤٦، الأول والثاني من السنة ١٢.

ردّ فيه بحزم وتفصيل على القاضي ابن محمود القطري رئيس المحاكم في دولة قطر، فيما كتبه في رسالة سماها (لا مهدي يُنتظر بعد الرسول خير البشر).

وهو ردّ قويّ، ومتين، ومستوعبٌ لجميع ما عرضه ذلك الكاتب وغيره من البحوث، وأجاب عن اعتراضاته وسليّاته ما نسبته إلى قضية المهديّ.

والنتيجة: إننا - وإن أطلنا الموقف مع هذه القائمة لأسماء من صحّح أحاديث المهديّ فإن الذي قصدناه من هذه الإطالة:

١ - أن يطّلع القراء الكرام على وجهات نظر المصحّحين للحديث، من دون الاقتصار على ما ذكر المضعّفين له.

٢ - أن ندلّ على عدم موضوعية من تعمد إخفاء هذه التصحيحات، وعدم ذكر شيء منها، مع أنه يدعو إلى البحث العلمي الرصين!

مع أن إكمال البحث غير ممكن إذا أغفلنا هذه المجموعة من الآراء وخاصة ما في كتب المتأخرين من المعلومات القيمة.

«فإن كان» المتعمد للإخفاء (لا يدري) عن هذه المعلومات شيئاً (فتلك مصيبة) على علمية البحث الذي يُقدم عليه وحرصاته.

(وإن كان يدري) بها، ولكنه تغافل ولم يذكرها في بحثه (فالمصيبة أعظم) على صدق نيته وإخلاصه وأمانته.

انتهى كلام السيد الجلال.

الفصل الرابع

الإمام المهدي عليه السلام حقيقة تاريخية ودينية وليس فرضية شيعية

- ★ المنكرون لحقيقة وجود المهدي عليه السلام
- ★ تصريحات علماء السنة حول وجود الإمام المهدي عليه السلام
- ★ هفوات وتناقضات المشككين
- ★ ردود علماء السنة على منكري المهدي عليه السلام

الإمام المهدي عليه السلام حقيقة تاريخية ودينية وليس فرضية شيعية

إن المراجعة الدقيقة والخالية من التعصب والحقن والكرامية تثبت لكل باحث في الروايات والأحاديث أنه لا يوجد قضية تسالم عليها الرواة واعتبروها من الحقائق الثابتة التي لا يمكن إنكارها في الفكر الإسلامي مثل قضية الإمام المهدي عليه السلام ومسألة خروجه في آخر الزمان ليرفع لواء الحق والعدل في وجه كل ظالم ومستبد.

ورغم هذا كله لم تسلم هذه القضية من أقلام الحاقدين والمتعصبين، إن لم نقل من كل من عجل جاهداً على تحريف الإسلام وقضاياه لإبعاده عن ساحة الصراع وإيجاد العديد من التشكيكات في أذهان الناس. حيث لا يوجد أي تفسير لإنكار هؤلاء لقضية وجود الإمام عليه السلام سوى الحقن الأعمى والدفين في قلوبهم الذي ورثوه عن أولئك الذين حاولوا القضاء على الدعوة الإسلامية في مهدها، وطمس معالمها، وتزييف حقائقها، فليس مثلهم إلا كمن يحاول أن ينكر وجود نور الشمس في وسط النهار.

وقد تطاولت أقلام الكذب والنفاق لتصف قضية وجود الإمام المهدي عليه السلام بأنها من القصص والخرافات التي ابتدعتها الشيعة وتناولوها بالسخرية والاستهزاء، واعتبروها من موضوعات الشيعة، وهم أكثر الناس علماً بأن الفكر الشيعي وما رواه ثقاتهم من جهابذة العلماء والرواة والمحدثين لم يكن ليدون في الكتب إلا بعد التمهيص والتدقيق في كل رواية، تروى عن النبي وأهل بيته عليهم السلام.

المنكرون لحقيقة وجود المهدي عليه السلام

ومن أجل دحض هذه المزاعم والشبهات نذكر فيما يلي بعض ما كتبه أبادي وأقلام المنكرين لهذه الحقائق مع الإجابة عليها بالتفصيل.

يقول ابن خلدون في مقدمته: «إن الشيعة يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم هو محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه بالمهدي، دخل السرداب بدارهم في الحلة، ويقفون كل ليلة - بعد صلاة المغرب بباب ذلك السرداب - ينتظرون خروجه ويهتفون باسمه ويدعون للخروج»^(١).

وأما ابن حجر العسقلاني الهيثمي فقال في كتابه الصواعق: «إن العسكري لم يكن له ولد، بطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات، فدلّ طلبه أن أخاه لا ولد له، وإلا لم يسعه الطلب...»^(٢).

في مكان آخر من هذا الكتاب يعترف بولادته ويقول: «ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد بن الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن أتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر، قيل لأنه ستر بالمدينة، وغاب فلم يعرف أين ذهب»^(٣).

وقد بلغت الغفلة ببعضهم فالحقه بالأقاصيص والخرافات كما فعل الإسعاف النشاشيبي الذي قال في كتابه الإسلام الصحيح: «إذا كانت سنة أو شيعة أو اعتزالية تقبل الخرافة المهدوية، فالمسلمون المستمسكون بالقرآن ينبذونها نبذاً، ويرفضونها رفضاً، إن مهدي المسلمين وهاديبهم وإمامهم قد ظهر من قبل، والحمد لله، وهو محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن... وكل ذلك هوس، ولم يعقب الحسن المذكور ذكراً ولا أنثى...»^(٤).

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ١٠٩

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي: ص ١٢٤ نقلاً عن الإمام المهدي حقيقة لا خيال للشيخ كاظم المصباح: ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) راجع الإمام المهدي وشبهات المرجفين، السيد القزويني: ص ٢٤.

وذكر صاحب كتاب المهدي عند أهل السنة بعض أقوال هؤلاء ومنهم صاحب كتاب لوائح النوار الذي يقول: «ما زعم الشيعة أن اسمه - يعني المهدي عليه السلام - محمد بن الحسن وأنه محمد بن الحسن العسكري هذيان، فإن محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن عليه السلام»^(١).

وقال القرماني في كتابه (الصراع بين الإسلام والوثنية): «إن أغبى الأغبياء، وأجمد الجامدين هم الذين غيبوا إمامهم في السرداب، وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم، ومن يذهبون كل ليلة بخيولهم وحميرهم إلى ذلك السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ أكثر من ألف عام»^(٢).

وقال ابن كثير في كتابه النهاية: «المهدي الذي يكون في آخر الزمان وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس هو المنتظر الذي تزعمه الرافضة، وترتجي ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ما لا حقيقة له، ولا عين، ولا أثر، ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه دخل السرداب وعمره خمس سنين»^(٣).

وقال في مكان آخر من هذا الكتاب: «يخرج المهدي، ويكون ظهوره في بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعمه جهلة الرافضة، من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان، من كتاب، ولا سنة، ولا معقول صحيح، ولا استحسان»^(٤).

فهذه بعض أقوال من حاولوا أن يثيروا الشبهات في قضية وجود الإمام المهدي عليه السلام.

(١) راجع المهدي عند أهل السنة

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وأول ملاحظة ترد على هؤلاء: أنهم لماذا يوجهون كل هذه التهم، وينسبون هذه الأباطيل إلى الشيعة ويعتبرون أمر المهدي عليه السلام من مزاعم الرافضة وأضاليلهم، ولم يتعرضوا في كلامهم إلى من نطق بالحق واعترف وأقر بوجود ولادة الإمام المهدي بن الحسن عليه السلام من علماء السنة الذين يصعب إحصاؤهم لكثرتهم، وتصريحهم الواضح واعترافهم وعدم إنكارهم لهذه القضية.

فالتحامل على الشيعة لا مبرر له إذا كان السبب في ذلك هو هذا الاعتقاد، وإلا فإنهم كما تحاملوا على الشيعة فليضيفوا على ذلك اتهام كل من اعتقد بهذا الاعتقاد وآمن بهذه القضية.

وكل ما ذكره في أقوالهم لا يستند إلى حقائق علمية أو تاريخية لأنه يُعارض الكمّ الهائل مما سنذكره من أقوال علماء السنة والشيعة فيما يتعلق بهذه القضية.

ومن الملاحظ على هؤلاء الكتاب الماجورين والضالين هو تعمدهم للكذب الذي يفضحون به أنفسهم، حيث تجد في طي كلماتهم ومفترياتهم كلمات وأقوال ينسبونها إلى الشيعة وهم بريئون منها، فضلاً عن عدم وجود قائل بها منهم.

لهذا كله نجد أنه من الضروري أن نذكر بعضاً مما قاله علماء السنة، وقبلها نورد ما قاله العلامة الأميني في كتاب الغدير في جوابه وردّه على صاحب كتاب (الصراع بين الإسلام والوثنية) حيث يقول: «أحببت أن أذكر - يعني ويقصد القرماني - تخليداً لذكره الشريف في هذه الموسوعة القيّمة...»

وفرية السرداب أشنع، وإن سبقه إليها غيره من مؤلفي أهل السنة لكنه زاد في الطنبور نعمات بضم الحميم إلى الخيول وأدعائه إضطراد العادة في كل ليلة واتصالها منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا ترى أن غيبة الإمام في السرداب، ولا هم غيبوه فيه، ولا أنه يظهر منه، وإنما اعتقادهم المدعوم بأحاديثهم أنه يظهر بمكة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحد في السرداب: أنه مغيب ذلك النور، وإنما هو سرداب دار الأئمة بسامراء وإن من المضطرد إيجاد السرايب

في الدور من وقائط الحر، وإنما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ لانتسابه إلى أئمة الدين، وأنه كان مبعوفاً لثلاثة منهم كبقية مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة ﷺ ومشرفهم النبي الأعظم ﷺ في أي حاضرة كانت، فقط أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وليت هؤلاء المتقولين في أمر السرداب اتفقوا على رأي واحد في الأكذوبة حتى لا تلوح عليها لوائح الإفتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة في رحلته: إن هذا السرداب المنزه في الحلة. ويأتي القصيمي من بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سواته. وإني كنت أتمنى للقصيمي أن يجدد هذه العادة بأقصر من (أكثر من ألف عام) حتى لا يشمل العصر الحاضر والأعوام المتصلة به، لأن انتفاءها فيه وفيها بمشهد ومرأى ومسمع من جميع المسلمين، وكان خيراً له لو عزاها إلى بعض القرون الوسطى حتى يجوز السامع وجودها في الجملة، لكن المائن غير متحفظ على هذه الجهات^(١).

تصريحات علماء السنة حول وجود الإمام المهدي ﷺ

أما بالنسبة إلى المعترفين بولادة الإمام المهدي ﷺ فقد أحصى صاحب كتاب «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر ﷺ» من هؤلاء حوالي خمسة وستين ممن صرحوا بوجود ولد للإمام الحسن العسكري ﷺ وأنه المهدي المنتظر ﷺ^(٢).

وأيضاً قام صاحب كتاب «المهدي» المرحوم آية الله السيد صدر الدين الصدر بإحصاء أسماء وكلمات جماعة من علماء السنة من المحدثين والمؤرخين وغيرهم ممن صرح بولادته صريحاً أو التزاماً ومن هؤلاء: الشيخ محيي الدين العربي في الفتوحات المكية - الشيخ عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت والجواهر - المؤرخ ابن الوردي في تاريخه - الشيخ محمد بن يوسف الكنجي

(١) الغدير، العلامة الأميني: ج ٣، ص ٣٠٨.

(٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، الكليايكاني: ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان - ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة - سبط ابن الجوزي في تذكرة الأمة - الشيخ محمد بن طلحة في مطالب السؤول - الشيخ نور الدين علي في الفصول المهمة - السيد الشريف أبو عبد الله محمد سراج الدين في صحاح الأخبار - المؤرخ الشهير ابن خلكان في وفيات الأعيان - المؤرخ ابن الأزرقي في تاريخه - الشيخ العارف سيدي حسن العراقي - الشيخ العارف سيدي علي الخواص - الشيخ محمد خواجه في فصل الخطاب - السيد الشبلنجي في نور الأبصار - الشيخ العالم القندوزي في ينابيع المودة - الفاضل النسابة أبو الفوز محمد أمين البغدادي السويدي في سبائك الذهب - السيد حسين الرفاعي المعاصر أحد أساتذة الجامع الأزهر في كتابه نور الأنوار - الشيخ أحمد الجامي - الشيخ النيسابوري - الشيخ جلال الدين الرومي^(١).

وممن وافق الإمامية على ذلك جماعة آخرون من حفاظ أهل السنة وأعلامهم حسب ما أحصاهم السيد أمير الكاظمي القزويني:

١ - شيخ أهل السنة العارف الخواجة محمد بارسا في كتابه فصل الخطاب على ما في ينابيع المودة، ص ٤٥١، من طبعة اسلامبول التي كانت سنة ١٣٠١ هـ.

٢ - خاتمة الحفاظ عند أهل السنة ابن حجر العسقلاني في كتابه القول المختصر في علامات المهدي المنتظر على ما في ص ٣٢٠ من الفتوحات الإسلامية من جزئه الثاني.

٣ - الحافظ المعروف أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس في أربعينه.

٤ - الحافظ الترمذي في سننه، ص ٤٦ من جزئه الثاني.

٥ - الحافظ أبو داود في صحيحه، ص ٨٧ من جزئه الرابع.

٦ - المفسر الكبير عند أهل السنة النيسابوري في نهاية قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقرة: ٣ من جزئه الأول).

٧ - المؤرخ المعروف ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ص ٣٣٦ من جزئه الرابع.

٨ - الشيخ الشبلنجي في كتابه نور الأبصار، ص ٢٢٨ وما بعدها وأورد الهيتمي في كتابه الفتاوى الحديثة، ص ٢٨ وبعدها، أحاديث كثيرة متواترة في علامات ظهوره، وأنه من أهل البيت ﷺ من ولد فاطمة ﷺ، وأنه ﷺ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

٩ - الشيخ سليمان المعروف بخاجة كلاب البلخي القندوزي في ينابيع المودة، ص ٤١٤ وما بعدها من جزئه الثاني.

١٠ - صاحب عقد الدرر في الباب الثاني في الفصل الأول، والباب الرابع، وفي الفصل الثالث في الباب التاسع والباب السابع والباب الأول والباب الخامس.

١١ - الإمام القرطبي على ما في ص ٤٧٥ من دائرة المعارف من جزئه العاشر.

١٢ - الشيخ الثعالبي على ما في ص ٤٠٤ من ثمار القلوب قال عند ذكره دابة الأرض: «فهي تضرب مثلاً للمنتظر البطيء الحضور، وتذكر مع ظهور مهدي الشيعة ونزول عيسى ﷺ وطلوع الشمس، وقد ذكرها أبو الفتح اليمني».

١٣ - الإمام أحمد بن حنبل في مسنده في الصفحات: ١٧ و ٢٧ و ٢٨ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٢ من جزئه الثالث، وفيه عن النبي ﷺ أنه قال: «المهدي من أهل بيتي».

١٤ - شيخ الحديث البخاري في صحيحه من جزئه الثاني في باب نزول عيسى بن مريم، وفيه أنه ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم عيسى بن مريم وإمامكم منكم؟».

١٥ - العسقلاني في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ص ٣١٧ من جزئه السادس، الذي رفعه وهو: «كيف أنتم إذا نزل فيكم عيسى بن مريم وإمامكم منكم؟»، وهو لا ينطبق إلا على الإمام المنتظر ﷺ بقرينة الأحاديث المتواترة عند المسلمين أجمعين.

- ١٦ - الحاكم النيسابوري في مستدركه، ص ٥٥٧ و ٥٥٨ من جزئه الرابع، وصححه على شرط البخاري ومسلم.
 - ١٧ - الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرک، ص ٥٥٧ و ٥٥٨ من جزئه الرابع، وقال بصحته على شرط الشيخين.
 - ١٨ - الشيخ نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الدشتي الحنفي المعروف بالملام جامي، شارح كفاية ابن الحاجب، في كتابه شواهد النبوة.
 - ١٩ - الشيخ عبد الحق الدهلوي الحنفي في رسالته التي أفردها لمناقب الأئمة من أهل البيت عليه السلام.
 - ٢٠ - الحافظ عبد الله بن أحمد بن محمد، المعروف بابن الخشاب، في كتابه تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم.
 - ٢١ - الحافظ شهاب الدين بن عمر الهندي في كتابه الموسوم بهداية السعداء.
 - ٢٢ - الشيخ الفضل بن روزبهان في كتابه الذي سماه: إبطال نهج الباطل في الرد على نهج الحق للعلامة الحلبي.
 - ٢٣ - إمام النسابة وشيخهم، المعول عليه عند أهل السنة في علم النسب، سهل بن عبد الله، في كتابه السلسلة العلوية وأنساب الطالبين.
 - ٢٤ - الشيخ الشريف العبدلي، صاحب التذكرة في علم النسب عند أهل السنة.
 - ٢٥ - الحافظ أبو نعيم في أربعينه، فإنه نقل أربعين حديثاً في المهدي المنتظر عليه السلام وروى تولده.
 - ٢٦ - الشيخ ابن خلكان في كتابه وفیات الأعيان.
 - ٢٧ - الحافظ الذهبي في تاريخه.
 - ٢٨ - الشيخ ابن الوردي في تاريخه.
 - ٢٩ - الحافظ المتقي في كتابه المرقاة.
 - ٣٠ - الشيخ عبد الرحمن البسطامي في كتابه درة المعارف.
- إلى كثير غيرهم من العلماء والحفاظ عند أهل السنة، كلهم مجمعون على

تولده وثبوت غيبته، وأنه يظهر في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، على حد تعبير رسول الله ﷺ، ما لو أردنا نقلها لضاق بها صدر هذا الكتاب.

وقد جمع العلامة النوري، من علماء الشيعة، أقوال من وافق الإمامية في ذلك في كتاب سماه: كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار، وقال ابن الصبّاغ المكي المالكي في ص ٣١٠ من فصوله المهمة: «إن صفته - رضي الله عنه - شاب مربوع القامة، حسن الوجه، والشعر يسيل على منكبيه، أقرنى الأنف، أجلى الجبهة»^(١).

هفوات وتناقضات المشككين:

هل يمكن القول بعد سرد أقوال هذا العدد الهائل من العلماء والرواة والمحدثين والمؤلفين من علماء أهل السنة الذين اعتبروا قضية الإمام المهدي عليه السلام من البديهيّات والمسلمات في الإسلام هل يمكن بعد ذلك إتهام الشيعة بأنهم قد وضعوا هذه الأحاديث أو أنها من اختراعاتهم واختلافهم.

فلا ندري كيف استطاع البعض أن يعتبر ذلك من مختصات الفكر الشيعي وكأنه لم يقرأ أي كتاب لغير الشيعة، حتى أدى هذا الأمر لدى البعض أن يقع في تناقض واضح في كلماته وأحاديثه التي افترى فيها على الشيعة وكمثال على ذلك.

يقول الأستاذ السائح علي حسين في مقالة له نُشرت في مجلة (كلية الدعوة الإسلامية) في ليبيا تحت عنوان: (تراثنا وموازن النقد) ص ١٨٥ العدد العاشر: «وقد تقبّل الفكر الشيعي سيلاً من الأساطير والأحاديث الموضوعية عن طريق الموالي، وتسرب بعض منه إلى محدثي أهل السنة، الذين تساهلوا في الرواية عن أصحاب الفرق المخالفة».

فهو هنا في كلامه حكم على الفكر الشيعي بتقبل الأساطير والأحاديث فيما يرويه من أحاديث، وإن هذه الأساطير قد نقلها الشيعة إلى بعض أهل السنة.

(١) الإمام المتظر وشبهات المرجفين، أمير محمد الكاظمي القزويني: ص ٢٠ - ٢٤.

ونحن لا نريد أن نناقش هذا الأستاذ أو نردّ عليه إلا بما ذكره نفسه كشاهد أو كدليل أوضح على عدم صحة ما ذكره حيث يقول بعد هذا الكلام: «تُمكن الإشارة إلى ضخامة هذا الركام الذي رواه أهل السنة وحدهم».

ثم يقول بعد ذلك: «أشير إلى أن الكثير من هذه الأحاديث مخرج في الصحاح باستثناء البخاري ومسلم! - كما خرّج بعضها الحاكم في المستدرک، وابن حنبل في مسنده، بالإضافة إلى سنن الدارمي، ونعيم بن حماد، وغيرها كثير».

ولا حاجة إلى التعليق على هذا، بعد وضوح التهافت بين كون الأحاديث (موضوعة) وتسرّب (البعض) منها إلى (المتساهلين) من أهل السنة وبين كون (الكثير) من هذه الأحاديث مخرجاً في (الصحاح) لما بين (الموضوعية) وبين (الصحاح) وبين (البعض) المتسرّب، وبين (الكثير) المخرج من التهافت والتنافي^(١).

وقد وقع ابن خلدون في نفس هذا التهافت والتناقض حيث كان أهم ما أخذه علماء الحديث عليه هو أنه يستهل الفصل الذي يعقده حول الإمام المهدي عليه السلام بالقول: «إعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل...»^(٢).

ثم بعد ذلك يشكك في الأحاديث ويضعفها، وكان الأحرى به أن يعتبر الشهرة دليلاً على الصحة بوجه عام.

ومن الردود الهامة والمعتبرة على ما ذكره ابن خلدون ما قاله الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حيث وصفه «بأنه من الإخباريين الذين هم ليسوا من أهل الاختصاص».

(١) انظر المهدي في أحاديث المسلمين حقيقة ثابتة، محمد رضا الحسيني الجلالي: ص ٢٣ - ٢٦.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ص ٢٤٦.

ثم قال في رده على الشبهة التي أثارها ابن خلدون، والجواب:

أولاً: إن ابن خلدون اعترف بسلامة بعضها من النقد، إذ قال بعد إيراد الأحاديث في المهدي عليه السلام: «فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي عليه السلام وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه»، على أن ابن خلدون فاته الشيء الكثير من الأحاديث، يعني أنه أورد بعض ما ورد في المهدي من الأحاديث وأوهم قارئه في عبارته السابقة أنه أورد جملتها.

ثانياً: إن ابن خلدون مؤرخ وليس من رجال الأحاديث فلا يعتد به في التصحيح والتضعيف. ووافقه في ذلك الشيخ محمد جعفر الكتاني في «نظم المتناثر» ص ١٤٦، والشيخ جسوس في «شرح الرسالة»، فأكد عدم الاعتداد بابن خلدون في علم الحديث، وعدم الإعتناء بتصحيحه وتضعيفه، ومثلهم في ذلك الشيخ أحمد شاکر في تخريجه لأحاديث مسند أحمد بن حنبل في المجلد الخامس ص ١٩٧، فقال: «أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم، واقتحم فحماً لم يكن من رجاله».

وقال: «إن ابن خلدون لم يحسن فهم قول المحدثين: (الجرح مقدم على التعديل ولو اطلع على أقوالهم وفقها ما قال شيئاً مما قال)»^(١).

وذهب البعض الآخر في الردّ على ابن خلدون إلى القول بأن أحاديث المهدي بلغت حدّ التواتر، وحكم التواتر وطريقة معالجته ليسا كحكم أحاديث الآحاد ومعالجتها، إذ أنه في المتواتر لا يبحث عن الجرح والتعديل كما في أخبار الآحاد.

وقد ذهب إلى هذا أبو الفيض الغماري في كتابه (إبراز الوهم المكنون في كلام ابن خلدون) إذ يقول: «الا وأن في أعلامها الصريحة وأشراتها الثابتة الصحيحة ظهور الخليفة الأكبر والإمام العادل الأشهر... فقد تواترت بكون

(١) راجع الإمام المهدي عليه السلام وأدعياء الباية والمهدوية، عدنان البكاء، ص ٤٦ - ٤٧.

ظهوره من أشراط الساعة ومن شروطها الأخبار، وصحت عن رسول الله ﷺ في ذلك والآثار، ففي التذكرة للإمام القرطبي وفتح الباري للعسقلاني نقلاً عن الحافظ أبي الحسين الآبري أنه قال ما نصه: ... تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ في المهدي وأنه من أهل بيته ... وممن نص على تواتر أحاديث المهدي أيضاً الحافظ شمس الدين السخاوي في فتح الغيب والحافظ جلال الدين السيوطي في الفوائد المتكاثرة...».

ويتابع الكاتب ذكر من شهدوا بالتواتر فيسمي كلاً من العلامة ابن حجر الهيتمي والمحدث الزرقاني والفنوجي والشوكاني. ويستنتج من هذا كله أنه:

«قد كثر في الناس اليوم من يخفى عليه هذا التواتر ويجهله ويبعده عن صراط العلم جهله، ويضله من ينكر ظهور المهدي وينفيه ويقطع بضعف الأحاديث الواردة فيه مع جهله بأسباب التضعيف وعدم إدراكه معنى الحديث الضعيف، وتصور مبادئ هذا العلم الشريف، وفراغ جرابه من أحاديث المهدي الغنية بتواترها عن البيان لحالها والتعريف.

وإنما استناده في إنكاره مجرد ما ذكره ابن خلدون في بعض أحاديث من العلل المزورة المكذوبة ولمز به ثقات روايتها من التجريحات الملفقة المقلوبة، مع أن ابن خلدون ليس له في هذه الرحاب الواسعة مكان، ولا ضرب له بنصيب ولا سهم في هذا الشأن، ولا استوفى منه بمكيال ولا ميزان»^(١).

وأما ابن حجر فإننا نسأل عن الكلام الذي قاله في معرض إنكاره لوجود الإمام المهدي ﷺ والذي ذكرناه في صدر هذا الفصل وعن كلامه التالي والمذكور في كتابه (الصواعق): «الآية الثانية عشرة قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَآتٍ لِّسَاعَةٍ﴾ قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين إن هذه الآية نزلت في المهدي، وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي، وحيثن في

(١) أبو الفيض الغماري المغربي، إبراز الوهم المكنون في كلام ابن خلدون مطبعة الترقى بدمشق، ص ٢٣٧، نقلاً عن المهدي المتظر بين الدين والفكر البشري، د. محمد طي، ص ٢٥.

الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة وعلي رضي الله عنهما، وأن الله ليُخرج منهما كثيراً طيباً، وإن يجعل من نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة. وسر ذلك أن النبي ﷺ أعادهما وذريتهما من الشيطان الرجيم، ودعا لعلي بمثل ذلك. وشرح ذلك كله يعلم بسياق الأحاديث الدالة عليه^(١).

فانظر وتأمل في هذا الكلام عن ذرية النبي ﷺ ومدحه لنسل علي وفاطمة عليه السلام هل يتوافق مع كلامه السابق عن الإمام المهدي؟!

ونفس الايراد نذكره على ابن كثير حيث يقول كلاماً يتناقض مع كلامه السابق في النهاية فيقول: «فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان، وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين... فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وأنه يكون في آخر الدهر...».

وقال تعقيباً على حديث «تخرج من خراسان رايات سود فلا يرؤها شيء حتى تُنصَبَ بإيلياء» وهذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بين أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بل رايات سود أخرى تأتي صحبة المهدي، وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسيني رضي الله عنه، يصلحه الله في ليلة واحدة... ويؤيده ناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سوداً أيضاً وهو زِيٌّ عليه الوقار لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء ويقال لها العقاب...^(٢).

واستكمالاً للبحث حول ما ذكره بعض المشككين والمنكرين لقضية الإمام المهدي عليه السلام نستعرض كلمات ومواقف من لم يعترف بهذه القضية ووقف منها موقفاً سلبياً ومن هؤلاء.

رشيد رضا في تفسير المنار الذي يعتبر أن السبب الذي دفع الشيعة إلى القول بوجود الإمام المهدي عليه السلام هو الخلاف بين الشيعة والسنة حيث يقول:

(١) الصواعق المحرقة، ص ٤٢٠.

(٢) البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٩٦، ٣٠١ - ٣٠٢.

«وسبب الخلاف أن الشيعة كانوا يسمون لجعل الخلافة في آل الرسول ﷺ في ذرية علي عليه السلام ويضعون الأحاديث تمهيداً لذلك ففطن لهذا الأمر العباسيون فاستمالوا بعضهم. ورأى أبو مسلم الخراساني وعصبيته أن آل علي يغلب عليهم الزهد وأن بني العباس كبني أمية في الطمع في الملك، فعمل لهم توسلاً بهم إلى تحويل عصبية الخلافة إلى الفرس تمهيداً لإعادة المجوسية. وحينئذ وضعت أحاديث المهدي مشيرة إلى العباسيين مصرحة بشاراتهم السوداء.

ولما انقضى أمر بني العباس وكانت الأحاديث قد دوت، لم يسع القائلين بظهور المهدي إلا أن يقولوا: «إن الرايات السوداء هي غير رايات بني العباس. على أن خصومهم قد رروا في معارضتها روايات ناطقة بأن رايات المهدي تكون صفراء، وروايات في أن ظهوره من المغرب لا من المشرق»^(١).

ومنهم أحمد أمين في ضحى الإسلام حيث يقول: «وفكرة المهدي هذه لها أسباب سياسية، واجتماعية ودينية ففي نظري أنها نبعت من الشيعة وكانوا هم البادئين باختراعها وذلك بعد خروج الخلافة من أيديهم... واستغل هؤلاء القادة المهرة أفكار الجمهور الساذجة المتحمسة للدين والدعوة الإسلامية، فأتوهم من هذه الناحية الطاهرة، ووضعوا الأحاديث يروونها عن رسول الله ﷺ في ذلك، وأحكموا أسانيدها وأذاعوها، فصدقها الجمهور الطيب، وسكت رجال الشيعة لأنها في مصلحتهم...»

إلى أن يقول: حديث المهدي هذا حديث خرافة، وقد ترتب عليه نتائج خطيرة في حياة المسلمين... إمتلأت عقول الناس بأحاديث تروى وقصص تقص، ونشأ باب كبير في كتب المسلمين اسمه الملاحم... وجعلت هذه الأشياء كلها أحاديث، بعضها نسبوه إلى النبي ﷺ وبعضها إلى أئمة أهل البيت، وبعضها إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه، وهكذا، وكان لكل ذلك أثر سيئ في تضليل عقول الناس وخضوعهم للآوهام، كما كان من أثر ذلك الثورات المتتالية في تاريخ المسلمين، ففي كل عصر يخرج داعٍ أو دعاة كلهم

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج ٩، ص ٤٩٩ - ٥٠٤.

يزعم أنه المهدي المنتظر، ويلتف حوله طائفة من الناس... وهذا كله من جراء نظرية خرافية هي نظرية المهديّة، وهي نظرية لا تتفق وسنة الله في خلقه ولا تتفق والعقل الصحيح^(١).

ردود علماء السنة على منكري المهدي عليه السلام

الهفوات والتناقضات التي وقع فيها المشككون في قضية الإمام المهدي عليه السلام ليست هي الأمر الوحيد الذي يعكس زيف أقوالهم وضلالة عقائدهم وانحرافهم عن جادة الصراط المستقيم. وليس الإجماع بين علماء المذاهب أيضاً هو دليل يُضاف إلى أدلة المعتقدين بالمهدي عليه السلام. ولا المؤلفات التي كتبها علماء الشيعة وغيرهم، أو الردود والمناقشات التي ذكروها في مصنفاتهم هي وحدها الرد الكافي على هؤلاء المشككين.

بل إن من الجدير ذكره هنا بعد استعراضنا لبعض كلمات هؤلاء أن نفي القاري العزيز بأن من ردّ على هذه الكتب والمقالات المضلّة وفضح أكاذيب مؤلفيها لم يكونوا من الشيعة فحسب، بل قام العديد من علماء السنة - فضلاً عن علماء الشيعة - بالتصدي لهذه الشكوك ودحضها لإثبات وتأكيد الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام.

ومن هذه الردود التي كتبها علماء ومفكري السنة على منكري المهدي المنتظر عليه السلام، ومكذبي الأحاديث المروية فيه:

١ - إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: لأبي الفيض السيد أحمد بن محمد بن صديق الغماري الشافعي الأزهرى المغربى (المتوفى ١٣٨٠) - مطبعة الترقى، دمشق ١٣٤٧.

٢ - إبراز الوهم من كلام ابن حزم: لأحمد بن صديق الغماري، المؤلف السابق ذكره، طبعة ١٣٤٧، مطبعة الترقى، دمشق.

٣ - الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر:

(١) ضحى الإسلام، أحمد أمين: ج ٣، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

للشيخ حمود بن عبد الله التويجري، من أساتذة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ردّ على الشيخ ابن محمود القاضي بقطر، في مجلدين طبع المجلد الأول في ١٣٩٤ والثاني في ١٣٩٦ في الرياض.

٤ - إلى مشيخة الأزهر: للشيخ عبد الله السبيتي العراقي، ردّاً على (المهدوية في الإسلام) سعد محمد حسن، ط ١٣٧٥هـ، دار الحديث، بغداد.

٥ - تحديق النظر في أخبار الإمام المنتظر: للشيخ محمد عبد العزيز بن مانع (١٣٨٥)، في إثبات أحاديث الإمام المهدي والردّ على أقوال ابن خلدون.

٦ - الجزم لفصل ابن حزم: في الرد على ابن حزم الذي خصص في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) قسماً لإنكار وتكذيب الأحاديث المتعلقة بالمهدي المنتظر. وقد كتب الشيخ كاظم الحلي (المولود حوالي ١٣٠٠) هذا الرد في مجلدين ضخمين ونشره (الذريعة ٥ - ١٠٤).

٧ - الردّ على من كذّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي: لعبد المحسن العباد، أستاذ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وعضو الهيئة العلمية هناك، وقد نشرت هذه المقالة في مجلة الجامعة العدد ٤٥ ص ٢٩٧ - ٣٢٨ والعدد ٤٦ ص ٣٦١ - ٣٨٣.

وتعتبر أعمق بحث حديثي وتاريخي حول المهدوية وقيام المهدي المنتظر، ردّاً على كتاب (لا مهدي ينتظر بعد الرسول سيد البشر) للشيخ محمد القطري، وتختص المقالة بالبحث في أصالة المهدوية وقيام المصلح العالمي. أما في مسألة ولاية الإمام المهدي وكونه حسينياً فإن كاتب المقالة قد خالف رأي الشيعة ورأي ما يزيد على مائة من علماء السنة الذين شهدوا بهذين الموضوعين.

٨ - مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية: محمد أمين زين الدين، مطبعة دار النشر، النجف الأشرف، ١٣٧١هـ - ١٩٥١م.
المهدي وأحمد أمين: لمحمد علي الزهيري النجفي، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، النجف الأشرف.

- ١٠ - نقد الحديث بين الاجتهاد والتقليد: للسيد محمد رضا الحسيني في الرد على علي حسين سائح الليبي، الطبعة الثانية بمدينة قم ١٤١٧ هـ.
- ١١ - الوهم المكنون في الرد على ابن خلدون: لأبي العباس بن عبد المؤمن المغربي.
- ١٢ - هدى الغافلين إلى الدين المبين: للسيد مهدي صالح كشوان القزويني، جاء هذا الكتاب في الرد على شبهات ابن حزم حول المهدوية والإمام المهدي، وتم تأليفه سنة ١٣٢٥^(١).

(١) راجع أصالة المهدوية في الإسلام، مهدي فقيه غيماني: ص ١٥ - ١٦ - ١٧.

الفصل الخامس

الإمام المهدي عليه السلام أوصافه وخصائصه

- ★ أسماؤه وألقابه
- ★ لماذا النهي عن التسمية باسمه
- ★ صفات المهدي عليه السلام
- ★ أوصافه في أقوال النبي صلى الله عليه وآله
- ★ خصائص الإمام المهدي عليه السلام

الإمام المهدي ﷺ أوصافه وخصائصه

أسماءه وألقابه:

ورد في الأحاديث الشريفة عن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ ما يشير إلى أن للإمام المهدي ﷺ أسماء وألقاب متعددة شأنه في ذلك شأن كل عظماء أهل البيت ﷺ .

فها نحن نجد تعدد أسماء النبي ﷺ والإمام علي ﷺ وسائر الأئمة الأطهار ﷺ .

أما اسمه الحقيقي فهو محمد بن الحسن العسكري ﷺ وهو الاسم الذي سماه إياه رسول الله ﷺ ، ففي الحديث عنه ﷺ يقول:

«يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً فذلك هو المهدي»^(١).

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال:

«اسم المهدي اسمي»^(٢).

أما سائر الأسماء والألقاب فقد وردت وجاء معها بيان السبب في إطلاقها عليه ونحن نشير إلى جملة منها:

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، الصافي الكليايكاني: ص ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

١ - المهدي:

فعن أبي سعيد الخراساني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المهدي والقائم واحد؟ فقال: نعم، فقلت: لأي شيء سمي، قال عليه السلام:

«لأنه يهدي إلى كل أمر خفي وسمي القائم لأنه يقوم بعدما يموت، إنه يقوم بأمر عظيم»^(١).

وفي حديث آخر عنه عليه السلام:

«وإنما سمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل جاء فيه:

«فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله فإنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر خفي يستخرج التوراة وسائر كتب الله من غارٍ بأنطاكية فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان»^(٣).

وقد أضفي هذا اللقب الكريم على النبي محمد ﷺ يقول حسان بن ثابت في رثائه له:

ما بال عيني لا تنام كأنما كحللت مآقيها بكحل الأرمـد
جزعاً على المهدي أصبح ناوياً يا خير من وطأ الحصى لا تبعـد^(٤)
وكان من دعاء النبي ﷺ:

«الله زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهدين»^(٥).

(١) البحار: ج ٥١، ص ٣٠، ح ٦، والنية، للطوسي: ص ٤٧١، والارشاد، للمفيد: ص ٣٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ٥١، ص ٣٠، ح ٧.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٩، ح ٢.

(٤) ديوان حسان بن ثابت (ص ٩٧).

(٥) مستد الإمام أحمد، ج ٤، ص ٢٦٤.

وقد اختص هذا اللقب الكريم بالإمام المنتظر ﷺ، فإذا أُطلق لا ينصرف على غيره كما ذكر ابن منظور^(١) والزبيدي^(٢).

٢ - القائم:

فهو الذي يقوم بأعظم ثورة في التاريخ البشري، فيدحض الباطل ويهدم عروش الظالمين، وثورته ثورة حق.

فمن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«سُمي (القائم) لقيامه بالحق»^(٣).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سألت الإمام الباقر عليه السلام: يا بن رسول الله أستم كلكم قائمين بالحق؟

قال: بلى.

قلت: فلما سُمي القائم قائماً؟

قال عليه السلام:

«لما قُتل جدي الحسين عليه السلام ضجعت الملائكة إلى الله عز وجل بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيدنا أتغفل عمن قتل صفوتك وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك، فأوحى الله عز وجل إليهم قروا ملائكتي فوعزني وجلالي لأنتقم منهم ولو بعد حين ثم كشف الله عز وجل عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة فسرت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال الله عز وجل: بذلك القائم أنتقم منهم»^(٤) - أي من قلة الحسين عليه السلام.

(١) تاج العروس، ج ١، ص ٤٠٩.

(٢) لسان العرب، ج ٣، ص ٧٨٧.

(٣) البحار: ج ٥١، ص ٣٠، ح ٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥١، ص ٢٨، ح ١.

٣. المنتظر:

فالمؤمنون المخلصون في حالة ترقب وانتظار لظهوره وخروجه من غيبته ليملا الأرض قسطاً وعدلاً.

فقد سُئِلَ الإمام محمد الجواد عليه السلام : يا بن رسول الله ولم سُمي القائم؟ قال:

«لأنه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته».

فقليل له ولم سُمي المنتظر؟

قال عليه السلام:

«لأن له غيبة تكثر أيامها ويطول أمدُها فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون ويكثر فيها الوقتون ويهلك فيها المستعجلون وينجو فيها المسلمون»^(١).

٤. المؤمل:

فقد زعم الظالمون لآل بيت محمد عليهم السلام أنهم سيقدرّون على قطع ذريتهم حتى لا يولد الإمام المهدي عليه السلام، والمؤمنون يتأملون ويترقبون الوعد الإلهي بتحقيق حلم المستضعفين في الأرض. قال الإمام العسكري عليه السلام حين وُلِدَ الحجة عليه السلام:

«زعم الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل فكيف رأوا قدرة الله، وسماء المؤمل»^(٢).

٥. صاحب الأمر:

تسميته بصاحب الأمر تأتي في السياق العام لألقاب أئمة أهل البيت عليهم السلام

(١) المصدر السابق، ص ٣٠، ح ٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠، ح ٥.

فكل إمام معصوم في عصر ولايته وزمان إمساكه بزمام الأمور يكون هو صاحب الأمر لأنه يكون الإمام الحق الذي فرض الله تعالى طاعته على العباد في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) وأولي الأمر كما جاء في الأحاديث الشريفة هم أئمة أهل البيت عليهم السلام ولكن هذا اللقب اشتهر به الإمام المهدي عليه السلام أكثر من غيره من الأئمة عليهم السلام.

٦. الحجة:

ويسمى الحجة لأنه حجة الله على العالمين وبه يحتج الله تعالى على خلقه.

٧. بقية الله:

رُوي في غيبة (الفضل بن شاذان) عن الإمام الصادق عليه السلام في ضمن أخبار القائم عليه السلام أنه قال:

«فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وأول ما ينطق به هذه الآية: ﴿يَقِئْتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) ثم يقول: أنا بقية الله، وحجته، وخليفته عليكم فلا يسلم عليه مسلم إلا قال: (السلام عليك يا بقية الله في أرضه)».

وروى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن عمر بن ذاهب قال: قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام: نسلم على القائم بأمره المؤمنين؟ قال عليه السلام: «لا، ذلك اسم سمي به أمير المؤمنين عليه السلام لا يُسمى به أحد قبله ولا بعده إلا كافر».

قال: فكيف نسلم عليه؟

قال: «السلام عليك يا بقية الله».

قال: ثم قرأ جعفر عليه السلام: ﴿يَقِئْتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٦.

(٣) النجم الثاقب في أحوال الحجة الغائب، النوري، ج ١، ص ١٧٣.

٨. صاحب الزمان:

وهو من ألقابه المشهورة والمعروفة، ويعني أمر وحاكم الزمان من قبل الله عز وجل.

وروى الحسين بن حمدان عن الريان بن الصلت أنه قال: سمعت الرضا علي بن موسى عليه السلام يقول:

«القائم المهدي عليه السلام ابن ابني الحسن لا يرى جسمه، ولا يُسمى باسمه بعد غيبته أحد حتى يراه ويُعلن باسمه فيسمعه كل الخلق. فقلنا له: يا سيدنا فإن قلنا صاحب الغيبة، وصاحب الزمان والمهدي؟ قال: هو كله جائز مطلقاً، وإنما نهيتكم عن التصريح باسمه الخفي عن أعدائنا فلا يعرفوه»^(١).

وقد ذكر الشيخ علي البيزدي الحائري في كتابه إلزام الناصب مائة وستة وثمانين اسماً ولقباً وكنية للإمام المهدي عليه السلام فراجع^(٢).

وكذلك ذكر المحدث الشيخ حسين الطبرسي النوري (قدس سره) في كتابه النجم الثاقب ثمان وثلاثين اسماً للإمام المهدي عليه السلام. فيمكن للقارى مراجعتها والإطلاع عليها.

لماذا النهي عن التسمية باسمه:

ورد في كتب الأحاديث ما يشير منها بصراحة إلى النهي والحظر عن التسمية باسم المهدي عليه السلام، حتى أن بعضها الوارد عن صاحب الزمان عليه السلام يلعب فيه من يسميه في محفل من الناس.

وقد ذكرت هذه الروايات العلل التي من أجلها ورد هذا النهي. ونحن بعد عرضنا لطائفة من هذه الروايات سنرى أنها قد اختصت بزمان غير زماننا، وأنه متى انتفت هذه العلل التي تمنع من التسمية باسمه عليه السلام ارتفع النهي.

(١) المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٢) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، البيزدي الحائري، ج ١، ص ٤٨١.

فمن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي قال: سألت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾^(١) فقال عليه السلام:

«النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب».

فقلت له: ويكون في الأئمة من يغيب؟

قال عليه السلام:

«نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره، وهو الثاني عشر منا، يسهل الله له كل عسير، ويذل له كل صعب، ويظهر له كنوز الأرض، ويقرب له كل بعيد، ويبعد به كل جبار عنيد، ويهلك على يده كل شيطان مريد، ذلك ابن سيدة الإمام الذي تخفى على الناس ولادته، ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره الله عز وجل فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال:

«عند ذكر القائم عليه السلام يخفى على الناس ولادته ولا يحل لهم تسميته»^(٣).

وعن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه قال في القائم عليه السلام:

«لا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٤).

وعن علي بن عاصم الكوفي قال: خرج في توقيعات صاحب الزمان:

«ملعون ملعون من سماني في محفل من الناس»^(٥).

(١) سورة لقمان، الآية ٢٠.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ج ٢، ص ٣٦٨، ح ٦.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٥١، ص ٢٢، ح ٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣، ح ٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣، ح ٩.

وعن محمد بن عثمان العمري (أحد السفراء) قال: خرج توقيع بخط
أعرفه:

«من سماني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله»^(١).

فالم تأمل في مجموع الروايات الواردة في هذا الشأن يظهر له منها أن
المراد من النهي عن التسمية هو فيما إذا ترتب عليه مفسدة من جهة التقية
كما كان كذلك قبل غيبته الكبرى، وأما في زماننا هذا فلا يترتب عليه مفسدة
أو ضرر لأن الضرر المتصور إما خوفاً على الإمام وهو مفقود في هذا العصر
إذ لا يقدر أحد أن يظفر به عليه السلام وإما خوفاً على القائل الذاكر اسمه وهو
أيضاً مفقود ويؤيد ذلك ما عن علي بن محمد عن أبي عبد الله الصالح
قال: سألتني أصحابنا بعد مضي أبي محمد عليه السلام (أي الإمام
المعسكري عليه السلام) أن أسأل عن الاسم والمكان فخرج الجواب: إن دللتم
على الاسم أذاعوه وإن عرفوا المكان دلوا عليه^(٢).

وفي رواية عن محمد بن عثمان العمري (في حديث) أنه قيل له: أنت رأيت
الخلف؟ قال: أي والله... فقيل له: فالاسم؟ قال: محرم عليكم أن تسألوا عن
ذلك ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل ولا أحرم ولكن عنه عليه السلام فإن
الأمر عند السلطان: إن أبا محمد مضى ولم يخلف ولدأ... وإذا وقع الاسم
وقع الطلب فاتقوا الله وامسكوا عن ذلك^(٣).

فيستفاد من أمثال ذلك اختصاص النهي عن التسمية بما إذا كان مظنة التقيّة
والمفسدة بحيث لو عرفوا الاسم لدلّوا على مكانه ووقع الطلب وخاصة إذا كان
في محفل من الناس، وهذا الضرر لا يتصور في زماننا هذا. فلم لا يجوز
للمؤمنين أن يسمّوه ويتبرّكوا باسمه ويتشرفوا بذكر اسمه؟!

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣، ح ١٠.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٥١، ص ٣٣، ح ٨.

(٣) الوسائل، الحر العاملي، ج ١١، باب تحريم تسمية المهدي عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام.

صفات المهدي ﷺ:

الإمام المهدي ﷺ في المنظور الإلهي هو الولي والخليفة والقائد الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى وادخره لذلك اليوم الموعود حيث تنتظر البشرية رؤية سيادة الحكومة الإلهية العادلة والشاملة لأرجاء الكون. فهو كما ورد في دعاء العهد المروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«معمّر البلاد ومحبي العباد الذي لا يظفر بشيء من الباطل إلا مرّقه ويحق الحق ويحققه، وهو الناصر لمن لا ناصر له، والمجدّد لما عُطل من أحكام كتاب الله، والمشيّد لما ورد من أعلام الدين وسنن النبي الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ».

فبعدما أرسل الله أنبياءه ورسله مبشرين ومنذرين وكان خاتمهم وأعظمهم النبي محمد ﷺ الذي جاء للناس بهذا الدين لينقذهم من الشرك والضلال ويرفعهم فوق سائر الأمم، رأينا كيف حارب أهل الشرك والنفاق هذا النبي ورسالته، وكيف امتدّت يد الإثم والبغي لتمنع وصول بركات هذا الدين إلى البشرية جمعاء. فخسر الناس وخصوصاً من لم يقف مدافعاً عن هذا الدين ولم يحاول حمايته وصيانيته. فكانت النتيجة أن حُرِمَ الناس من تطبيق حكم الله على الأرض وسيادة دولة العدل والمساواة بين الناس.

لهذا كان الوعد الإلهي الحتمي والقطعي الذي لا تشوبه أية شائبة ولا يدخل إليه الشك والريب بأن يحقق الله سبحانه وتعالى حُلم الأنبياء ويُريهم آثار جهادهم وعذاباتهم وتضحياتهم التي قاموا بها من أجل سعادة البشرية وذلك من خلال آخر أوصياء النبي الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ، فشاءت العناية الإلهية بأن يبقى الإمام الثاني عشر وصي الإمام الحسن العسكري الخليفة والقائد الذي يدير شؤون الأمة ويرعى مصالحها ويحفظ لها دينها من خلف الستار فيرى الناس ولا يرونه، ويعمل من دون أن يشعر الناس بوجوده.

ولأن طبيعة قيادته للأمة تختلف عن قيادة الأئمة السابقين وحتى لا يدخل الشك والريب إلى قلوب البعض، ولكي يستطيع الموالي له معرفته حق

المعرفة، ولأن الكثيرين حاولوا الإدعاء بأنهم هم أصحاب هذا الشرف كان لا بد من أن يتعرّض النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام من بعده إلى ذكر بعض الخصائص والمميزات والمواصفات التي تكون حدّاً فاصلاً لتمييز الإمام المهدي عليه السلام عن غيره ولو على مستوى الشكل والجسم ليكون ذلك حاجزاً قوياً أمام من سوّلت له نفسه أن يدّعي ما ليس له.

والعلامات الواردة في الأحاديث الشريفة للإمام المهدي عليه السلام تُعتبر من العلام التي لا تجتمع في غيره.

فصفاته في خلقه (بافتح) وجسمه تكاد تميزه عن غيره بشكل قطعي ويقيني.

والعلام التي تحدّث قبل الظهور وبعد الظهور وحين قيامه بالحكم، وأيام حكمته، وفتوحاته، وامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ثُملاً ظلماً وجوراً، وغيرها... كل هذه الأمور تُعتبر شواهد صدق على حقيقة الإمام المهدي عليه السلام وتعيين شخصه.

وقد عقدنا هذا البحث من أجل بيان المواصفات الجسدية والخلقية، وكذلك التي تعرّضت إلى نسبة الشريف والتي فيها نوع من الإشارة إلى كونها علامات فارقة.

والشيء المؤكد الذي نطقت به الأخبار التي أثرت عن النبي ﷺ وعن أئمة الهدى عليهم السلام أن الإمام المهدي عليه السلام من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم سمتاً، قد أشرق وجهه بنور الإمامة، التي تحنو لها الجباه والوجوه، ووصفه الشاعر الملهم، السيد حسن بقوله:

وسرى النسيم بوجهه الفياح	طلع الجمال بوجهه الوضاح
أو أنه نور لكل صباح	رشاً كأن جبينه صبح بدأ
طوق الهلال يكون نقش وشاحي	ناشدته أنت الهلال أجايني
أو أنه من عالم الأرواح	لم أدر من لطيف تكوّن جسمه
طوفوا فهذي كعبة المرتاح	كتب الجمال على صحيفة خذه

ماء الشباب بخذه مترقرق كزجاجة ضمت على مصباح
 قد قلت: لما أن تجلى وجهه سبحان ربي فالق الإصباح^(١)
 ويمكن من خلال تقصي بعض الروايات استخراج المواصفات التالية للإمام
 المهدي ﷺ منها:

١. أنه أشبه الناس برسول الله ﷺ :

فالإمام المهدي ﷺ أشبه الناس بجده النبي ﷺ في سيرته وجهاده،
 وثورته على الظلم، والطغيان ويقوم بالدور الذي قام به النبي ﷺ حيث يحطم
 عروش الطغاة والجبابرة ويغير معالم السياسة المنحرفة القائمة على الكذب
 والدجل ويقيم دولة العدل الإلهي هذا فضلاً عن شبهه به خلقاً وخلقاً.
 «ألا أنه أشبه الناس خلقاً وخلقاً وحسناً برسول الله ﷺ»^(٢).

وعن النبي محمد ﷺ أنه قال:

«القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي وشماله شمالي وسمته
 سمتي يقيم الناس على ملتي وشريعتي ويدعوهم إلى كتاب ربي عز
 وجل...»^(٣).

وعنه ﷺ أنه قال:

«المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقاً
 وخلقاً»^(٤).

ومن الأحاديث التي تبين شبه الإمام المهدي ﷺ بجده رسول الله ﷺ
 بشكل أوضح وأشمل ما رواه الإمام الصادق ﷺ بسنده عن جده
 رسول الله ﷺ أنه قال:

(١) من الرحمن، ج ٢، ص ٢٣٧ نقلاً عن حياة الإمام المهدي ﷺ، باقر القرشي، ص ٣٣.

(٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر ﷺ، الكليني، ص ١٨٨، ح ٣ و ٤ و ٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر ﷺ، الكليني، ص ١٨٨، ح ٣ و ٤ و ٥.

«القائم من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمالته شمالي، وسمته سمتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عز وجل، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبنني، ومن صدقه فقد صدقني، إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره، الجاحدين بقولي في شأنه، والمضلين لأمتي عن طريقته، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»^(١).

أخرج الإمام أبو عمرو المُقري في سننه عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تذهب الدنيا حتى يملك الدنيا رجلٌ من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي، قلت: يا أبا عبد الرحمن ما (يواطى)؟ قال: يشبه»^(٢).

وقد علق المرحوم العلامة السيد الصدر على أحاديث المشابهة فقال: «أقول المماثلة من كل جهة ممتنعة بحسب العادة بين اثنين من حيث الخلق والخلق وإنما يُراد من هذه الإطلاقات قرب أحدهما من الآخر كما يفيد (مضمون الروايات) بأنه أشبه الناس برسول الله ﷺ يعني إذا قيس خلق الناس وخلقهم بخلق رسول الله ﷺ وخلق كان الإمام المهدي عليه السلام أشبههم وأقربهم به ﷺ فلا ينافي كونه على خلق عظيم وليس مثل خلقه خلق رسول الله ﷺ»^(٣).

٢. فيه شبه من الأنبياء ﷺ:

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال:

«إن في القائم من أهل بيت محمد شبيهاً من خمسة من الرسل:

(١) كمال الدين، الصدوق، الباب ٣٩، ح ٦٠.

(٢) عقد الدرر في أخبار المتظفر، الشافعي السلمي، ص ٣٠.

(٣) المهدي، السيد صدر الدين الصدر، ص ٨٢.

يونس بن متى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، فأما شبهه من يونس بن متى فرجوعه من غيبته، وهو شاب بعد كبر السن، وأما شبهه من يوسف بن يعقوب ﷺ فالغيبه من خاصته وعامته واختفائه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب النبي ﷺ مع قرب المسافة بينه وبين أبيه، وأهله وشيعته، وأما شبهه من موسى ﷺ فدوام خوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته، وتعب شيعته من بعده مما لقوا من الأذى والهوان إلى أن أذن الله عز وجل في ظهوره ونصره، وأيده على عدوه، وأما شبهه من عيسى فاختلاف من اختلف فيه حتى قالت طائفة ما ولد، وطائفة منهم قالت مات، وطائفة قالت قُتل وُصِّلب، وأما شبهه من جده المصطفى محمد ﷺ فتجريده السيف (فخروجه بالسيف) وقتله أعداء الله وأعداء رسوله، والجبارين، والطواغيت، وأنه يُنصر بالسيف والرعب، وأنه لا تُرَدُّ له راية...^(١).

٣ - اسمه اسم نبي واسم أبيه اسم وصي:

عن الإمام الصادق ﷺ قال في حديث له :

«يتنادي مُنادٍ من السماء باسم القائم واسم أبيه فقيل له : جعلت فداك ما اسمه؟ فقال : اسمه اسم نبي واسم أبيه اسم وصي»^(٢).

٤ - توالي ثلاثة أسماء فيه:

عن الصادق ﷺ قال :

«إذ توالى ثلاثة أسماء : محمد وعلي والحسن كان رابعهم القائم»^(٣).

(١) منتخب الأثر، الكلبيكاني، ص ٢٨٩، ح ١.

(٢) البحار، ج ٥١، ص ٣٨، ح ١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨، ح ١٣.

٥. إمام ابن إمام:

«لا يكون القائم إلا إمام ابن إمام ووصي ابن وصي»^(١).

٦. من أهل البيت عليه السلام

قال رسول الله ﷺ :

«المهدي منا أهل البيت»^(٢).

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال للنبي ﷺ :

«أما المهدي أم من غيرنا يا رسول الله، قال ﷺ : بل منا يختم الله به كما فتح بنا وبنا يستقذون من الفتنة كما أنقذوا من الشرك وبنا يؤلف بين قلوبهم بعد عداوة بينهم كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك»^(٣).

٧. من ولد الحسين عليه السلام :

قال رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام :

«يا بنية! إنا أعطينا أهل البيت سبعا لم يعطها أحد قبلنا، نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهم عمُّ أبيك حمزة، ومنا من له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة وهو ابن عمك جعفر، ومنا سبطاً هذه الأمة، وهما ابناك الحسن والحسين ومنا والله الذي لا إله إلا هو مهديُّ هذه الأمة الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم. ثم ضرب بيده على منكب الحسين عليه السلام فقال: من هذا ثلاثاً»^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤، ح ١.

(٢) منتخب الأثر، ص ١٨٥، ح ٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٥، ح ٨.

(٤) الغيبة، الطوسي، ص ١٩١، ح ١٥٤ - والبحار، ج ٥١، ص ٧٦، ح ٣٢.

وفي رواية أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نظر إلى ابنه الحسين عليه السلام فقال:
 «إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله سيداً، وسيُخرجُ الله تعالى
 من صلبه رجلاً باسم نبيكم، فيشبهه في الخلق والخلق...»^(١).

٨ - شاب المنظر لا يهرم:

عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام ما علامات القائم عليه السلام
 منكم إذا خرج؟
 قال عليه السلام:

«علامته أن يكون شيخ السن شاب المنظر حتى أن الناظر ليحسبه ابن
 أربعين سنة أو دونها، وأن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام
 والليالي حتى يأتيه أجله»^(٢).

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال:

«لو قام المهدي لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شاباً وهم يحسبونه
 شيخاً كبيراً»^(٣).

٩ - مواصفاته الجسدية وشكله وعلاماته:

نشير فيما يلي إلى بعض الأحاديث الشريفة الواردة في أوصاف الإمام
 المهدي عليه السلام الجسدية، والتي تحدثت عن شكله وجليته ولون بشرته وجسده
 ولحيته وغيرها من الصفات.

أوصافه في أقوال النبي صلى الله عليه وآله:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) الغيبة، الطوسي، ص ١٨٩، ح ١٥٢.

(٢) منتخب الأثر، ص ٢٨٩، ح ٢، نقلاً عن كمال الدين.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٠، ح ٣، نقلاً عن بتاييع المودة.

«المهدي مني، أجلى الجبهة، أفنى^(١) الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين».

وعلق الشافعي السلمي على هذا الحديث بالقول: أخرجه الإمام أبو داود في سننه، والحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في سننه، والحافظ أبو بكر البيهقي في البعث والنشور^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال:

«المهدي منا أهل البيت، رجُلٌ من أمتي، أشمُ الأنف، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً»^(٣).

وعن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ:

«المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدري، اللون عربي، والجسم جسم إسرائيلي»^(٤)، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً، يُزْضِي في خلافته أهل الأرض وأهل السماء، والطير في الجو، يملك عشرين سنة»^(٥).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ:

-
- (١) الفنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حذب في وسطه.
- (٢) عقد الدرر في أخبار المنتظر، الشافعي السلمي، الباب الثالث، ص ٣٣-٣٤. كشف الغمة للأربلي، ج ٣، ص ٢٥٩-٢٦٩. البحار، للمجلسي، ج ٥١، ص ٨٠-٩٠. منتخب الأثر، ص ١٤٣. البيان في أخبار صاحب الزمان، ص ٨٠، ٩٦. ينابيع المودة، ج ٣، ص ٨٧. ونقل هذا الحديث الشيخ نجم الدين العسكري في (المهدي الموعود المنتظر)، ص ٢٦٢. عن كنز العمال، ج ٧، ص ١٨٦. وعن مصابيح السنة للبغوي، ج ٢، ص ١٣٤ وغيرها من المصادر كسنتن أبي داود ومستدرك الحاكم.
- (٣) عقد الدرر، الباب الثالث، ص ٣٤. وأيضاً نقله العسكري في كتابه (المهدي الموعود المنتظر)، ص ٢٦٣. عن الحافظ أبي نعيم في صفة المهدي، والشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة، ص ٤٨٨. ومستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج ٤، ص ٥٥٧.
- (٤) أي أنه حطلي اللون مستقيم القامة وعظيم الجثة أقرب إلى الطول منه إلى القصر.
- (٥) عقد الدرر، ص ٣٤. منتخب الأثر، ص ١٨٥. البحار، ج ٥١، ص ٧٨. البيان، ص ١٣٥.

«ليبعثن الله رجلاً من عترتي، أفرق الثنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلاً، ويُفيض المال فيضاً»^(١).

ومن العلامات التي ذكرها النبي ﷺ في تمييزه لصفات الإمام المهدي ﷺ عن غيره هي ثيابه، ووجود خال على خده الأيمن، وفتحه لمدائن الشرك.

فعن أبي أمامة الباهلي أنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«بينكم وبين الروم أربع هدن في يوم، الرابعة يفتح على يدي رجل من آل هرقل يدوم سبع سنين، فقال له رجل من عبد القيس يقال له المستورد بن غيلان: يا رسول الله من إمام الناس يومئذ؟ قال: المهدي من ولدي ابن أريمين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان»^(٢)، كأنه من رجال بني إسرائيل يملك عشرين سنة يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك»^(٣).

وقد ورد هذا الحديث بالفاظ مختلفة وفيه: يرضى بخلافته أهل السماوات والأرض والطير في الجو والحيتان في البحر.

ومنها أن يشبه النبي محمد ﷺ في صفاته وملامحه، وفيه كذلك ملامح من صفات الأنبياء والأوصياء، فهو جمع بين هبة النبوة ونور الإمامة.

روى الشيخ الصدوق في كمال الدين عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«المهدي أشبه الناس بي خُلُقاً وخُلُقاً»^(٤).

(١) عقد الدرر، ص ٣٤.

(٢) القطوانية: نسبة إلى قطوان، محرقة، موضع بالكوفة منه الأكسية القطوانية.

(٣) البيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي الشافعي، ص ١٣٧ - عقد الدرر، للشافعي السلمي، ص ٣٦ - ونقله الشيخ نجم الدين المسكري في المهدي الموعود المنتظر، ص ٢٦٥ عن ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص ٢٧٨، ٢٧٩ وعن الطبراني في المعجم والحافظ أبي نعيم.

(٤) كمال الدين، الصدوق، ج ١، ص ٢٨٦، ح ١.

وفي رواية قال:

«وشمائله شمائلي...»^(١).

وروى صاحب كفاية الأثر عن النبي ﷺ أنه قال:

«... بأبي وأمي سمي وشبيهي وشبيه موسى بن عمران»^(٢).

وروى الفضل بن شاذان عن الحسن بن سالم عن أبيه عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«... وجعل من صلب الحسين أئمة يقومون بأمري ويحفظون

وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي، ومهدي أمتي، أشبه الناس بي في شمائله، وأقواله، وأفعاله...»^(٣).

وعن شبهه بعيسى بن مريم عليه السلام روى النعماني في غيبته عن النبي ﷺ أنه قال:

«... القائم المهدي من نسل علي أشبه الناس بعيسى بن مريم خَلْقًا وَخُلُقًا وَسَمْتًا وَهِيَةً...»^(٤).

وعنه عليه السلام أنه قال:

«المهدي طاووس أهل الجنة وجهه كالقمر الدري عليه جلابيب النور»^(٥).

وعنه عليه السلام أنه قال:

«... وجهه كالدينار أسنانه كالمنشار وسيفه كحريق النار»^(٦).

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١١، ح ٦.

(٢) عنه في بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٠٩.

(٣) النجم الثاقب في أحوال الحجة الغائب، الطبرسي النوري، ج ١، باب ٣، ص ٢٧٢.

(٤) الغيبة، النعماني، ص ١٤٦، نقلاً عن المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٨١.

(٦) الغيبة، النعماني، ص ٢٤٧، نقلاً عن النجم الثاقب، ج ١، باب ٣، ص ٢٧٦ - البحار، ج ٥١، ص ٧٧.

البيان، ص ٩٦ - الزام الناصب، ص ١٣٩.

فوجهه مستدير، وأسنانه كالمنشار في الحدة أو في انفراج بعضها عن البعض الآخر، أي مفلّجة.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي إن هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه»^(١).

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كان رأس الخمسين والثلاثمائة. (وذكر كلمة): نادى مناد من السماء: ألا أيها الناس إن الله قد قطع مدة الجبارين والمنافقين وأتباعهم وَلَيَكُم الجابر خير أمة محمد ﷺ الحقوه بمكة فإنه المهدي واسمه أحمد بن عبد الله. قال عمران: صف يا رسول الله هذا الرجل وما حاله. فقال النبي ﷺ: إنه من ولدي كأنه من رجال بين إسرائيل يخرج عند جهد من أمّتي وبلاء. عربي اللون ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري. يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك عشرين سنة وهو صاحب مدائن الكفر كلها (أي يفتحها جميعاً) قسطنطينية ورومية. يخرج إليه الأبدال من الشام وأشتاتهم كان قلوبهم زبر الحديد. رهبان بالليل ليوث بالنهار. وأهل اليمن (أي من أنصاره) حتى يأتونه فيبايعونه بين الركن والمقام. فيخرج من مكة متوجهاً إلى الشام. يفرح به أهل السماء وأهل الأرض والطير في الهواء والحيتان في البحر»^(٢).

وورد هذا الحديث بألفاظ أخرى وفيه:

«... فتخرج إليه الأبدال من الشام وأشباههم ويخرج إليه النجباء من مصر وعصائب أهل المشرق وأشباههم فيأتون مكة فيبايعونه بين

(١) المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية، الشيخ نجم الدين العسكري، ص ٢٦٧ نقله عن ينابيع المودة، ص ٤٤٧، وعن كتاب البيان للكنجي الشافعي.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٣ نقلاً عن الملاحم والفتن في الباب (٧٠).

الركن والمقام . ثم يخرج متوجهاً إلى الشام وجبرائيل على مقدمته وميكائيل على ساقته فيفرح به أهل السماء وأهل الأرض والطير والوحوش والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته ويملأ الأنهار وتضعف الأرض ويستخرج الكنوز كلها ويقم الشام فيذبح السفيناني تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية... (١).

وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال :

«تنعم أمّتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها، إلا أخرجه، والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني فيقول: خذ... يحثو المال حثواً ولا يعده عدداً...» (٢).

أوصافه في أقوال الأنمة عليه السلام :

وردت أوصاف الإمام المهدي عليه السلام على لسان أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حيث قال فيما ورد عنه :

«انه أجلى الجبين» (٣)، «أقنى الأنف» (٤)، «ضخم البطن، أذيل الفخذين، أبلج الشايبا» (٥)، «بفخذه اليمنى شامة» (٦).

وقال عليه السلام :

«المهدي أقبل أجعد، هو صاحب الوجه الأحمر، والجبين الأزهر، صاحب الشامة والعلامة، العالم الغيور المعلم المخبر بالإثار...» (٧).

(١) عقد الدرر، الفصل الثاني، الحديث ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، الباب الثامن، الحديث ٨.

(٣) أجلى الجبين: أي خفيف الشعر ما بين التزغتين من الصدغين.

(٤) أقنى الأنف: طول الأنف ودقة عرنيته مع حذب في وسطه، وأذيل الفخذين أي بعيد ما بينهما.

(٥) أبلج الشايبا: أي مشرق الشايبا.

(٦) يتابع المودة، القندوزي، ص ٤٢٣.

(٧) البحار، ج ٥٢، ص ٥١ - البيان، ص ٩٥ - منتخب الأثر، ص ١٨٦.

والأقبل هو أسود العينين الذي كأنه ينظر إلى طرف أنفه خشوعاً، والشامة هي الخال الذي على خده الأيمن، والعلامة الخاتم التي بين كتفيه كخاتم النبوة.

وقال عليه السلام أيضاً في صفات المهدي ﷺ:

«حَسَنُ الوجه، حَسَنُ الشعر، يسيل شعره على منكبيه، ونور وجهه يعلو سوادَ لحيته»^(١).

«يومئ للطير فيسقط على يده، ويغرس قضيباً في الأرض فيخضر ويورق»^(٢).

«كثُ اللحية، أكحل العينين، براق الثنايا، في وجهه خال، في كتفه علامت نبوة النبي ﷺ»^(٣).

وفي بعض ألفاظ هذا الحديث:

«... يخرج براية النبي ﷺ من مرط مخملة مربعة فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله ﷺ ولا تنشر حتى يخرج المهدي يمهده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم»^(٤).

«يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان، أبيض مُشَرَّبُ خُصرة. مبدح البطن»^(٥)، «حريص الفخذين، عظيم مشاش المنكبين»^(٦)، «بظهره شامتان»^(٧)، «شامة على لون جلده، وشامة على شبيه شامة

(١) البحار، ج ٥١، ص ٣٦ - الغيبة، الطوسي، ص ٢٨١.

(٢) منتخب الأثر، ص ١٥٤.

(٣) البيان في أخبار صاحب الزمان، نقلاً عن النجم الثاقب، ج ١، الباب الثالث، ص ٢٧٥.

(٤) المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية، الشيخ نجم الدين العسكري، ص ٢٧٠ ونقله عن

الملاحم والغتن للسيد ابن طاووس، ج ١، ص ٤٧، باب ١٦٠ وعن المعجم للطبراني.

(٥) مبدح البطن: أي واسعة وعريضة.

(٦) المشاش: رؤوس العظام كالمرفقين، والكفين، والركبتين.

(٧) الشامة: علامة تخالف البدن الذي هي فيه.

النبي ﷺ، له اسمان: اسم يخفى، واسم يُعلن، فأما الذي يخفى فأحمد وأما الذي يعلن فمحمد، فإذا هز رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد، فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زهر الحديد وأعطاه الله قوة أربعين رجلاً ولا يبقى ميت إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قلبه وفي قبره وهم يتزاوون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم عليه السلام^(١).

وعن صفاته التي تبين معجزاته يقول الإمام علي عليه السلام:

«يومى للطير فيسقط على يده، ويغرس قضيباً في الأرض فيخضر ويورق»^(٢).

عن الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قال:

«لو قام المهدي لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شاباً موقفاً وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً وهم يظنونونه شيخاً كبيراً»^(٣).

ومن أوصافه عليه السلام التي وردت على لسان الإمام الباقر عليه السلام:

«وجهه كوكبٌ ثري مشربٌ بحمرة... داء الخراز برأسه (القشرة) وشامة تحت كتفه الأيسر، في شعرة قَطَط (أي: قَصْرٌ وتجمُّد)... مُشْرِفُ الحاجبين، غائر العينين من سهر الليالي، بوجهه أثر (وهو الخال الذي على خده الشريف)...»^(٤).

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«علامته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتى أن الناظر إليه

(١) بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٥، ح ٤ - منتخب الأثر، ص ١٨٥.

(٢) منتخب الأثر، ص ١٥٤.

(٣) عقد الدرر، الباب ٣، ح ٦٣.

(٤) إلزام الناصب، ص ١٠٤ و ١٣٨ - منتخب الأثر، ص ١٦٥.

لَيُخَسِبُهُ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ دُونَهَا، وَإِنْ مِنْ عِلَامَتِهِ أَنْ لَا يَهْرَمَ بِمَرُورِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عَلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ أَجَلُهُ»^(١).

وعنه ﷺ قال :

«دَلَالَتُهُ فِي خُصَلَتَيْنِ: فِي الْعِلْمِ وَاسْتِجَابَةِ الدَّعْوَةِ. وَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ الَّتِي تَحْدُثُ قَبْلَ كَوْنِهَا، فَذَلِكَ بِعَهْدٍ مَعْهُودٍ إِلَيْهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَوَارَثَهُ عَنْ آبَائِهِ عَنْهُ ﷺ»^(٢).

خصائص الإمام المهدي ﷺ:

اختص الإمام المهدي ﷺ وتفرد بخصوصيات لم تكن لأحدٍ من الناس، وهي إِنْ دَلَّتْ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى مَدَى الْإِهْتِمَامِ وَالرَّعَايَةِ الْإِلَهِيَةِ لِشَخْصِهِ، وَتَبَيَّنَ الْعَظَمَةُ مَقَامَهُ الشَّرِيفَ عِنْدَ اللَّهِ.

كيف لا وهو خاتم الأوصياء، ومنجز حُلم الأنبياء، والشخصية الربانية التي أُوكل إليها وأُلقيَ على عاتقها أعظم وأقدس مهمة على مستوى التغيير والإصلاح على وجه الأرض ويُظهر الله على يديه ما خفي على الناس من عظيم قدرته سبحانه وتعالى، بحيث تكون ثورته ورسالته خاتمة المطاف في هذه الرحلة الطويلة التي بدأها أبو الأنبياء (وآخر إنذار للبشرية لتعود إلى بارئها لذلك فإن من أعظم الخصائص والمميزات في الرسالة المهدوية هي وجوب الانصياع التام لها بحيث يُخَيَّرُ الْإِنْسَانُ مَعَهَا لِلدُّخُولِ إِمَّا إِلَى مَعْسَكَرِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ أَوْ الْإِلْتِمَاقِ بِرُكْبِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ ﷺ. ولا مبرر لأحد بعد ذلك على الإطلاق لأن الحقيقة حينها ستظهر جلية واضحة بما أعطاه الله من معجزات وعلامات تُظْهِرُ حَقِيقَةَ دَعْوَتِهِ الَّتِي لَا يَرْفُضُهَا إِلَّا كُلُّ مُعَانِدٍ أَوْ جَا حِدٍ.

فمع الإمام المهدي ﷺ تنتفي الذرائع، وتقطع الحجج والبراهين ليكون الحقُّ حقاً لا شائبة فيه والباطل باطلاً لا التباس فيه.

(١) منتخب الأثر، ص ٢٨٥ - البحار، ج ٥٢، ص ٢٨٥.

(٢) الزام الناصب، ص ١٠.

ومع الإعلان عن الظهور الشريف والمبارك وخروج الإمام المهدي عليه السلام شاهراً سيف الحق ورافعاً للواء العدل تصاحبه عشرات الخصائص التي ترفع الشك والريب، ولا يبقى مجالاً لأصحاب القلوب المريضة أن يشكوا أو يشككوا في شخصية الإمام المهدي عليه السلام، وتلزمهم الحجة القطعية التي تأخذ بأعناقهم وتسد عليهم أبواب الشكوك والمناقشة، ولا مكان حينها لأشخاص كأبي جهل، وأبي لهب وأبي سفيان وغيرهم من الأفراد الذين أنذرهم النبي صلى الله عليه وآله المرة تلو الأخرى عسى أن تفهم الذكري.

فمع الإمام عليه السلام وعلائمه وخصائصه الواضحة والجلية ينبغي الخضوع الفوري للإرادة الإلهية.

وقد استعرضت الأحاديث والمرويات الشريفة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عشرات الخصائص للإمام المهدي عليه السلام ولعصر ظهوره.

ونحن نستغني عن ذكر هذه الروايات بما قدمه لنا خاتمة المحدثين الشيخ حسين النوري الطبرسي في كتابه: النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب عليه السلام ومي:

الأول: امتياز نور ظله (في عالم الأظلة بين أنواع الأئمة عليهم السلام).

فعن الإمام الباقر عليه السلام في ذكر الأئمة عليهم السلام في ليلة المعراج ورؤية أنوارهم... إلى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«... فإذا علي... وعدهم إلى الحسن بن علي... والحجة القائم كأنه كوكب دري في وسطهم، فقلت يا رب من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم، يحل حلالي، ويحرم حرامي، وينتقم من أعدائي، يا محمداً أحبيه فأنا أحبه، وأحب من يحبه».

الثاني: شرف النسب.

فإن له عليه السلام شرف نسب جميع آبائه الطاهرين عليهم السلام، وإن شرف نسبهم أشرف الأنساب.

ويتصل شرف نسبه من جهة الأم إلى قياصرة الروم وينتهي إلى وصي عيسى عليه السلام .

الثالث: جمعه لكنية رسول الله ﷺ واسمه المبارك .

الرابع: حرمة التصريح باسمه ﷺ .

الخامس: أن به ﷺ ختم وصاية الحجة على وجه الأرض .

السادس: غيبته منذ ولادته .

السابع: ليس لأحد من الجبارين في عنقه بيعة، فعن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال:

«... ما منا أحدٌ إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي

يصلّي روح الله عيسى بن مريم خلفه...» .

الثامن: له علامة في ظهره كالعلامة التي في ظهر النبي ﷺ المبارك التي تسمى بـ(ختم النبوة)، ولعل الذي فيه إشارة إلى كونه (ختم الوصاية) .

التاسع: ظهور الآيات الغريبة والبيّنات السماوية والأرضية لظهوره السعيد ﷺ ولم تظهر لولادة وظهور أي حجة غيره .

العاشر: النداء السماوي باسمه حين الظهور، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«... فينادي مناد من السماء، أيها الناس! إن أميركم (فلان) الذي

يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...» .

الحادي عشر: تظله غمامة بيضاء فوق رأسه المبارك ﷺ وينادي منادٍ في تلك الغمامة يسمعه الثقلين والخافقين كما في رواية الشيخ الطوسي:

«وهو المهدي من آل محمد يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» .

الثاني عشر: حضور الملائكة والجن في عسكره ﷺ وظهورهم لأنصاره .

الثالث عشر: عدم تأثير طول الدهر ودوران الليل والنهار وسير الفلك الدوار في بنيته ومزاجه وأعضائه وقواه وصورته وهيئته... فمع هذا العمر الطويل،

ورغم ما انقضى من عمره الشريف إلى زماننا هذا، ولكنه عندما يظهر فإنه يظهر في صورة رجل ابن ثلاثين أو أربعين.

الرابع عشر: حضور مجموعة من الأموات في جيشه عليه السلام كما في رواية الشيخ المفيد في الإرشاد:

«سبعة وعشرين رجلاً، (خمسة عشر) من قوم موسى عليه السلام وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، والمقداد، وأبا دجانة الأنصاري، ومالكاً الأشر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً».

الخامس عشر: وتُخرج الأرض كنوزها وذخايرها التي استودعت فيها ففي الإرشاد روى الشيخ المفيد:

«إن قائمتنا إذا قام... تُظهر الأرض كنوزها حتى يراها الناس على وجهها».

السادس عشر: زيادة الأمطار والزرع والأشجار والشمار وسائر النعم الأرضية.

ففي كشف الغمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«تتنعم أمتي في زمانه نعيماً لم يتنعموا مثله قط البر والفاجر، يُرسل الله السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من نباتها».

السابع عشر: تكمل عقول الناس ببركة وجوده عليه السلام.

الثامن عشر: القوة الخارقة للعادة في أنظار وأسماع أصحابه عليه السلام كما عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن قائمتنا إذا قام مد الله عز وجل لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه».

التاسع عشر: طول عمر أصحابه وأنصاره.

العشرون: إعطاء قوة أربعين رجل لكل من أعوانه وأنصاره عليه السلام.

الواحد والعشرون: إستغناء الخلق بنوره ﷺ عن ضوء الشمس ونور القمر.
الثاني والعشرون: إن معه ﷺ راية رسول الله ﷺ ولم تُنشر إلا في بدر
ويوم الجمل.

الثالث والعشرون: لا يستوي درع رسول الله ﷺ إلا عليه ﷺ.
فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال بعد ذكر جملة مما عنده من السلاح
ومواريث الأنبياء:

«وإن قائمنا من لبس درع رسول الله فملأها...».

الرابع والعشرون: خصه الله تعالى بسحاب ذخره له فيه رعد وبرق، روى
الشيخ المفيد بأسانيد متعددة عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«أما إن ذا القرنين قد خُيّر السحابتين فاختر الذلول، وذخر
لصاحبكم الصعب. قال: قلت: وما الصعب؟

فقال: ما كان من سحاب فيه رعد أو صاعقة أو برق فصاحبكم يركبه، أما
أنه سيركب السحاب، ويرقى في الأسباب، أسباب السموات السبع، والأرضين
السبع...».

الخامس والعشرون: ارتفاع التقية والخوف من الكفار والمشركين والمنافقين
والتمكن من عبادة الله تعالى والسلوك في أمور الدين والدنيا حسب القوانين
الإلهية والأوامر السماوية.

السادس والعشرون: انبساط ملكه ﷺ على جميع الأرض من المشرق إلى
المغرب، برأ وبحراً، الجبل والسهل، ولا يبقى مكان لا يكون فيه ملكه ولا
ينفذ فيه أمره، والأخبار في هذا المعنى متواترة.

السابع والعشرون: يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وقلماً ترد الأخبار الإلهية أو
النبوية الخاصة أو العامة التي ذكرت المهدي ﷺ ولم يذكر فيها هذه البشارة
وهذه الفضيلة.

الثامن والعشرون: يحكم بين الناس بعلمه كإمام، ولا يطلب بينة وشاهداً من أحد.

فمن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لن تذهب الدنيا حتى يخرج رجلٌ منا أهل البيت يحكم بحكم داوود ولا يسأل الناس بينة».

التاسع والعشرون: أنه يأتي بأحكام خاصة لم تظهر ولم يعمل بها أحد إلى حين ظهوره عليه السلام.

الثلاثون: يُخرج كل مراتب العلوم.

الواحد والثلاثون: نزول السيوف السماوية لأنصاره وأصحابه عليه السلام.

الثاني والثلاثون: نزول روح الله عيسى بن مريم عليه السلام لنصرة المهدي عليه السلام والصلاة خلفه.

الثالث والثلاثون: انقطاع سلطة الجبابة ودولة الظالمين في الدنيا بوجوده عليه السلام، وسوف لا يحكمون على وجه الأرض بعد ذلك، لأن دولته تتصل بالقيامة طبق رأي بعض العلماء، أو تتصل برجعة باقي الأئمة عليهم السلام طبق رأي جماعة وظواهر أخبار كثيرة.

ونختم الحديث في هذا المجال بما رواه الطبرسي في الاحتجاج وابن طاووس في كشف اليقين، خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله البليغة والطويلة في حجة الوداع في غدير خم التي خطبها في ذلك المحضر العظيم.

ومن جملة فقرات تلك الخطبة:

«معاشر الناس! ألا وأني منذر، وعلي هاد.

معاشر الناس! أنا نبي وعلي وصي، ألا إن خاتم الأئمة منا، القائم المهدي.

ألا أنه فاتح الحصون، وهادمها....

ألا أنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك....

- ألا أنه المدرك بكل ثار لأولياء الله عز وجل
- ألا أنه الناصر لدين الله
- ألا أنه الغراف من بحر عميق . . .
- ألا أنه خيرة الله ومختاره . . .
- ألا أنه وارث كل علم، والمحيط به . . .
- ألا أنه المنخبر عن ربه عز وجل، والمنبه بأمر إيمانه . . .
- ألا أنه الرشيد السديد . . .
- ألا أنه المفوض إليه . . .
- ألا أنه قد بشر به من سلف بين يديه . . .^(١).

(١) النجم الثاقب، الطبرسي النوري، ج ١، ص ٣٤٣.

الفصل السادس

الفرق الإسلامية واختلافها في شخص المهدي

- ★ الأشخاص والفرق التي ادعت المهدوية
- ★ مهدوية عيسى بن مريم عليه السلام
- ★ مهدوية الإمام علي عليه السلام
- ★ مهدوية محمد بن الحنفية وولده
- ★ مهدوية أبناء الإمام الحسن عليه السلام
- ★ مهدوية أبناء العباس
- ★ الإدعاءات المهدوية الباقية
- ★ الإدعاءات المهدوية بعد عصر الغيبة
- ★ علماء السنة ورأيهم في ولادة الإمام المهدي عليه السلام
- ★ الإمام العسكري عليه السلام ووصيته لوالدته

الفرق الإسلامية واختلافها في شخص المهدي

رافقت الأحاديث والروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين المتعلقة والمبشرة بالإمام المهدي ﷺ الذي ينتهي بنسبه إلى الإمام الحسين ﷺ العديد من الاعتراضات والمشكلات والمواقف الراضية لها لأسباب متعددة، وليس بحثنا هنا مع من أنكر أصل وجود الإمام ﷺ وإنما مع أولئك الذين حاولوا إستغلال هذه القضية وتحريفها عن مسارها الصحيح من خلال ادعاء الكثير من الفرق الإسلامية لمهدوية بعض الناس.

ولعب الحكام والخلفاء وكل الطامعين في الزعامة السياسية والدينية، والمتأمرين على مركز الخلافة الإسلامية دوراً كبيراً في تشكيك الناس في نسب وهوية الإمام المهدي ﷺ الحقيقية وذلك خدمة لمطامعهم ومصالحهم الخاصة. إلا أن الباحث يمكن له في هذا المجال أن يصور هذه الإدعاءات في اتجاهين، أحدهما إيجابي والآخر سلبي.

أما الإتجاه الإيجابي فيمكن دراسته:

أولاً: من خلال توظيف هذه الإدعاءات للمهدوية في إطار أو في خانة الأدلة الكثيرة والهامة على شيوع فكرة المهدوية في أذهان الناس، وسماعهم لها من الروايات الشريفة بحيث أن مجرد ادعاء البعض لها يجعلها مورد قبول لدى الناس الذين وقعوا في شبهات كثيرة نتيجة تكرار دعوات المهدوية هنا وهناك حتى جاوزت العشرات، وحتى أصبح لكل فرقة وطائفة أكثر من مهدي واحد.

وثانياً: إن فكرة المهدوية وإن إدعاها البعض زوراً وكذباً لكنها دليل واضح

على أن الأحاديث والروايات التي أشارت إلى أن الهدف من وجود المهدي عليه السلام في آخر الزمان هو أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأن يدمر عروش الظالمين وينشر لواء العدالة والحرية، قد ترسّخ في أذهان الناس وتركز في عقيدتهم المهدوية، وهو دليل آخر يضاف إلى الأدلة التي تُذكر في مجال شيوع هذه القضية التي بشر بها النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليه السلام، وأنها فكرة واقعية ولها جذورها في الإسلام ولا سيما في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، وأنها ليست من نسج الخيال، ولا هي وليدة بعض الظروف القاسية التي مرّ بها الشيعة. فقاموا بحياكة فصولها واختراع شخصها الوهمي - كما يدّعي البعض.

ثالثاً: إن من أسباب هذه الإدعاءات هو الغموض الذي اكتنف هذه القضية من جرّاء عدم تصريح الأئمة عليهم السلام باسم الإمام المهدي عليه السلام، أو زمان خروجه، وبسبب عامل الخوف عليه، كما حصل مع أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أبي حمزة الذي يقول بأنه دخل على الإمام الصادق عليه السلام وقال له:

أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فولدك؟ فقال الإمام: لا.

فقال: فولد ولدك هو؟

فقال عليه السلام: لا.

فقال: فولد ولد ولدك؟

فقال عليه السلام: لا.

فقال: من هو؟

فقال عليه السلام: الذي يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، على فترة من الأئمة، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث على فترة من الرُّسل^(١).

فما قاله البعض:

«ولو كانت هوية المهدي قد حُدِّثت من قبل منذ زمان رسول الله صلى الله عليه وآله

واجمع الشيعة عليها، لما ذهبوا يميناً وشمالاً، واحتاروا وتساءلوا من الأئمة عن هوية المهدي^(١).

ثم قال: «إن تاريخ أئمة أهل البيت ﷺ ورواياتهم التي يحتفظ بها التراث الشيعي الإمامي تؤكد غموض هوية الإمام المهدي وعدم التصريح باسمه أو زمان خروجه، ليس بسبب الخوف عليه، وإنما بسبب عدم تحديده من قبل، لأن فكرة (المهدوية) كانت إسماعياً عاماً وأمثلاً يحلّق فوق رأس كل واحد منهم...»^(٢).

هذا الكلام الذي أراده الكاتب دليلاً على إنكار فكرة المهدوية لهو أو هن من بيت العنكبوت باعتباره دليلاً يُضاف إلى الأدلة التي تؤكد إستقامة الفكرة وصحتها وسلامتها، ولكن شأنها شأن كل قضية عادلة ومحققة طبيعي أن تتعرض للتشويه والتحريف على أيادي المنحرفين والعابثين من أمثاله.

الأشخاص والفرق التي ادعت المهدوية:

وأما الجانب السلبي فإنه يتمثل في التحريف والتشويه الذي تعرضت له هذه القضية وانعكس ذلك سلباً على أفكار بعض الناس الذين أصابتهم الحيرة من هذه الإدعاءات الكثيرة، والبعض الآخر إتخذ من ذلك ذريعة للهجوم على الشيعة وعلى كل المؤمنين بحقيقة الإمام المهدي ﷺ.

وللإحاطة بهذا الموضوع من كل جوانبه ولكي يكون القارئ على بينة من أمره سنورد بالتفصيل أسماء الفرق والأشخاص الذين ادعوا المهدوية والسبب الذي حدا بكل واحدٍ منهم لهذا الإدعاء.

لقد بدأت المؤامرة على العقيدة بالإمام المهدي المنتظر ﷺ تاريخياً في عصر الخلافة الأموية في محاولة من معاوية نفسه، لتطبيق فكرة المهدي على عيسى بن مريم ﷺ لقتلها في الفكر الإسلامي، والقضاء على جذوتها

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي، أحمد الكاتب، ص ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه.

الإيمانية وفاعليتها الرسالية والجهادية في المجتمع الإسلامي. فقال لجماعة من بني هاشم:

زعمتم أن لكم ملكاً هاشمياً ومهدياً قائماً، والمهدي عيسى بن مريم، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلّمه له!!

وواضح من هذا الحوار، أن معاوية يريد أن يقضي على فكرة القائد المنتظر في الإسلام، ويجعلها من خصائص الديانة المسيحية، ومع ذلك يحاول تسخيرها لصالح الخلافة الأموية، ليبعد أهل البيت ﷺ عن الخلافة آملاً أن تبقى في بني أمية، حتى يسلموها لعيسى بن مريم ﷺ.

وكان ابن عباس، من جملة الحاضرين من بني هاشم في هذا الحوار، فلم يسكت أمام معاوية الذي يسعى لتحريف الأحاديث النبوية، ويتلاعب بعقائد الإسلام ومفاهيمه، لصالح السياسة الأموية الظالمة، فقال له:

«إسمع يا معاوية، أما قولك إنا زعمنا أن لنا ملكاً مهدياً، فالزعم في كتاب الله شك، قال الله سبحانه وتعالى: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قُل بلى وربّي لتبعثن)^(١)، أما قولك: إن لنا ملكاً هاشمياً، ومهدياً قائماً، فكلّ يشهد أن لنا ملكاً ومهدياً قائماً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لملكه الله فيه، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، أما قولك أن المهدي عيسى بن مريم، فإنما ينزل عيسى لقتال الدجال، والمهدي رجل منا أهل البيت يصلي عيسى خلفه».

ومن هذه المواجهة بين معاوية وابن عباس، نعلم أن الأحاديث التي طبقت فكرة المهدي على عيسى بن مريم ﷺ هي جزء من حلقات المؤامرة السياسية على العقيدة بالمهدي المنتظر ﷺ من قِبَل بني أمية^(٢).

(١) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٢) المهدي المنتظر، مهدي الفتلاوي، ص ٩ - ١٠.

ثم توالى الدعوات المهدوية فذهبت السبئية إلى مهدوية الإمام علي عليه السلام، والكيسانية إلى مهدوية محمد بن الحنفية وولده أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وقال قوم بأن الإمامة هي في أبناء الإمام الحسن عليه السلام فقالوا بإمامة محمد بن عبد الله (ذي النفس الزكية)، وقال العباسيون بمهدوية محمد بن عبد الله العباسي. والناووسية ذهبت إلى مهدوية الإمام الصادق عليه السلام، والإسماعيلية إلى مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام، وقالت الفطحية بإمامة عبد الله بن الأفتح ومهدوية ولده محمد بن عبد الله الأفتح، والواقفية قالوا بإمامة ومهدوية الإمام الرضا عليه السلام، والمحمدية قالوا بمهدوية محمد بن علي الهادي عليه السلام وهؤلاء رفضوا كالإسماعيلية الاعتراف بوفاته في حياة أبيه واصرروا على حياته وغيبته ومهدويته.

وقال آخرون بمهدوية الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأنه غاب ولم يخلف ولداً، ومنهم من قال بإمامة جعفر بن علي الهادي عليه السلام.

هذه هي باختصار أهم الدعوات أو الإدعاءات المهدوية التي ذكرت في التاريخ الإسلامي والتي سنتناولها بشيء من التفصيل وتسليط الضوء عليها ومناقشتها وإبطالها.

مهدوية عيسى بن مريم عليه السلام:

ذكرنا فيما تقدم بأن السلطة الأموية كانت الأساس في طرح مهدوية عيسى بن مريم عليه السلام في محاولة منها لإبعاد القضية عن أصحابها الحقيقيين، وتسخيرها لصالح الخلافة الأموية وصرف نظر الناس عن أهل البيت عليهم السلام، واستدل معاوية بحديث مكذوب عن النبي صلى الله عليه وآله على مهدوية عيسى بن مريم عليه السلام.

وهذا لا يعني أن أصل الفكرة لم يكن لها منشأ من قبل مقولة الأمويين بذلك، لأن فكرة المخلص المنتظر من الأفكار التي إتفقت عليها الأديان والنظريات وأن هذا المخلص سوف يقيم مجتمع العدالة والخير، وإن اختلفوا في شخصية المخلص المنتظر، فالنظرية الماركسية ترى أن العدالة ستتحقق على

أيدي البروليتاريا حيث يرى كارل ماركس وفريدريك أنجلز أن مخلص البشرية من التناقضات والاستغلال هو الطبقة العاملة التي ستلغي وجود الطبقات في المجتمع وتقيم مجتمع الوفرة والبجوحة الذي سينال فيه كل إنسان كل ما يحتاجه.

واليهود يعتقدون بأن العدالة ستتحقق على يدي المسيح الذي لم يأت بعد. والمسيحيون يعتقدون بأن ذلك سيكون على يدي المسيح العائد في آخر الزمان حيث يتناول العهد الجديد مسألة آخر الزمان ويذكر أن المسيح سيعود، ويسميه أحياناً إبن الإنسان، وفي مناقشته لنظرية المخلص عند اليهود والمسيحيين يستعرض الدكتور محمد طي مجموعة من النصوص الواردة في التوراة والإنجيل يرى أن هذه النصوص التي تتحدث عن المخلص لا علاقة للنبي عيسى فيها، بل إن الأوصاف المذكورة في العهدين لا تنطبق على عيسى بن مريم عليه السلام، وإنما هي تشير إلى الشخصية نفسها التي تشير إليها المصادر الإسلامية، وهي بالضرورة المهدي المنتظر عليه السلام ^(١).

وأما الحديث الذي أورده معاوية عن مهدوية عيسى بن مريم عليه السلام فيكفي في الرد عليه موقف ابن عباس منه الذي أجاب عنه بجواب مقنع. فضلاً عن أنه من الموضوعات الأموية في الأحاديث الشريفة. وهو يشكو من ضعف في سنده ويناقض المئات من الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

مهدوية الإمام علي عليه السلام :

ذكر بعض المؤرخين كالنوبختي في فرق الشيعة والأشعري القمي في المقالات والفرق بأن جماعة من الشيعة رفضوا التصديق بوفاة الإمام علي عليه السلام، وقالوا: إن علياً عليه السلام لم يقتل ولم يميت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

(١) المهدي المنتظر بين الدين والفكر البشري، ص ٥٥ - ٦٢.

وذكر أيضاً الشيخ الطوسي في (الغيبة)^(١) بأن السبائية قالوا بأن علياً عليه السلام لم يمّت (وهم فرقة من الغلاة أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي عليه السلام: أنت الإله حقاً فنفاه علي عليه السلام إلى المدائن)^(٢).

وأبطل الشيخ مزاعم هذه الفرقة بالقول:

فأما من خالف في موت أمير المؤمنين وذكر أنّه حيّ باقي فهو مكابر، لأن العلم بموته وقتله أظهر وأشهر من قتل كلّ أحد وموت كلّ إنسان، والشك في ذلك يؤدي إلى الشك في موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجميع أصحابه. ثم أورد عدداً من الروايات التي تؤكد حقيقة شهادته عليه السلام^(٣).

مهدوية محمد بن الحنفية وولده:

نشأت في التاريخ الإسلامي بعد شهادة الإمام علي عليه السلام وقيل بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام فرقة تدعى الكيسانية^(٤).

وظهرت هذه الفرقة إلى العلن بعد ثورة كربلاء، وعندما توفي محمد بن الحنفية في ظروف غامضة عام ٨١هـ، وقالت بأنه لم يمّت وأنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة واعتقدوا بأنه الإمام المهدي المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أجاب الشيخ الطوسي على هذه الدعوة لمهدوية محمد بن الحنفية بما يلي:

أولاً: أنه لو كان إماماً مقطوعاً على عصمته لوجب أن يكون منصوباً عليه نصّاً صريحاً، لأن العلم لا يعلم إلا بالنص، وهم لا يدعون نصّاً صريحاً عليه.

(١) كتاب الغيبة، الطوسي، ص ١٩٢.

(٢) ألف العديد من علماء الشيعة بعض الكتب لإثبات أن شخصية عبد الله بن سبأ هي شخصية وهمية مخترعة من قبل أعداء الشيعة.

(٣) كتاب الغيبة، الطوسي، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٤) علم الكلام في الإسلام، فضل الله الزنجاني، ص ٢٨٧.

ثانياً: الأدلة التي بينها الشيعة الإمامية على أن المهدي من ولد الحسين عليه السلام .

ثالثاً: إنقراض هذه الفرقة فإنه لم يبق في الدنيا في وقتنا ولا قبله بزمان طويل قائل به، ولو كان ذلك حقاً لما جاز إنقراضه^(١).

وأورد الشيخ جملة من الروايات التي تؤكد موت محمد بن الحنفية، وذكر المعتقد الذي كان عليه الشاعر الكبير السيد الحميري (رض) حيث كان يعتقد بإمامة محمد بن الحنفية حتى لقي الإمام الصادق عليه السلام ورأى منه علامات الإمامة وشاهد فيه دلالات الوصية، فسأله عن الغيبة، فذكر له أنها حق ولكنها تقع في الثاني عشر من الأئمة عليه السلام وأخبره بموت محمد بن الحنفية وأن أباه شاهد دفنه، فرجع السيد عن مقالته واستغفر عن اعتقاده ورجع إلى الحق عند إتضاحه له، ودان بالإمامة^(٢).

ونفس هذا الكلام المتقدم يرد على من قال بمهدوية ولده أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية.

مهدوية أبناء الإمام الحسن عليه السلام :

مارس الأمويون أقصى أنواع الضغوط ضد كل من وقف في وجه حكمهم وسلطانهم وأفرز ذلك العديد من الثورات والنهضات التي قامت في مقابل طغيانهم، وكان من ضمن التحركات التي انطلقت في ذلك الوقت التحرك الذي قام به الحسينيون وتحالفوا في ذلك مع العباسيين للثورة ضد الحكم الأموي، وبايعوا جميعاً محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بصاحب (النفس الزكية).

ونصّبوه قائداً لثورتهم وزعيماً عليهم، ولكن سرعان ما انقلب العباسيون عليه وأعلنوا عن قيام الدولة العباسية، فانتفض على محمد بن عبد الله الحسيني

(١) الغيبة، الطوسي، ص ١٨ - ١٩ وص ١٩٥.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص ٣٢ - ٣٣.

من بايعه، والتفّ حوله قسم من الشيعة فخرج في المدينة سنة ١٤٥ وسيطر على مكة واليمن، وقتل بعد شهور. وهنا أصيب قسم من أنصاره بالصدمة ولم يتحملوا نبأ الهزيمة، ولم يصدّقوا بمقتل (المهدي) الذي كانوا ينتظرون خروجه منذ فترة طويلة، فقالوا: إنه حي لم يمت ولم يقتل وأنه مقيم بجبل العلمية - بين مكة ونجد - حتى يخرج، وتشبّثوا بالحديث النبوي الذي يقول:

«القائم اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»^(١).

ومن المعلوم أن الإمام الصادق عليه السلام وقف موقفاً حازماً من هذه الدعوة وأخبر والد محمد بن عبد الله بحقيقة نوايا العباسيين تجاههم، وهذا ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتابه «مقاتل الطالبين» حيث قال بعد ذكره للإجماع الذي عُقِدَ بين العباسيين والحسينيين.

«... قالوا: وجاء جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه، فتكلّم بمثل كلامه فقال جعفر الصادق عليه السلام: لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد، إن كنت ترى - يعني عبد الله - أن ابنك هذا هو المهدي، فليس به وليس هذا أوانه، وإن كانت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك».

فغضب عبد الله وقال: علمت خلاف ما تقول والله ما أطلعك الله على غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني.

فقال الإمام الصادق عليه السلام:

«والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبنائهم دونكم، وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن، وقال: إنها والله ما هي إليك، ولا إلى ابنك، ولكنها لهم وابنيك مقتولان».

ثم نهض وتوكل على يد عبد العزيز بن عمران فقال عليه السلام :

«أرأيت صاحب الرداء الأصفر؟ - يعني أبا جعفر المنصور - قال : قلت نعم، قال : فإنا والله نجده يقتله . قال له عبد العزيز : أيقتل محمداً؟ قال الصادق عليه السلام : نعم .

قال : فقلت في نفسي حسده ورب الكعبة . قال : ثم والله ما خرجت في الدنيا حتى رأيته قتلها . . .»^(١) .

وفي رواية أخرى ينقلها أبو الفرج الأصفهاني أنه :

في رواية العابدي يقول : كان جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إذا رأى محمد بن عبد الله بن الحسن إغرورت عيناه بالدموع، ثم يقول :

«بنفسي هو، إن الناس ليقولون إنه المهدي، وإنه لمقتول، ليس هذا - في كتاب أبيه : علي - من خلفاء هذه الأمة»^(٢) .

هذه الحوادث التاريخية المتقدمة تدل بوضوح وصراحة على أن مسألة المهودية التي أذاعها محمد بن عبد الله الحسن وكل الحسينين لم تكن إلا وليدة ظروف ومشاكل عاشوها مع أبناء عمهم العباسيين في الصراع على السلطة، والنتيجة المُسبقة التي أعلنها الإمام الصادق عليه السلام تثبت كذب هذه المزاعم وموت المدّعي للمهودية وهو محمد بن عبد الله الذي لم يكن له أية صلة بهذه الدعوى سوى حب الرياسة والزعامة من أبيه عبد الله بن الحسن .

وعمدة الاستدلال عند من ادعى المهودية لأبناء الإمام الحسن هو الرواية التي نقلها ابن قِيم الجوزية في كتابه «المنار المنيف»، وهذا الحديث أخرجه أبو داود في سننه وفيه : «حدّثنا عن هارون بن المغيرة قال : أخبرني عمرو بن أبي قيس عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق قال : قال علي عليه السلام ، ونظر إلى ابنه الحسن، فقال :

(١) مقاتل الطالبين، ص ١٤٠ - ١٧١ - البحار، ج ٤٧، ح ١٨ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢ .

«إن ابني هذا سيد كما سَمَّاهُ النبي، وسيُخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق، ولا يُشَبِّهُهُ في الخُلُق، يملأ الأرض عدلاً»^(١).

ويرد على هذا الحديث:

أولاً: أنه متناقض في متنه مع مئات الأحاديث المتواترة القائلة بأن المهدي عليه السلام من ولِدِ الحسين عليه السلام.

ثانياً: إن العلامة الجزري الدمشقي الشافعي يروي الحديث بنحو آخر ويقول: «والأصح أنه من ذرية الحسين بن علي، لنص أمير المؤمنين عليٍّ على ذلك» ثم يروي الحديث قائلاً: ... قال علي - ونظر إلى ابنه الحسين - فقال: ... إلخ^(٢).

ثالثاً: أنه يوجد إتفاق بين علماء الجرح والتعديل على ضعف رجال هذا الحديث، وقال بعضهم إنَّ في سنده إنقطاع، ومنهم ابن القيم الجوزية^(٣).

رابعاً: إن في سند الحديث أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي وهو قد توفي سنة ١٢٩هـ، والإمام علي عليه السلام استشهد سنة ٤٠هـ. فلو حسبنا عمره من سنة مقتل الإمام علي عليه السلام لكان ٨٩ عاماً فكم يكون قد عاش إذاً ليتمكن له أن يرى الإمام علي عليه السلام ويسمع منه ويحفظ عنه...^(٤).

خامساً: إنَّ هذا الحديث عن السبيعي مُعارض بنقل آخر عن السبيعي نفسه يذكر فيه اسم الحسين عليه السلام مكان اسم الحسن عليه السلام^(٥).

ويمكن للبعض أن يحتج بحديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر فيه أن المهدي عليه السلام هو من ولد الحسن والحسين فيجعل منه دليلاً على أن المهدي عليه السلام من ولد الحسن عليه السلام ونص الحديث:

(١) سنن أبي داود، ج ٣ - ٤، ص ٣١١، ح ٤٢٩٠.

(٢) راجع المهدي المنتظر من ولد الإمام الحسن أم الإمام الحسين، الفتاوى، ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢.

(٤) الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية، عدنان البكاء، ص ٥٩.

(٥) المصدر نفسه، نقلاً عن البحار، ج ٥١، ص ١١٦.

عن علي بن مكي الهلالي عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال:

«... ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابنك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما، والذي بعثني بالحق خير منهما، يا فاطمة: والذي بعثني بالحق أن منهما مهدي هذه الأمة»^(١).

وهذا الحديث يثبت بشكل قاطع أن المهدي عليه السلام من ولد الحسن عليه السلام كما هو من ولد الحسين عليه السلام، ولكنه لا يعارض كون المهدي عليه السلام هو حقاً وواقعاً من نسل الحسين عليه السلام إنسجماً مع المئات من الروايات التي تثبت ذلك، وتفسير الحديث هو أن زوجة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام هي أم الإمام محمد الباقر عليه السلام واسمها فاطمة بنت الحسن المجتبي، فيكون الإمام محمد الباقر عليه السلام هاشمياً علوياً من جهتين، لأن ذريته المباركة من ذرية الإمامين الحسن والحسين عليه السلام، والإمام المهدي المنتظر من ذرية الباقر عليه السلام وهو بالتالي من هذه الذرية الطيبة الطاهرة وبذلك ينتهي نسبه إلى كلا الإمامين الحسن والحسين عليه السلام.

مهدوية أبناء العباس:

لم يكن تأييد العباسيين وتبنيهم لإدعاءات الحسينيين في مهدوية محمد بن عبد الله الحسين إلا جزءاً من اللعبة السياسية التي خططوا لها من أجل الوصول إلى طموحاتهم وأهدافهم التي سعوا من خلالها للوصول إلى السلطة والخلافة الإسلامية.

وقد استعمل العباسيون في سبيل الوصول إلى هذا الهدف شعارات كاذبة أرادوا خداع الأمة بها، وكان من بين هذه الشعارات الرضا من آل محمد، وساعدهم على ذلك أيضاً الظروف السياسية التي كان يمر بها الحكم الأموي وشدة نقمة الناس عليهم.

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ج ٣، ص ٥٢، نقلاً عن المهدي المنتظر بين الدين والفكر البشري، د. محمد طي، ص ٧١.

لذا يذكر المؤرخون أن العباسيين بادروا لتجميع أنصارهم سرّاً وسرقوا مخطط الثورة من الحسينين، وتمكنوا فيما بعد من إعلان ثورتهم على الأمويين من بلاد خراسان، واستطاعوا إسقاط الدولة الأموية، واستلام الخلافة من بعدهم، ومن ثم القضاء على جميع مُعارضيهما بما فيهم الحسينيين حلفاؤهم بالأمس، وبذلك تحقق ما أنبأ به الإمام الصادق عليه السلام في حديث للحسينيين من أجل أن لا يقعوا في مكيده العباسيين.

وفي تفاصيل هذه الدعوة العباسية يقول الشيخ الفتلاوي:

وقد شهدت العقيدة بالمهدي المنتظر في الأمة، قَمّة عمليات الوضع والتلاعب بأحاديثها النبوية، والتأمر على مبادئها وأصولها العقيدية، على يد خلفاء بني العباس، وبالأخص خليفتهما الثاني عبد الله العباسي، الملقب بابي جعفر المنصور الدوانيقي، وهو الذي نصّب ولده محمد بن عبد الله خليفة للمسلمين من بعده، وحمل الأمة قسراً على مبايعته بالخلافة قبل وفاته، وأطلق عليه لقب المهدي، مدّعيّاً أنه هو الخليفة المنتظر، المبشّر به في الأحاديث النبوية، والذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

ومما ذكره المؤرّخ الشهير أبو الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني» بهذا الصدد قوله:

لما أراد المنصور البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضروا، وقامت الخطباء فتكلّموا، وقالت الشعراء فأكثر في وصف المهدي وفضائله، وفيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ الخطباء من كلامهم والشعراء من شعرهم قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال: «المهدي منا، محمد بن عبد الله، وأمه من غيرنا، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً». وهذا العباس ابن محمد أخوك يشهد على ذلك.

ثم أقبل على العباس فقال له: أنشدك الله، هل سمعت هذا؟ فقال: نعم، مخافة المنصور! فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي. ولما إنفضّ المجلس وكان العباس بن محمد لم يأنس به فقال: رأيتم هذا الزنديق - يعني: مطيع بن

إياس - إذ كذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ، حتى استشهدني على كذبه، فشهدت له خوفاً، وشهد كل من حضر عليّ بأنّي كاذب.

وكان جعفر بن أبي جعفر المنصور ماجناً، ومع ذلك فلما بلغه هذا القول عن مطيع ابن إياس وكذبه على النبي ﷺ في حديث المهدي، غاظه ذلك وقد شقت عليه البيعة لأخيه محمد لأنه كان يتطلع إلى الخلافة بعد أبيه، وكان مطيع بن إياس منقطعاً في خدمة جعفر بن المنصور، ولكن بعد قوله هذا طرده من خدمته وتناوله بكلام فاحش^(١).

وامتدت أيادي العباسيين لتعبت بأحاديث النبي ﷺ، وتدنس فيها الأكاذيب التي تجعل المهدي في ذرية العباس، وقد وردت هذه الأحاديث بصيغ متعددة منها:

أولاً: «يا عم النبي إن الله ابتدأ بي الإسلام وسيختمه بغلام من ولدك هو الذي يتقدم عيسى بن مريم».

هذا الحديث رواه الخطيب البغدادي في تاريخه في الجزء الثالث في الصفحة ٣٢٣ وفي الجزء الرابع من الصفحة ١١٧، ورواه أيضاً ابن عساكر في تاريخ دمشق في الجزء الرابع في الصفحة ١٢٦، والذهبي في ميزان الاعتدال - الجزء الأول في الصفحة ٨٩ وغيرهم من الرواة.

وقد علّق الذهبي على رواية تاريخ بغداد فقال: «رواه عن محمد بن مخلد العطار فهو آفته، والعجب أن الخطيب ذكره في تاريخه ولم يضعفه، وكأنه سكت عنه لانتهاك حاله (أي لتأييده بني العباس أو خوفه منهم)»^(٢).

ثانياً: «المهدي من ولد العباس».

روى هذا الحديث ابن حماد في كتابه (الفتن) فقال: حدثنا الوليد عن شيخ

(١) الأغاني، الأصفهاني، ج ١٢، ص ٨١، نقلاً عن المهدي المنتظر من ولد الإمام الحسن أم الإمام الحسين، الفتلاوي، ص ١٤ - ١٥.

(٢) المهدي المنتظر بين الدين والفكر البشري، د. طي، ص ٦٦ - ٦٧.

عن يزيد ابن الوليد الخزازي عن كعب «ولم يسنده إلى الرسول ﷺ فلا تعتد به، لا سيما وأن فيه شخصاً مجهولاً» عن شيخ». وفي عرف السيوطي قال الدارقطني: «هذا حديث غريب تفرّد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم - يقصد العباسيين منهم». والذي قال عنه الذهبي: كان يصنع الحديث^(١).

وقد علّق العديد من أهل العلم على هذه الأحاديث الواردة في كون المهدي من ذرية العباس بأنه يمكن الجمع بين هذه الأحاديث وبين سائر الأحاديث الواردة حول كون المهدي من عترة الرسول ﷺ، بأنه من ولد العباس من جهة أمه، فإن أمكن الجمع فهذا، وإلاّ فالأحاديث أنه من ولد النبي ﷺ أرجح.

فضلاً عن أن الأحاديث في كونه من ذرية النبي ﷺ متواترة ومورد الإجماع، بخلاف الأحاديث الواردة في كونه من ذرية العباس والتي لا تصمد أمام تواتر الأحاديث الأولى وشهرتها وصحة سندها.

الإدعاءات المهدوية الباقية:

هذه الفرق التي ادعت المهدوية قام الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) بالإجابة عنها بما يكفي دليلاً على عدم صحة هذه الأقوال.

ومما قاله الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة:

وأما الذي يدلّ على فساد مذهب الواقفة الذين وقفوا في إمامة أبي الحسن موسى عليه السلام وقالوا: إنه المهدي فقولهم باطل بما ظهر من موته عليه السلام واشتهر واستفاض، كما اشتهر موت أبيه وجده ومن تقدّم من آبائه عليه السلام.

ولو شككنا لم نفصل من النಾಯسية والكيسانية والغلاة والمرجئة الذين خالفوا في موت من تقدّم من آبائه عليه السلام.

على أن موته اشتهر ما لم يشتهر موت أحد من آبائه عليه السلام لأنه أظهر وأحضر القضاة والشهود ونودي عليه ببغداد على الجسر، وقيل: هذا الذي تزعم

الرافضة أنه حي لا يموت، مات حتف أنفه، وما جرى المجري لا يمكن الخلاف فيه.

وأما من خالف من الفرق الباقية: الذين قالوا بإمامة غيره كالمحمدية الذين قالوا بإمامة محمد بن علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام والفضحية القائلة بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وفي هذا الوقت بإمامة جعفر بن علي، وكالفرقة القائلة إن صاحب الزمان حمل لم يولد بعد، وكالذين قالوا: إنه مات ثم يعيش، وكالذين قالوا: بإمامة الحسن عليه السلام، وقالوا: هو اليقين، ولم يصح لنا ولادة ولده، فنحن في فترة، فقولهم ظاهر البطلان من وجوه:

أحدهما: إنقراضهم فإنه لم يبق قائل يقول بشيء من هذه المقالات ولو كان حقاً لما انقرض.

ومنها: أن محمد بن علي العسكري (ابن الإمام الهادي) مات في حياة أبيه موتاً ظاهراً، والأخبار في ذلك ظاهرة معروفة، من دفعه كمن دفع موت من تقدّم من آبائه عليه السلام.

فروى سعد بن عبد الله الأشعري، قال: حدّثني أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنت عند أبي الحسن العسكري عليه السلام وقت وفاة ابنه أبي جعفر، وقد كان أشار إليه ودلّ عليه، وإنني لأفكر في نفسي وأقول هذه قصة إبراهيم، وقصة إسماعيل، فأقبل إليّ أبو الحسن عليه السلام وقال: نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي جعفر وصيّر مكانه أبا محمد، كما بدا له في إسماعيل بعدما دلّ عليه أبو عبد الله عليه السلام ونصّبهُ وهو كما حدّثتك نفسك وإن كره المبطلون، أبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده ما تحتاجون إليه، ومعه آله الإمامة والحمد لله، والأخبار بذلك كثيرة، وبالنص من أبيه على أبي محمد عليه السلام لا نطول بذكرها الكتاب، وربما ذكرنا طرفاً منها فيما بعد إن شاء الله.

أما ما تضمّنه الخبر من قوله: بدا لله فيه: معناه من الله فيه، وهكذا القول في جميع ما يروى من أنه بدا لله في إسماعيل، معناه أنه بدا من الله، فإن الناس

كانوا يظنون في إسماعيل بن جعفر أنه الإمام بعد أبيه، فلما مات علموا بطلان ذلك وتحققوا إمامة موسى عليه السلام، وهكذا كانوا يظنون إمامة محمد بن علي بعد أبيه، فلما مات في حياة أبيه علموا بطلان ما ظنوه.

وأما من قال: إنه لا ولد لأبي محمد عليه السلام، ولكن ههنا حمل مشهور سيولد، فقلوه باطل لأن هذا يؤدي إلى خلل الزمان من إمام يرجع إليه، وقد بينا فساد ذلك، على أننا سندل على أنه قد ولد وله ولد معروف، ونذكر الروايات في ذلك فيبطل قول هؤلاء أيضاً.

وأما من قال: إن الأمر مشتبه فلا يدري هل للحسن عليه السلام ولد أم لا؟

وهو مستمسك بالأول حتى يتحقق ولادة ابنه، فقلوه أيضاً يبطل بما قلناه من أن الزمان لا يخلو من إمام، لأن موت الحسن عليه السلام قد علمناه كما علمنا موت غيره، وسنبين ولادة ولده فيبطل قولهم أيضاً.

وأما من قال: إنه لا إمام بعد الحسن عليه السلام، فقلوه باطل بما دللنا عليه من أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعاً.

وأما من قال: إن أبا محمد عليه السلام مات ويحيى بعد موته، فقلوه باطل بمثل ما قلناه، لأنه يؤدي إلى خلل الوقت من إمام من وقت وفاته عليه السلام إلى حين يحييه الله تعالى، واحتجاجهم بما روي من أن صاحب هذا الأمر يحيى بعدما يموت وأنه سمي قائماً، لأنه يقوم بعدما يموت، باطل لأن ذلك يحتمل لو صح الخبر أن يكون أراد بعد أن مات ذكره حتى لا يذكره إلا من يعتقد إمامته، فيظهره الله لجميع الخلق، على أننا قد بينا أن كل إمام يقوم بعد الإمام الأول يسمى قائماً.

وأما القائلون: بإمامة عبد الله بن جعفر من الفطحية، وجعفر بن علي، فقلوه باطل بما دللنا عليه من وجوب عصمة الإمام، وهما لم يكونا معصومين، وأفعالهما الظاهرة التي تنافي العصمة معروفة نقلها العلماء، وهي موجودة في الكتب فلا نطول بذكرها الكتاب، على أن المشهور الذي لا مرية فيه بين الطائفة

أن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، فالقول بإمامة جعفر بعد أخيه الحسن يطل بذلك^(١).

وعلى الرغم من كثرة عدد هذه الفرق التي إدعت المهدوية وانحرفت عن المسار الصحيح لهذه القضية، لا يمكن لأحد إن يتسلح بكثرة عدد هذه الفرق ليجعل من ذلك دليلاً أو مؤيداً لتكذيب القائلين بوجود الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام وأنه الإمام المهدي المنتظر.

يقول أحمد الكاتب في جملة ما ذكره من نقض لقضية الإمام المهدي عليه السلام:
 «إنقسم الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري عليه السلام إلى أربعة عشر فرقة... ولم يقل بوجود وولادة وإمامة ومهدوية (محمد بن الحسن) إلا فرقة واحدة (شرذمة قليلة) من تلك الفرق الأربعة عشر»^(٢).

فها هو كما ترى يجعل من تعدد الفرق المهدوية في مقابل فرقة صغيرة قالت بإمامة (محمد بن الحسن) دليلاً على عدم صحة رأي الشيعة.

فلماذا تذكر الأستاذ الكاتب كل هذه الفرق وذكرها بالتفصيل في كتابه، وفأته (عن عمد) الحديث عن حجم هذه الفرق، وأين هي الآن، وهل ما زالت موجودة أم أنها انقرضت؟!

فالثابت لكل باحث ومؤرخ يكتب الحقيقة من دون تشويه أو تزيف أن هذه الفرق رغم كثرة عددها إلا أنها لا تضاهي بوجودها حجم الفرقة الإمامية القائلة بإمامة (محمد بن الحسن). لأن أتباع هذه الفرق يكاد لا يتجاوز عدد أصابع اليد، ولذلك يقول الشيخ المفيد في كتابه الفصول المختارة.

«ولما توفي أبو محمد الحسن بن علي بن محمد عليه السلام إفترق أصحابه بعده على ما حكاه أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي بأربع عشرة فرقة، فقال الجمهور منهم بإمامة القائم المنتظر عليه السلام

(١) راجع الغيبة، الشيخ الطوسي، الفصل الأول.

(٢) تطور الفكر الشيعي، أحمد الكاتب، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

وأثبتوا ولادته وصححو النص عليه وقالوا هو سمي رسول الله ﷺ ومهدي الأنام... .

وليس من هؤلاء الفرق التي ذكرناها فرقة موجودة في زماننا هذه وهو سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة إلا الإمامية الإثنا عشر القائلة بإمامة ابن الحسن المسمى باسم رسول الله ﷺ القاطعة على حياته وبقائه إلى وقت قيامه بالسيف حسبما شرحناه فما تقدّم عنهم وهم أكثر فرق الشيعة عدداً وعلماء ومتكلمون ونظار وصالحون وعباد ومتفقهة وأصحاب حديث وأدباء وشعراء، وهم وجه الإمامية ورؤساء جماعتهم والمعتمد عليهم في الديانة ومن سواهم منقرضون ولا يعلم من جملة الأربع عشرة فرقة التي قدّمنا ذكرها ظاهراً بمقالة ولا موجوداً على هذا الوصف من ديانتهم وإنما الحاصل منهم حكاية عمن سلف وأراجيف بوجود قوم منهم لا تثبت^(١).

الإدعاءات المهدوية بعد عصر الغيبة:

استمر أصحاب العقول المنحرفة والأبادي السيئة في محاولات تشويه القضية المهدوية واستغلال البسطاء من الناس للترتب على كراسي العرش والرئاسة. فقاموا باستغلال الأحاديث المتعلقة بالمهدي الموعود وتحريفها.

ولم تتوقف الدعوات المهدوية الكاذبة في زمن ولادة الإمام المهدي ﷺ وغيبته الصغرى والكبرى بل استمر الأمر إلى هذا الزمن.

وبعد استعراضنا لما تقدّم من ادعاءات سابقة على عصر ولادة الإمام المهدي ﷺ نعرض للقارئ الكريم بعضاً من هذه النماذج التي استطعنا التوصل لمعرفة:

١ - عبيد الله المهدي الذي كتب فيه القرماني: وقد عرّف نفسه بأنه ابن حسن بن

علي ابن محمد بن علي بن موسى الرضا - أي ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الإمام الحادي عشر لدى الشيعة. وقد خرج سنة ٢٩٧هـ من أفريقيا باعتباره المهدي، وأسس الدولة الفاطمية التي انقرضت بعد ٢٧٠ سنة. وهو الذي بنى مدينة المهدية في أحد سواحل تونس، والتي يرفع فيها اليوم علم فرنسا^(١).

٢ - محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي الحسني المعروف بالمهدي الهجري، وهو من قبيلة المصامدة التي كانت تسكن جبال الأطلس في المغرب: خرج سنة ٤٩٧هـ باعتباره المهدي، وأسس دولة «الموحدين». واستطاع أن يسيطر على إسبانيا^(٢).

٣ - الناصر لدين الله من الخلفاء العباسيين، ولد حوالي سنة ٥٥٠هـ، مدحه ابن التعاويذي في البيتين التاليين باعتباره المهدي المنتظر:

أنت الإمام المهدي ليس لنا إمام حق سواك ينتظر
تبدو لأبصارنا خلافاً لمن يزعم أن الإمام منتظر^(٣)

٤ - رجل كان يدعى عباس الفاطمي، خرج في غمارة في أواخر القرن السابع بين سنة ٦٩٠ و ٧٠٠، وادّعى أنه الفاطمي المنتظر، وقد مال إليه جمع غفير من أهالي غمارة، وقتل في نهاية الأمر^(٤).

٥ - رجل اشتهر بالتويزري، نسبة إلى تويزر من نحل الصوفية، خرج من رباط ماسه وادّعى أنه المهدي الفاطمي، مال إليه عدد كبير من أهالي سوس وغيرها، وعلا صيته إلى أن خاف منه كبار المصامدة فقتلوه.

(١) مقدمة ابن خلدون، ج ٢، ص ٨٢٩.

(٢) «تاريخ أبي الفداء»، ج ٢، ص ٢٣٢، «مجلة الهلال» السنة الرابعة العدد ١٧ ص ٦٤٣، «مقدمة ابن خلدون» ج ٢ - ٧٠٩.

(٣) «المهدي في الإسلام»، ص ٤٨.

(٤) «مقدمة ابن خلدون»، ج ٢، ص ٨١٩. «مجلة الهلال» السنة الرابعة العدد ١٧ ص ٦٤٣.

حدثت هذه القضية في أوائل القرن الثامن، في عهد السلطان يوسف بن يعقوب^(١).

٦ - إسحاق السبتي الزوي: الذي خرج في عهد السلطان العثماني محمد الرابع سنة ٩٨٦ هـ مدعيًا المهدوية، وكان تركياً ومن أهالي مير^(٢).

٧ - رجلٌ خرج سنة ١٢١٩ هـ في مصر مدعيًا المهدوية، وهو من مواليد طرابلس، وسرعان ما اشتبك في الحرب ضد جيش قادم من فرنسا حيث قتل مع عددٍ من أنصاره^(٣).

٨ - محمد أحمد: الذي خرج سنة ١٢٦٠ هـ من السودان، وهو من قبيلة الدناقلة، ولد في جزيرة «نبت» مقابل «دنقلا» أو في «حنك» حسب قول البعض^(٤).

٩ - رجل اجتمع حوله الناس في رباط عبادة حيث دعا إلى مهدوية نفسه باعتباره الفاطمي المنتظر، وكان من سلالة الرسول ﷺ^(٥).

١٠ - أحمد بن أحمد الكيال الذي دعا الناس أولاً إلى إمامته ثم خرج مدعيًا المهدوية وأسس فرقة الكيالية^(٦).

١١ - محمد مهدي السنوسي ابن الشيخ محمد السنوسي: الذي خرج من بلاد المغرب في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي وقد قال قبيل موته إنه ليس المهدي المنتظر بل إن المهدي سيأتي بعدئذ، وهو بذلك قد نفى المهدوية عن نفسه، ولعلّه كان يقصد بقيام المهدي بعد حين خروج ابنه^(٧).

(١) «مقدمة ابن خلدون»، ج ٢، ص ٨١٨.

(٢) ترجمة رسالة «الدار المسترة» لمحسن جهانسوز.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) «مجلة الهلال» السنة الرابعة، العدد ١٧ ص ٦٤٤، والسنة السابعة العدد ٦.

(٥) «مقدمة ابن خلدون»، ج ٢ - ٨١٨.

(٦) «الملل والنحل» للشهرستاني ١ - ١٦٠.

(٧) «الهلال» السنة الرابعة، العدد ١٧ ص ٦٤٤.

١٢ - الميرزا غلام أحمد القادياني: خرج في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي سنة ١٨٢٦ من البنجاب بالهند، وحارب جماعة الشيخ هناك باعتباره نبياً، وأسّس فرقة القاديانية التي لا يزال لها أتباع في الهند^(١).

١٣ - السيد أحمد بن محمد البارلي «يسمى بالمهديّ الوهابي أيضاً، ولد سنة ١٢٢٤ في مدينة «بريلي» من مدن الهند، كان وهابياً حيث قام بنشر هذا المذهب في الهند خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر، وعرف نفسه باعتباره من أحفاد الإمام الحسن بن علي (ثاني أئمة الشيعة) وأعلن الحرب ضدّ الهندوس والشيخ في بنجاب الهند، وقد انهزم في هذه الحرب وقتل، ولكنّه استطاع بدعوته أن يمهد الطريق لخروج أحمد القادياني - المذكور آنفاً - ويسهل عليه النفوذ في أفكار الناس^(٢).

١٤ - علي محمد الشيرازي المعروف بالباب، ابن الميرزا رضا البرّاز الشيرازي: ولد في شيراز سنة ١٢٣٥ من امرأة تدعى خديجة، ولم يكن له نصيب من العلم والأدب ما عدا اللغة الفارسية التي درسها في شيراز عند معلم كان يدعى «شيخنا»، كما درس شيئاً من النحو والصرف فقط، وكان يهتم بالارتياض وأداء الأعمال الشاقة من أجل تسخير الجنّ والروحانيات، وقد أقام برهة في ميناء بوشهر وأصيب هناك بانسداد الدماغ وضعف العقل، فسافر من بوشهر إلى كربلاء، وانضمّ إلى أعوان الشيخ أحمد الأحساني وصاحب السيد كاظم الرشتي وهو من تلامذة الأحساني ومروّجيه والذي كانت له مهارة في تبليغ الأباطيل والخرافات^(٣)، وبعد موت الأحساني والسيد كاظم الرشتي، التحق بتلميذ آخر للأحساني وهو الحاج كريم (خان)

(١) «الهلal» السنة الرابعة، العدد ١٧ ص ٦٤٢، «ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة»، ص ٣٠٠، ج ٣٧٠، «المهديّة في الإسلام» ص ٢٧٠، «مفتاح باب الأبواب»، ص ٧٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١، ص ٤٩٦، ج ٤٩٧، «المهديّة في الإسلام» ص ٢٦٨، «مفتاح باب الأبواب»، ص ٦٩.

(٣) من أجل الاطلاع على هوية السيد كاظم الرشتي ودوره في نشر فرقة البهائية، راجع كتاب «ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة» للميرزا حسن آل عصفور البحرني، ص ٢٤٧، ج ٣٠٠، طبعة قم.

(مؤسس فرقة الشيخية الضالّة ومبتدع لقب الركن الرابع)، وادّعى الشيرازي في البداية أنّه باب هذا الرجل وخليفة الخليفة، ولمّا ارتفع صيته بعض الشيء واشتهر قليلاً بين الناس زعم أنّه باب المهدي المنتظر. ثمّ استقلّ في دعواه معزّفاً نفسه بأنّه المهدي، ولمّا رأى كثرة الحمقاء حوله فقد اجتمع له عددٌ كبير من أناسٍ أكثر منه جهالةً وحماقةً، عندئذٍ ادّعى النبوة واختلق عباراتٍ جوفاء، عاريةً من المفهوم ويعبدةً عن أدب المحاوراة والمنطق السليم، فكانت أقواله خير دليل على قلّة عقله وبلاهة أتباعه، وفي النهاية اشتدّ به الجنون فطمع في الألوهية وجاء كتابه «البيان» خير شاهدٍ على كفره المحض.

والجدير بالذكر إنّ سياسة الأجانب اقتضت الدفاع عنه بما كان لهم من النفوذ في السلطة داخل إيران فعمدوا إلى تأييده ونشر مفاصله، وصرف الأموال للتبليغ له والصدّ لمن حاول التهاجم عليه، ممّا دعاه إلى تحليل أيّ حرام شاء، واعطاء الحرية في ارتكاب أنواع الموبقات والتصرفات غير المشروعة، فاستمال بذلك جمعاً من سفلة الناس وجهالهم.

أمّا علماء الدين في ذلك الزمن فقد شاهدوا منه في بداية الأمر أعمالاً جنونيةً دعتهم إلى التريث في إصدار حكم قتله، إلّا أنّ لهيب فتنته ابتدأ يتصاعد وينتشر فاضطرّ العلماء إلى الحكم بقتله دفعاً منهم لشرّه وصوناً للناس من السقوط في نار فتنته وانحرافاته. كما أفتوا بكفر أتباعه البهائيّين ونجاستهم وحرمة الزواج منهم. ومن جهةٍ أخرى كانت فتنته تهديداً للعرش الملكي فتّم تنفيذ الحكم فيه شنقاً، وبعد إعدامه علّم أنّه كان من مدّعي المهدوية الدجالين، وأنّ عملاء روسيا هم الذين شجّعوه على خلق أكاذيبه وساعده عليها.

ولمّا اتّضح فساد أمره استغلّه الإنجليز لمآربهم، وانتهى أمره إلى انحراف الملايين من المسلمين الضعاف الإيمان وانقلابهم كفاراً بعد ما كانوا شيعةً مسلمين.

وعلى رغم سقوط الشاه - والذي كان عوناً للبهائية - وقيام الجمهوريّة

الإسلامية وإبادة الحكم الملكي الذي كان البهائيون يستغلّونه لأغراضهم وعلى رغم منعهم من حرية العمل وعدم الاعتراف بهم رسمياً، إلا أنه - وبكلّ أسف - لا تزال هذه الفرقة الباطلة تبث سمومها بين الجهلاء لتلقيهم في براثن الكفر.

١٥ - مهدي السنغال: ظهر في السنغال سنة (١٨٢٨م) رجل ادّعى أنه المهدي المنتظر، ورفع راية الثورة على الحكم القائم إلا أنه فشل، وقتل.

١٦ - مهدي الصومال: ادّعى محمد بن عبد الله أنه الإمام المنتظر وكان ذلك في سنة (١٨٩٩م) وكان له نفوذ واسع في قبيلته (أوجادين) وقد حارب البريطانيين والإيطاليين والأحباش ما يقرب من عشرين عاماً، حتى توفي سنة (١٩٢٠م).

١٧ - مهدي تهامة: ظهر في تهامة في اليمن حوالي سنة (١١٥٩م) وادّعى أنه الإمام المنتظر الذي بشر به الرسول الأعظم ﷺ وتبعه فريق من الأعراب. وقد استطاع القضاء على دولة الحمدانيين في (صنعاء)، وعلى الدولة النجاشية في (زبيد)، وأعقبه حفيده عبد النبي سنة (١١٦٢م)، وأزال دولته توران شاه من قبل صلاح الدين الأيوبي.

وهذه الأسماء هي أهم وأبرز الدعوات التي شكّلت في تحركاتها تاريخاً يُدَوّن ويُكتب في سجل الادعاءات المهدوية المزيفة والباطلة، ويمكن للباحث العثور على أسماء أخرى أغفلنا ذكرها في هذا الكتاب.

علماء السنة ورأيهم في ولادة الإمام المهدي عليه السلام:

كما ونضيف إلى الأستاذ الكاتب ما يتقصه من معلومات وقلة اطلاع أو إلى ما يتمتع به من شدة إنكار لحقائق ثابتة وواضحة كوضوح الشمس أقوال بعض علماء أهل السنة المعترفين بولادة الإمام المهدي عليه السلام من صلب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ليعلم الكاتب المذكور بأن الإمام العسكري عليه السلام توفي وكان له ولد، وأن هذا الولد باعتراف علماء من غير الشيعة هو الإمام المهدي عليه السلام الذي بشر النبي ﷺ بظهوره وخروجه.

وقد نقل العلامة الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري عدداً من هذه الأقوال نذكر منها:

١ - ذكر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٥٤ في تذكره الخواص ص ٢٧٧ أن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحادي عشر أبو محمد الحسن بن علي العسكري.

٢ - ذكر محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ في كتابه مطالب السؤل ج ٢ ص ٧٩: إن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٣ - ذكر الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ في كتاب البيان في أحوال صاحب الزمان ص ١٠٢ - ١١٢: إن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٤ - ذكر ابن خلكان الشافعي في كتابه وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٦: إن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٥ - ذكر في الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢ ص ١٢٤: إن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٦ - ذكر ابن الصبّاح المالكي المتوفى سنة ٨٥٥ في كتابه الفصول المهمة ص ٢٧٤: إن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٧ - ذكر ابن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣ في كتابه الأئمة الإثني عشر ص ١١٧: إن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٨ - ذكر ابن الصبّان الشافعي المتوفى سنة ١٢٠٦ في كتابه إسعاف الراغبين ص ١٤٠: إن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٩ - ذكر مؤمن الشبلنجي الشافعي في كتابه نور الأبصار ص ١٥٤ : إن الإمام المهدي ﷺ من أولاد الإمام الحسن العسكري ﷺ .

١٠ - ذكر الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المتوفى سنة ١٢٩٤ في ينابيع المودة ص ٤٥٠ - ٤٥١ : إن الإمام المهدي ﷺ من أولاد الإمام الحسن العسكري ﷺ^(١) .

ولا ندرى بعد سرد أسماء هؤلاء العلماء المعترفين بولادة الإمام المهدي ﷺ وأنه من ولد الإمام الحسن العسكري ﷺ مع إضافة اتفاق علماء الشيعة إلى ذلك . هل يستطيع أحد أن ينكر وجود ولد للإمام العسكري ﷺ ؟ وبهذا نختم الكلام في الرد على كل الفرق والمذاهب التي ادعت المهدوية لغير الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ﷺ .

الإمام العسكري ووصيته لوالدته:

انتقل الإمام العسكري ﷺ إلى جوار ربّه في عام ٢٦٠ للهجرة، وكان ﷺ قد عمل ضمن مخطط دقيق من أجل ترسيخ فكرة ولاية الإمام المهدي ﷺ وإمامته ولم يترك فرصة لتأكيد ذلك إلّا واستغلها وخصوصاً أمام النخبة الواعية من أصحابه وشيعته .

ولم يتردد أحد من الشيعة الإمامية في قبول هذا الأمر لأنه أصبح لديهم من المسلّمات .

إلّا أن الظروف الصعبة التي مرّ بها الإمام الحسن العسكري ﷺ، والمراقبة الدائمة من السلطة الحاكمة لجميع تحركاته التي سعت جاهدة للوصول إلى شخصية الإمام المهدي ﷺ قبل ولادته، هذا الأمر دفع الإمام العسكري ﷺ إلى تضليل السلطة العباسية وتحويل نظرها قدر الإمكان عن شخصية الخليفة من بعده .

(١) المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية، نجم الدين العسكري، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

ومن هذه الخطوات التي اتبعها الإمام وصيته في مرضه الذي توفي فيه إلى والدته المسماة بـ: «حديث»، المكثاة بأمر الحسن بوقوفه وصدقاته، وأسند النظر إليها في ذلك دون غيرها.

وقد روى ذلك عدد من علماء الشيعة منهم الشيخ الصدوق عليه السلام الذي ذكر حادثة شهادة الإمام العسكري عليه السلام وما جرى فيها من أحداث إلى أن قال:

«... فلما دُفِنَ وتفرَّق الناس إضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده وكثرة التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا على قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا عليها الحبل ملازمين لها سنتين وأكثر حتى تبين لهم بطلان الحبل فقسّم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وأدعت أمه وصيته، وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده...»^(١).

هذه الوصية من الإمام العسكري عليه السلام إلى والدته والتي كان الهدف منها واضحاً وجلياً لمن قرأ واطلع على الظروف التي عاشها الإمام العسكري عليه السلام. دفعت البعض إلى وضعها في خانة الأدلة التي استعملوها في إطار التشكيك بولادة الإمام المهدي عليه السلام، بل إلى إنكار أصل وجود ولد للإمام العسكري اسمه محمد بن الحسن المهدي عليه السلام وإلا لما أوصى لوالدته.

وهذه الشبهة دافع عنها وادحضها علماء الشيعة الكبار منهم الشيخ المفيد عليه السلام الذي قال في هذا المجال:

«وَأَمَّا تَعَلُّقُهُمُ بِوَصِيَّةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ إِلَى وَالِدَتِهِ... فَلَيْسَ بِشَيْءٍ يُعْتَمَدُ فِي إِنْكَارِ وَلَدِهِ لَهُ قَائِمٌ بَعْدَهُ مَقَامَهُ، مِنْ قِبَلِ أَنَّهُ أَمْرٌ بِذَلِكَ تَمَامٌ مَا كَانَ مِنْ غَرَضِهِ فِي إِخْفَاءِ وَلَادَتِهِ وَسِتْرِ حَالِهِ عَنْ مَتَمَلِّكَ الْأَمْرِ فِي زَمَانِهِ وَمَنْ يَسْلُكُ سَبِيلَهُ فِي إِبَاحَةِ دَمِ رَاحٍ إِلَى اللَّهِ مُنْتَظِرٌ لِدَوْلَةِ الْحَقِّ.

ولو ذكر في وصيته ولداً له وأسندها إليه، لناقض ذلك الغرض منه فيما ذكرناه، ونافى مقصده في تدبير أمره له على ما وصفناه، وعدل عن النظر بولده وأهله ونسبه، لا سيما مع اضطرابه كان إلى شهادة خواص الدولة العباسية عليه في الوصية وثبوت خطوطهم فيها - كالمعروف بتدبير مولى الواثق وعسكر الخادم مولى محمد بن المأمون والفتح بن عبد ربه وغيرهم من شهود قضاة سلطان الوقت وحكامه - لما قصد بذلك من حراسة قومه، وحفظ صدقاته وثبوت وصيته عند قاضي الزمان، وإرادته مع ذلك السر على ولده، وإهمال ذكره، والحراسة لمهجته بترك التنبيه على وجوده، والكف لأعدائه بذلك عن الجذ والإجتهد في طلبه، والتجريد عن شيعته لما شُئ به عليهم من اعتقاده وجوده وإمامته.

ومن إشتهبه عليه فيما ذكرناه، حتى ظن أنه دليل على بطلان مقال الإمامية في وجود ولد للحسن عليه السلام مستور عن جمهور الأنام، كان بعيداً من الفهم والفطنة، يائساً عن الذكاء والمعرفة، عاجزاً بالجهل عن التصور أحوال العقلاء وتدبيرهم في المصالح وما يعتمدونه في ذلك من صواب الرأي وبشاهد الحال، ودليله من العرف والعادات^(١).

ومن هؤلاء العلماء، الشيخ الطوسي الذي أجاب عن ذلك بالقول:

«... إنما فعل ذلك - أي الإمام العسكري عليه السلام - قصداً إلى تمام غرضه في إخفاء ولادته، وسر حاله عن سلطان الوقت، ولو ذكر ولده أو أسند وصيته إليه لناقض غرضه خاصة وهو احتياج إلى الإشهاد عليها وجوه الدولة، وأسباب السلطان، وشهود القضاة ليتحرّس بذلك وقوفه، ويحتفظ صدقاته، ويتم به السر على ولده بإهمال ذكره وحراسة مهجته بترك التنبيه على وجوده، ومن ظن أن

(١) سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، المسائل الصاغانية، (الفصول العشرة في الغيبة)، ص ٦٩ - ٧٠.

ذلك دليل على بطلان دعوى الإمامية في وجود ولد الحسن عليه السلام ،
كان بعيداً من معرفة المعاداة .

وقد فعل بنظير ذلك الصادق جعفر بن محمد عليه السلام حين أسند
وصيته إلى خمسة نفر أولهم المنصور، إذ كان سلطان الوقت، ولم
يفرد ابنه موسى عليه السلام بها إبقاء عليه، وأشهد معه الربيع وقاضي
الوقت وجاريتهم أم ولده حميدة البربرية وختمهم بذكر ابنه موسى بن
جعفر عليه السلام لستر أمره وحراسة نفسه، ولم يذكر مع ولده موسى
أحداً من أولاده الباقين لعلّه كان فيهم من يدّعي مقامه من بعده،
ويتعلّق بإدخاله في وصيته، ولو لم يكن موسى عليه السلام ظاهراً مشهوراً
في أولاده معروف المكان منه، وصحّة نسبه واشتهار فضله وعلمه،
وكان مستوراً لما ذكره في وصيته ولاقتصر على ذكر غيره، كما فعل
الحسن بن علي والد صاحب الزمان عليه السلام ^(١).

هذه المبررات التي ذكرها العلمين المفيد والطوسي في وصيّة الإمام
العسكري عليه السلام لأمه كافية في الردّ على الإشكالية المطروحة في هذا المجال .
أما الحديث عن ما آلت إليه هذه الوصية من تفجّر أزمة عنيفة في صفوف الشيعة
الإمامية الذين كانوا يعتقدون بضرورة استمرار الإمامة الإلهية إلى يوم القيامة،
وحدوث نوع من الشك والحيرة والغموض والتساؤل عن مصير الإمامة بعد
الإمام العسكري عليه السلام وتفرّق الشيعة . كل هذا الكلام في اعتقادنا يكشف عن
عدم المعرفة أو الإطلاع الواسع على ظروف الإمامة بعد الإمام العسكري عليه السلام
لأن الواقع التاريخي الثابت في جميع المصادر التي تحدّثت عن ظروف ذلك
العصر تكشف بوضوح عن ترسيخ فكرة الإمامة وبالأخصّوص إمامة الإمام
المهدي عليه السلام أكثر مما كانت عليه قبل زمان الإمام العسكري عليه السلام وأوضح
دليل وخير شاهد على ذلك هو تساؤل نسبة المدّعين للمهدوية بعد الإمام
العسكري بالنظر إلى ما قبل زمن العسكري عليه السلام .

ويضاف إلى ذلك الإجماع الذي حصل بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام على إمامة ولده الإمام المهدي عليه السلام.

ومما يؤيد ذلك، الرفض المطلق من الشيعة وزعمائهم وقادتهم لأدعاء جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام للإمامة بعد أخيه العسكري عليه السلام. ليقينهم بأن الإمام والوريث الحقيقي هو الإمام المهدي عليه السلام.

وبهذا تسقط كل الاشكاليات المطروحة على وصية الإمام العسكري عليه السلام لأمه، باعتبار ذلك نوعاً من التخطيط الذي اتبعه الإمام العسكري عليه السلام في حفظ ولده من أيادي السلطة الحاكمة التي كانت تحاول الكشف عن وجوده لقتله على الفور.

القسم الثاني

غيبة الإمام المهدي ﷺ

• الفصل الأول:

الغيبة الصغرى وما جرى فيها من أحداث

• الفصل الثاني:

السفارة في عصر الغيبة الصغرى

• الفصل الثالث:

الغيبة الكبرى للإمام المهدي ﷺ

غيبة الإمام المهدي ﷺ

للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وفقاً لما جاء في الأحاديث المتواترة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام غيبتان صغرى وكبرى .

أما الغيبة الصغرى فقد اختلف العلماء والمحدثون حول تاريخ بدايتها، فقد رأى البعض أنها تبدأ من تاريخ ولادة الإمام المهدي عليه السلام لأن حياته منذ الولادة كانت مقرونة بالإستتار عن الناس، فتكون حينئذ السنوات الخمس التي قضاها الإمام المهدي عليه السلام مع والده الإمام العسكري عليه السلام من ضمن الغيبة الصغرى، وهذا ما ذهب إليه الشيخ المفيد وغيره من العلماء .

وبناءً على هذا تكون الغيبة الصغرى قد بدأت من عام خمس وخمسين ومائتين للهجرة .

ومنهم من رأى أن الغيبة الصغرى تبدأ من حين وفاة الإمام العسكري عليه السلام وتولي الإمام المهدي عليه السلام الإمامة، حيث بدأها عليه السلام بالإيعاز بنصب وكيله الأول حين قابله وفد من أهل قم .

فتكون الغيبة الصغرى قد بدأت من اليوم الثامن من شهر ربيع الأول من عام ٢٦٠ للهجرة وقد قابل عليه السلام وفد القميين في نفس اليوم .

وقد استمرت هذه الغيبة إلى زمان انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم وهي أربع وسبعون سنة بناءً على الرأي القائل بأن بدء غيبته عليه السلام كانت منذ ولادته .

وفي هذه المدة كان السفراء يرونه وربما رآه غيرهم، ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقعات منه إلى شيعته في أجوبة المسائل وفي أمور شتى .

وأما الغيبة الكبرى فقد وقعت بعد الأولى، وذلك بعد وفاة السفير الرابع أبي الحسن علي بن محمد السمرى في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. وهذا ما ستحدث عنه مفصلاً في البحوث القادمة.

وهذه الغيبة (الصغرى والكبرى) لصاحب العصر والزمان عليه السلام ثابتة بالنصوص الواردة في كتب الأحاديث ونذكر منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«للقائم غيبتان إحداهما طويلة والأخرى قصيرة، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواله في دينه»^(١).

عن زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن للقائم غيبتين يرجع في إحداهما، والأخرى لا يدري أين هو، يشهد الموسم، يرى الناس ولا يرونه»^(٢).

وعنه عليه السلام قال:

«إن لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم يقول ذهب فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير لا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره»^(٣).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال:

«فينا نزلت هذه الآية، وجعل الله الإمامة في عقب الحسين إلى يوم

(١) منتخب الأثر، الباب ٢٦، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، ح ١ و ٧ و ٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

القيامة، وإن للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فلا يثبت على إمامته إلا من قوي يقينه وصحت معرفته^(١).

ومما روي أيضاً عنه عليه السلام :

«للقائم منا غيبة أمدّها طويل كأنّي بالشيعّة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقسُ قلبه لطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة، ثم قال: إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عتقه بيعة فلذلك تخفى ولادته، ويغيب شخصه»^(٢).

وفيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سأله أحدهم فقال :

قد روي لنا أخبار عن آبائك عليه السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع؟

فقال عليه السلام :

«إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله ﷺ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الأرض، وصاحب الزمان، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٣).

وفي عصر الغيبة الصغرى عاش الإمام المهدي عليه السلام فترة من الزمن في ظل رعاية أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، واستلم زمام الإمامة من بعده وقام بتعيين سفرائه الأربعة الذين كانوا مصدر التواصل بينه وبين الناس ويمكن القول بأن الإمام لم يغيب عن الأنظار بالشكل الكلي في الغيبة الصغرى، ولهذا فإن هذه الفترة من حياة الإمام المهدي عليه السلام كانت حافلة بالأحداث الهامة التي نرى

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٦، ح ٢.

(٢) منتخب الأثر، ص ٢٦٠ - ٢٦١، ح ٣ و ٥.

(٣) المصدر نفسه.

أنه لا بد من تسليط الضوء عليها بالإضافة إلى الإجابة عن الأسئلة والشبهات التي وقعت حول أصل وسبب هذه الغيبة والعلة والحكمة منها وغيرها من الشبهات الواردة في هذا المضمار.

الفصل الأول

الغيبة الصغرى وما جرى فيها من أحداث

★ الإمام المهدي عليه السلام وعصر الغيبة الصغرى

★ نشاطات الإمام المهدي عليه السلام خلال عصر الغيبة الصغرى

★ قصة السرداب واختفاء الإمام عليه السلام فيه

الغيبة الصغرى وما جرى فيها من أحداث

لعل السر في وقوع الغيبة الصغرى هو عدم أنس الشيعة بالغيبة التامة، فوَقعت الغيبة الصغرى لتكون مقدّمة تمهيدية ومدخلاً للغيبة الكبرى، ولثلاً يستوحش الشيعة منها إذا وقعت، وامتد زمانها إلى سنة (٣٢٩هـ) العام الذي توفي فيه السفير الرابع أبي الحسين علي بن محمد السمرّي الذي خُتِمت به السفارة والنيابة الخاصة وبدأت الغيبة الكبرى مقدّمة للظهور المبارك لصاحب العصر عليه السلام.

ومن أبرز مميزات فترة الغيبة الصغرى.

أولاً: كونها مبدأ تولي الإمام المهدي عليه السلام، للمنصب الإلهي الكبير في إمامة المسلمين بعد أبيه الراحل عليه السلام، لكي يتولى مسؤوليته الكبرى في قيادة قواعده الشعبية خاصة والبشرية كلها عامة، إلى عالم السعادة والسلام.

ثانياً: عدم الاستتار الكلي للإمام المهدي عليه السلام، وإنما كان يتصل بعدد مهم من الخاصة، لأجل مصالح كبرى، كما في الكثير من الأحداث التي جرت في تلك الفترة.

ثالثاً: وجود السفراء الأربعة، الموكلين بتبليغ تعاليم الإمام المهدي عليه السلام إلى الناس من قواعده الشعبية بحسب الوكالة الخاصة المنصوص عليها من قبل المهدي عليه السلام نفسه أو من قبل آبائه عليهم السلام، وكان الأسلوب الرئيسي

للمهدي عليه السلام في قيادة قواعده الشعبية وإصدار التعليمات وقبض الأموال، هو ما يكون بتوسط هؤلاء السفراء وما يتسنى لهم من القيام به من قولٍ أو عمل^(١).

وبعد النص من الإمام على إلغاء عمل السفراء الخاصين، ورد عنه عليه السلام جملة من النصوص التي تحيل الناس على النواب العامين له والذين هم بحسب الروايات فقهاء الشيعة العدول الذين جعل لهم الإمام المهدي عليه السلام منصب المرجعية والنيابة العامة عنه في زمن الغيبة الصغرى.

ومن هذه الأحاديث ما ورد في بعض توقعاته عليه السلام :

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم».

رابعاً: إدعاء البعض للسفارة والنيابة عن الإمام المهدي عليه السلام، ومن هؤلاء بعض أصحاب الإمام الهادي والإمام العسكري عليه السلام، وكانت محاولات هؤلاء تبوء بالفشل والخيبة نتيجةً للجهود الواسعة التي بذلها السفراء في تكذيبهم وعزل الناس عنهم، وكانت عاقبة أمر هؤلاء أن شملتهم اللعنة الإلهية من الإمام المهدي عليه السلام، ومن أهم هؤلاء المدعين للنيابة الخاصة محمد بن علي السلمغاني المعروف بابن العزاقر.

خامساً: المحاولات العديدة للسلطة العباسية التي حاولت جاهدة إغتيال الإمام أو إلقاء القبض عليه. وكل هذه المحاولات باءت بالفشل وقد تخللها العديد من المعجزات التي ظهرت للإمام المهدي عليه السلام والتي سنذكرها لاحقاً إن شاء الله.

سادساً: عدم ابتعاد الإمام المهدي عليه السلام عن مزاوله بعض الأعمال والقيام ببعض النشاطات التي كانت تتطلب منه أن يقابل بعض الشخصيات المعروفة والموثوق بها، وكذلك تصرفه في شؤون الناس سواء الاجتماعية أو المالية، وأيضاً حلّه للكثير من المشكلات العامة والخاصة.

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

سابعاً: محاولة السلطة العباسية إزاحة منصب ومقام الإمامة والولاية العظمى عن الخليفة الشرعي للإمام الحسن العسكري عليه السلام والإيحاء للناس بأن الإمامة من بعده لأخيه جعفر، ولكن سرعان ما تدخلت القدرة الإلهية لمنع حصول مثل هذا الأمر الخطير، وبما أن المرتكز في أذهان الشيعة خاصة والناس عامة أن الإمام المعصوم لا يصلي عليه إلا إمام معصوم مثله فعندما أراد جعفر تبوء هذا المنصب والصلاة على الإمام الحسن العسكري عليه السلام وإذا بالناس تفاجأ بصبي صغير يخرج إليهم وهو يقول لجعفر «تنح يا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي»، فيتأخر جعفر من دون مناقشة، ويتقدم الإمام عليه السلام ويصلي على أبيه.

هذه الأحداث والوقائع وغيرها من سمات هذه المرحلة والفترة الزمنية من حياة الإمام المهدي عليه السلام نقف عندها في ضمن بياننا لبعض مجريات الأحداث في عصر الغيبة الصغرى والمتعلقة بسيرة الإمام وحياته ونشاطاته وعلاقته بالناس وكيفية إتصاله بهم وموقفه من بعض الأحداث المرتبطة بشؤون الإمامة والولاية، وموقف السلطة منه وغيرها من الأمور.

الإمام المهدي عليه السلام وعصر الغيبة الصغرى:

عاش الإمام المهدي عليه السلام خلال فترة حياته التي قضاها مع أبيه في مدينة سامراء كما جاء في الكثير من الروايات التي تحدثت عن مشاهدة البعض له. ويدل على ذلك أيضاً تحويل السفيرين الأولين الوفود التي كانت تحمل الأموال للإمام إلى سامراء، وكذلك محاولات السلطة لإلقاء القبض عليه في دار الإمام العسكري ومطاردته من حين إلى آخر، كما في محاولة المعتضد إرسال بعض أعوانه إلى دار الإمام العسكري عليه السلام وإخباره لهم بوجود الإمام المهدي عليه السلام فيها.

لهذا كان على الإمام أن يُبعد عن نفسه كل الآثار التي تلفت النظر أو تثير الشك في وجوده، حتى أن وكلاءه أصبحوا بعيدين عنه، لكي لا يوجهوا الأنظار إليه. وأصبحت مهمة السفراء التواصل مع الناس وخدمة مصالحهم الدينية

والقيام بما أمكنهم من حل المشاكل والإعتراضات التي كانت تواجه الأمة الإسلامية في ذلك الوقت.

والمتتبع لسير الأحداث يرى بوضوح ندرة الإتصال بين الإمام والناس في فترة السفير الأول وإلى الزمن الأول من سفارة السفير الثاني.

أما بعد هذه المرحلة فإنه وبلا شك أصبحت أوصاف الإمام عليه السلام بالنسبة إلى جيل كبير من الناس مخفية فهو قد كُبر في السن، وتغيرت ملامحه وصورته وشكله، مما فسح أمامه فرصة جديدة للخروج ورؤية الناس لعدم معرفتهم به لذا فإن الشيخ الطوسي ينقل في كتابه الغيبة بأن الإمام عليه السلام دخل في هذه الفترة إلى بغداد بزّي التجار، وأصبح يحضر مواسم الحج، ويخالط الحجاج من خواصه ويحدثهم ويعلمهم الأدعية ويعطيهم التعليمات. بل إنه ليكشف حقيقته أمام البعض إذا اقتضت المصلحة ولم يكن في ذلك خطر.

ويذهب أيضاً إلى كربلاء لزيارة جده سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

ثم يمضي إلى مصر على ما يظهر من بعض الروايات، ويصلي في مسجد الإسكندرية، ثم يسافر مع أحدهم، ويأخذ طريق البحر.

ثم يعود من هذه الأسفار إلى بغداد لياشر الإتصال بسفرائه، وإدارة مصالح المجتمع والوقوف في وجه المنحرفين، عن طريق التوقيعات والبيانات^(١).

وقد شكّل عصر الغيبة الصغرى محطة بارزة في مجال بيان الإمام المهدي عليه السلام لسياسته ونهجه الذي سيتبعه مع الأمة طوال فترة غيبته إلى يوم الظهور العام، حيث أرسى بعض الأسس والقواعد لشيعة.

لذا نرى أنه لا بد من البحث في هذه الفترة عن جملة من النقاط التالية:

(١) راجع الغيبة، للطوسي، ص ٢٥٣، فصل أخبار بعض من رأى صاحب الزمان عليه السلام وهو لا يعرفه أو عرفه فيما بعد.

نشاطات الإمام المهدي عليه السلام خلال عصر الغيبة الصغرى:

يمكن إيجاز أهم الأعمال والنشاطات التي قام بها الإمام المهدي عليه السلام خلال هذه الفترة بالأمور التالية^(١):

أولاً: محاولات الإمام عليه السلام الدائمة لإثبات وإقامة الحجة على وجوده بشكل حسي واضح، لكي يكون مستمسكاً واضحاً أكيداً لدحض ما قد يثار من الشبهات والأسئلة حول ولادته ووجوده. وذلك بنفس الأسلوب الذي سار عليه والده الإمام العسكري عليه السلام حيث قام في عدة مواقع بعرض ولده المهدي عليه السلام على الخاصة من أصحابه، وينص على إمامته بعده.

فقام الإمام المهدي عليه السلام بنفس العمل ومكن عدداً من الخاصة من مشاهدته عياناً، وأوصاهم بتبليغ ما شاهدوه إلى الناس، مع إيصائهم بكتمان المكان وغيره من الخصوصيات التي قد تدل على مكانه.

وكان يتولى الإجابة على بعض المسائل ويحلّ المشكلات التي لا يمكن لأحد من الناس حتى السفراء حلّها، والتي تحتاج إلى الإمام المعصوم الذي يملك الحل عن طريق الإعجاز الذي يثبت إمامته وقيادته.

ومما يدل على سلوك الإمام عليه السلام لهذا النهج هو المقابلات العديدة التي جرت بينه وبين بعض اللذين يُعلم من درجة إخلاصهم وإيمانهم أو في ظروفهم وأسلوب مقابلتهم أنهم لن يصلوا على ما يضرّ الإمام المهدي عليه السلام أو يدلوا السلطات عليه.

وهذه المقابلات كانت تجري بناءً على طلبات الآخرين، وغالباً ما تتم في الديار المقدسة أثناء موسم الحج وفي بغداد والغرض من هذه المقابلات فضلاً عن إقامة الحجة على وجوده، قضاء حوائج الناس وتوجيه بعض النصائح والتعليمات إليهم.

والذي تؤكد هذه الروايات الناقلة لهذه المقابلات هي أن هؤلاء الناس كانوا

(١) راجع تاريخ الغيبة الصغرى، الصدر، ص ٣٦٧.

خلال التشرف بلقاء الإمام عليه السلام غافلين عن كونه هو المهدي عليه السلام غير ملتفتين إلى ذلك، حتى إذا ما فارقهم وعملوا بتعاليمه، عرفوا أن ذاك هو الإمام المهدي عليه السلام.

وعن هذه الأهداف حدث الإمام المهدي عليه السلام بعض من رآه في عام ٢٦٨ حين قال له:

«يا عيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذبون القائلون بأين هو، ومتى كان، وأين ولد، ومن رآه، وما الذي خرج إليكم منه، وبأي شيء نبأكم، وأين معجزاته... يا عيسى فخير أوليائنا ما رأيت. وإياك أن تخبر عدونا... فقلت: يا مولاي أدع لي بالثبات. فقال عليه السلام: لو لم يثبتك الله ما رأيتني»^(١).

ويتضح من الروايات التي تتحدث عن حل الإمام لمشاكل الناس الجواب عن الإشكال القائل: بأنه ما هي الفائدة من وجود غيبة الإمام عن مسرح الأحداث الاجتماعية؟ وأين هي الفائدة من وجوده حينئذ؟

فهذه الروايات تثبت بشكل قاطع أن الإمام عليه السلام وإن كان غائباً عن أعين الناس، إلا أنه يعيش معهم همومهم وأحزانهم وأفراحهم، ويسعى إلى قضاء حوائجهم، ولا يتركهم في حالة ضياع وفراغ، وأن الإخلاص والثبات يمكن أن يسهل للإنسان عملية رؤيته.

ومن ذلك ما ورد في خبر عيسى بن مهدي الجوهري الذي قصد الفحص عن الإمام المهدي عليه السلام وأراد مقابلته. وكان هذا الرجل مسبوقاً بمرضٍ إشتهى فيه السمك والتمر. فلما ورد المدينة عام ٢٦٨ في سفره للحج، دعاه خادم إلى مقابلة الإمام المهدي عليه السلام وسماه باسمه الكامل.

قال الراوي: فكبرت وهللت وأكثرت من حمد الله عز وجل والثناء عليه.

(١) نقلاً عن تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٥٧٠.

فلما صرت في صحن القصر رأيت مائدة منصوبة . فمر بي الخادم إليها فأجلسني عليها، وقال لي: مولاك يأمرُك أن تأكل ما اشتهيت في علتك . . .

فقلت حسبي هذا برهاناً . فكيف آكل ولم أر سيدي ومولاي . فصاح بي: (أي الإمام المهدي عليه السلام): يا عيسى! كل من طعامك فإنك تراني . فجلست على المائدة فنظرت فإذا فيها سمك حار يفور . وتمر إلى جانبه أشبه التمور بتمورنا . وبجانب الثمر لبن .

فقلت في نفسي: عليلٌ وسمك وتمر ولبن؟

فصاح بي: يا عيسى! أتشكُّ في أمرنا؟ أفأنت أعلم بما ينفعل ويضرك؟

فبكيت واستغفرت الله تعالى وأكلت من الجميع، وكلما رفعت يدي منه لم يتبين موضعها فيه، فوجدته أطيب ما ذقته في الدنيا .

فأكلت منه كثيراً، حتى إستحييت، فصاح بي: لا تستح يا عيسى فإنه من طعام الجنة لم تصنعه يد مخلوق . فأكلت فرأيت نفسي لا ينتهي عنه من أكله . فقلت: يا مولاي حسبي . فصاح بي: أقبل إليّ .

فقلت في نفسي: آتي مولاي ولم أغسل يدي!

فصاح بي: يا عيسى وهل لما أكلت غمّر؟

فشممت يدي وإذا هي أعطر من المسك والكافور^(١) . . .

ثانياً: محاولات الإمام عليه السلام الإختفاء عن السلطات العباسية الحاكمة إختفاء تاماً، بشكل يأمن معه عدم وصولهم إليه، أو العثور عليه، أو معرفة مكان إقامته .

وقد اتخذ الإمام عليه السلام بعض الإجراءات التي منعت من وصول هذا الخطر إليه . فلم يكن يسمح لأحد بمشاهدته ومعرفته إلا من يُحرز فيه عمق الإخلاص - كما عرفنا فيما تقدم - وتأكيدهِ على كل من يراه بعدم إفشاء مكانه، ومنعه من

التصريح بإسمه منعاً باتاً، إلى حدٍ يمكن أن يقال: إنه كان مجهولاً عن الكثير من الخاصة، فضلاً عن سائر المسلمين.

ومنها: الإختفاء التام عن السلطات، وعن كل من لا يواليه.

ومنها: تحويل مكانه بين آونةٍ وأخرى، بنحو غير ملفت للأنظار. ومنها: عدم الإفصاح عن طريقة اتصال وكيله الخاص به، فقد كان الناس يجهلون طريقة تواصل الوكيل أو النائب الخاص مع الإمام، هل هو بطريقة المواجهة المباشرة، أو بطريقٍ آخر، وأين تحدث المواجهة، وكيف...؟!.

ومنها: إيكاله أمر الوكالة الخاصة، أو السفارة، إلى أشخاص يتصفون بدرجة عالية من الإخلاص، بحيث يكون من المستحيل عادة أن يشوا بالإمام المهدي عليه السلام^(١).

وكلُّ هذه الإجراءات كان لا بد منها بالنسبة إلى الإمام المهدي عليه السلام لأن القبض عليه كان يمثل أحد أهم الأهداف الكبرى للسلطة الحاكمة، التي كانت تعلم بأن الإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر المذخور لرفع الظلم والجور عن بني البشر.

وينقل لنا التاريخ محاولات عديدة قامت بها السلطة العباسية للقبض على الإمام عليه السلام، إحداها قام بها المعتمد، والأخريات قام بهما المعتضد الذي تولى الحكم بعده.

وقد عمدت هذه السلطة إلى أسلوب دقيق في المراقبة، فكان هناك الجواسيس الذين ينقلون الأخبار الدائمة إلى الخليفة، وهناك أيضاً المراقبة التامة للسفراء وللأصحاب. وكل هذه المحاولات التي كانت قائمة على قدم وساق جوبهت بالسرية والكتمان والحذر الشديد، لذا لم تستطع هذه السلطة النيل من الإمام عليه السلام ولا من أحدٍ من أصحابه.

وفي التاريخ شواهد عديدة على مقدار التجسس الذي قامت به السلطة

(١) راجع النية الصغرى، السيد الصدر، ص ٣٦٩.

العباسية، بحيث أنهم إستطاعوا أن يعلموا بمكان الدار التي يسكنها الإمام المهدي عليه السلام، ويعلموا بالعبد الجالس على الدار وغيرها من التفاصيل الدقيقة التي تنقلها لنا الحادثة التالية:

فعن رشيق صاحب المادراي قال: بعث إلينا المعتضد ونحن ثلاثة نفر، فأمرنا أن يركب كل واحد منا فرساً ونجنب آخر (أي نجعله جنبه) ونخرج مخفين (أي جاعلين معنا شيئاً خفيفاً) لا يكون معنا قليل ولا كثير إلا على السرج مصلى (أي فرساً خفيفاً يصلى عليه ويكون حمله على السرج)، وقال لنا: إلحقوا بسامرة ووصف لنا محلة وداراً وقال لنا: إذا أنيتموها تجدون على الباب خادماً فاكبسوا الدار (أي أدخلوها باقتحام)، ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه.

فوافينا سامرة فوجدنا الأمر كما وصفه، وفي الدهليز خادم أسود وفي يده تكة ينسجها، فسألناه عن الدار كما أمرنا، فوجدنا داراً سرية ومقابل الدار سترٌ ما نظرت قط إلى أنبل منه، كأن الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت، ولم يكن في الدار أحد.

فرفعنا الستر فإذا بيت كبير كأن بحراً فيه ماء، وفي أقصى البيت حصير قد علمنا أنه على الماء، وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلي فلم يلتفت إلينا ولا إلى شيء من أسبابنا.

فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطى البيت فغرق في الماء، وما زال يضطرب حتى مددت يدي إليه فخلصته وأخرجته وغشي عليه وبقي ساعة، وعاد صاحبي الثاني على فعل ذلك الفعل فناله مثل ذلك، وبقيت مبهوتاً.

فقلت لصاحب البيت: المَعذرة إلى الله وإليك، فوالله ما علمت كيف الخبر ولا إلى من أجيء وأنا تائب إلى الله.

فما التفت إلى شيء مما قلنا، وما انفتل عما كان فيه فها لنا ذلك، وانصرفنا عنه، وقد كان المعتضد ينتظرنا وقد تقدم إلى الحُجَّاب إذا ما وافيانه أن ندخل عليه في أي وقت كان.

فوافيناه في بعض الليل فأدخلنا عليه فسألنا عن الخبر، فحكينا له ما رأينا، فقال: ويحكم لقيكم أحد قبلي وجرى منكم إلى أحد سبب أو قول؟ قلنا: لا، فقال: أنا نفي من جدي (أي أنا نفي من جدي، ويريد بجده العباس، أي لست من بني العباس، لو لم اضرب أعناقكم إن بلغني عنكم هذا الخبر)، وحلف بأشد إيمان له أنه رجل إن بلغه هذا الخبر ليضربن أعناقنا فما جسرنا أن نحدث به إلا بعد موته^(١).

وهذه الحادثة تحمل مجموعة دلالات أهمها:

١ - علم المعتضد بالتفاصيل المتعلقة بدار الإمام عليه السلام، وهذا إنما يدل على أن هناك مراقبة وتجسس دقيق عليه.

٢ - الأمر بقتل صاحب الدار، وليس اعتقاله وحمل رأسه إليه.

٣ - إن المعتضد لم يذكر لهم هوية الشخص المستهدف، بل يبقى الأمر مخفياً عليهم. ولم يعرفوا أنهم يذهبون لقتل الإمام عليه السلام، حتى لا يدخل الشك إلى قلوبهم.

٤ - المعجزة التي ظهرت للإمام المهدي عليه السلام، بحيث أنه كان مطمئناً ولم يلتفت إليهم، أو أن يعيرهم أي إهتمام، مما يكشف عن أن الإمام عليه السلام محفوظ من قبل الله تعالى.

٥ - الإهتمام الشديد للمعتضد بوصول نتيجة محاولة الإغتيال الآتمة، بحيث أنه أمر أعوانه بدخول هؤلاء الثلاثة عليه فور وصولهم ومن دون مراجعته في الأمر ولا طلب الإذن.

٦ - محاولة المعتضد إخفاء الموضوع تماماً بحيث لا ينقل هؤلاء الثلاثة الذين استعملهم للقتل الخبر لأحد من الناس، لأن ذلك يُحدث أسئلة قد تضرر

(١) الغيبة، الطوسي، ص ٢٤٨ - ٢٤٩، ح ٢١٨، فصل ولادة صاحب الزمان عليه السلام - والبحار، ج ٥١ - ٥٢،

بسمعته، وتؤدي إلى تعلق الناس بصاحب هذه المعجزة، وهذا ما يخشى منه المعتضد.

ثم تبادر إلى ذهن المعتضد أن يقوم بتوجيه حملة جديدة بحيث يحشد فيها عدداً أكبر من جنده وأعوانه، بخلاف الحملة السابقة التي شارك فيها عدد قليل من جنده.

وعن هذه الحملة يحدثنا رشيق أيضاً فيقول:

... ثم بَعَثُوا عسكراً أكثر، فلما دخلوا الدار سَمِعُوا من السِرداب^(١) قراءة القرآن فاجتمعوا على بابه (باب السرداب) وحفظوه، حتى لا يصعد (الإمام) ولا يخرج، وأميرهم قائم حتى يَصِلَ العسكرُ كُلُّهم، فخرج (أي الإمام) من السِكة التي على باب السرداب ومَرَّ عليهم، فلما غاب قال الأمير: إنزلوا عليه.

قالوا: أليس هو مَرَّ عليك؟

قال: ما رأيتُ! ولم تَرَ كُتْمُوهُ؟

قالوا: إنا حَسِبْنَا أَنَّكَ تراه^(٢).

وهو يقرأ القرآن، فيستمر ولا يتوقف، وبينما هم ينتظرون قائدهم، يخرج الإمام من بينهم، ويختفي ولم يتلفت قائدهم إلى خروجه، وتحصل الدهشة عند الجنود عندما يأمرهم قائدهم باقتحام السرداب الفارغ! بعد أن شاهدوا الإمام المهدي عليه السلام يخرج أمامهم ويختفي.

وبهذا يستمر الوعد الإلهي بحفظ الإمام المهدي عليه السلام وحمايته من تلك المحاولات الفاشلة التي قام بها أولئك الظلمة، ليبقى الإمام المذخور إلى ذلك اليوم الموعود الذي تنتظر فيه البشرية ظهور المنقذ لها من الظلم والجور ليقيم دولة العدل الإلهي.

(١) السرداب - بكسر السين :: بناء تحت الأرض يُلجأ إليه من حر الصيف.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٥٢ - ٥٣، ح ٣٧.

قصة السرداب واختفاء الإمام عليه السلام فيه:

ذكرت الروايات المتقدمة عن محاولات إغتيال الإمام عليه السلام بأنه كان في السرداب وقد اختفى فيه، وهذه القضية أصبحت مثار أخذ ورد وموضع إتهام للشيعة في بعض آرائهم واعتقاداتهم حيث ظن البعض بأن الشيعة يقولون بأن الإمام المهدي عليه السلام غاب في السرداب، أو أنه مقيم وساكن فيه.

ومن هذه الافتراءات ما قاله البعض بأن الشيعة يأتون في كل عام بالسلاح والخيول على باب السرداب، ويصرخون وينادون: يا مولانا أخرج إلينا! ونظم آخر بيتاً من الشعر مستهزئاً فقال:

ما آن للسرداب أن يلبّد الذي سَمِيئُموه بِزَعَمِكُمْ إنساناً

والحق يُقال بأن هذا السرداب الموجود في دار الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام مكان يُقدّسه الشيعة ويزورونه ويتبركون به لأنه كان مسكناً لثلاثة من أئمة أهل البيت عليه السلام فاكْتَسَبَ المكان الشرف والقداسة من هؤلاء الأئمة الأطهار والعظماء.

وحيث أن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام لا محل له معين ولا موضع يُقصد فيه، كان الأفضل والأولى زيارته في بيته الذي وُلِدَ فيه، لأن زيارة بيوت الأحباب بعد هجرتهم عنها وتركهم لها من العادات الجارية كما يقول الشاعر:

أمرُ على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حُبّ الديار شغفن قلبي ولكن حُبّ مَنْ سَكَنَ الديارا

وكيف لا تزار مثل هذه البيوت التي كان يُذكر فيها اسم الله وتقام فيها الصلاة، وتُرفع فيها أصوات قراءة القرآن، بل هي جديرة بأن تُزار، وحين يزورها الزائر يتذكر أهاليها الكرام فيخشع قلبه وترتعد يداه فيتضرّع ويبكي لله في تعجيل فرج مولانا وإمامنا المهدي عليه أفضل التحية والسلام^(١).

ثالثاً: التصدي للمرجعية الدينية للأمة الإسلامية.

(١) راجع الإمام المهدي وظهره، السيد جواد الحسيني الشاهرودي، ص ٦١.

فعلى الرغم من كون الإمام المهدي عليه السلام غائباً عن الأبصار، إلا أن ذلك لا يعني كونه معزولاً عن المجتمع الإسلامي، وما يواجهه من مشاكل واعتراضات عند الناس، فباعتقادنا أن الإمام المعصوم ينبغي أن يكون حاضراً في قلب الأحداث، وله طريقته وأسلوبه في معالجة القضايا الدينية والفكرية التي تواجه الأمة.

وقد كان الإمام المهدي عليه السلام يتصدى للإجابة عن الأسئلة التي ترد إليه من الناس عن طريق سفرائه الذين كانوا صلة الوصل بينه وبين الأمة، فكانت الرسائل التي تأتي إلى السفراء من مختلف طبقات الشيعة في المسائل الفقهية والعقائدية والفكرية لا تعد ولا تحصى، وكانوا بدورهم ينقلونها إلى الإمام المهدي عليه السلام فيجيب عنها من خلال توقيعاته ورسائله التي تتضمن الحلول لبعض المشكلات، أو توجيهه لبعض الناس، أو الدعاء لهم بحسب طلبهم.

وفي بعض الأحيان كان الأمر يقتضي تدخله المباشر فيقوم بمرافقة الناس في أسفارهم، أو مجالستهم فيعطيه نصائحه وتوجيهاته، وهم لا يشعرون أو لا يعرفون أنه الإمام المهدي.

وهذا ما يفسر لنا الحديث الوارد عنه عليه السلام بأن فائدته حال غيبته كالشمس إذا غيَّبا السحاب.

وإليك بعض الأمثلة على ما قدمناه نذكر منها:

أ - نهيه لبعض مواليه عن زيارة مقابر قريش ومقام الإمام الحسين عليه السلام فقد روى الشيخ الطوسي بأنه قد خرج نهى عن زيارة مقابر قريش ^(١) والحيير (الحائر الحسيني). فلما كان بعد أشهر، دعا الوزير الباقطاني فقال له: إلحق بني الفرات ^(٢) والبرسيين ^(٣) وقل لهم لا تزوروا مقابر قريش، فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه ^(٤).

(١) المقصود بمقابر قريش زيارة الكاظميين عليهم السلام.

(٢) وهم رهط الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات كان من وزراء بني العباس.

(٣) نسبة إلى قرية بين الحلة والكوفة.

(٤) الغيبة، الطوسي، ص ٢٨٤، ح ٢٤٤.

ب - ما رواه الشيخ الطوسي أيضاً من أن شخصاً ولد له ولد فكتب إلى الناحية المقدسة يستأذن من تطهيره في اليوم السابع، فورد لا تفعل. فمات الولد في يومه السابع. فكتب إلى الناحية بموته شاكياً إلى المهدي عليه السلام مصابه. فورد: ستخلف غيره وغيره، فسم الأول أحمد ومن بعد أحمد جعفر. فجاء كما قال^(١).

ج - ما رواه الشيخ عن جماعة من الشيعة اختلفوا في أن الله عز وجل فوض إلى الأئمة (صلوات الله عليهم) أن يخلقوا أو يرزقوا؟ فخرج إليهم توقيع من الإمام المهدي عليه السلام وفيه الجواب التالي:

«إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق، لأنه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم وإعظماً لحقهم»^(٢).

د - ومنها إجابته على بعض الإشكالات التي اعترضت إسحاق بن يعقوب فأرسلها عن طريق محمد بن عثمان العمري ليوصلها إلى الإمام المهدي عليه السلام.

فجاء الجواب التالي:

«... وأما الفقاع فشربه حرام... وأما أموالكم فما نقبلها إلا لتطهروا فمن شاء فليصل، ومن شاء فليقطع... وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله عز وجل، كذب الوقتون... وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم...»^(٣).

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٣، ح ٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٣، ح ٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٠، ح ٢٤٧.

هـ - ومنها أيضاً ما رواه الشيخ الطوسي من دعائه عليه السلام الذي به تمت معالجة بعض المشاكل الزوجية^(١).

و - وغيرها الكثير من المسائل والقضايا التي تثبت لنا بوضوح مدى اهتمام الإمام المهدي عليه السلام بالتواصل مع الناس وتصديه لكل مشاكلهم على المستوى الفقهي والعقائدي وحتى الاجتماعي.

رابعاً: إدارته وتصرفه في الأمور المالية.

فإنه وفقاً لمعتقدنا يعتبر الإمام المعصوم هو المرجعية في عملية قبض الأموال والحقوق الشرعية المتوجة على الناس، ولذا كان الإمام المهدي عليه السلام يقبض هذه الأموال ويوزعها إما عن طريق السفراء أو عن طريق غيرهم. وفي بعض الأحيان كان يستلم ذلك بشكل شخصي عن طريق المقابلة مع الطرف الآخر.

وكان أول مال قبضه الإمام المهدي عليه السلام، بعد توليه الإمامة بعد أبيه الإمام العسكري عليه السلام هو المال الذي حمله إليه وفد القميين الذي ورد إلى سامراء، في اليوم الأول لوفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ثم قام عليه السلام بتعيين عدد من السفراء في مختلف المناطق ليتولوا عملية القبض.

وقد أكد الإمام المهدي عليه السلام على وجوب دفع الأموال الشرعية إليه عبر عدة توقيعات صدرت منه توجب اللعنة على من لا يقوم بتسليم هذه الأموال إلى صاحبها الشرعي الذي هو الإمام عليه السلام. ومن ذلك التوقيع الذي ورد منه عليه السلام على الشيخ محمد بن عثمان العمري من دون أن يتقدمه سؤال منه حيث يقول فيه عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحل من أموالنا درهماً».

وفي توقيع آخر يقول عليه السلام:

«وأما المتلبسون بأموالنا فمن استحل شيئاً فأكله فإنما يأكل النيران».

وفي توقيع آخر يقول عليه السلام:

«وأما ما سألت عنه من أمر من يستحل ما في يده من أموالنا ويتصرف فيه تصرفه في ماله من غير أمرنا، فمن فعل ذلك فهو ملعون ونحن خصماؤه يوم القيامة». وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: (المستحل من عترتي ما حرم الله ملعون على لساني ولسان كل نبي مجاب). فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين، وكانت لعنة الله عليه لقوله عز وجل: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وقد دلت بعض الحوادث والتوقيعات الواردة من الإمام المهدي عليه السلام على أنه كان يتابع ويراقب ويتواصل مع سفراته ووكلائه بشأن الأمور المالية، ويدير عملية التوزيع، ويشرف على عملية القبض، ويبعث بالإيصالات إلى من يبعث إليه بالأموال ليطمئنه بوصول المال إلى حيث أراد.

فمن ذلك ما رواه محمد بن شاذان بن نعيم النيسابوري من أنه قد اجتمع عنده مال للقائم عليه السلام مقداره خمسمائة درهم، ينقص منها عشرين درهماً، فكره أن يبعث بها ناقصة بهذا المقدار.

قال النيسابوري: فأتمتها من عندي وبعثت بها إلى محمد بن جعفر (أحد وكلاء الإمام المهدي عليه السلام)، ولم اكتب مالي فيها فأنفذ إلي محمد بن جعفر القبض، وفيه:

«ووصلت خمسمائة درهم، لك منها عشرون درهماً»^(٢).

ومنها ما رواه بعض مواليه عن نفسه قائلاً: كان للناحية علي خمسمائة دينار، فضقت بها ذرعاً. ثم قلت: لي حوانيت اشتريتها بخمسمائة وثلاثين ديناراً قد جعلتها للناحية بخمسمائة دينار، ولم أنطق بذلك.

(١) راجع هذه النصوص في تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٥٩٢، نقلاً عن الاحتجاج - للطبرسي.

(٢) كمال الدين، الصدوق، ح ٢، ص ٤٨٥، ح ٥.

فكتب - يعني الإمام المهدي عليه السلام - إلى محمد بن جعفر (وهو أحد الوكلاء):

«إقبض الحوانيت من محمد بن هارون بالخمسمائة دينار التي لنا عليه»^(١).

فهذه بعض النصوص التي أوردناها كشاهد على حضور الإمام المهدي عليه السلام في الساحة وفي قلب الأحداث، ومتابعته الدقيقة والتفصيلية لشؤون مواليه وشيعته، وعلى مدى سعة النشاط المالي والإقتصادي الذي كان يقوم به الإمام المهدي عليه السلام.

خامساً: قضائه لحوائج الناس وحله لمشكلاتهم.

وهذه من أولى مهمات القائد الحريص على شؤون الأمة، وعدم تركها فريسة الضياع. والإمام المهدي عليه السلام باعتباره إماماً معصوماً مفترض الطاعة، ومرجع الأمة على جميع المستويات كان يتلقى مشكلات الناس عبر الرسائل التي كانت ترد إليه وهي تتضمن أسئلة واستفسارات عن بعض القضايا والأمور التي يحتاجها فيها السائل إلى الإمام المعصوم كي يرشده ويهديه وينصحه.

فكان الشيعة يوجهون الرسائل ليسألون إمامهم عليه السلام عن رأيه في القيام بالعمل الفلاني، أو السفر إلى الحج وغيره، أو الإمتناع عنه، بحسب ما يراه من المصلحة التي يتضح بعد ذلك للسائل مطابقتها لمقتضى الحال.

والإمام المهدي عليه السلام بما يملك من مؤهلات كعلمه بالغيب وغير ذلك من الموصفات التي اختص بها أهل البيت عليهم السلام كان على معرفة تفصيلية بما يجري في الساحة من أحداث ومشاكل. لذا كان يملك الجواب الشافي لكل سؤال، والحل الأمثل لكل مشكلة.

وأما بالنسبة لطريقة مواكبة الإمام عليه السلام لهذه الأحداث ووسيلة الناس للإتصال به فقد كانت عبر أحد طريقين:

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الصدر، ٥٩٦، نقلاً عن الغيبة الطوسي.

الأول: مخالطته للناس بشكل مباشر، من دون معرفتهم بحقيقة أمره إلا بعد رحيله عنهم - كما مر سابقاً في بعض الروايات والأحداث - وفي بعض الأحيان يكشف لهم عن هويته بحسب ما يراه من مصلحة.

الثاني: عن طريق السفراء الذين كانوا المصدر الأساس في علاقة الأمة بالإمام المهدي عليه السلام. فكانوا يكتبون وبعثون برسائلهم إلى هؤلاء السفراء الذين كانوا بدورهم ينقلونها إلى الإمام الذي يجيب عنها.

وقد بينا في الحديث عن تصدي الإمام المهدي عليه السلام لشؤون المرجعية الدينية بعض الأمثلة التي توضح هذا الأمر، وسنزيد عليها هنا ما يغني الموضوع على مستوى حل الإمام المهدي عليه السلام للمشاكل الاجتماعية أو غيرها. فمنها ما ذكره الشيخ الطوسي (رضوان الله تعالى عليه) من معالجة الإمام عليه السلام لبعض المشكلات الزوجية.

ومنها دعاؤه للقاسم ابن العلاء بأن يبقى ولده الحسين بعد أن ولد له عدة بنين وماتوا.

فقد روى الشيخ المفيد عن القاسم بن العلاء أنه قال:

«وُلِدَ لي عدة بنين، فكنت أكتبُ وأسألُ الدعاءَ لهم فلا يكتبُ إليّ بشيءٍ من أمرهم، فماتوا كلُّهم، فلما وُلِدَ لي الحسين - ابني - كتبتُ أسألُ الدعاءَ فأجبتُ بقبي والحمد لله»^(١).

ومنها دعاؤه لمريض قد عجز الأطباء عنه فشفي شفاء تاماً.

فقد روى الشيخ المفيد عن أحدهم أنه قال:

خرج بي ناسور (مرض يتسبب بنزول العرق الذي لا تنقطع علته) فازيته الأطباء، وأنفقت عليه مالاً عظيماً فلم يصنع الدواء فيه شيئاً، فكتبتُ رُقعةً أسألُ الدعاءَ، فوقَّعَ إليّ: «أَلْبَسَكَ الله العافية، وجعلك معنا في الدنيا والآخرة» فما أتت

عليّ جُمعةً حتى عُوفيتُ وصار الموضع مثل راحتي، فدعوتُ طبيباً من أصحابنا وأزيتُهُ إياه.

فقال: ما عرفنا لهذا دواء، وما جاءتك العافية إلا من قِبَلِ الله بغير إحتساب^(١).

ومنها أيضاً نصيحته لأحد الموالى بعدم الخروج في سفر حيث تم الإعتداء على القافلة من بعض اللصوص، وآخر سألَه عن سفرٍ، فلم يأذن له حيث عرفت فيما بعد أن السفينة قد سُرقت.

فقد روى الشيخ المفيد عن علي بن الحسين اليماني أنه قال:

كنت ببغداد فتهيأت قافلة لليمانيين، فأردتُ الخروج معهم فكتبتُ ألتمس الإذن في ذلك، فخرَجَ التوقيع:

«لا تخرُجْ معهم، فليس لك في الخروج معهم خيرة، وأقم بالكوفة».

قال: فأقمتُ، وخرجت القافلة فخرَجَت عليهم بنو حنظلة فاجتاحتهم. قال: وكتبتُ أستاذُن في ركوب الماء فلم يؤذن لي، فسألتُ عن المراكب التي خرجت تلك السنة في البحر، فعُرِفْتُ أنه لم يسلم منها مركبٌ، خرج عليها قومٌ يقال لهم: البوارج فقطعوا عليها^(٢).

ومنها بشارته وإعلامه لأحدهم بأنه سوف يحج في عامه، فقد روى الشيخ عن الحسين بن الفضل الذي ورد إلى العراق، وكان قد عاهد نفسه ألا يخرج إلا بعد قضاء جميع حوائجه، ثم خاف أن يفوته موسم الحج، فقصده محمد بن أحمد - أحد السفراء - الذي طلب منه أن يذهب إلى أحد المساجد، وهناك لقيه رجل، ونقل إليه البشارة، وقال له: لا تغتمُ فإنك ستحج هذه السنة وتنصرف إلى أهلِكَ وولدك سالماً^(٣).

(١) الإرشاد، المفيد، ص ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٨ - ٣٦٠.

(٣) المصدر نفسه.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وهي كما قال الشيخ المفيد موجودة مصنفة فيها أخبار القائم عليه السلام. وإن شئنا ذكرها لطلال بنا الأمر، فنكتفي بما أوردناه.

الفصل الثاني

السفارة في عصر الغيبة الصغرى

★ سفراء الإمام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى

★ وكلاء الإمام المهدي عليه السلام

★ السفارات الكاذبة عن الإمام المهدي عليه السلام

★ التسلسل التاريخي للتزوير

السفارة في عصر الغيبة الصغرى

إن الإمام المعصوم وفقاً للفكر الإمامي هو محور هذا العالم والقائد والمرجع الأعلى لهذه الأمة، ومن هذا الموقع يتولى الإمام مهمة قيادة الأمة ورعاية شؤونها، وحماية مصالحها، لا سيما على مستوى صيانة الدين وحفظه.

وهذه المهمة قام بأعبائها أئمة أهل البيت عليهم السلام وكانوا هم الضمانة لاستمرارية الدين وبقاء النهج الرسالي الذي أرسى دعائمه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

إلا أننا نرى أن هناك أساليب مختلفة إتبعها الأئمة في قيادة الأمة وكان ذلك تابعاً للظروف القاسية التي مرّوا بها نتيجة لضغوطات ومضايقات السلطات الحاكمة. ولسنا هنا في معرض الحديث عن هذه الظروف التي مرّت على الأئمة وما نتج عنها، بل لتوضيح فكرة ورؤية الإمام المهدي وأسلوبه في قيادة الأمة أثناء فترة الغيبة.

فمن الواضح والمعلوم أن الإمام المهدي عليه السلام سلك مسلكاً خاصاً في هذا المجال وهو إتباعه لأسلوب تعيين نواب وسفراء خاصين في زمن الغيبة الصغرى، كما في موضوع تعيينه لسفرائه الأربعة واحداً تلو الآخر ثم قُطعت هذه السفارة الخاصة بينه وبين شيعته إلى أن وقفت الغيبة الكبرى التي أرجع فيها الإمام عليه السلام الأمة إلى رواة الأحاديث والفقهاء والمراجع، وكان عليه السلام قد أوضح في بعض ما روي عنه شروط ومواصفات عامة لهؤلاء الذين ينبغي أن ترجع إليهم الأمة في زمن الغيبة الكبرى كقوله عليه السلام:

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم...».

لكن هذا المنهج لم يكن خاصاً بالإمام المهدي عليه السلام لأن القراءة الدقيقة لحياة وسيرة أئمة أهل البيت عليه السلام ترشدنا إلى حصول مثل هذه السفارة والنيابة من عصر الإمامين الباقر والصادق وانتهاء بالإمامين الهادي والعسكري عليه السلام إلى أن استقرّ وتجلّى أمر هذه النيابة بشكل أوضح في زمن غيبة الإمام المهدي عليه السلام.

إلا أنه يمكن ملاحظة وجود فارقين في موضوع السفارة بين الإمام المهدي عليه السلام وبين من سبقه من الأئمة عليه السلام.

الأول: هو أن سفراء ونواب الأئمة عليه السلام كانوا بمثابة وكلاء ومراجع للناس في المناطق التي كانوا يسكنونها بعيداً عن منطقة سكن الإمام المعصوم عليه السلام، ولذا نرى أن الناس كانوا يسألون الإمام عن مسألة من المسائل فيرجعهم إلى الصحابي الموجود في منطقتهم.

هذا بالإضافة إلى أن الأئمة كانوا يقابلون الناس ويشاهدونهم حتى مع وجود هؤلاء السفراء، وكان موضع سكنهم معلوماً عند عامة الناس، ولم يكن هذا الأمر متوفراً لكافة الناس في فترة الغيبة الصغرى، بل كان محصوراً بالسفراء الأربعة وبعض خواص الإمام عليه السلام الذين يتمتعون بأعلى درجات الثقة.

ثانياً: إن الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام عاشا في ظروف قاسية اقتضت غيابهم عن الساحة العامة نوعاً ما، لذا عملاً على تحضير عقول الناس لقبول مسألة غيبة الإمام المهدي عليه السلام، ولكي لا يكون الأمر مستهجنًا كان الاتصال بهم في كثير من الأحيان يتم عبر بعض الموثوقين لديهم، وكذلك مراجعة الناس لهم في شؤون الدنيا والآخرة.

إذن كان أمر النيابة في زمن العسكريين عليه السلام تمهيداً لعصر الغيبة، بينما كان أمر السفارة الخاصة في زمن الغيبة الصغرى تمهيداً من الإمام المهدي عليه السلام للغيبة الكبرى.

ويؤيد ما ذكرناه في قضية وجود السفراء للأئمة المعصومين عليه السلام ما ذكره الشيخ الطوسي حيث قال:

«... وقبل ذكر من كان سفيراً حال الغيبة نذكر طرفاً من أخبار من كان يختص بكل إمام، ويتولى له الأمر على وجه من الإيجاز، ونذكر من كان ممدوحاً منهم حسن الطريق، ومن كان مذموماً ستيء المذهب ليعرف الحال في ذلك».

ثم قال: فمن الممدوحين^(١).

حمران بن أعين. الذي قال فيه الإمام الباقر عليه السلام: لا يرتد والله أبداً.

ومنهم المفضل بن عمر، الذي جاء في بعض الروايات أن الأئمة كانوا عندما يحمل الناس إليهم الأموال الشرعية يطلبون منهم تسليمها إلى المفضل بن عمر.

ومنهم: المعلّى بن خنيس، الذي كان من قوّام الإمام الصادق عليه السلام وقد قتل مصلوباً بسبب ولائه للإمام عليه السلام، وعند شهادته قال الإمام الصادق عليه السلام: أما والله لقد دخل الجنة.

ومنهم: نصر بن قابوس اللّهمي.

ففي الروايات أنه كان وكيلاً للإمام الصادق عليه السلام لمدة عشرين سنة، ولم يُعلم أنه وكيل.

ومنهم: عبد الله بن جندب البجلي.

وفي الروايات أنه كان وكيلاً للإمام الرضا عليه السلام وأبيه الكاظم عليه السلام، وكان عابداً رفيع المنزلة لديهما.

ومنهم، محمّد بن سنان وعبد العزيز بن المهدي القمي.

وكانا وكلاء للإمام أبي جعفر عليه السلام.

ومنهم: أيوب بن نوح بن درّاج.

وكان وكيلاً للإمام الهادي عليه السلام فعن عمرو بن سعيد المدائني أنه كان عند أبي الحسن العسكري، إذ دخل أيوب بن نوح ووقف قدّامه فأمره بشيء، ثم انصرف، والتفت إليّ أبو الحسن عليه السلام وقال: يا عمرو إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة فانظر إلى هذا.

ومنهم: علي بن جعفر الهخاني، وكان وكيلاً للإمامين العسكريين عليه السلامين. ومنهم: أبو علي بن راشد، وكان من أصحاب ووكلاء الإمام الهادي عليه السلام. وغيرهم من الأصحاب الذين لا يتسع المجال لذكرهم.

وقد روى الشيخ الطوسي أسماء جماعة من الوكلاء الذين كانوا من أصحاب الأئمة عليهم السلام ثم انصرفوا عنهم، فورد فيهم الذم، ومن هؤلاء^(١).

علي بن حمزة البطائني، وزباد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي، الذين كانوا وكلاء لأبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، وكان عندهم أموال جزيلة، فلما مضى أبو الحسن موسى عليه السلام وقفوا طمعاً في الأموال، ودفَعُوا إمامة الرضا عليه السلام وجحدوه. ومنهم فارس بن حاتم القزويني وأبو طاهر محمد بن علي بن بلال وغيرهم.

هذا فيما يتعلق بوجود السفراء في عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام أما السفارة في عصر الغيبة الصغرى فهو موضوع الحديث القادم.

سفراء الإمام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى (السفراء الأربعة):

السفير الأول:

هو الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري.

فكنيته أبو عمرو، وله ألقاب عديدة منها: العمري، السمان، الزيات، الأسدي، العسكري.

(١) المصدر السابق، ص ٣٥١ - ٣٥٣.

وإنما سمي العمري نسبةً إلى جدّه، وقد قال قوم من الشيعة: إن أبا محمد الحسن ابن علي عليه السلام قال:

«لا يجمع على امرئ بين عثمان وأبو عمر، وأمر بكسر كنيته، ف قيل العمري، ويقال له: العسكري أيضاً، لأنه كان من عسكر سز من رأى، ويقال له: السنان، لأنه كان يتجر في السفن تغطية على الأمر».

وكان الشيعة: إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو، فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقيّة وخوفاً^(١).

وكان الإمام علي الهادي عليه السلام نصبه وكيلاً ثم ابنه الحسن العسكري عليه السلام ثم كان سفيراً للإمام المهدي عليه السلام.

وقال الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة في حقّه أنه الشيخ الموثوق به، ونقل رواية عن الإمام الهادي عليه السلام يقول فيها عنه:

«هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني بقوله، وما أذاه إليكم فعني يؤذيه»^(٢).

ولما سُئِل الإمام المهدي عليه السلام من بعض أصحابه لمن أعامل وعمن آخذ، وقول من أقبل. فقال عليه السلام:

«العمري ثقني فما أدى إليك فعني يؤدي، وما قال لك فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون».

ومما روي في حقّه عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله:

«هذا أبو عمر الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحبّ والممات».

وروي أنه جاءه أربعون رجلاً من أصحابه يسألونه عن الحجّة من بعده فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه بأبي محمد، فقال عليه السلام:

(١) الغيبة، الطوسي، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

«هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه، ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم إلا وإنكم لا ترونه بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان بن سعيد ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه»^(١).

وعندما لقي الإمام العسكري عليه السلام ربه عام ٢٦٠هـ، حضر أبو عمر عثمان بن سعيد تفسيه، وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه ودفنه.

ويزر الشيخ الطوسي ذلك بأنه كان مأموراً بذلك للظاهر من الحال التي لا يمكن جحدها ولا دفعها إلا بدفع حقائق الأشياء في ظواهرها^(٢).

وهذه إشارة منه إلى اختفاء الإمام المهدي عليه السلام، وعدم تمكنه من القيام بتفصيل والده والقيامة بأمره، إلا في قضية الصلاة على الإمام العسكري عليه السلام التي تولاهما الإمام المهدي عليه السلام بنفسه.

فالسفير الأول بناء على ما تقدم تولى هذا المنصب بأمر من الإمام العسكري عليه السلام ونصه عليه أمام الناس، ثم نص على ذلك الإمام المهدي عليه السلام أمام وفد القميين، وبقي متولياً لأمر السفارة حتى وفاته، حيث قام بتفسيه وتجهيزه ودفنه ولده أبو جعفر محمد ابن عثمان.

ونقل الشيخ الطوسي أن قبره في الجانب الغربي من بغداد، في شارع الميدان في أول الموضع المعروف بدرب جيلة في مسجد الدرب ميمنة الداخل إليه، والقبر في نفس قبلة المسجد... فكنا ندخل إليه ونزوره... ويظهر في كلام الشيخ الطوسي أن الناس كانت تجهل هوية صاحب القبر، لكنهم كانوا يدخلون إلى مرقده الشريف ويتبركون بزيارته، ويقولون: هو رجل صالح، ولا يعرفون حقيقة الحال^(٣).

لكن في الوقت الحاضر قبره معروف ببغداد، يزوره الناس.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

(٣) الفية الطوسي، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.

وعدم معرفة الناس في زمن الشيخ الطوسي بحقيقة قبر السفير الأول يدل على مقدار الغموض والكتمان الذي كان يحيط سفراء المهدي عليه السلام.

وعند وفاته رضوان الله عليه قام بتبليغ أصحابه ما هو مأمور به من قبل الإمام المهدي عليه السلام، وذلك بإيكال السفارة بعده إلى ابنه محمد بن عثمان، وجعل الأمر كله مردود إليه.

ومما يدل على عظمة هذه الشخصية ومدى وثاقة الإمام المهدي عليه السلام به، واعتماده عليه الرسالة التي كتبها الإمام عليه السلام إلى ولده السفير الثاني يعزّيه فيها بوالده يقول فيها:

«إنا لله وإنا إليه راجعون. تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه. عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليه السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عزّ وجلّ، نضر الله وجهه، وأقال عثرته».

وفي فصل آخر يقول عليه السلام:

«أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء، رزئت ورزئنا وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه، وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه، وأقول الحمد لله، فإنّ الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله عزّ وجلّ فيك وعندك، أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفّقك، وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً»^(١).

وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يده ويد ابنه السفير الثاني محمد إلى شيعته وخواص أبيه بالأمر والنهي، وأجوبة المسائل بالخط الذي كان يخرج في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

فكان العمري همزة الوصل بين الإمام المهدي عليه السلام وشيعته، في مراسلاتهم وقضاياهم، وحل مشاكلهم.

وكانت له لقاءات عديدة مع الإمام المهدي عليه السلام ويتشرف بالمثل بين يديه، ولا يعلم أحد على الإطلاق كيفية تلك اللقاءات، ومقارها.

وقد روي عن عبد الله بن جعفر أنه التقى بالعمري - بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام - فأقسم على العمري وخلفه قائلاً: فأسألك بحق الله وبحق الإمامين الذين وثقك - أي الهادي والعسكري عليه السلام - هل رأيت ابن أبي محمد الذي هو صاحب الزمان؟

فبكى العمري من هذا الإحراج، واشترط على عبد الله بن جعفر أن لا يخبر بذلك أحداً ما دام العمري حياً، وقال: «قد رأيته عليه السلام... إلى آخر كلامه»^(١).

السفير الثاني:

هو الشيخ الجليل محمد بن عثمان بن سعيد العمري، ابن السفير الأول الذي حظي بهذا الشرف حيث رزقه الله تعالى ولداً صالحاً يشبهه في مواصفاته ومؤهلاته.

وتولى السفارة بنص من الإمام العسكري عليه السلام حيث قال عليه السلام: «لو قد جاءه من اليمن:

«واشهدوا علي أن عثمان بن سعيد وكيلي، وأن ابنه محمد وكيل ابني مهديكم. وكذلك بنص أبيه على سفارته بأمر من الإمام المهدي عليه السلام».

وروى الشيخ الطوسي عن بعض الأصحاب أنهم قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد وجعل الأمر بعد موته كله مردوداً إلى ابنه أبي

جعفر، والشيعية مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدّم له من النص عليه بالأمانة والعدالة، والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن العسكري عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد، لا يختلف في عدالته، ولا يرتاب بأمانته، والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعية في المهمّات طوال حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعية في هذا الأمر غيره، ولا يرجع إلى أحدٍ سواه.

وقد نقلت عنه دلائل كثيرة، ومعجزات الإمام ظهرت على يده، وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة...^(١).

وكانت لأبي جعفر محمد بن عثمان كتب في الفقه مما سمعه من أبي محمد الحسن عليه السلام، ومن صاحب المهدي عليه السلام ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبي محمد وعن أبيه علي بن محمد (الإمام الهادي عليه السلام) فيها كتب ترجمتها كتب الأثرية.

ذكرت الكبيرة أم كلثوم بنت أبي جعفر (رضي الله عنها) أنّها وصلت إلى أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه عند الوصية إليه، وكانت في يده.

قال أبو نصر: وأظنّها قالت وصلت بعد ذلك إلى أبي الحسن السمرّي (رضي الله عنه) وأرضاه^(٢).

وروي عنه (أي السفير الثاني) أنه قال: واللّه إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه^(٣).

وقيل له: رأيت صاحب هذا الأمر؟

قال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: اللّهم أنجز لي ما وعدتني.

(١) النبية، الطوسي، ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٣.

(٣) المصدر نفسه.

وقال: رأيته صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللهم إنتقم بي من أعدائك^(١).

وللإمام المهدي عليه السلام في حقّه كلمات تدل على رفعة شأنه وعلو مقامه، ففي الرسالة التي أرسلها الإمام عليه السلام إليه يعزّيه فيها بوفاة والده السفير الأول يقول عليه السلام:

«... كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك، يخلقه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترخّم عليه، وأقول: الحمد لله فإن الأنفس طيِّبةٌ بمكانك وما جعله الله تعالى فيك وعندك، أهانك الله وقواك...»^(٢).

وظلّ محمد بن عثمان متولياً لمسؤولية السفارة نحواً من خمسين سنة، حتى لقي ربه في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة أو أربع وثلاثمائة.

ومعنى ذلك أنه توفي بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام بخمس وأربعين سنة، وحيث أن والده اضطلع بالسفارة عدة أعوام فالأولى أن يقال: إن سفارته امتدّت حوالي الأربعين عاماً، لا نحواً من الخمسين، كما قال الشيخ في الغيبة.

وإذ يكون تاريخ وفاة أبيه مجهولاً، يكون مبدأ تولّيه للسفارة مجهولاً أيضاً^(٣). ويمكن القول على وجه التقريب بأن السفير الأول الشيخ عثمان بن سعيد تولى السفارة خمس سنوات، وتولاها ابنه أربعين سنة.

وبهذا يظهر أن السفير الثاني كان أطول السفراء بقاءً في السفارة، وأكثر من تواصل مع الإمام عليه السلام وتلقّى وتعلّم منه وكان يعلم بإرشاد من الإمام المهدي عليه السلام بزمان موته، إذ حفر لنفسه قبراً وسواه الساج.

فقد روى محمد بن علي بن الأسود القمي أن أبا جعفر العمري (قده) سأله

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٤.

(٢) الغيبة، الطوسي، ص ٣٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٦ - تاريخ الغيبة الصغرى، للمصدر، ص ٤٠٤، وأعيان الشيعة، للسيد الأمين،

عن ذلك فقال: للناس أسباب، ثم سألته عن ذلك، فقال: قد أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين (رضي الله عنه) وأرضاه^(١).

وروى أبو الحسن عليّ بن محمد القمي أنه دخل على أبي جعفر محمد بن عثمان ليسلم عليه، فوجده وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها.

فقال له: يا سيدي ما هذه الساجة؟ فقال لي: هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها أو قال: أسند إليها وقد عرفت منه، وأنا في كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فيه وأصعد، وأظنه قال: فأخذ بيدي وأرانني، فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله عز وجل ودفنت فيه وهذه الساجة معي.

قال الراوي: فلما خرجت من عنده أثبت ما ذكره ولم أزل مترقباً به ذلك فما تأخر الأمر حتى إعتل أبو جعفر، فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها ودفن فيه^(٢).

وقد دُفن عند والدته بشارع الكوفة في بغداد في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه، وقبره الآن مشيد معروف «بالخلافي» يزار للذكرى والتبرك.

وقبل وفاته (رضوان الله عليه)، أوصى إلى خلفه السفير الثالث: الحسين بن روح، بأمر من الإمام المهدي عليه السلام.

السفير الثالث:

هو الشيخ الجليل القاسم الحسين بن روح ابن أبي بحر النوبختي. من بني نوبخت.

وكان من الشخصيات المشهورة والمعروفة عند الشيعة، وكان قبل توليه

(١) الغيبة، الطوسي، ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٥.

النيابة وكيلاً للنائب الثاني محمد بن عثمان، يُشرف على أملاكه، ويقوم بدور الوساطة بينه وبين زعماء الشيعة في نقل الأوامر والتعليمات والأخبار السرية إليهم.

ولم يذكر التاريخ عام ولادته، ولا تاريخ مبدأ حياته.

وقد أقامه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه قبل وفاته بسنتين أو ثلاث سنين، فجمع وجوه الشيعة وشيوخها، وقال لهم: إن حدث عليّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أُمِرْتُ أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه^(١).

وفي رواية أنهم سألوه إن حدث أمر فمن يكون مكانك فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أُمِرْتُ وقد بلغت.

ولم يكن الحسين بن روح قد عاش تاريخاً حافلاً وزاهراً بإطراء وتوثيق الأئمة عليهم السلام، كالتاريخ الذي عاشه السفيران السابقان، حتى قبل توليهما للسفارة، لهذا احتاج أبو جعفر العمري من أجل ترسيخ فكرة نقل السفارة إلى الحسين بن روح، وتوثيقه في نظر قواعده الشعبية الموالية لخط الأئمة عليهم السلام أن يكرر الإعراب عن مهمته في إكمال الأمر إليه، وأن يأمر بدفع أموال الإمام عليه السلام إليه قبل وفاته بعامين أو أعوام، بأمر من الإمام المهدي عليه السلام.

فقد روى الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) بأنه كان للسفير الثاني محمد بن عثمان العمري من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس منهم الحسين بن روح، وكلهم كان أخصّ به من الحسين بن روح، وكان مشايخ الشيعة لا يشكون في أن الذي يقوم مقام محمد بن عثمان هو جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه لما رأوه من الخصوصية به وكثرة وجوده في منزله حتى أنه كان في آخر

عمره لا يأكل طعاماً إلا ما أصليح في منزل جعفر ابن أحمد بن متيل وأبيه بسبب وقع له، وكان طعامه الذي يأكله في منزل جعفر وأبيه.

وكان أصحابنا لا يشكّون إن كانت حادثة لم تكن الوصية إلا إليه من الخصوصية به، فلمّا كان عند ذلك ووقع الاختيار على أبي القاسم سلّموا ولم ينكروا، وكانوا معه بين يديه كما كانوا مع أبي جعفر (رضي الله عنه).

ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم (رضي الله عنه) وبين يديه كتصرفه بين يدي أبي جعفر العمري إلى أن مات (رضي الله عنه)، فكلّ من طعن على أبي القاسم فقد طعن على أبي جعفر، وطعن على الحجّة صلوات الله عليه^(١).

ومما قاله جعفر بن أحمد بن متيل: لما حضرت محمد بن عثمان الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسأله وأحدّثه وأبو القاسم بن روح عند رجله، فالتفت إليّ ثم قال: أوبرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح.

قال ابن متيل: فقممت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني، وتحولت إلى عند رجله^(٢).

وقد عُرف الحسين بن روح كما قال الشيخ الطوسي بأنه من أعقل الناس عند المخالف والموافق، وتولى السفارة بعد موت أبي جعفر العمري عام ٣٠٥ وبقي فيها إلى أن توفي في شعبان من عام ست وعشرين وثلاثمائة. فتكون مدة سفارته حوالي الواحدة والعشرين سنة.

وكان أول كتاب تلقّاه من الإمام المهدي (عليه السلام)، كتاب يشتمل على الشئ عليه، ومشاركة الحملة التي بدأها أبو جعفر العمري في تعريف الحسين بن روح للرأي العام والأصحاب.

وكان هذا الكتاب بمثابة انطلاق في الخطوة الأولى له على طريق البدء بالعمل والمهمة الموكلة إليه، وقد دعا له الإمام المهدي (عليه السلام) في الكتاب، وقال:

(١) الفبية، الطوسي، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧٠.

«عرفه الله الخير كله ورضوانه، وأسعده بالتوفيق وقفنا على كتابه، وثقتنا بما هو عليه، وإنه عندنا بالمنزلة والمحل اللذين يسرّانه، زاد الله في إحسانه إليه، إنه ولي قدير، والحمد لله لا شريك له، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً»^(١).

قال الشيخ الطوسي: وردت هذه الرقعة يوم الأحد لست ليالٍ خلون من شوال سنة خمس وثلاثمائة. أي بعد حوالي الخمسة أشهر من وفاة أبي جعفر العمري.

وقد اضطلع أبو القاسم منذ ذلك الحين بمهام السفارة، وقام بها خير قيام، وكان من مسلكه الالتزام بالتقية المضاعفة، بنحو ملفت للنظر، بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنة من المسلمين. يحفظ بذلك مصالح كبيرة، ويجلب بها قلوب الكثيرين. وقد تولى أيام سفارته الحملة الرئيسية ضد ظاهرة الانحراف عن الخط، وأداء السفارة زوراً، بتبليغ القواعد الشعبية توجيهات المهدي عليه السلام في ذلك، وشجبه لظاهرة الانحراف عن الخط.

وبقي مضطرباً بمهامه العظمى، حتى لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٦، ودُفن في النوبختية في الدار الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي، وقبره اليوم في بغداد ومعروف... مقصد ومزار^(٢).

السفير الرابع:

هو الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن محمد السُمري - قيل بفتح الميم أو بضمها - أو الصيمري.

تولى السفارة من حين وفاة السفير الثالث أبو القاسم بن روح عام ٣٢٦، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٩ في النصف من شعبان^(٣)، فتكون مدة

(١) الغيبة، الطوسي، ص ٣٧٢ - وتاريخ الغيبة الصغرى، للصدر، ص ٤١٠.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الصدر، ص ٤١٢.

(٣) الغيبة، الطوسي، ص ٣٩٤.

سفرته عن الإمام المهدي عليه السلام ثلاثة أعوام، لذا لم تسمح له هذه الفترة القصيرة فضلاً عن الأحداث والوقائع والظروف القاسية في ممارسة نشاط كبير وواسع، لم يستطع التواصل مع القواعد الشعبية بالشكل الذي حصل مع السفراء الذين سبقوه.

وقد ظهرت له كرامات ومعجزات، منها إعلامه لبعض أصحابه بنبأ وفاة علي بن الحسين بن بابويه (والد الشيخ الصدوق) وهو في الرّي (اسم مدينة في ضواحي طهران) ساعة وفاته.

فقد روى الشيخ الطوسي عن صالح بن شعيب الطالقاني في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة قال:

حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلّد قال: حضرت بغداداً عند المشايخ رحمهم الله فقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمرّي (قده) ابتداءً منه: «رحم الله عليّ بن الحسين بن بابويه القمي».

قال: فكتب المشايخ تأريخ ذلك اليوم فوراً الخبر أنّه توفي في ذلك اليوم. وبوفاة السمرّي انقطعت السفارة، وانتهت الغيبة الصغرى، وابتدأت الغيبة الكبرى التي امتدّت إلى يومنا هذا، وسوف تنتهي بظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وأعلن السفير الرابع بأمر من الإمام المهدي عليه السلام، وقبل وفاته بأيام نبأ انتهاء الغيبة الصغرى عند وفاته، ونبأ منع الإمام عليه السلام له من أن يوصي بعد موته إلى أحد ليكون سفيراً بعده.

والتوقيع الذي صدر من الإمام المهدي عليه السلام إلى السمرّي قبل وفاته بستة أيام كان نصّه التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمد السمرّي! أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله - تعالى ذكره - وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً.

وسياتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الراوي: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يوجد بنفسه، فقليل له: من وصيك من بعدك، فقال: لله أمر هو بالغة^(١).

وكان هذا آخر كلام سُمع منه، وقضى نجه.

ودُفن في الشارع المعروف بشارع الخلنجي من ريع المحول، قريب من شاطئ نهر أبي عقاب^(٢)، وله الآن في بغداد مزار معروف.

وخلاصة ما تقدم في تاريخ السفراء أن فترة الغيبة الصغرى دامت على التحديد تسعاً وستين عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً - بناءً على أن الغيبة الصغرى بدأت منذ وفاة الإمام الحسن العسكري ﷺ - وقد شغل منها السفير الأول عثمان بن سعيد حوالي الخمس سنوات.

وشغل السفير الثاني: محمد بن عثمان حوالي الأربعين عاماً، وشغل السفير الثالث: الحسين بن روح، بعد وفاة سلفه، واحداً وعشرين عاماً، وشغل منها السفير الرابع: علي ابن محمد السمري، حيث بقي في السفارة ثلاث سنين^(٣).

أما بناءً على أن الغيبة الصغرى بدأت منذ ولادة الإمام المهدي ﷺ، فتكون مدتها أربعاً وسبعين سنة، أي منذ عام ٢٥٥، وقبل خمس سنوات من عام وفاة الإمام الحسن العسكري ﷺ، فإذا أضفناها إلى التسع وستين سنة، كان المجموع ٧٤ عاماً.

(١) الغيبة، الطوسي، ص ٣٩٥، ح ٣٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩٦، ح ٣٦٧.

(٣) تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الصدر، ص ٤١٦ - ٤١٧.

وكلاء الإمام المهدي عليه السلام:

كان نظام السفارة والنيابة الذي وضعه الإمام المهدي عليه السلام ومن قبله الإمامين العسكريين يهدف في الدرجة الأولى كما تقدّم معنا إلى حماية الإمام المهدي عليه السلام وإبعاده عن أنظار السلطة الحاكمة التي لم تترك محاولة لقتله إلا وقامت بها.

وقد قام السفراء الأربعة بمهمتهم واستطاعوا تحقيق هذا الهدف المقدّس وفي نفس الوقت حافظوا على التواصل بين الإمام عليه السلام والأمة، وإبصال توجيهات ونصائح وإرشادات الإمام عليه السلام في جميع المجالات.

ولكن السفراء واجهوا نفس هذه المشكلة، لذلك كان عليهم العمل وأداء الرسالة بأعلى درجات السرية، ولذا استدعى الأمر أن يتّبعوا نفس أسلوب الإمام عليه السلام معهم، فقاموا بتعيين وكلاء وسفراء في مختلف المناطق والبلدان الإسلامية التي فيها شيء من القواعد الشعبية المؤمنة بالإمام المهدي عليه السلام.

وذلك من أجل تسهيل مهمّة السفراء. حيث لا يكون بوسع السفير وبخاصة في ظروف السرية والتكتم في عملية التواصل مع الناس، وهذا بدوره يساعد في انتشار التعاليم والتوجيهات بشكل أكبر وأفضل.

وكان هؤلاء الوكلاء محمودين في سلوكهم، مستقيمين في عقيدتهم، معروفين بالزهد والتقوى والصلاح.

وتشير الروايات إلى أن هؤلاء الوكلاء كانوا تارةً يراجعون السفراء في القضايا والأسئلة الموجهة إليهم، وتارةً يرسلون الإمام المهدي عليه السلام بصورة مباشرة.

كما أن أمر وجود مثل هؤلاء الوكلاء ثابت بما رواه بعض الرواة من أمثال الشيخ الصدوق وغيره.

فقد روى الشيخ الصدوق في كتاب (كمال الدين) رواية عن أبي علي الأسدي، عن أبيه، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي أنّه ذكر عدد من انتهى

إليه متن وقف على معجزات صاحب الزمان عليه السلام ورآه من الوكلاء ببغداد: العمري وابنه، وحاجز والبلالي والمطار.

ومن الكوفة: العاصمي. ومن أهل الأهواز: محمد بن إبراهيم بن مهزيار. ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق. ومن أهل همدان: محمد بن صالح. ومن أهل الرزي: البسامي، والأسدي - يعني نفسه.. ومن أهل آذربيجان: القاسم بن العلاء. ومن أهل نيسابور: محمد بن شاذان.

ومن غير الوكلاء من أهل بغداد: أبو القاسم بن أبي حليس، وأبو عبد الله الكندي... إلى آخر الحديث^(١).

وهذه الأسماء الواردة في الرواية من الأشخاص المعروفين بوثافتهم، ونحن نذكر ترجمة شخصية لبعض هؤلاء الوكلاء.

١ - الشيخ عثمان بن سعيد السفير الأول، وابنه الشيخ محمد بن عثمان السفير الثاني، وقد تقدم الحديث عنهما.

٢ - حاجز بن يزيد الملقب بالوشا. روى فيه الشيخ المفيد بإسناده عن الحسن بن الحميد، قال شككت في أمر حاجز. فجمعت شيئاً ثم صرت إلى العسكر - يعني سامراء - فخرج إلي: ليس فينا شك، ولا فيمن يقوم بأمرنا. تردّ ما معك إلى حاجز ابن يزيد^(٢).

٣ - البلالي: هو أبو طاهر محمد بن علي بن بلال، ذكره الشيخ الصدوق في قائمة الوكلاء كما في الرواية، وعده ابن طاووس من السفراء المعروفين في الغيبة الصغرى.

إلا أن الشيخ الطوسي ذكره في جملة الوكلاء المذمومين^(٣).

٤ - محمد بن إبراهيم بن مهزيار: عده ابن طاووس من السفراء والأبواب المعروفين، وروى الشيخ الطوسي عنه أن والده كان من وكلاء الإمام

(١) كمال الدين ونظام النعمة، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٤٤٤، ح ١٦.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الصدر، الحقل السادس، ص ٦٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٠٩.

الحسن العسكري عليه السلام، وبعد وفاته خرج إليه التوقيع من الإمام المهدي عليه السلام: قد أقمتك مقام أبيك فاحمد الله ^(١).

٥ - أحمد بن إسحاق: بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري. أبو علي القمي، روى عن الإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام وكان من خاضة الإمام العسكري عليه السلام. وقال الشيخ الطوسي في الغيبة بأنه ممن خرج التوقيع في مدحهم. وكان أحمد بن إسحاق من الخاضة الذين عرض الإمام العسكري عليه السلام عليهم ولده المهدي عليه السلام، وكذلك كان الإمام العسكري عليه السلام قد بشره بولادة الإمام المهدي عليه السلام ^(٢).

فهؤلاء بعض الذين اضطلعوا بمهمة الوكالة عن الإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى، لتكميل وتوسيع عمل السفراء الأربعة في مختلف البلدان الإسلامية.

السفارات الكاذبة عن الإمام المهدي عليه السلام

تعتبر مسألة السفارة والنيابة عن الإمام المهدي عليه السلام، من المناصب الهامة والخطيرة كونها تُعطي حاملها وصاحبها درجة رفيعة ومنزلة كبيرة في داخل المجتمع الإسلامي، فضلاً عن إعطائه صبغة شرعية منصوب عليها من قبل شخص الإمام نفسه، وهذا الأمر له بُعدُه الخاص على مستوى حصول السفير أو النائب على صفةٍ تخولُه إمكانية استغلال فرصة تحويل أمر السفارة إلى الاستفادة من كثير من الأمور لمصالحه الشخصية.

ولأهمية هذا المنصب نرى الإمام المهدي عليه السلام قد أكد في الكثير من الرسائل والتوقيعات الصادرة عنه على توثيق وكلائه وسفرائه، وإعطائهم صفات تؤهلهم لتحمل مسؤولياتهم، والنهوض بأعباء السفارة، وكذلك نرى حرص الإمام عليه السلام على إبراز بعض المعجزات لهم تأكيداً وحرصاً منه على عدم

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الصدر، ج الحقل السادس، ص ٦٠٩.

التشكيك بهم من قبل الناس، وقد أذى هؤلاء الوكلاء دورهم بأفضل وجه، وتحملوا أعباء المسؤولية الموكلة إليهم، واستطاعوا تنفيذ كل ما أراده الإمام عليه السلام في عصر الغيبة الصغرى، وكانوا مثلاً أعلى في التضحية والفداء في سبيل الحفاظ على الإمام وحمائته وإيصال رسالته إلى الناس.

ونظراً لأهمية هذا الموقع الحساس بما يحمله من إمكانية الاستغلال المعنوي والمادي برز العديد من الأصوات التي ادّعت حصولها على شرف السفارة كذباً وزوراً، وذلك بعد أعوام قليلة من بدء عصر السفارة والنيابة وكان من أبرز أسباب هذه الإدعاءات أحد أمرين:

الأول: محاولة اكتساب هذا الشرف والمنصب المعنوي بين الناس، لكون السفير من جملة مهماته زعامة وقيادة المجتمع.

الثاني: أن السفير هو المرجع الأساس في تسلّم الأموال الشرعية نيابةً عن الإمام عليه السلام. وهذا ما كان واضحاً وجلياً في بعض المدّعين للسفارة الذين كان هدفهم الحصول على المال فقط.

وقد طاول الإنحراف وادّعاء السفارة شريحة من أصحاب الإمام المهدي عليه السلام كما حصل من قبل مع سائر الأئمة عليهم السلام.

ففي عصر الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري عليه السلام إنحرف عن الخط القويم والصراط المستقيم لأئمة أهل البيت عدد من أصحابهما الذين كانت لهم سوابق مشرّقة، وشرف اللقاء الدائم مع الإمامين العسكريين عليه السلام، وروا عنهما الأحاديث ودوّنها في الكتب، ولكن ضعف الإيمان، وعدم الإخلاص ووجود القابلية عند هؤلاء للإنحراف. والطمع في الأموال والشهرة الاجتماعية أذى إلى سوء العاقبة عند هذه الفئة من الناس.

التسلسل التاريخي للتزوير:

بدأ التزوير وادّعاء السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام في عهد السفير الشيخ محمد ابن عثمان العمري (رضي الله عنه)، وأما أبوه السفير الأول فقد كان أقوى

وأسمى من أن يعارضه معارض، بعد تاريخه المجيد مع الإمامين العسكريين (عليه السلام). وثناؤهما العاطر عليه، وأداؤه لمختلف أنواع الجهاد في عهدهما وبموجب توجيهاتهما وتعاليمهما... كما أن الظروف لم تكن لتساعد على دعوى السفارة، فإن الغيبة الصغرى لا زالت في أولها، وتتبع السلطات ومطاردتهم للإمام المهدي (عليه السلام) ولكل من يمت إليه بصلة، قوية، وقد كانت سفارة عثمان بن سعيد (السفير الأول) جهاداً كبيراً وتضحية عظيمة فكيف يمكن حينئذ أن يعرض الشخص نفسه للمطاردة والخطر تلقائياً بانتحال السفارة.

على أن التزوير لا يكاد يحتمل وجوده قبل أن يعتاد الناس على هذا النحو من السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام). وهذا الإعتياد يحتاج في تحقيقه إلى زمن بطبيعة الحال، تعيشه القواعد الشعبية تجاه السفارة الصادقة، وهو ما تحقق في أول الغيبة الصغرى، وخلال الأعوام القليلة التي قضاها عثمان بن سعيد في السفارة.

وقد توفر المزورون خلال الفترة الطويلة التي قضاها السفير الثاني في سفارته. وتاريخنا الخاص وإن لم يضع النقاط على الحروف من تواريخ التزوير... إلا أنه على أي حال يدل على بدء السفارة الكاذبة في زمان هذا السفير.

فقد ادعى السفارة زوراً عن الإمام المهدي (عليه السلام) في زمان أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (رضي الله عنه)، عدة أشخاص، أولهم: أبو محمد الشريعي. وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ومحمد بن نصير النميري. ادعى ذلك الأمر بعد الشريعي. وأحمد بن هلال الكرخي وغيرهم...

وقد كان بعضهم صالحين في مبدأ أمرهم، ومن أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليه السلام). فأنحرفوا وسلكوا مسلك التزوير. فجاهبهم العمري (رضي الله عنه) بكل قوة وانتصر عليهم، وخرجت من الإمام المهدي (عليه السلام) التوافيق والبيانات بلعنهم والبراءة منهم، والتأكيد على كذب سفارتهم وسوء سريرتهم.

وأما الشيخ الحسين بن روح (السفير الثالث). فقد ابتلى بأشدهم تأثيراً وأوسعهم أصحاباً: محمد بن علي الشلمغاني العزاقري .

وكان في مبدأ أمره مؤمناً مستقيماً، بل وكيلاً لابن روح، ثم ظهر انحرفه وسقم عقيدته - كما سيأتي ..

وأخروهم في دعوى السفارة الكاذبة - على ما يظهر من عبارة الشيخ الطوسي - أبو دلف الكاتب، حيث كان على ذلك إلى ما بعد وفاة السمرى (السفير الرابع)^(١).

كانت هذه إطلالة تحليلية على عملية التزوير التي حصلت في السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام، ولا بد من التعرض إلى بعض التفاصيل المتعلقة بأحوال هؤلاء.

ونحن إذ نذكرهم هنا كما ذكرهم الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة ووفقاً للترتيب والتسلسل الذي ذكره في باب ذكر المذمومين الذين ادعوا النيابة والسفارة كذباً وافتراء^(٢) مع بعض التصرف . قال الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه).

★ أولهم - المعروف بالشريعي:

اسمه الحسن وكان يُكنى بأبي محمد، وكان من أصحاب الهادي عليه السلام ثم العسكري عليه السلام، وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلاً له، وكذب على الله وعلى حججه عليه السلام، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، فلعننته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه. ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد.

★ ثانيهم - محمد بن نصير النميري:

وهو من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وعند وفاة الإمام ادعى

(١) اقتبسنا هذا المقطع من تاريخ الغيبة الصغرى، السيد الصدر، ص ٤٩٤.

(٢) راجع الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٣٩٧ وما بعدها

مقام أبى جعفر محمد بن عثمان (السفير الثانى) وأنه سفير الإمام المهدي عليه السلام ونائبه، ولكن الله تعالى فضحه بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبى جعفر محمد بن عثمان له، وتبرّيه منه، واحتجّاه عنه، وأدعى ذلك الأمر بعد الشرعى.

وليه تنسب الفرقة النصيرية، وكان يدعى أنه رسول نبى، وأن علي بن محمد الهادي عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في الإمام الهادي عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أديارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتدلل في المفعول به، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لا يحرم شيئاً من ذلك.

وتبعه في أقواله جماعة، سمّوا بالنميرية، ذكروا أن منهم: محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وهو والد علي بن محمد بن موسى بن الفرات الذي ورر بعد ذلك للمقتدر العباسي المعاصر لسفارة ابن روح. إستوزره عام ٢٩٩هـ. وبقي ما يزيد على الثلاث سنين في الوزارة. فمن هذا يظهر كيف تؤيد السلطات خط الانحراف الداخلي عن الأئمة عليهم السلام.

وعندما اعتلّ محمد بن نصير النميري العلة التي توفي فيها. قيل له - وهو مثقل اللسان -: لمن الأمر من بعدك؟! فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد. فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق.

قالت فرقة: إنه أحمد ابنه. وفرقة قالت: هو أحمد بن محمد بن موسى الفرات.

وفرقة قالت: إنه أحمد بن أبى الحسين بن بشر بن يزيد فافترقوا فلا يرجعون إلى شيء.

★ ثالثهم . أحمد بن هلال الكرخي؛

وكان من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والذي يظهر من كلام

الشيخ الطوسي أن ابن هلال بقي مؤمناً صالحاً، خلال سفارة السفير الأول، ولكنه بمجرد أن ذهب السفير الأول إلى ربه بدأ بالتشكيك بسفارة الثاني، بحجة إنكار النص عليه من قبل الإمام العسكري عليه السلام. ويقول: لم أسمع ينص عليه بالوكالة. وليس أنكر أباه - يعني عثمان بن سعيد - فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان. فلا أجسر عليه. فقالوا: قد سمعنا غيرك. فقال: أنتم وما سمعتم. ووقف على أبي جعفر. فلعنوه وتبرؤوا منه.

وترتب على تشكيكه هذا في أبي جعفر (رضوان الله عليه) عدم دفعه أموال الإمام عليه السلام إليه وعصيانه للأوامر الصادرة منه عن المهدي عليه السلام، مما أدى به إلى الكفر والجحود.

* رابعهم - أبو طاهر محمد بن علي بن بلال:

وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري نصر الله وجهه، وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها، وإذعانه أنه الوكيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان عليه السلام ما هو معروف.

وقد كان له جماعة من الأصحاب والمؤيدين منهم أخوه أبو الطيب وابن حرز وغيرهم من الأصحاب.

وقد جاهد أبو جعفر العمري (رضي الله عنه) واستعمل الأساليب لردعه وتقويم إنحرافه، وأخذ الأموال منه لإيصالها إلى الإمام عليه السلام فلم يفلح وبقي ابن بلال على انحرافه وتمسكه بالأموال والأصحاب^(١).

فمن ذلك: أن أبا جعفر العمري قصد ابن بلال في داره، وكان عنده جماعة، فيهم أخوه أبو الطيب وابن حرز. فدخل الغلام فقال: أبو جعفر العمري على الباب، ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال التي كانت جرت. ولم يستطع ابن بلال أن يحجبه. فقال: يدخل.

(١) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٥٠٥.

فدخل أبو جعفر (رضي الله عنه) فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس في صدر المجلس، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه. فأمهلهم إلى أن سكتوا. ثم قال العمري: يا أبا طاهر أنشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إليّ. فقال ابن بلال: اللهم نعم. فنهض أبو جعفر (رضي الله عنه) منصرفاً ووقعت على القوم سكتة. فلما تجلّت عنهم قال له أخوه أبو الطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبو طاهر: أدخلني أبو جعفر إلى بعض دوره، فأشرف عليّ - يعني صاحب الزمان - من علو داره فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه - أي إلى العمري. فقال له أبو الطيب: ومن أين علمت أنه صاحب الزمان؟

قال: قد وقع من الهيبة له، ودخلني من الرعب منه، ما علمت أنه صاحب الزمان، فكان هذا سبب إنقطاعي عنه^(١).

* خامسهم - الحسين بن منصور الحلاج:

وهو الصوفي المشهور، وكان سلوكه واضحاً ومعلوماً لدى جميع الناس في إنحرافه عن خط أهل البيت، ولم يكن في فكره وعقيدته يمتُّ إلى التشيع بصلة.

ومما روي عنه أنه لما قدم بغداد أراد أن يغري أبا سهل بن إسماعيل بن علي النوبختي، وهو من علماء الشيعة الأجلاء في تلك الفترة، ويمت إلى الشيخ ابن روح النوبختي برابطة النسب.

فأرسل إليه مدعياً أنه وكيل صاحب الزمان ظاناً أنه يستميله إليه وهذا ما يستوجب أيضاً إنقياد غيره إليه وذلك لعظم أبي سهل في أنفس الناس، ومحلّه من العلم والأدب.

ومما قاله له: إني أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر.

(١) الفبية، الطوسي، ص ٤١٠.

فأرسل إليه أبو سهل (رضي الله عنه) يقول له: إني أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أنني رجل أحب الجواري وأصبو إليهن. ولي منهن عذة أتفظهن والشيب يبعثني، وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة. وأتحمّل منه مشقة شديدة لأسر عنهن ذلك، وإلا انكشف أمري عندهن، فصار القرب بُعداً والوصال هجراناً، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤونته، وتجعل لحيتي سوداء، فإني طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع مالي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة.

فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرّد إليه جواباً، ولم يرسل إليه رسولاً، وصيّره أبو سهل (رضي الله عنه) أحدوثة وضحكة، ويستهزئ به الناس، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه.

وحين ذهب الحلاج إلى قم كاتب علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، وهو من أجلاء علمائنا، أبو الشيخ الصدوق قدس الله سرهما، وادّعى له الحلاج: أنه رسول الإمام ووكيله.

فلما وصل خطابه إلى ابن بابويه، مزّقه، وقال لرسول الحلاج: ما أفرغك للجبهالات! فقال له الرجل: فإن الرجل قد استدعانا فلما خرقت مكاتبته؟ وضحكوا منه وهزؤوا به.

ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلماؤه، وعندما وصل نهض لاحترامه كل من كان هناك غير رجل رآه جالساً في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه ابن بابويه.

فلما جلس وأخرج حسابه ودواته، كما يكون التجار. أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه، فأخبره. فسمعه الرجل يسأل عنه فأقبل عليه، وقال له: تسأل عني وأنا حاضر؟! فقال له ابن بابويه: أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك

أن أسألك. فقال له: تخرق رقعتي، وأنا أشاهدك تخرقها، فقال له: فأنت الرجل إذن. ثم قال: خذ يا غلام برجله وقفاه، وسحبوه من الدار سحباً. ثم قال له: أتدعي المعجزات عليك لعنة الله... قال الراوي: فما رأيناه بعدها بقم.

وقد شاع أمر الحلاج وفساد رأيه وعقيدته وكفره وإلحاده عند العدو والصديق، ولم يقتصر إنحرافه على فئة معينة من الناس بل حاول تضليل أكبر فئة من الناس، ولذا حاربته السلطة آنذاك وذلك للإنحراف الواضح منه عن الإسلام. فأفتى الفقهاء بإباحة دمه. وأذن الخليفة المقتدر العباسي في قتله حين رأى الفتاوى. فضرب ألف سوط وقطعت يده ثم رجله ثم يده ثم رجله، ثم قتل ثم أحرق بالنار وألقي رماده في دجلة، ونُصِب الرأس ببغداد.

★ سادسهم - محمد بن علي الشلمغاني:

المعروف بابن أبي العزاقر أو العزاقري، نسبته إلى شلمغان، وهي قرية بنواحي واسط في العراق.

كان من المحدثين، وله مؤلفات كثيرة جمع فيها الأحاديث التي وصلت إليه من أئمة أهل البيت عليهم السلام ولما انحرف وتغيّر، جعل يتلاعب بالأحاديث، ويزيد فيها، ويُقصّ فيها.

ونظراً لاستقامة عقيدته وسلوكه الصالح نصّبهُ الشيخ أبا القاسم. الحسين بن روح وكيلاً عنه عند استتاره من الخليفة المقتدر، وكان الناس يقصدونه ويلقونه في حوائجهم ومهماتهم، وكانت تخرج على يده التوقيعات من الإمام المهدي عليه السلام عن طريق ابن روح.

قال الشيخ الطوسي عنه:

«كان وجيهاً عند بني بسطام لأن الحسين بن روح كان جعل له منزلة عند الناس لأنه كان في أول أمره من الشيعة وصنّف كتباً على مذهبهم ثم ارتدّ فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني

بسظام، ويسند إلى الحسين بن روح فيقبلونه، فبلغ ذلك الحسين بن روح فأنكره وأعظمه ونهى بني بسظام عنه، وأمرهم بلعنه فلم ينتهوا لأنه كان يمؤه عليهم بأنني أذعت السر فموقبت بالإبعاد، فبلغ ذلك الحسين بن روح فكتب إلى بني بسظام بلعنه والبراءة منه، فأطلعوه عليه فبكى بكاء شديداً وقال: إن لهذا القول باطناً عظيماً وهو أن اللعنة الإبعاد فمعنى قوله لعنه الله، باعده عن العذاب والنار، والآن قد عرفني منزلتي ومزغ خذيه على التراب وقال: عليكم بالكتمان^(١).

وأما أبرز إنحرافاته فهي:

قوله بالحلول والتناسخ، أي: يدعي أن الله تعالى قد حلّ فيه، ويقول لأتباعه: إن روح رسول الله ﷺ انتقلت إلى محمد بن عثمان (النائب الثاني للإمام المهدي) وأن روح أمير المؤمنين ﷺ انتقلت إلى بدن الشيخ الحسين بن روح، وأن روح فاطمة الزهراء ﷺ انتقلت إلى أم كلثوم بنت محمد بن عثمان. ويدعي لأصحابه أن هذا سرٌ عظيم، ينبغي أن يبقى مكتوماً.

وقد ترتّب على بعض هذه العقائد أن أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري (رضي الله عنه)، دخلت على أم أبي جعفر بن بسظام، فأعظمتها غاية الاعظام حتى أنها إنكبّت على رجلها تقبلها، فلما أنكرت ذلك منها، أخبرتها بما قاله لهم العزاقرى من العقائد، وأن روح السيدة الزهراء ﷺ قد تجسّدت فيها، فكيف لا تعظمها وتكبر شأنها؟!

ولم يفد تكذيب أم كلثوم لهذه العقائد، وردعها لتلك المرأة عنها، لما سبق من العزاقرى بأنه سر عظيم وقد أخذ عليهم أن لا يكشفونه لأحد.

وحين رأت أم كلثوم ذلك، بادرت إلى أبي القاسم بن روح (رضي الله عنه)، فأخبرته بالقصة. فقال: يا بنية! إياك أن تمضي إلى هذه المرأة بعدما

(١) راجع النية، للطوسي، ص ٤٠٣.

جرى منها ولا تقبلي لها رقعة إن كاتبك ولا رسولا إن أنفذته إليك، ولا تلقيها بعد قولها. فهذا كفر بالله تعالى والحاد. قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم: بأن الله إتحد به وحل فيه كما يقول النصارى في المسيح عليه السلام، ويعدو إلى قول الحلاج لعنه الله. قالت: فهجرت بني بسطام، وتركت المضي إليهم...

وشاع هذا الحديث في بني نوبخت، فلم يبق أحد إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه، ومن تولاه ورضي بقوله أو كلمه.

ثم ظهر توقيع من صاحب الزمان عليه السلام يلعن أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني والبراءة منه ومن تابعه وشايعه، ورضي بقوله وأقام على توليه، بعد المعرفة بهذا التوقيع^(١).

وقد خرج التوقيع من الناحية المقدسة إلى الشيخ الحسين بن روح، وفيه يقول الإمام المهدي عليه السلام:

«... إن محمد بن علي المعروف بالشلمغاني، وهو ممن عجل الله له النعمة، ولا أمهله، قد ارتد عن الإسلام وفارق، وألحد في دين الله، وأدعى ما كفر معه بالخالق - جل وتعالى - وافتري كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراً مبيناً. وإننا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله (صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم) منه، ولعنائه، وعليه لعائن الله نرى، في الظاهر منا والباطن، والسر والعلن، وفي كل وقت، وعلى كل حال وعلى من شايعه وبايعه، وبلغه هذا القول منا فأقام على توليه بعده.

وأعلمهم - تولاك الله - أننا في التوقي والمحاذرة منه، على مثل ما

كثراً عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشريمي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم. وعادة الله - جل ثناؤه - مع ذلك قبله وبعده - عندنا جميلة وبه نثق، وإياه نستعين، وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل^(١).

وقد صدر هذا التوقيع الشريف عام إثني عشر وثلاثمائة، حين كان الشيخ الحسين ابن روح مسجوناً في دار المقتدر العباسي، وبالرغم من ذلك فقد سلم الشيخ هذا التوقيع إلى أحد أصحابه، وأمره أن يوزعه توزيعاً عاماً بين الشيعة، فانتشر ذلك بينهم، واتفقوا على لعنه والبراءة منه، والابتعاد عنه.

وقد كان للشيخ الحسين بن روح دور كبير في فضح الشلمغاني وكشف حقيقته عند الشيعة، وبذل جهداً كبيراً في إيصال خبر إنحرافه إلى الناس.

وعلى أثر ذلك انتشر خبر لعنه بين الناس، وصار حديث المجالس، ولما اشتد الأمر على الشلمغاني وأحسّ بالتحذّي والمجابهة من الشيخ ابن روح والمجتمع الموالي له، أراد أن يباهل ابن روح حتى يضع المجتمع أمام حدّ الواقع، وذلك أنه بعد أن اشتهر أمره وتبرأ منه ابن روح، اجتمع الشلمغاني بجماعة من رؤساء الشيعة في مجلس الوزير ابن مقلة - وزير الراضي عام ٣٢٢ - فرأى أن كل فرد منهم يحكي عن الشيخ أبي القاسم لعنه والبراءة منه.

فقال الشلمغاني: إجمعوا بيني وبين الحسين بن روح، حتى آخذ بيده ويأخذ بيدي، فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه فجميع ما قاله في حق!

ووصل خبر الشلمغاني وانحرافه إلى الراضي - الحاكم العباسي يومذاك - فأمر باللقاء القبض عليه، فاختم الشلمغاني، وصار ينتقل من بيت إلى بيت، وكان ابن مقلة - الوزير - يبحث عنه حتى وجده فآلق القبض عليه، ووجد عنده رسائل كتبها إليه بعض أتباعه، وخطبوه فيها بكلمات لا تليق إلا بالله تعالى مثل: يا إلهي وسيدي ورازي.

وأخيراً ساقوه إلى محكمة تشكّلت من الفقهاء والقضاة ورؤساء الجيش،

وبعد محاكمات عديدة، إتفقت كلمتهم على قتله، فضربوه بالسياط، ثم ضربوا عنقه وأحرقوا جثته، وألقوا رمادها في نهر دجلة.

★ سابغهم - أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي:

وهو حفيد عثمان بن سعيد (النائب الأول)، وابن أخ أبي جعفر العمري (السفير الثاني). ادعى السفارة كذباً وزوراً عن الإمام المهدي عليه السلام. وكان معروفاً بأنه قليل العلم، ضعيف العقل.

وكان له أصحاب، منهم أبو دلف محمد بن المظفر الكاتب الذي ادعى النيابة لأبي بكر البغدادي فكان يدافع عنه ويفضله على أبي القاسم الحسين بن روح وغيره.

ولما لم يكن أبو بكر البغدادي معروفاً لدى الجميع بإنحرافه باستثناء عمه أبي جعفر العمري وبعض أصحابه، أراد أبو جعفر أن يفضحه أمام الناس، ويبين حقيقة أمره وانحرافه.

لذا يُذكر أن أبا بكر دخل يوماً مجلس عمه محمد بن عثمان وكانوا يتذكرون حول الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فقال محمد بن عثمان للحاضرين: أمسكوا - أي أسكتوا - فإن هذا الجاني ليس من أصحابكم.

وحُكي أنه ادعى الوكالة لليزيدي بالبصرة، فبقي في خدمته مدة طويلة، وجمع مالاً عظيماً، فسُعي به إلى اليزيدي فقبض عليه وصادره وضربه على أم رأسه حتى نزل الماء في عينيه فمات ضريعاً.

★ ثامنهم - أبو دلف الكاتب:

هو محمد بن المظفر الكاتب الأزدي، ادعى السفارة كذباً وزوراً، وكان معروفاً بالإلحاد ثم أظهر الغلو ثم جُنَّ وسُلِّسِل (أي صار مجنوناً وقُتِد بالسلاسِل) ثم صار مفوضاً^(١).

(١) نسبة إلى المفوضة، وهم الذين قالوا بأن الله خلق محمداً عليه السلام وفوض إليه خلق الدنيا، فهو الخلاق لما فيها، وقيل: فوض ذلك إلى الإمام علي عليه السلام.

قال الراوي: وما عرفناه قط، إذا حصر في مجلس إلا استخف به، ولا عرفته الشيعة إلا مدة يسيرة، والجماعة منه ومن يومي إليه ويتنمّس به (أي ينتسب إليه).

وأما إنحرافاته: فمنها أنه كان من المخمسة وهم طائفة من الغلاة تقول: إن الخمسة - وهم سلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وعمرو بن أمية الضمري - هم الموكلون بمصالح العالم من قبل الرب.

فهذا نبذ يسير عن بعض الذين ادّعوا السفارة والنيابة عن الإمام المهدي عليه السلام. وغيرهم ممن لم نذكرهم، من الذين مثلوا خط الانحراف وحاولوا الوصول إلى تحقيق أطماعهم الشخصية من خلال الكذب والافتراء.

الفصل الثالث

الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام

★ الحكمة من غيبة المهدي عليه السلام وفوائدها

★ شبهات وتساؤلات حول المهدي عليه السلام وغيبته

الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام

إنتهى عصر الغيبة الصغرى بانقطاع السفارة والنيابة الخاصة للإمام المهدي عليه السلام، وقد تم الإعلان عن ذلك من الإمام نفسه عبر الرسالة التي وجهها إلى سفيره الرابع علي بن محمد السُمري (رضوان الله عليه) والتي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً...»^(١).

وبذلك بدأ عصر الغيبة الكبرى التي انقطعت فيها السفارة، وهي تطول ولا تنتهي إلا بيوم الظهور الموعود الذي يبرز فيه نور الإمام المهدي عليه السلام، وتسعد البشرية ببقائه ليخرجها من الظلمات إلى النور، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد دلت الروايات التي ذكرناها سابقاً على وجود هاتين الغيبتين للإمام المهدي عليه السلام أما الأخبار على وجود الغيبة الكبرى والطويلة للإمام عليه السلام فنذكر منها:

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال:

(١) الغيبة، الطوسي، ص ٣٩٥.

«للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعية يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة...»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أما والله ليغيبن عنكم مهديكم حتى يقول الجاهل منكم ما لله في آل محمد حاجة، ثم يُقبل كالشهاب الثاقب فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

«والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدي بعهدٍ معهود إليه مني حتى يقول أكثر الناس ما لله في آل محمد حاجة، ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه فيزيله عن ملتي، ويخرجه من ديني فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل، وإن الله عز وجل جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن لصاحب هذا الأمر غيبتين: في أحدهما يرجع إلى أهله، والأخرى يقال: هلك في أي واد سلك. فقال الراوي: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال عليه السلام: إن أذع مدع فاسألوه عن تلك العظام التي يجب فيها مثله»^(٤).

وعن التواتر ومقدار صحة الأحاديث الواردة في وجود غيبتين لصاحب الأمر عليه السلام قال الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني في كتابه الغيبة:

(١) منتخب الأثر، ص ٢٦٠، نقلاً عن كمال الدين.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦١، نقلاً عن كمال الدين.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٧، نقلاً عن بحار الأنوار.

(٤) الغيبة، النعماني، ص ١١٥.

هذه الأحاديث التي يذكر فيها أن للقائم عليه السلام غيبتين أحاديث قد صحت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمة عليهم السلام وأظهر برهان صدقهم فيها.

فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كان السفراء فيها بين الإمام المهدي عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان يخرج على أيديهم الشفاء من العلم وعويص الحكم والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها.

والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله والتدبير الذي يمضيه في الخلق وبوقوع التمحيص والإمتحان والبلبل والغربة والتصفية على من يدعي هذا الأمر كما قال الله عز وجل: (ما كان الله ليلذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطالعكم على الغيب).

وهذا زمان ذلك قد حضر، جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق، وممن لا يخرج في غربال الفتنة، فهذا معنى قولنا له غيبتين^(١).

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد:

«وله قبل قيامه غيبتان: إحداهما أطول من الأخرى، كما جاءت بذلك الأخبار.

فأما القصرى منهما، فمنذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة.

أما الطولى فهي بعد الأولى، وفي آخرها يقوم بالسيف^(٢).

والحاصل أن هناك بعض الفوارق بين الغيبتين لخصها السيد محمد الصدر فقال:

(١) الغيبة، النعمان، ص ١١٥ - ١١٦.

(٢) الإرشاد، المفيد، ص ٣٢٦.

تتلخص الفروق بين الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى بما يلي :

أولاً: قصر مدة الغيبة الصغرى، إذ كانت حوالى السبعين عاماً. بخلاف الغيبة الكبرى، فإنها غير معروفة الأمد، باعتبار جهلنا بموعد ظهور المهدي عليه السلام.

ثانياً: إقتران الغيبة الصغرى بالسفارة الخاصة، القائمة بين المهدي عليه السلام وقواعده الشعبية، وانقطاع ذلك في الغيبة الكبرى.

ثالثاً: إنتهاء أمد الغيبة الصغرى بوفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري عليه السلام. وأما الكبرى، فلا زالت سارية المفعول، وتنتهي بيوم الظهور الموعود.

رابعاً: إن المشاهدين للإمام المهدي عليه السلام خلال غيبته الصغرى، أكثر بنسبة مهمة عنهم في غيبته الكبرى.

ويمكن أن يكون الفرق الأول، هو سبب تسمية الغيبتين بالصغرى والكبرى... حيث تكون الأولى قصيرة والأخرى طويلة.

كما يمكن أن يكون الفرق الأخير هو سبب التسمية، ويكون المقصود هو قلة الإحتجاب في الصغرى وكثرته في الكبرى وقد عرفنا مما سبق أن الغيبة الصغرى إنتهت بوفاة النائب الرابع للإمام المهدي عليه السلام الشيخ علي بن محمد السمري وبدأ بذلك عصر الغيبة الكبرى، وأنه لم يكن له عليه السلام في هذه الغيبة نائب خاص، حيث انقطعت السفارة والوكالة الخاصة وانتقلت إلى النيابة العامة للفقهاء والمراجع من الشيعة العدول الذين جعلهم الإمام المهدي عليه السلام نواباً عامين له في جميع أقطار الأرض، كما ورد في بعض توقعاته عليه السلام إلى أحد وجهاء الشيعة الشيخ إسحاق بن يعقوب وجاء فيه :

«... وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم...».

وغير ذلك من الأدلة الدالة على الرجوع إلى الفقهاء العدول الجامعين

لشرائط الفتوى في زمن الغيبة كالنصوص المعتمدة الواردة في هذا الباب، والإجماع، ودليل العقل الحاكم بذلك.

فاللزام على الإنسان المسلم المكلف إذا لم يكن مجتهداً أو محتاطاً أخذ أحكام الشريعة المتعلقة بأعماله إذا لم تكن من ضروريات الدين (أي الثابتة بالقطع) كوجوب الصلاة والصوم والزكاة، من المجتهد الجامع للشرائط، والرجوع إليه في الحوادث الواقعة، وذلك بأن يكون من يقلده فقيهاً عاقلاً عادلاً صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه، عارفاً بشؤون ومتطلبات زمانه.

واللزام أيضاً على الأمة الرجوع في جميع قضاياها المصيرية وشؤونها العامة إلى الولي الفقيه والحاكم الشرعي المتصدي لإدارة حكومة الأمة الإسلامية. ويجب طاعته والانقياد له في كل ما يصدر عنه من أحكام وقوانين.

وبهذا يكون الإمام المهدي عليه السلام قد فتح لشيعته خطاً جديداً لتأمين النواحي الفقهية والاجتماعية والسياسية لهم عن طريق المرجعية والولاية والقيادة المتجسدة في فقهاء الشيعة وهذا بالطبع لا يستلزم توقف نظام الإمامة المعصومة، وانسحاب الإمام المهدي عليه السلام عن مركز قيادة الأمة والتصرف في هذا العالم، وكأنه أصبح شخصاً لا علاقة له بما يجري على الناس وعلى شيعته بالخصوص.

بل إن نظام الإمامة مستمر إلى قيام الساعة، لأنه نظام إلهي، ولا يقبل الزوال سواء كان ذلك النظام حاكماً على المجتمع، وسائداً على الساحة الإسلامية يتصرف في شؤون الناس أم كان ممنوعاً عن الظهور.

الحكمة من غيبة المهدي عليه السلام وفوائدها

من الطبيعي أن يتبادر إلى الذهن سؤال يختلج في صدور جميع الناس، وبالأخص المرتبطين بنهج وخط أهل البيت عليهم السلام. وهو أنه ما هي العلة في غيبة الإمام الحجة المهدي عليه السلام، ولماذا لا يكون ظاهراً بين الناس، يصبح ويمسي ويمشي في الأسواق كما كان كذلك أجداده الطاهرون صلوات الله عليهم أجمعين؟

وقبل أن نتطرق إلى الإجابة عن هذا السؤال الهام لا بد من الإشارة أيضاً إلى مسألة قد تكون الإجابة عليها أهم من السؤال عن الحكمة من الغيبة هي: إذا كان الإمام المهدي يعيش بشكل مخفي ومستتر فما هو الأسلوب الذي يتبعه لإمام عليه السلام في إحتجابه عن الناس ونجاته من برائن الظلم؟

وهذا ما تكفل في الإجابة عنه العلامة السيد محمد الصدر في كتابه موسوعة الإمام المهدي عليه السلام - تاريخ الغيبة الكبرى حيث أشار إلى وجود أطروحتين في أسلوب احتجاب الإمام عليه السلام وهما:

الأولى. أطروحة خفاء الشخص:

وهي أن الإمام المهدي عليه السلام يختفي جسمه عن الأنظار، فهو يرى الناس ولا يرونه، وبالرغم من أنه قد يكون موجوداً في مكان إلا أنه يُرى المكان خالياً منه.

فقد أخرج الصدوق في إكمال الدين بإسناده عن الريان بن الصلت، قال: سمعته يقول: سئل أبو الحسن الرضا عليه السلام عن القائم عليه السلام، فقال: «لا يُرى جسمه ولا يُسمى باسمه».

وأخرج بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في حديث: قال: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته.

وأخرج أيضاً بإسناده عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«يقفد الناس إمامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه».

ثم قال: وهذه الأطروحة هي أسهل افتراض عملي لاحتجاب الإمام المهدي عليه السلام عن الناس ونجاته من ظلم الظالمين، فإن في اختفائه هذا يكون في مأمن قطعي حقيق من أي مطاردة أو تنكيل، حيثما كان على وجه البسيطة.

وهذا الاختفاء يتم عن طريق الاعجاز الإلهي. كما تم طول عمره لمدى السنين المتطاولة بالإعجاز أيضاً...

وهذا الاحتجاب قد يزول أحياناً، عندما توجد مصلحة في زواله: كما لو أراد الإمام المهدي عليه السلام أن يقابل شخصاً من البشر لأجل أن يقضي له حاجة أو يوجه له توجيهاً.

الثانية - أطروحة خفاء العنوان:

وهي أن الناس يرون الإمام المهدي عليه السلام بشخصه بدون أن يكونوا عارفين أو ملتفتين إلى حقيقته.

وهذا أمر ممكن لأن الإمام عليه السلام منذ طفولته عاش مختفياً لا يعرفه إلا القلة من أصحابه، وكلما تقدّمت السنين في الغيبة الصغرى، وتقدّمت الأجيال، قلّ الذي عاصروه أو شاهدوه حتى انقرضوا، ووجدت أجيال جديدة لا تعلم من أسلوب اتصالها بالإمام عليه السلام إلا الاتصال بسفيره على أقل تقدير وهكذا إلى أن انتهت الغيبة الصغرى وبدأت الغيبة الكبرى، فصار هناك أجيال متعاقبة تجهل بشكله بالكلية، ولا يعرفونه حتى ولو واجهوه.

ويمكن للإمام المهدي عليه السلام أن يعيش في أي مكان يختاره وفي أي بلد يفضله سنين متطاولة، من دون أن يلتفت إلى حقيقته نظر أحد، وتكون حياته في تلك الفترة كحياة أي شخص آخر يكتسب عيشه من بعض الأعمال الحرة.

ويمكن الاستدلال على هذه الأطروحة بالأخبار الواردة بهذا الصدد منها:

ما أخرجه الشيخ الطوسي في الغيبة عن السفير الثاني الشيخ محمد بن عثمان العمري أنه قال:

«والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه».

والمقصود بصاحب هذا الأمر: الإمام المهدي عليه السلام، والمراد بالموسم موسم الحج.

ومنها: ما ورد من التوقيع الذي خرج من الإمام المهدي عليه السلام إلى سفيره محمد بن عثمان (رضي الله عنه) يقول فيه:

«فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه».

فهذه جملة من الأخبار الدالة على صحة الأطروحة الثانية، وبطلان الأولى^(١).

أما عن الحكمة من غيبته عليه السلام فقد وردت أحاديث متعدّدة تذكر أسباب الغيبة وعللها وفوائدها، وتبيّن وجه الانتفاع من وجود الإمام الغائب عليه السلام. وبعض هذه الأحاديث أشار إلى أن الغيبة سرٌّ من أسرار الله، وعلينا أن نتعبّد بها من دون السؤال عن علّتها، لأنها كانت عن إرادة حكيم لا شك أن في تقديره حكماً لا تنالها الأفهام القاصرة.

ومن هذه الأخبار ما رواه المجلسي عن الكليني، عن إسحاق بن يعقوب أنه ورد عليه من الناحية المقدّسة على يد محمد بن عثمان: «وَأَمَّا عَلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ فَسَوْفَ يَسْأَلُكُمْ﴾^(٢) إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الإنتفاع بي في غيبي فكالإنتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيتكم، ولا تتكلّفوا على ما قد كفيتم وأكثروا الدّعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم، والسلام عليكم يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى^(٣).

ومنها ما رواه عن الصدوق أيضاً عن جابر الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟

فقال صلى الله عليه وآله:

«إي والذي بعثني بالنبوة إنهم ليستفعمون به، ويستضيئون بنور ولايته

(١) راجع تاريخ الغيبة الكبرى، للسيد الصدر، ص ٣١ - ٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٣) البحار - المجلسي، ج ٥٢، ص ٩٠ - ٩٢، ح ٧.

في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّ لها السحاب»^(١).

ومنها ما رواه أيضاً عن الصدوق في إكمال الدين بسنده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال:

«سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له: ولما جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت إفراقهما.

يا بن الفضل، إن هذا الأمر أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عزّ وجلّ حكيم، صدّقنا بأن أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا»^(٢).

ومن الأخبار التي أشارت إلى أسباب الغيبة.

ما رواه الشيخ الصدوق عن زرارة أنه قال:

«سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: ولما؟ قال: يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه - قال زرارة: يعني القتل»^(٣).

ومنها أيضاً ما رواه عن زرارة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

(١) المصدر السابق، ص ٩٢، ح ٨.

(٢) البحار - المجلسي، ج ٥٢، ص ٩١، ح ٤.

(٣) إكمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، الباب ٤٤، ح ٩ - ١٠ و ٢، ص ٤٨٠ - ٤٨١.

«للقائم غيبة قبل قيامه، قلت: ولما؟ قال: يخاف على نفسه الذبح»^(١).

ومنها ما رواه بسنده عن جميل ابن صالح، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «يُبعث القائم وليس في عنقه بيعة لأحد»^(٢).

فهذه الأخبار كما نلاحظ أنها قد وفّرت لنا الإجابة عن علّة الغيبة وحدّتها بما يلي:

أولاً: إنها سرٌّ من أسرار الله، وغيب من غيب الله. فعلينا أن نؤمن بها من دون السؤال عن السبب بل على أنها فعلٌ من الله عزّ وجلّ وأفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا.

ثانياً: أنها ليست أمراً غريباً بل أنها حصلت للإمام المهدي عليه السلام كما حصلت مع الكثير من أنبياء الله عزّ وجلّ.

ثالثاً: أنها علّلت الغيبة بالخوف على النفس من القتل لكثرة الأعداء المتربصين.

رابعاً: الخوف على الإمام عليه السلام عند الظهور من الذبح.

خامساً: لكي لا يكون في عنقه بيعة لأحد من الناس.

نعم يمكن لنا أن نستنتج من هذه الروايات ومن الأحداث التي رافقت عملية ولادة الإمام عليه السلام واستتاره عن الناس ووقوع غيبته مجموعة من الفوائد الأساسية لهذه الغيبة وهي^(٣):

أولاً: إمتحان الناس واختبار مرتبة تسليمهم فقد كانت غيبة بعض الأنبياء الكرام عليه السلام من أهم ما امتحنت به الأمم السابقة، فلا بد وأن يجري ذلك في هذه الأمة. من الاختبارات والامتحانات بأنواعها المختلفة.

(١) إكمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، الباب ٤٤، ح ٩ - ١٠ و ٢، ص ٤٨٠ - ٤٨١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) راجع الإمام المهدي وظهور، السيد جواد الحسيني آل علي الشاهرودي، ص ١٦٥ وما بعدها.

والسبب في هذا الإمتحان هو أن ينكشف حال الإنسان بالنسبة إلى نفسه حيث أنه يخفى كثيراً حال الإنسان على نفسه. فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيا عن بينة.

والإمتحان بغيبة الإمام المهدي عليه السلام من أشد الامتحانات، وإن المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد، هذا مضافاً إلى أن في التصديق والالتزام والإيمان بما أخبره النبي صلى الله عليه وآله من الأمور الغيبية امتحاناً، وهو ثمرة صفاء الباطن.

فامتحان الناس بغيبته عليه السلام يكون عملاً وعلماً وإيماناً، أما عملاً فلما يحدث في زمن الغيبة من الفتن الشديدة الكثيرة ووقوع الناس في بليّات عظيمة بحيث يصير من أصعب الأمور المواظبة على الوظائف الدينية، وأما علماً وإيماناً فلأنه إيمان بالغيب فلا يؤمن به إلا من كمل إيمانه وقويت معرفته.

والحاصل أن الناس ممتحنون في الإيمان بالله والتسليم والتصديق بما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله، إلا أن الامتحان بالإيمان بالأمور الغيبية ربما يكون أشد من غيره، وقد جاء وصف هؤلاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾ وذلك لأن الإيمان بكل ما هو غيب عنا مما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله لا يحصل إلا لأهل اليقين الذين نجوا من ظلمة وساوس الشيطان والشبهات.

ثانياً: مجازاة الأمة وتأديبها.

وذلك لأن الأمة إن لم تقم بواجبها تجاه الرسول والإمام من الإمثال لأوامره ونواهيه ومعاونته. بل عصته وتجاوزت الحد إلى أن صارت تؤذيه بكل وسيلة فإنه يجوز للإمام ترك هذه الأمة والإعتزال عنها لتأديبها وتحذيرها لعلها ترجع إلى الصواب وإلى رشدّها وتذكر فوائده وجود الرسول والإمام بين أظهرها مبلغاً هادياً ومرشداً داعياً.

والتاريخ يشهد لنا أن أهل البيت عليه السلام لاقوا أشد أنواع الأذى والشدائد من أسر وقتل وحبس وتشريد ونفي عن الأوطان مع عدم قيام الأمة بواجب حقهم الذي أمرهم الله تعالى به وجعله أجر الرسالة.

والإمام المهدي المنتظر عليه السلام قد أحاط علمه بجميع تلك الأخبار، وعلم أن تلك الأعمال ستكون بالنسبة إليه أشد وأقسى وأمر لما علموا من سيرته عليه السلام وأنه يخرج بالسيف فاعتزل واختفى حتى لا يعاملوه معاملة آبائه وأجداده الكرام، ولم يفعل ذلك إلا تأديباً وتنبيهاً للأمة.

فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

«إن الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم».

وفي الحديث:

«إن أشد ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجته فلم يظهر لهم، وقد علم الله عز وجل أن أوليائه لا يرتابون ولو علم أنهم يرتابون ما غيب حجته طرفة عين عنهم، ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الناس».

فيحتمل أن تكون الجملة الأخيرة إشارة إلى أن الغضب في الغيبة مختص بالأشرار.

ثالثاً: تكميل النفوس وتهذيبها.

فإن الناس يختلفون في درجة الاستعداد وتحمل التكليف ومنه منشأ اختلاف درجات الإيمان وارتقاء البشر من ناحية العلوم والمعارف لتكميل العقول ونضوجها، وقد ورد في وصف أصحاب الحجة عليه السلام أنهم العلماء والنجباء والقضاة والحكام رهبان بالليل ليوث بالنهار وهم أطوع له عليه السلام من الأمة لسيدها وهم من خشية الله مشفقون يتمنون أن يقتلوا في سبيل الله.

فيصح ما ورد من الأخبار أن المهدي عليه السلام إذا ظهر بالحق سيحكم بعلمه الواسع، وينشر العلوم والمعارف الحقّة بين الناس ويكشف لهم الحقائق بعد أن كانت مخفية، ويعيد ويجدد الدين الإسلامي غصاً سليماً، وينفي ويبعد منه ما التحق به من الشوائب والبدع حتى ليحسب الناس أنه جاء بدين جديد وكتاب جديد، فإن سيرته عليه السلام مبنية على الحقائق والحكم بالواقعيات ورفض التقية والتسامح في الأمور الدينية، فالمهدي عليه السلام شديد على أهل المعاصي ومنكري الحق.

وبالتالي فإن هذه الإجراءات الإصلاحية ونشر الحقائق السليمة تحتاج إلى عقول أرقى وأنقى واستعداد أكمل وإلى نفوس زاكية صالحة وقلوب من خشية الله خاشعة وللوصول إلى الدرجات الغالية الراجعة.

فربما كان الغرض من تأخير ظهوره عليه السلام وإدامة غيبته هو رجاء حصول هذا الرقي والكمال ببركة انتشار العلوم والمعارف المختلفة التي هي في تكامل يوماً فيوماً.

وابعاً: الخوف من القتل.

فلأن الخوف من القتل هو أحد أهم الأسباب التي دعت الإمام المهدي عليه السلام إلى الغيبة والاختفاء، ويستفاد ذلك من بعض الأحاديث كما تقدم.

وفي بعض الأحاديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام:

«أن في القائم من آل محمد عليه السلام شبيهاً من خمسة من الرسل يونس بن متى ويوسف بن يعقوب وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم... وأما شبهه من موسى فدوام خوفه وطول مدته وخفاء ولادته وتعب شيعته من بعده بما لقوا من الأذى والبهتان إلى أن أذن الله عز وجل في ظهوره ونصره وأيده على عدوه...»^(١).

فكان فرار موسى بن عمران عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام من مصر ووروده على شعيب بسبب الخوف من القتل.

قال تعالى:

﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَرَمْتُ لِىَ رِيَّ حُكْمًا وَجَعَلْتَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

وهو الذي أوجب التجاء نبينا المعظم عليه السلام في شعب أبي طالب واختفاء أخيراً في الغار حين أرادوا قتله.

والمهدي المنتظر عليه السلام يخشى القتل لعدم وجود الأسباب العادية لنصرته

(١) إكمال الدين، الصدوق، باب ما أخبر به أبو جعفر عليه السلام من وقوع الغيبة.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١.

وتقدّمه في دعوته، وقوّة الأعداء، فلا مفرّ له من الإعتزال والغيبة حتى يأتي الله تعالى بأمره.

قال الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه):

«لا علة تمنع من ظهوره عليه السلام إلاّ خوفه على نفسه من القتل لأنّه لو كان غير ذلك لما ساغ له الإستتار وكان يتحمّل المشاق والأذى، فإن منازل الأئمة عليهم السلام وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنّما تعظم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى»^(١).

شبهات وتساؤلات حول المهدي عليه السلام وغيبته:

تتميّز حياة وسيرة الإمام المهدي عليه السلام بجملة من الأمور والقضايا التي تدفع الإنسان إلى التساؤل حول العديد من التفاصيل المتعلقة بحياته. ففي الوقت الذي ولد فيه أئمة أهل البيت عليهم السلام وعاشوا حياتهم الطبيعية والعادية بين الناس، ومارسوا دورهم بشكل لم يكن فيه أي مورد للإستغراب والاستهجان. نرى أن الإمام المهدي عليه السلام من وقت ولادته وإلى غيبته الصغرى والكبرى وإلى يوم ظهوره الموعود هناك الكثير من الأمور التي حصلت معه بشكل يختلف عن سائر الأئمة عليهم السلام.

فأمر ولادته عليه السلام كان مخفياً مستتراً وهكذا فترة عمره الشريف في زمن حياة أبيه العسكري عليه السلام وكذلك في فترة الغيبة الصغرى التي احتجب فيها إلاّ عن قلّة من أصحابه وخاصته.

وانتقل بعده إلى زمن الغيبة الكبرى التي عاش فيها إلى زماننا الحاضر أكثر من ألف عام ولا يعلم أحد إلى أي مدى تبقى هذه الغيبة إلاّ رب العالمين.

وهو غائب عن قيادة الساحة بشكل مباشر، ولا يمارس دوره الطبيعي في قيادة الأمة، وإن كنّا نعتقد أنّه هو الذي يسيّر شؤون الأمة من حيث لا يدري أحد وأن كل ما يجري في العالم إنّما يقع تحت مرمى نظره الشريف.

فلماذا استتر وغاب؟ وكيف يخاف على نفسه الخروج من القتل؟ وكيف يعيش هذه الفترة المديدة والطويلة من العمر؟

ولماذا لا يخرج ويمارس دوره كغيره من الأئمة؟

وهل سبقه أحد من الأنبياء والأولياء إلى مثل هذه الغيبة؟ كلها تساؤلات تحمل معها الشبهات التي تحتاج إلى ذكرها والإجابة عنها بشيء من التفصيل. وهذا الفصل معقود لأجل هذا الأمر.

قال السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة^(١).

الشبهة الأولى:

إن طول العمر بهذه المدة مستبعد بل غير واقع عادة كيف وقد مضى عليه الآن ما يزيد عن ألف وتسع وثمانين سنة كما مر.

(والجواب): إن الاستبعاد ليس دليلاً ولا يعارض الدليل وقد عرفت قيام الأدلة العقلية والنقلية على ولادته وغيبته فهل يجوز أن ندفعها بالاستبعاد مع أنه لا استبعاد في ذلك بعد نص القرآن العظيم على مثله في نوح وأنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ونقل أنه عاش ألفاً وثلاثمائة سنة (وفي رواية) عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه عاش ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة كما هو مذكور في التوراة وعاش شيث تسعمائة واثنى عشرة سنة وجاءت الروايات ببقاء الخضر إلى الآن (قال) الطبرسي في اعلام الوري اجمعت الشيعة وأصحاب الحديث بل الأمة بأسرها خلا المعتزلة والخوارج على أن الخضر موجود في هذا الزمان حي كامل العقل ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكتاب.

وكذلك الياس وإدريس ونص القرآن الكريم على بقاء عيسى ورفعته إلى السماء وجاءت الروايات المتفق عليها بين الفريقين على أنه ينزل عند خروج المهدي ويصلي خلفه فكيف جاز بقاء المأموم طول هذه المدة وحياته وامتنع

(١) أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٦١.

بقاء الإمام هذا مع ما صح عن النبي ﷺ أنه قال كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وجاءت روايات الفريقين بحياة الدجال وهو كافر معاند مضل وبقائه إلى خروج المهدي فيقتله المهدي فكيف امتنع في ولي الله ما وقع مع عدو الله ونسب معتقده إلى الجهل وسخافة العقل ونص الكتاب العزيز على بقاء إبليس إلى يوم القيامة وهو غاو مضل وقد صنف أبو حاتم السجستاني كتاباً خاصاً بالمعمرين .

وقد نص القرآن الكريم على بقاء أهل الكهف أحياء وهم نيام وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فلبثوا في رقدتهم الأولى ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً كما نطق به القرآن العظيم فأيهما أعجب واغرب وأبعد بقاء رجل يأكل ويشرب ويمشي وينام ويستيقظ ويتنظف مدة طويلة أم بقاء أشخاص نيام في مكان واحد لا يأكلون ولا يشربون ولا يتنظفون .

وقد نص القرآن الكريم على امانة عزيز مائة عام ثم احيائه وطعامه لم يتسنه ولم يتغير وحماره معه فأيهما أعجب هذا أم بقاء المهدي عليه السلام .

وقد نص الكتاب العزيز على بقاء أهل الجنة والنار وجاءت الأخبار بلا خلاف بأن أهل الجنة لا يهرمون ولا يضعفون ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس والحواس .

وقد شاهدنا في مصر أجسام الفراعنة محنطة باقية من عهد موسى عليه السلام أو قبله بأكفانها والتماسيح المحنطة والمعزى والحنطة والخبز وغير ذلك وبهذه السنين استخرج في مصر أحد الفراعنة المسمى (توت عنخ أمون) وجسمه لم يبل ومائدته أمامه عليها الفواكه فإذا جاز على الله تعالى أن يلهم عباده معرفة الأدوية الحافظة لأجسام الموتى والحيوانات وغيرها ألوفاً من السنين أما يجوز عليه أن يطول عمر شخص ويبقيه حياً زماناً طويلاً (وقد ضرب السيد ابن طاووس رحمه الله في كتاب كشف المحجة مثلاً لرفع استبعاد بقاء المهدي حياً بين الناس مدة طويلة وهم لا يعرفونه حين حصلت بينه وبين بعض علماء بغداد من أهل السنة مناظرة (فقال) لو أن رجلاً حضر إلى بغداد وادعى أنه يستطيع

المشي على الماء وضرب لذلك موعداً ترى أن أحداً من أهل بغداد كان يتخلف عن ذلك الموعد لا شك أنه لا يتخلف أحد أو يتخلف النادر ثم إذا حضر في اليوم المعين ومشى على الماء وقال إنه في اليوم الثاني يريد أن يفعل مثل ذلك أفكان يحضر من الناس مثلما حضر في اليوم الأول لا شك أن الحاضرين يكونون أقل من اليوم الأول وإذا قال إنه في اليوم الثالث يريد أن يفعل مثل ذلك فلا شك أنه لا يحضره أحد أو يحضره النادر وإذا تكرر ذلك منه كثيراً لا ينظر إليه أحد ولا يستغرب منه ذلك فكذلك المهدي عليه السلام لما كان بقاء مثله زمناً طويلاً قليل يستغربه الناس ولو نظروا إلى تكرر وقوعه في الأعصار السابقة يرتفع الاستغراب.

الشبهة الثانية:

ما هو سبب الغيبة وما الذي يُحسِنها مع حاجة الناس إلى ظهوره وما الوجه في غيبته على الاستمرار حتى صار ذلك سبباً لانكار ولادته.

(والجواب): إنه بعدما ثبت بالأدلة القاطعة وجوب نصب الإمام وانحصار الأئمة في الاثني عشر ومنهم صاحب الزمان عليه السلام ورأيناه غائباً عن الأبصار علمنا أنه لم يغيب مع عصمته إلا لسبب اقتضى ذلك وضرورة قادت إليه ولا يلزمنا معرفة ذلك على التفصيل وجرى ذلك مجرى ما لا نعلم بمراد الله فيه من الآيات المتشابهة في القرآن التي ظاهرها الجبر أو التشبيه مثل الرحمن على العرش واستوى وجاء ربك وأمثال ذلك فإذا علمنا باستحالة الجبر والجسمية عليه تعالى وعلمنا أنه لا يجوز أن يخبر بخلاف ما هو عليه من الصفات علمنا أن لهذه الآيات وجوهاً صحيحة بخلاف ظواهرها توافق أدلة العقل وإن لم نعلمها تفصيلاً، (وكذلك) ما غاب عنا وجه المصلحة فيه مثل الطواف بالبيت ورمي الجمار وما أشبه ذلك من العبادات، فإذا علمنا أنه تعالى لا يفعل قبيحاً ولا يأمر بالبعث فلا بد من مصلحة في ذلك وأن جهلنا تفصيلها، مع أن السبب في الغيبة ظاهر وهو الخوف على النفس ولو كان على ما دون النفس لوجب الظهور والتحمل.

(فإن قيل) الأئمة قبله كانوا يخافون على أنفسهم وبعضهم قتل غيلة بالسم وبعضهم بالسيف وقد أظهروا أنفسهم وكثير من الأنبياء أظهروا دعوتهم وإن أدت إلى قتلهم.

(قلنا) يمكن أن يكون الفارق أن غيره من الأئمة عليه السلام لهم من يقوم مقامهم وهو ليس بعده إمام يقوم مقامه، وكذلك الأنبياء، وإن خوفه كان أكثر لاختلاف آبائه عليه السلام بأن صاحب السيف من الأئمة الذي يملأ الأرض عدلاً هو الثاني عشر وشاع ذلك عنهم حتى بين أعدائهم فكان الملوك يتوقفون عن قتل آبائه لعلمهم أنهم لا يخرجون بالسيف ويتشوقون إلى خروج الثاني عشر ليقتلوه، ألا ترى أنه لما توفي الحسن العسكري عليه السلام وكل السلطان بحرمه وجواريه من يتفقد حملهن ليقتل ولده كما فعل فرعون ونمرود لما علما أن زوال ملكهما على يد موسى وإبراهيم عليه السلام، فوكلا من يتفقد الحبالى ويقتل الأطفال وفرقا بين النساء والأزواج فستر الله ولادتهما كما ستر ولادة المهدي لما علم في ذلك من الحكمة والتدبير مع أن حكمة الله في ذلك لا تجب معرفتها على التفصيل كما قدمنا ويجوز اختلاف تكليفه مع تكاليفهم لاختلاف المصالح باختلاف الأزمان كما كان تكليف أمير المؤمنين مرة السكوت ومرة الجهاد بالسيف وتكليف الحسن الصلح وتكليف الحسين الخروج، وتكليف باقي الأئمة السكوت والتقية صلوات الله عليهم أجمعين.

الشبهة الثالثة:

لما لم يحرسه الله تعالى من الأعداء ويظهره فهل تضيق قدرته عن ذلك.

(والجواب): إن الله تعالى قادر على كل شيء وقد حفظ إمام الزمان ومنعه بكل ما لا يوجب الجبر والالغاء، أما ما يوجب الجبر والالغاء فلا يجب أن يفعله الله تعالى وإذا كان هناك تكليف لا يجوز الاجبار لأن شرط التكليف القدرة وبالإلجار ترتفع.

الشبهة الرابعة:

كيف يمكن أن يكون شخص حياً بجسمه المادي موجوداً في سرداب يرى الناس ولا يرونه ومن الذي يأتيه بطعامه وشرابه ويقوم بحوائجه .

(والجواب): أن هذا جهل ممن يرى أن الشيعة تعتقد وجود المهدي في سرداب بسر من رأى، يرى الناس ولا يرونه فإن ذلك لا أصل له ولا يعتقده ذو معرفة من الشيعة، فالشيعة تعتقد بوجود المهدي حياً في هذه الدنيا يرى الناس ويرونه ولا يعرفونه وقد رفع مولانا الصادق عليه السلام في الأحاديث المروية عنه في المهدي عليه السلام استبعاد ذلك، بأن أخوة يوسف تاجروه وبايعوه وخاطبوه وهم اخوته فلم يعرفوه (قال عليه السلام) وما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عز وجل أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف، (وفي رواية) عن الصادق عليه السلام أن في صاحب هذا الأمر سننا من الأنبياء (إلى أن قال) وأما سنته من يوسف فالستر، جعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه (وقد نشأت شبهة أن الشيعة يعتقدون بوجود المهدي في سرداب بسر من رأى من زيارتهم لذلك السرداب وتبركهم به وصلاتهم فيه، وزيارة المهدي عليه السلام فيه، فتوهموا أنهم يقولون بوجوده في السرداب، وتقول بعضهم عليهم بأنهم يأتون في كل جمعة بالسلاح والخيول إلى باب السرداب ويصرخون وينادون يا مولانا اخرج إلينا وقال أن ذلك بالحلة ثم شنع عليهم تشنيعاً عظيماً ونسبهم إلى السخف وسفاهة العقل وهذا ليس بعجيب من تقولاتهم الكثيرة على الشيعة بالباطل، وهذا الذي زعمه هذا القائل لم نره ولم يسمع به سامع من غيره، وإنما أخذه قائله من أفواه المتقولين أو افتراه من نفسه حتى أنه لم يفهم أن السرداب بسامراء لا بالحلة (وسبب) زيارة الشيعة لذلك السرداب وتبركهم به أنه سرداب الدار التي كان يسكنها الإمامان علي بن محمد الهادي وابنه الحسن بن علي العسكري وابنه الإمام المهدي عليه السلام وتشرف بسكناهم له . وقد تحدثنا بالتفصيل عن هذه المسألة في البحوث المتقدمة .

الشبهة الخامسة:

ما الفائدة في إمام غائب عن الأبصار لا ينتفع به الناس في زمان غيبته والإمام إنما نصب لينتفع به الناس ويرجعون إليه في الأحكام وينصف المظلوم من الظالم.

(والجواب): أنا لا نسلم عدم الفائدة في وجوده مع غيبته قال الشيخ (ره) في تلخيص الشافي ينتفع به في حال غيبته جميع شيعته والقائلين بإمامته وينزجرون بمكانه وهيبته عن القبائح فهو لطف لهم في حال الغيبة كما يكون لطفاً في حال الظهور، وهم أيضاً منتفعون به من وجه آخر، لأنه يحفظ عليهم الشرع وبمكانه يتقنون بأنه لم يكتم من الشرع ما لم يصل إليهم (انتهى) وإلى ذلك يشير بعض علمائنا (رضوان الله عليهم) بقوله: وجوده لطف وتصرفه لطف آخر وغيبته منا (كذلك)، ومن أين لنا الجزم بأنه لا يتصرف في مصالح العباد الدينية والدنيوية من حيث لا يعرفونه، وقد جاء في الأخبار أنه في حال غيبته كالشمس يسترها السحاب، أي، فكما أن للشمس المستورة بالسحاب منافع وفوائد في الكون فكذلك لصاحب الزمان مع استتاره فوائد ومنافع في الكون وإن خفي علينا بعضها أو جلها ولم نعلمها على التفصيل نعم جميع الفوائد التي نصب لأجلها لا تكون حاصلة وهذا لا يضر لأن السبب في ذلك هم العباد باخافتهم له التي أوجبت استتاره بل لو فرض محالاً عدم الفائدة في وجوده حال استتاره لم يكن في ذلك قبح بعد أن كان سبب استتاره من خوف الظالمين.

الشبهة السادسة:

إذا جاز أن يستتر للخوف من الناس بحيث لا يصل إليه أحد وتفوتهم منافع وجوده، جاز أن يكون معدوماً أو أن يموت حتى إذا علم الله أن الرعية تمكنه أوجده وأحياء كما جاز أن يبيحه الاستتار حتى إذا علم منهم التمكين أظهره.

(والجواب): «أولاً» أنا لا نقطع أنه لا يصل إليه أحد فهذا أمر غير معلوم ولا سبيل إلى القطع به هكذا ذكر الطبرسي في اعلام الورى، ولكن وردت

أخبار دالة على عدم إمكان الرؤية بعد الغيبة الصغرى أي في الغيبة الكبرى فإن عملنا بها فلا مساغ لهذا الجواب وبعضهم أولها بأن المراد نفي الرؤية بحيث يعلمه بعينه ويقطع بأنه هو هو حال رؤيته أو بغير ذلك من الوجوه كما يأتي .

«وثانياً» أنه لا يجوز أن يكون معدوماً للأدلة القاطعة العقلية والتقليدية التي دلت على عدم جواز خلو العصر من إمام، فعلى الله تعالى أن ينصب للناس إماماً تتم به الحجة وينقطع العذر فإذا فاتهم الانتفاع به بسبب منهم لم يقدح ذلك في تمام الحجة بل تكون لازمة لهم لأنه إذا أخيف فغيب شخصه منهم كان فوات المصلحة منسوبة إليهم فيلزمهم اللوم والذم والمؤاخذة عليه ولا يجوز أن لا ينصب لهم إماماً، ولو علم أنه لو نصبه لهم لأخافوه أو قتلوه، لأن الحجة عليهم لا تتم بدون نصبه بل تكون الحجة فيما فات من مصالح العباد لأزمة له تعالى لأن ما فاتهم من المصالح يكون منسوبة إليه تعالى ولا يجوز أن يسببوا فعلاً لله تعالى ولله الحجة البالغة هذا مع قطع النظر عن أن في وجوده في حال غيبته منافع ليست في حال عدمه وهي ما أشرنا إليها في جواب الشبهة الخامسة.

الشبهة السابعة:

لو كان موجوداً لوجب أن يظهر لوجود الداعي إلى ظهوره وهو انتشار الفساد وضعف الدين وتعطيل الأحكام والحدود وشيوع الظلم والجور وهو إنما يظهر ليملاً قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

(والجواب): إذا كانت غيبته بأمر الله تعالى فظهوره لا يكون إلا بأمر الله تعالى ولا نقدر أن نحيط بالعلة التي توجب ظهوره ولا بالحكمة التي تقتضي أمر الباري تعالى له بالظهور فإن ذلك لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، فعلى قول من يقول أن أفعال الباري تعالى لا تعلل بالعلل والأغراض فالأمر واضح، إذ ليس لنا أن نسأل عن علة عدم ظهوره ولا عن علة ظهوره، وعلى قول أصحابنا بأن أفعاله تعالى معللة بالعلل والأغراض لا يمكننا الاحاطة بتلك العلة وأمرها موكل إليه تعالى (وقد كان) يوسف عليه السلام وهو نبي ابن نبي معصوم لا يصدر إلا عن أمر ربه بينه وبين أبيه يعقوب عليه السلام مسافة غير كثيرة البعد وهو حزين

عليه حتى ذهب بصره وهو قادر على أن يخبره بمكانه فلم يفعل حتى أذن له الله تعالى في ذلك، ولم يكن تركه لإعلام أبيه عليه السلام مع تلك الحالة التي وصفناها إلا عن أمر الله تعالى لحكمة اقتضت ذلك، وهذا كما أن الله تعالى لم يبعث محمداً ﷺ بالنبوّة إلا بعد أربعين من عمره مع انتشار الكفر والفساد وعبادة الأوثان والالحاد وليس لأحد أن يقول لم آخر بعثته إلى الأربعين ولم يبعثه قبل ذلك مع وجود المقتضي لبعثه لأن ذلك معارضة للحكيم فيما لا يطلع عليه ولا يعلم حكمته غيره مع أنه إذا جاز أن يؤخر الله تعالى خلقه مع وجود الظلم جاز أن يؤخر ظهوره مع وجوده على أن الوارد أنه لا يظهر حتى تمتلئ ظلماً وجوراً ولم يحن بعد ذلك الزمان.

الشبهة الثامنة:

إذا كان الخوف هو المانع له عن الظهور وكان يخاف من أعدائه فلم لا يظهر لشيعته وأوليائه يرشدهم إلى ما لا يعلمون.

(والجواب): أولاً: أنه بعدما قامت الأدلة القاطعة على وجوده وعصمته فلا يمكن الاعتراض والسؤال، لم فعل كذا ولم يفعل كذا، لأننا نعلم أنه لا يصدر إلا عن أمر ربه ولا يتجاوز ما حدد له وقد أجيب عن ذلك بوجه.

أحدها: أن سبب عدم ظهوره لأوليائه الخوف من انتشار خبره وظهور أمره بإذاعة من يظهر لهم.

ثانيها: أن غيبته عن أعدائه للخوف منهم وعن أوليائه للخوف عليهم فإذا ظهر لهم ذاع خبره وطولبوا به.

ثالثها: وهو الذي عول عليه المرتضى قال: أولاً لا نقطع أنه لا يظهر لجميع أوليائه فإن هذا أمر مغيب عنا، ولا يعرف كل منا إلا حال نفسه.

ثانياً نقول في علة غيبته عنهم أنه إنما يميز شخصه بالمعجز الذي يظهر على يديه والشبه تدخل في ذلك فلا يمتنع أن يكون كل من لم يظهر له من أوليائه هو المعلوم من حاله أنه متى ظهر له قصر في النظر في معجزه ولحق بهذا التقصير بمن يخاف منه من الأعداء.

الشبهة التاسعة:

الحدود التي تجب على الجناة في حال الغيبة إن قلتم بسقوطها صرحتم بنسخ الشريعة وإن كانت ثابتة فمن الذي يقيمها والإمام مستتر غائب .

(والجواب): أن الحدود ثابتة على مستحقيها وغير ساقطة والإثم في تفويت إقامتها على المخيفين للإمام المحوجين له إلى الغيبة فحالها في زمن الغيبة عندنا حالها في زمن عدم تمكن أهل الحل والعقد من اختيار الإمام عندكم فما أجبتم به فهو جوابنا ثم أن الشبهة لا تختص بحال الغيبة بل تجري في حال وجود الأئمة وعدم تمكنهم والجواب في الحالين واحد .

الشبهة العاشرة:

الاجماع قائم على أنه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم زعمتم أن المهدي إذا ظهر لا يقبل الجزية ويقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين ويأمر بهدم المساجد والمشاهد ويحكم بحكم داود ولا يسأل عن بيعة واشباه ذلك وهذا نسخ للشريعة فقد أثبتتم معنى النبوة وإن لم تلفظوا باسمها .

(والجواب): ما ذكره الطبرسي في اعلام الورى قال أنا لا نعرف ما تضمنه السؤال من أنه لا يقبل الجزية ويقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه فإن كان ورد بذلك خبر فهو غير مقطوع به أما هدم المساجد والمشاهد فما سمعناه ويجوز أن يختص بما بني على غير تقوى الله وعلى خلاف ما أمر به وهذا مشروع قد فعله النبي صلى الله عليه وآله (ومنه مسجد الضرار) وأما حكمه بحكم داود لا يسأل عن بيعة فهذا أيضاً غير مقطوع به وإن صح فتاويله أنه يحكم فيما يعلمه وللإمام والحاكم أن يحكم بعلمه ولا يسأل البيعة على أن ما ذكره من عدم قبول الجزية وعدم سؤال السنة لو صح لم يكن نسخاً، لأن النسخ هو ما تأخر دليله عن الحكم المنسوخ أما إذا اصطحب الدليلان فلا يكون أحدهما ناسخاً للآخر وإن خالفه في الحكم ولذلك اتفقنا على أنه لو قال الزموا السبت إلى وقت كذا ثم لا تلزموه لم يكن نسخاً .

وفي البحار روى الحسين بن مسعود في شرح السنة بإسناده عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لبوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فيفيض المال حتى لا يقبله أحد» (ثم قال): قوله يكسر الصليب يريد ابطال النصرانية ويحكم بشرع الإسلام ومعنى قتل الخنزير تحريم اقتنائه وأكله وإباحة قتله (وقوله) يضع الجزية معناه يضعها عن أهل الكتاب ويحملهم على الإسلام فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ في نزول عيسى ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل معنى الجزية أن المال يكثر حتى لا يوجد محتاج ممن يوضع فيهم الجزية يدل عليه قوله فيفيض المال حتى لا يقبله أحد، (وروى) البخاري بإسناده عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم وهذا حديث متفق على صحته انتهى (قال في البخاري) وقد أورد هو وغيره أخباراً في ذلك فظهر أن هذه الأمور المنقولة من سير القائم ﷺ لا تختص بنا بل أوردوها مخالفونا ونسبوها إلى عيسى عليه السلام لكن قد رووا أن إمامكم منكم فما كان جوابهم فهو جوابنا والشبهة مشتركة بينهم وبيننا.

ثم قال المرجع الكبير السيد محسن الأمين: فهذا جواب ما أورده علينا مخالفونا من الشبه في أمر المهدي عليه السلام أو يمكن أن يورد لهم.

غيبة المهدي وغيابات الأنبياء:

من الشبهات التي قد ترد في قضية الإمام المهدي عليه السلام مسألة غيبته حيث اعتبرها البعض من المسائل الغريبة فتوقفوا عندها واحتماروا في تفسيرها، واجتهدوا في تأويلها.

ولم يخطر على ذهن هؤلاء أن هذه القضية كانت من موارد التشابه بين الإمام المهدي عليه السلام والأنبياء العظام (صلوات الله وسلامه عليهم)، وقد أكدت الروايات والأحاديث على أن في المهدي عليه السلام من سنن الأنبياء واستدلوا بغيبتهم على غيبته.

فقد روى الشيخ الصدوق في إكمال الدين بسنده عن الصادق عليه السلام :

«إن سنن الأنبياء وما وقع عليهم من الغيبات جارية في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة...» .

وبسنده عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال :

«في القائم منا سنن من سنن الأنبياء، سنة من آدم، وسنة من نوح طول العمر، وسنة من إبراهيم خفاء المولد واعتزال الناس، وسنة من موسى الخوف والغيبة، وسنة من عيسى إختلاف الناس فيه، وسنة من أيوب الفرج بعد البلوى، وسنة من محمد صلى الله عليه وآله الخروج بالسيف» .

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام :

«... سنة من موسى خفاء مولده وغيبته عن قومه ثماني وعشرين سنة» .

وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام : «إن في القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله شبيهاً من خمسة من الرسل: يونس ويوسف وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، أما من يونس فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد كبر السن، وأما من يوسف فالغيبة من خاصته وعامته واختفاؤه من إخوته وإشكال أمره على أبيه يعقوب مع قرب المسافة بينهما وبين أهله وشيعته .

وأما تفاصيل هذه الغيبات فهي كما قال الصدوق في إكمال الدين :

أولى الغيبات: غيبة إدريس النبي عليه السلام :

المشهورة، حتى آل الأمر بشيعته إلى أن تعذر عليهم القوت . وقتل الجبار من قتل منهم وافقر واخاف باقيهم ثم ظهر عليه السلام فوعد شيعته بالفرج وقيام القائم من ولده وهو نوح عليه السلام ثم رفع الله إدريس إليه فلم تزل الشيعة يتوقعون قيام نوح عليه السلام قرناً بعد قرن وخلفاً عن سلف صابرين من الطواغيت على العذاب المهين حتى ظهرت نبوة نوح عليه السلام ثم ذكر حديثاً عن الباقر عليه السلام

يتضمن غيبة ادریس عشرين سنة مختلفاً في غار لماً خاف من جبار زمانه وملك من الملائكة يأتيه بطعامه وشرابه ثم ذكر ظهور نبوة نوح عليه السلام (ثم) روى بسنده عن الصادق عليه السلام أنه لما حضرت نوحاً عليه السلام الوفاة دعا الشيعة فقال لهم اعلموا أنه ستكون من بعدي غيبة يظهر فيها الطواغيت وأن الله عز وجل يفرج عنكم بالقائم من ولدي اسمه هود فلم يزالوا يترقبون هوداً عليه السلام وينتظرون ظهوره حتى طال عليهم الأمد وقست قلوب أكثرهم فأظهر الله تعالى ذكره نبيه هوداً عليه السلام عند اليأس وتناهي البلاء وأهلك الأعداء بالريح العقيم ثم وقعت الغيبة بعد ذلك إلى أن ظهر صالح عليه السلام.

غيبة صالح عليه السلام :

ثم روى الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام أن صالحاً عليه السلام غاب عن قومه زماناً وكان يوم غاب عنهم كهلاً مبدح البطن حسن الجسم وافر اللحية، ورجع خميص البطن خفيف العارضين. فلما رجع إلى قومه لم يعرفوه وكانوا على ثلاث طبقات طبقة جاحدة وأخرى شاقة وأخرى على يقين إلى أن قال وإنما مثل القائم مثل صالح عليه السلام.

غيبة إبراهيم عليه السلام :

قال الصدوق عليه الرحمة، وأما غيبة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فإنها تشبه غيبة قائمنا صلوات الله عليه، بل هي أعجب منها لأن الله عز وجل غيب أثر إبراهيم عليه السلام وهو في بطن أمه حتى حوله عز وجل بقدرته من بطنها إلى ظهرها ثم أخفى أمر ولادته إلى بلوغ الكتاب أجله، ثم روى الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام أن أبا إبراهيم كان منجماً لنمرود بن كنعان، قال له يولد في أرضنا مولود يكون هلاكنا على يديه فحجب النساء عن الرجال وبأشر أبو إبراهيم امرأته فحملت به وأرسل نمرود إلى القوابل لا يكون في البطن شيء إلا أعلمتن به فنظرن إلى أم إبراهيم فألزم الله ما في الرحم الظاهر، فقلن ما نرى شيئاً في بطنها فلما وضعت أراد أبوه أن يذهب به إلى نمرود فقالت له امرأته لا تذهب

بابنك إلى نمرود فيقتله، دعني أذهب به إلى غار فأجعله فيه حتى يأتي عليه أجله فذهبت به إلى غار وأرضعته ثم جعلت على باب الغار صخرة وانصرفت فجعل الله رزقه في ابهامه فجعل يمصه، وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر، ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة ثم استأذنت أباه في رؤيته فأنت الغار فإذا هي بإبراهيم وعيناه يزهران كأنهما سراجان فضمته إلى صدرها وأرضعته فسألها أبوه فقالت واريته بالتراب فمكثت تعتل فتخرج في الحاجة وتذهب إلى إبراهيم فتضمه إليها وترضعه وتنصرف فلما تحرك وأرادت الانصراف أخذ ثوبها وقال لها اذهبي بي معك فقالت حتى استأمر أباك فلم يزل إبراهيم في الغيبة مخفياً لشخصه كاتماً لأمره وحتى ظهر فصدع بأمر الله تعالى ثم غاب الغيبة الثانية وذلك حين نفاه الطاغوت عن المصر فقال واعتزلكم وما تدعون من دون الله الآية ثم قال الصدوق ولإبراهيم عليه السلام غيبة أخرى سار فيها في البلاد وحده للاعتبار ثم روى حديثاً يتضمن ذلك .

غيبة يوسف عليه السلام :

قال الصدوق وأما غيبة يوسف عليه السلام فإنها كانت عشرين سنة لم يدهن فيها ولم يكتحل ولم يتطيب ولم يمس النساء حتى جمع الله ليعقوب شمله وجمع بين يوسف وإخوته وأبيه وخالته كان منها، ثلاثة أيام في الجب، وفي السجن بضع سنين وفي الملك الباقي، وكان هو بمصر ويعقوب بفلسطين، وبينهما مسير تسعة أيام فاختلفت عليه الأحوال في غيبته من إجماع أخوته على قتله والقائهم إياه في غيابة الجب ثم بيعهم إياه بثمان بخص ثم بلواه بامرأة العزيز ثم بالسجن بضع سنين ثم صار إليه ملك مصر وجمع الله تعالى شمله وأراه تأويل رؤياه .

ثم روى الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام في حديث قال كان يعقوب عليه السلام يعلم أن يوسف حي لم يمت وأن الله سيظهره له بعد غيبته وكان يقول لبنيه إني أعلم من الله ما لا تعلمون وكان بنوه ينفذونه على ذكره ليوسف .

ثم قال الصدوق فحال العارفين في وقتنا هذا بصاحب زماننا الغائب حال يعقوب في معرفته بيوسف وغيبته، وحال الجاهلين به وبغيته والمعاندين في أمره حال أخوة يوسف الذين قالوا لأبيهم تالله أنك لفي ضلالك القديم وقول يعقوب عليه السلام ألم أقل لكم أنني أعلم من الله ما لا تعلمون، دليل على أنه قد كان علم أن يوسف حي وأنه إنما غيب عنه للبلوى والامتحان، ثم روى بسنده عن الصادق عليه السلام أن في القائم عليه السلام سنة من يوسف عليه السلام إلى أن قال: إن أخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء تاجروا يوسف وبائعوه وهم إخوته وهو أخوهم ولم يعرفوه حتى قال لهم أنا يوسف وهذا أخي، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات يريد أن يسترحم حجتهم عنهم، لقد كان يوسف ملك مصر وبينه وبين والده مسير ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله تبارك وتعالى أن يعرفه مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة في تسعة أيام إلى مصر فما تنكر هذه الأمة أن يكون تبارك وتعالى يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير فيما بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه، حتى يأذن الله عز وجل له بأن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف عليه السلام حين قال: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتَ جَاهِلُونَ﴾ * قَالُوا لَوْلَاكَ لَأَنَّتْ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾.

غيبة موسى عليه السلام :

روى الصدوق بسنده عن سيد العابدين عن أبيه سيد الشهداء عن أبيه سيد الوصيين عن النبي صلى الله عليه وآله أن يوسف لما حضرته الوفاة جمع شيعته وأهل بيته وأخبرهم بشدة تنالهم تقتل فيها الرجال وتشق بطون الجبال وتذبح الأطفال حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوى بن يعقوب وهو رجل أسمر طويل (وفي رواية) عن الصادق عليه السلام أنه قال لهم أن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب، وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوى بن يعقوب اسمه موسى بن عمران غلام طويل جعد آدم فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى (وفي رواية) عن

الباقر عليه السلام أنه ما خرج موسى حتى خرج قبله خمسون كذاباً كلهم يدعي أنه موسى بن عمران، فبلغ فرعون أنهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام وقال له كهنته هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يولد العام في بني إسرائيل فوضع القوابل على النساء وقال لا يولد العام غلام إلا ذبح ووضع على أم موسى قابلة فلما حملت به وقعت عليها المحبة لها وقالت لها القابلة ما لك يا بنية تصفرين وتذوبين قالت لا تلوميني فإني إذا ولدت أخذ ولدي فذبح، قالت لا تحزني فإني سوف أكرم عليك، فلما ولدت حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره ثم خرجت إلى الحرس وكانوا على الباب فقالت انصرفوا فإنه خرج دم متقطع فانصرفوا فأرضعته فلما خافت عليه أوحى الله إليها أن اعلمي التابوت ثم اجعليه فيه ثم أخرجه ليلاً فاطرحه في نيل مصر فوضعت في الماء فجعل يرجع إليها وهي تدفعه في الغمر فضربه الريح فهتت أن تصيح فربط الله على قلبها، وقالت امرأة فرعون أنها أيام الربيع فاضرب لي قبة على شط النيل حتى انتزه ففعل واقبل التابوت يريد ما فأخذته فإذا فيه غلام من أجمل الناس فوقعت عليه منها محبة وقالت هذا بني وقالت لفرعون إني أصبت غلاماً طيباً حلواً تتخذه ولداً فيكون قرّة عين لي ولك فلا تقتله، فلم تزل به حتى رضي، فلما سمع الناس أن الملك قد تبني ابناً لم يبق أحد من رؤساء أصحابه إلا بعث إليه امرأته لتكون له ظئراً فلم يأخذ من امرأة منهن ثدياً فقالت أم موسى لأخته انظري أترين له أثراً فأتت باب الملك فقالت بلغني أنكم تطلبون ظئراً وههنا امرأة صالحة تأخذ ولدكم وتكفله لكم فقال الملك أدخلوها فوضعت في حجرها ثم القمته ثديها فازدحم اللبن في حلقه فلما عرف فرعون أنها من بني إسرائيل قال هذا مما لا يكون، الغلام والظئر من بني إسرائيل فلم تزل امرأته تكلمه فيه وتقول ما تخاف من هذا الغلام إنما هو ابنك ينشأ في حجرك حتى قلبته عن رأيه وكنتم أمه خبره وأخته والقابلة حتى هلكت أمه والقابلة فلم تعلم به بنو إسرائيل وكانوا يطلبونه ويسألون عنه فعمي عليهم خبره وبلغ فرعون أنهم يطلبونه فزاد في العذاب عليهم وفرق بينهم ونهاهم عن الأخبار به والسؤال عنه قال في الرواية الأولى ووقعت الغيبة والشدة ببني إسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم أربعمئة سنة

حتى إذا بشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره اشتدت البلوى عليهم وحمل عليهم الخشب والحجارة وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر فراسلوه فخرج بهم إلى بعض الصحارى وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر وكانت ليلة قمرء فيبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وهو حدث السن وقد خرج من دار فرعون يظهر النزهة فعدل عن موكله إليهم وتحتة بغلة وعليه طيلسان خز فعرفه الفقيه بالنعب فانكب الفقيه على قدميه وقال الحمد لله الذي لم يمئني حتى ارانيك وعلم الشيعة أنه صاحبهم فسجدوا شكراً لله فلم يزداهم على أن قال أرجو أن يعجل الله فرجكم ثم غاب وخرج إلى مدين فأقام عند شعيب فكانت الغيبة الثانية أشد عليهم من الأولى وكان نيافاً وخمسين سنة واشتدت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه فطيب قلوبهم وأعلمهم أن الله عز وجل أوحى إليه أنه مفرج عنهم بعد أربعين سنة فحمدوا الله فأنقضها الله إلى ثلاثين فقالوا كل نعمة فمن الله فجعلها عشرين فقالوا لا يأتي بالخير إلا الله فجعلها عشراً فقالوا لا يصرف الشر إلا الله فأوحى الله إليه قل لهم لا ترجعوا فقد أذنت في فرجكم فيبينما هم كذلك إذ طلع موسى ركباً حماراً فسلم عليهم فقال له الفقيه ما اسمك قال موسى قال ابن من قال ابن عمران قال ابن من قال ابن فاهت بن لاوى بن يعقوب قال بم جئت قال بالرسالة من عند الله عز وجل فقام إليه فقبل يده ثم جلس بينهم وطيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرقهم وكان بين ذلك الوقت وفرجهم بغرق فرعون أربعون سنة .

وقوع الغيبة بالأوصياء والحجج من بعد موسى إلى زمان المسيح عليه السلام :

روى الصدوق في اكمال الدين باسناده عن أهل البيت عليه السلام أن يوشع بن نون عليه السلام قام بالأمر بعد موسى صابراً من الطواغيت على البلاء حتى مضى منهم ثلاثة فقوي بعدهم أمره فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى بصفراء بنت شعيب امرأة موسى عليه السلام في مائة ألف فغلبهم يوشع فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقيين وأسر صفراء واستتر الأئمة بعد يوشع إلى زمان داود عليه السلام أربعمئة سنة وكانوا أحد عشر حتى انتهى الأمر إلى آخرهم فغاب عنهم ثم ظهر

فبشرهم بدادود عليه السلام وأخبرهم أن داود يطهر الأرض من جالوت وجنوده وكانوا يعلمون أنه قد ولد وبلغ أشده ويرونه ولا يعلمون أنه هو ولما فصل طالوت بالجنود خرج أخوة داود وأبوهم وتخلف داود واستهان به أخوته وقالوا ما يصنع في هذا الوجه فأقام يرعى غنم أبيه واشتدت الحرب وأصاب الناس جهد فرجع أبو داود وقال له احمل إلى اخوتك طعاماً يتقوون به وكان داود عليه السلام قصيراً قليل الشعر فمر بحجر فناداه خذني واقتل بي جالوت فلاني إنما خلقت لقتله فأخذه ووضع في مخلاته التي تكون فيها حجارتها التي يرمي بها غنمه وأدخل على طالوت فقال يا فتى ما عندك من القوة قال كان الأسد يعدو على الشاة فأخذ برأسه واقلب لحبيه عنها فأخذها من فيه وكان الله أوحى إلى طالوت أنه لا يقتل جالوت إلا من لبس درعك فملأها فدعا بدرعه فلبسها داود فاستوت عليه فقال داود أروني جالوت فلما رآه أخذ الحجر فرماه به فصك به بين عينيه فدمغه وتنكس من دابته وملكه الناس وأنزل الله عليه الزبور وعلمه صنعة الحديد فليته له وأمر الجبال والطير أن تسبح معه وأعطاه صوتاً لم يسمع بمثله حسناً وأعطى قوة في العبادة وأقام في بني إسرائيل نبياً وهكذا يكون سبيل القائم عليه السلام له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه وأنطقه الله عز وجل فناداه اخرج يا ولي الله فاقتل أعداء الله وله سيف مغمدة إذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله عز وجل، فناداه السيف اخرج يا ولي الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله فيخرج ويقتل أعداء الله حيث تفهم ويقم حدود الله ويحكم بأحكام الله عز وجل ثم أن داود استخلف سليمان عليه السلام وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا ثم غيبه الله غيبة طال أمدها ثم ظهر لهم ثم غاب عنهم ما شاء الله وتسلط عليهم بختنصر وبقي دانيال أسيراً في يده تسعين سنة ثم جعله في جب واشتدت البلوى على شيعته المنتظرين لظهوره وشك أكثرهم في الدين لطول الأمد ثم أخرجه بختنصر لرؤيا رآها فظهر من مكان مستتراً من بني إسرائيل ثم توفي دانيال وأفضى الأمر بعده إلى عزيز فكانوا يأخذون عنه معالم دينهم فغيب الله عنهم شخصه مائة عام ثم بعثه وغابت الحجج بعده واشتدت البلوى على بني إسرائيل حتى ولد يحيى بن زكريا فظهر وله سبع سنين ووعدهم

الفرج بقيام المسيح بعد نيف وعشرين سنة فلما ولد المسيح ﷺ أخفى الله ولادته وغيب شخصه لأن أمه انتبذت به مكاناً قصياً فلما ظهر عيسى اشتدت البلوى والطلب على بني إسرائيل حتى كان أمر المسيح ما أخبر الله به واستتر شمعون وأصحابه حتى أفضى بهم الاستتار إلى جزيرة من جزائر البحر.

القسم الثالث

يوم الظهور

• الفصل الأول:

يوم الظهور: شروطه وعلاماته

• الفصل الثاني:

العلامات الحتمية التي لها علاقة بالإمام المهدي عليه السلام وقيام الساعة

الفصل الأول

يوم الظهور: شروطه وعلاماته

- ★ النهي عن التوقيت
 - ★ بين شرائط الظهور وعلاماته
 - ★ ما هي شرائط الظهور
 - ★ علامات الظهور
 - ★ العلامات المحتومة
 - ★ العلامات الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام
 - ★ العلامات الخمس المحتومة:
- ١ - خروج السفيناني
 - ٢ - البماني
 - ٣ - الخسف بالبيداء
 - ٤ - النداء من السماء
 - ٥ - قتل النفس الزكية

يوم الظهور: شروطه وعلاماته

النهى عن التوقيت:

يتلَهف المؤمنون بالحقيقة المهدوية وظهور الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام ليملا الأرض قسطاً وعدلاً، إلى ذلك اليوم الموعود الذي تتحقق فيه هذه الأمنية والنبوءة التي ستقلب صفحات التاريخ.

إلا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام رغم كثرة ما تحدثوا وأخبروا به عن الإمام المهدي عليه السلام ومميزات عصره وما يحصل بعد ظهوره، رفضوا الحديث عن توقيت يوم الظهور، لا بل نهوا عن التوقيت، وكذبوا من ينقله عنهم.

روى النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك متى خروج القائم؟

فقال عليه السلام:

«يا أبا محمد، إنا أهل البيت لا نوقت، وقد قال محمد عليه السلام، كذب الوقاتون»^(١).

وروى بسنده عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«يا محمد، من أخبرك عنا توقيتاً فلا تهب أن تكذبه، فإننا لا نوقت لأحد وقتاً»^(٢).

(١) الغيبة، النعماني، ص ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

وبسنده عن الفضل بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قلت إن لهذا الأمر وقتاً؟

فقال عليه السلام:

«كذب الوقاتون كذب الوقاتون».

إن موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربه واعداهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشراً قال قومه: قد أخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا... (١).

وروي في التوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام إلى إسحاق بن يعقوب بواسطة أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني): «وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله وكذب الوقاتون» (٢).

وهذا النهي عن توقيت يوم الظهور يرتبط بأمور حول الأسرار الكثيرة التي تكتنف سيرة حياته عليه السلام كقضية الغيبة وما فيها من أسرار وما تنطوي عليه من حكم يصعب على الباحث الوقوف عليها، اللهم إلا أن يتلمس بعضها من خلال ما ورد في الأحاديث والروايات الشريفة التي بينت بعض أسرار الغيبة وفلسفتها. أما السر الأساس فيبقى في تقديرنا من شؤون علم الغيب الذي اطلع الله عليه نبيه وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولكن السؤال هو أن الظهور متى تحققت شروطه واجتمعت في زمان معين، فيجب حينئذ تنفيذ الوعد الإلهي بظهور الإمام عليه السلام، لأن وقت الظهور منوط باجتماع الشرائط التي ستتحدث عنها لاحقاً. وهذا يتنافى مع الروايات التي تنهى عن التوقيت وتكذب الوقاتين. فلما أن نكذب هذه الروايات أو ننفي ترتب الظهور على الشرائط والعلامات.

وما يرفع هذا التناقض هو معرفة التوقيت المنهي عنه.

حيث ذكرت الروايات أن ما هو منهي عنه في عملية التوقيت إنما هو تحديد

(١) الغيبة، النعماني، ص ١٥٨.

(٢) كمال الدين، الصدوق، ص ٤٥١ - ٤٥٢.

وقت الظهور بتاريخ معين، كما لو قيل - مثلاً - إن الظهور أو اليوم الموعود، يكون في سنة ألفين ميلادية.

وما يؤكد هذا الأمر الروايات التي تنفي توقيتاً معيناً.

روى النعماني عن عمار الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«قد كان لهذا الأمر (أي ظهور الإمام المهدي) وقت، وكان في سنة أربعين ومئة، فحدثتم به وأذعتموه، فأخره الله عز وجل»^(١).

وعن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«يا ثابت إن الله تعالى كان قد وقت هذا الأمر في سنة السبعين. فلما قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله فأخره إلى أربعين ومئة. فلما حدثناكم بذلك أذعتم وكشفتم قناع السر، فلم يجعل الله لهذا الأمر بعد ذلك عندنا وقتاً، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»^(٢).

وقد تكون العلة في النهي عن التوقيت المنهي عنه هي بسبب أن تاريخ الظهور لو كان محدداً معروفاً، لكان من أشد العوامل تأثيراً على فشل الثورة العالمية وفناء الدولة العادلة، فإنه يكفي أن يحتمل الأعداء ظهوره في ذلك التاريخ، ولو باعتبار اعتقاد المسلمين ذلك، فيجتمعوا على قتله في أول أمره وقبل اتساع ملكه واستتاب أمره.

ولذا، اقتضى التخطيط الإلهي، من أجل إنجاح اليوم الموعود، أن يكون الظهور فجائياً، مثاله مثال الساعة لا يجليها لوقتها، كما نطقت بذلك الأخبار. وعنصر المفاجأة له أثر فعال في نصره عليه السلام. ثم إن وقت الظهور وإن كان محدداً في علم الله الأزلي المتعلق بكل الممكنات أو المخلوقات بأسبابها ومسبباتها.

(١) الفية، النعماني، ص ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه.

إلا أنه بالنسبة إلى علله وشرائطه ليس له وقت محدّد. وتوضيح ذلك:

إن وجود المعلول تابع إلى وجود علته، فإن المعلول يحدث متى حدثت علته، بلا دخل للزمان في ذلك أصلاً.

مثاله: إننا لو نسبنا تاريخ إكمال بناء البيت بالنسبة إلى القوى المادية والبشرية العاملة فيه، كان تاريخه منوطاً بتحقيق هذه المكونات، حتى إذا ما وضع البناء آخر حجر في كيان الدار، تكون هذه الدار قد انتهت. بغض النظر عن طول زمن البناء وقصره... فإنه قابل للاختلاف حسب الظروف والطوارئ والقبليات والإمكانات.

وحيث يبرهن فلسفياً بأن علم الله تعالى الأزلي المتعلق بالأشياء ليس علة لها، وإنما يتعلق بها ويكشف عنها على ما هي عليه في الواقع.

إذن ففي الإمكان قصر النظر على واقع الشيء. بغض النظر عن ذلك العلم به ومعه يكون المستوى الثاني للتوقيت صحيحاً. ويكون وجود الشيء منوطاً بوجود علته واجتماع شرائطه ومكوناته، من دون أن يكون الزمن ملحوظاً في تحديد حدوثه على الإطلاق... بل قد يكون قابلاً للزيادة والنقص.

ومن هذا القبيل، يوم الظهور. فإننا لو غرضنا النظر عن علم الله الأزلي لم يبق لدينا أي وقت محدّد له، وإنما هو منوط بحصول شرائطه وعلله. فمثلاً نقول: متى اجتمع العدد الكافي للغزو العالمي بالعدل الكامل. من المخلصين المحصنين، كان يوم الظهور ناجزاً، سواء كان زمان وجودهم والفترة التي تقتضي تحقيقهم طويلة جداً أو قصيرة^(١).

ومن العلل التي ذكرها في تفسير النهي عن توقيت يوم الظهور: أن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام نذير بين يدي الساعة بعد انقطاع النبوة وختمها بسيد الرسل عليه السلام وغياب الأوصياء الإثني عشر عليهم السلام، ولذلك سمي بالنذر الأكبر الذي يصلي المسيح خلفه، وفي زمنه يبدأ البعث الجزئي المسمى بالرجعة

ليتصل به بعدئذ البعث الشامل، وقد ذكر الشيخ المفيد رحمته الله أنه بعد رحيل الإمام عليه السلام بأربعين يوماً تقوم القيامة الكبرى. والقيامة مربوطة بتقدير الله لعالمنا لا يجليها لوقتها إلا هو، ولذلك فلا توقيت^(١).

فعن المفضل بن عمر قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام هل للمأمور المنتظر المهدي عليه السلام من وقت موته يعلمه الناس؟ فقال عليه السلام:

«حاش لله أن يوقت ظهوره بوقت يعلمه شيعةنا. قلت: يا سيدي ولما ذاك؟ قال: لأنه هو الساعة التي قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُقَلَّتْ فِي السَّحَابِ وَالْآيَاتُ﴾»^(٢)، وهو الساعة التي قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾»^(٣)، وقال: ﴿عِنْدُ عِلْمِ السَّاعَةِ﴾»^(٤)، ولم يقل أنها عند أحد، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾»^(٥)، وقال: ﴿أَفَرَبَّي السَّاعَةِ وَأَشَقَّ الْقَمَرِ﴾»^(٦)، وقال: ﴿وَمَا يَذْرُؤُكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾»^(٧)، ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُعَارَضُونَكَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾»^(٨)... الحديث^(٩).

(١) الإمام المهدي وأدعياء البابية والمهدوية، السيد عدنان البكاء، ص ٢٣٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٤٢.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٥) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٦) سورة القمر، الآية: ١.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٦٣.

(٨) سورة الشورى، الآية: ١٨.

(٩) البحار، المجلسي، ح ٥٣، ص ١.

بين شرائط الظهور وعلاماته:

يشبه الأمر على البعض عند الحديث عن علامات الظهور فيخلط بينها وبين شروط الظهور. فيعتبر عن العلامات بالشروط وكذلك العكس.

إلا أن هناك فوارق هامة وأساسية بين الشروط والعلامات ينبغي الوقوف عندها والإطلاع عليها لما في ذلك من فائدة هامة على هذا الصعيد.

ومن الذين بينوا هذه الفوارق وكيف يشترك هذان المفهومان في بعض الأحيان، السيد محمد الصدر في موسوعته حول الإمام المهدي عليه السلام حيث قال:

يشترك هذان المفهومان: الشرائط والعلامات، بأنهما معاً مما يجب تحققه قبل الظهور، ولا يمكن أن يوجد الظهور قبل تحقق كل الشرائط والعلامات. فإن تحققه قبل ذلك، مستلزم لتحقيق الشروط قبل وجود شرطه أو الغاية قبل الوسيلة...

كما أنه مستلزم لكذب العلامات التي أحرز صدقها وتوافرها... وبالرغم من نقاط الاشتراك هذه، فإن ما بينهما من نقاط الاختلاف والفروق، لا بد لنا من بيانها بشكل يتضح الفرق بين المفهومين بشكل أساسي. ونحن إذ نستعرض هذه الفوارق بشكل مختصر نطلّ من خلالها على أهم ما أورده من نقاط وهي:

الأول:

إن الشرائط عبارة عن عدة خصائص لها التأثير الواقعي في إيجاد يوم الظهور والنصر وإنجاز الدولة العالمية، ولولاها لا يمكن أن يتحقق ذلك، لأن معنى الشرط في الفلسفة، ما كان له بالنتيجة علاقة علّية وسببية لزومية. بحيث يستحيل وجوده بدونه. وإن انعدام بعض الشرائط يقتضي انعدام الظهور أساساً بحيث لا يعقل تحققه. وانعدام بعضها الآخر يقتضي فشله.

إذن لا بد أولاً من اجتماع الشرائط، لكي يمكن تحقق الظهور ونجاحه.

أما العلامة، فليس لها من دخل سوى الدلالة والإعلام والكشف عن وقوع الظهور بعدها، مثالها هيجان الطيور الدال على وقوع المطر أو العاصفة بعده من دون أن يقال: إن العاصفة لا يمكن أن تقع بدون هيجان الطيور. بل يمكن وقوعها بطبيعة الحال.

وهذا هو الذي نجده في علامات الظهور، فإنه يمكن تصور حدوثه بدونها. ولا يلزم من تخلفها انخرام سبب أو مسبب...

لذلك يمكن لليوم الموعود أن يتحقق سواء وجدت أم لم توجد وإنما هي أمور جعلت من قبل الله سبحانه وبلغت إلى البشر من قبل الصادقين قادة الإسلام الأوائل. بصفتها دوال وكواشف عن قرب الظهور. إذا كانت من العلامات القريبة، أو عن أصل حصوله. لو كانت من العلامات البعيدة، وذلك ليكون الأفراد المنتظرون لذلك اليوم المختارون للعمل فيه نتيجةً لنجاحهم التام في التمحيص بحالة التهيؤ النفسي الكامل لاستقباله عند حدوث العلامات القريبة.

نعم، ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار، نقطة واحدة، وهي أن بعض العلامات، كوجود الدجال وقتل النفس الزكية، مربوطة ارتباطاً عضوياً بالشرائط. بمعنى أن هذه العلامات من مسببات ونتائج عصر الفتن والانحراف الذي هو سبب التمحيص الذي هو سبب إيجاد أحد شرائط الظهور.

الثاني:

إن علامات الظهور، عبارة عن عدة حوادث، قد تكون مبشرة، وليس من بد من وجود ترابط واقعي بينهما، سوى كونها سابقة على الظهور... الأمر الذي برز جعلها علامة للظهور، في الأدلة الإسلامية.

وأما شرائط الظهور، فإن لها باعتبار التخطيط الإلهي الطويل... ترابط سببي ومسببي واقعي، سواء نظرنا إلى ظرف وجودها قبل الظهور، أو نظرنا إلى ظرف انتاجها بعد الظهور.

الثالث:

إن شرائط الظهور دخيلة في التخطيط الإلهي، ومأخوذة بنظر الاعتبار فيه،

باعتبار توقف اليوم الموعود عليها، بل إن البشرية كلها من أول ولادتها إلى يوم الظهور، كرسها التخطيط الإلهي، لايجاد يوم الظهور.

وأما العلامات، فليس لها أي دخل من هذا القبيل... بل كل إنتاجه، هو إعلام المسلمين وتهيئة الذهنية عندهم لاستقبال يوم الظهور. وجعلهم مسبوقين بحدوثه في المستقبل أو بقرب حدوثه^(١).

ما هي شرائط الظهور:

كما كانت غيبة الإمام المهدي عليه السلام، لحكمة اقتضتها مشيئة الله وإرادته، ولا يمكن أن تكون بغير هذه الإرادة والمشيئة المبنية على مصالح تقف وراء عملية الغيبة.

كذلك هو يوم الظهور فإنه منوط بإرادته سبحانه وتعالى، فهو الذي يأذن له بالخروج والظهور في اليوم الموعود. وذلك عندما تتحقق شرائطه وموجباته.

وشرائط الظهور هي تلك الأمور التي يتوقف عليها تنفيذ الوعد الإلهي بنشر العدل الكامل في أرجاء الدنيا والذي يتحقق على يد الإمام المهدي عليه السلام.

وهي كما ظهر لنا ممّا تقدّم ليست كعلامات الظهور، باعتبار أن لها التأثير الواقعي في إيجاد يوم الظهور وتحقيق وعد الله عزّ وجلّ، ولولاها لا يمكن أن يتحقق ذلك. وهذا بخلاف علامات الظهور التي ليس لها مدخل في ذلك حيث يمكن لليوم الموعود أن يتحقق سواء وجدت العلامات أو لم توجد... وهذه الشروط التي لا بدّ من توفرها ليتحقق الوعد بيوم الظهور يمكن إيجازها بما يلي:

أولاً: وجود الأطروحة العادلة الكاملة التي تمثل العدل المحض الواقعي والمبلّغة إلى البشر من قبل الله تعالى. لتكون هي القانون السائد في المجتمع. لذا ينبغي أن تكون هذه الأطروحة قابلة للتطبيق في كل الأمكنة والأزمنة، والتي

(١) راجع تاريخ الغيبة الكبرى، السيد محمد الصدر، ص ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨. وتاريخ ما بعد الظهور،

تضمن للبشرية جمعاء السعادة والرفاء في العاجل، والكمال البشري المنشود في الآجل.

الثاني: وجود القيادة الحكيمة التي تقوم بتطبيق تلك الأطروحة في اليوم الموعود، والذي يمتلك القابلية والقدرة الكاملة لقيادة العالم كله.

الثالث: وجود العدد الكافي من المخلصين المؤازرين للقائد بتطبيقه للعدل في كل أرجاء العالم.

الرابع: توفر القواعد الشعبية الكافية ذات المستوى العالي في الوعي والتضحية والعطاء بين يديه.

وهذه الشروط في واقعها، هي شرائط الدعوة الإلهية في كل حين. وحيث لم تتوفر على مرّ العصور، لم تستطع هذه الدعوة شقّ طريقها المأمول في العالم بالرغم من أن الله تعالى أنزل دينه ﴿يُظْهِرُ عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وستشق هذه الدعوة طريقها، ويتحقق مدلول هذه الآية الكريمة، في أول فرصة تتوفر فيها هذه الشروط، وليس ذلك إلاّ عند ظهور الإمام المهدي (عج) ^(١).

ويرتبط خروج الإمام المهدي (عج) وظهوره بتحقيق وتوفر الشروط الأربعة، وليس ببعضها.

وقد توفرت للأمة بعض الشروط التي تحققت. فالشرط الأول أوجده الله عزّ وجلّ وربّى الأمة عليه ضمن خط الأنبياء الطويل حتى تكمل هذا التخطيط بالنجاح بإنجاز هذا الشرط ضمن الأطروحة الإسلامية المبلّغة من قبل خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وآله السلام.

وهكذا الشرط الثاني الذي تحقق عبر وجود الإمام المهدي (عج) كقائد أمثل للبشرية ليكون هو المطبق لتلك الأطروحة الكاملة في اليوم الموعود.

(١) تاريخ الغيبة الكبرى، السيد الصدر، ص ٤١٥ - ٤١٦.

نعم، الشرطان الثالث والرابع هما الشرطان المتبقيان ويتحققهما يتحقق الظهور.

فلا بد من أن تتربى الأمة على جميع المستويات، حتى يكون لها القابلية لاستيعاب وفهم وتطبيق القوانين الجديدة التي تعلن بعد الظهور، وأيضاً لا بد من تهيئة العدد الكافي لتحقيق المؤازرة والنصر للإمام عليه السلام في يوم الظهور، وهذا العدد لا بد وأن يكون من الأفراد المخلصين الكاملين الممحصين، الذين يكونون على مستوى التضحية والفداء.

فالدعوة إلى الله وتطبيق حكمه عز وجل وإقامة دولة العدل الشامل تقوم على جملة مرتكزات التي يتكفل الباري عز وجل بتوفير بعضها بل أساسها كإيجاد القائد الذي يحمل مواصفات القيادة مع ما يحمله من رسالة لها القدرة على وضع القوانين الكفيلة بسعادة البشر.

إلا أن هذه الأمور تحتاج إلى أمة فيها عناصر وأفراد لهم أهلية تقبل هذه الرسالة ومقومات استمرارها.

وقد ضرب الله لنا مثلاً هاماً في القرآن الكريم حول ضرورة تكامل هذه الشروط كما في قضية طالوت وجالوت.

فقد كان إرسال طالوت من قبل الله وتهيئته كقائد حكيم شجاع نتيجة لحاجة بني إسرائيل لذلك: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ آيَاتٌ أَنْ يُبْرِتَ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١).

فكان رد هذا القائد واضحاً في اختبار الأمة عن مدى قدرتها على تحمل متطلبات ومستتبعات القيادة حيث ظهر له التردد الواضح في نصرته ومؤازرته. وكانت الغلبة للفئة القليلة التي آمنت بالله وتوكلت عليه:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ﴾.

علامات الظهور:

من خلال ما تقدّم من توضيح للفوارق بين علامات الظهور وشرائطه تبين لنا ما هو المراد من علامات الظهور وما هو المقصود منها. حيث ذكرنا بأنها ليس لها أي دخل أو تأثير في إيجاد يوم الظهور، فيمكن لليوم الموعود أن يتحقق سواء وجدت أم لم توجد. وإنما جعلت من قبل الله عزّ وجلّ ورسوله وأئمة أهل البيت كرموز ودوال وكواشف عن قرب الظهور، وذلك من أجل أن يتهيأ المتظرون نفسياً لاستقبال الإمام المهدي عليه السلام عند حدوث العلامات القريبة.

وقد يقال عن الفائدة من وضع وجعل علامات للظهور، والحديث عنها في روايات أهل البيت عليهم السلام إنما هو لبيان دلائل إمامتهم. وخصوصاً العلامات التي أخبروا بها وتحققت في الخارج طبقاً لماذكروا، فتكون هذه العلامات معجزة لهم باعتبار أنهم أخبروا بذلك قبل وقوعه. فهو من الإخبار بالغيب فيكون دليلاً على إمامتهم عليهم السلام لأنه لا دلالة على الإمامة أعظم من الإخبار بما يكون قبل أن يكون.

أو يكون الهدف منها هو أن معرفتها يوجب عدم وقوع المؤمنين في الضلالة في زمان الغيبة الكبرى الذي تكون فيه الفتن كثيرة، والبعد الباطلة من كل جانب متوجهة إليهم من إبداع المذاهب الجديدة.

وقبل ذكر هذه العلامات بالتفصيل نشير إلى أن كل من ذكر وتحدّث وكتب عن علامات الظهور وضع لها تقسيماً بحسب ما يراه مناسباً لرأيه.

وعلى سبيل المثال، منهم من قسمها وجعلها علامات عامة، وهي العلامات التي تتحدّث عن الانحرافات التي تنتشر في الأوساط الإسلامية وغيرها، وتتلوّن بها المجتمعات البشرية، وهي ليست من العلامات المقارنة لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وعلامات تحدث قريباً من ظهور الإمام المهدي عليه السلام بسنوات غير كثيرة، ولكنها لا تدل على وقوع الظهور في تلك السنة.

وعلامات تحدث في السنة التي يظهر فيها الإمام المهدي عليه السلام أو في السنة السابقة على سنة الظهور.

ثم قسّم هذه العلامات الأخيرة إلى نوعين :

النوع الأول: العلامات غير المحتملة، ومعنى ذلك أنها ليست قطعية، فيمكن أن تقع ويمكن أن لا تقع.

النوع الثاني: العلامات المحتملة التي لا تقبل الشك والترديد، وهي قطعية الوقوع. ومنهم من قسمها إلى علامات عامة وعلامات خاصة.

فالعلامات العامة: وهي التي تصف حالة المجتمع من حيث شيوع بعض الظواهر المنافية للدين والعدل والأخلاق، ويمكن أن نجد شواهد وجودها التاريخي مع اختلاف نسبي في كل عصر، بدءاً من العصر الأموي، وذكرها كعلامات ينبغي ألا يعني امتدادها، ووجودها فقط، وإنما استشرافها بصورة غير معهودة.

والعلامات الخاصة هي ظواهر وأحداث كونية أو حضارية أو سكانية أو عسكرية عالمية أو إقليمية، لا يوجد ما يشير إليها زمن الحديث عنها بالصورة التي يجعلها متوقعة، لذلك فهي من هذه الناحية هامة وملفتة.

قال الشيخ النعماني :

«وإذا جاءت الروايات متصلة متواترة بمثل هذه الأشياء قبل كونها، وبهذه الحوادث قبل حدوثها، ثم حققها العيان والوجود فوجب أن تزول الشكوك عمن فتح الله قلبه ونوره وهده وأضاء له بصره»^(١).

وقال (رضوان الله عليه) وهو يتحدث عن العلامات الخاصة :

«وهذه من أعدل الشواهد على بطلان أمر كل من ادعى أو ادعى له مرتبة القائم عليه السلام ومنزلته، وظهر قبل مجيء هذه العلامات»^(٢).

ومنهم من قسمها إلى علامات حتمية وغير حتمية.

فالعلامات الحتمية: وهي العلامات التي أجمعت الأخبار على ضرورة تحققها قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

(١) النبية، النعماني، ص ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

والعلامات غير الحتمية: هي التي تحدّثت عنها الأخبار دون أن تشترط ضرورة وحتمية وجودها في عصر الظهور.

ومنهم من اعتمد في تقسيم علامات الظهور إلى تنوعها على الشكل التالي:

أولاً: ذكر شخصيات ورد ذكرها في علامات الظهور، مثل نزول عيسى عليه السلام والنفس الزكية وابنا عمه، وأشخاص ورد ذكرهم في أحاديث رايات المشرق وخراسان، وهم: رجل يخرج من قم. والخراساني الحسيني (الهاشمي). والسيد الأكبر، وشعيب بن صالح (قائد قوات الخراسانيين)، وقائد قوات الإمام المهدي عليه السلام، والسيد الجيلاني الذي يعاون شعبياً بن صالح.

وكذلك اليماني والسفنياني، وتسعة أشخاص ورد ذكر أربعة منهم في تحرّك السفنياني (الأصهب - الأبقع - الربيعي - الجرهمي) وأيضاً الدجال الأعور و...

ثانياً: أقوام ورد ذكرهم في علامات الظهور مثل: الترك - الروم - العرب - الإيرانيون - اليهود.

ثالثاً: الآيات السماوية وذلك من قبيل:

أ - النداء من السماء.

ب - طلوع الشمس من مغربها.

ج - الكسوف والخسوف في غير وقتها.

د - ظهور حمرة تجلّل آفاق السماء، وتبقى ثلاثة أيام.

هـ - كثرة الأمطار.

رابعاً: الآيات الأرضية وذلك من قبيل:

أ - نار الحجاز.

ب - الزلازل والخسف في البداء.

ونحن لن نعتمد في ذكرنا لعلامات الظهور على أية واحدة من هذه التقسيمات. وإنما سنحاول التعرّض إلى ما هو متسالم عليه ومتفق عليه بين العلماء محاولين بذلك أيضاً تسليط الضوء على أهم العلامات التي ذكرتها

روايات وأحاديث أهل البيت عليهم السلام . لذا فإنه يمكن تقسيم علامات الظهور وفقاً لما يلي:

العلامات الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام:

والمراد بها العلامات التي تختص بالإمام عليه السلام والتي منها يعلم الإذن له، من الله بالخروج والظهور، ويحصل له عليه السلام العلم بوقت خروجه دون أن يكون لغيره علاقة أو مدخلة في ذلك، بحيث لا يلزم علم الناس والأمة بها.

العلامات الخاصة بالناس:

وهي العلامات التي ذكرتها الروايات كشواهد وأدلة على وقت الظهور، ليتعرف الناس على وقت خروجه عليه السلام وهذه العلامات منها ما هو حتمي ومنها ما هو غير حتمي، ومنها ما سيحدث في عصر الظهور ومنها ما سيحدث ما قبل عصر الظهور وقد يحصل قبل قرون منه.

والأمور المذكورة في الأخبار والأحاديث الواقعة في آخر الزمان على قسمين:

فمنها ما هو من أشرط الساعة وعلامات دنو يوم القيامة . ومنها ما يقع قبل ظهور المهدي المنتظر عليه السلام.

وقد وقع الخلط بين القسمين عند الكثيرين من علماء الشيعة والسنة في مؤلفاتهم.

والقسم الثاني من هذه الأمور، التي أخبروا بوقوعها قبل قيام قائم آل محمد وأمام ظهور المهدي المنتظر، على قسمين:

الأول: ما كان الغرض من ذكرها ووقوعها قبل ظهوره وأمام قيامه، فوقع أمثال هذه الأمور وعدم ظهوره عليه السلام لا يدل على عدم صحة الرواية، لأنها لم تجعل إمارة وعلامة لظهوره، بل ليس الغرض من ذكرها إلا وقوعها قبل ذلك.

الثاني: إن هذه الأمور التي ورد في الأخبار وقوعها قبل ظهور المهدي يجوز أن

يدخلها البداء بالمعنى الذي يعتقده الشيعة، فعدم وقوع بعضها ووقوعها على غير الكيفية التي وردت في الأخبار لا يدل على عدم صحة الرواية^(١).

وإذا كان في هذه العلامات ما هو ثابت، فإن فيها ما هو قابل للتغيير، أو ما هو واقع تحت الخيار الإنساني. وحين يكون بعضها في موقع المقتضي أو الشرط، فإن بعضها الآخر قد يكون بالنسبة إليها في منزلة المانع.

وطبقاً لهذه العلاقة بين المقتضيات والشروط والموانع، قد يتأخر الظرف وقد يتقدم، وقد تلغى بعض المقدمات والصور المتوقعة قبله أو بعده، وقد تحدث أخرى لم تكن من قبل. وهذا هو معنى «البداء» الذي يمنع من الإخبارات القاطعة بالأحداث الواقعة ضمن نطاق القوانين الطبيعية القابلة للتغيير، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«لولا آية في كتاب الله لأخبركم بما كان، وبما يكون، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهذه الآية هي: ﴿يَمَحُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾»^(٢).

وبناء على ذلك فإن تحديد زمن مجيء الظرف المقدر لظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام غير وارد، ولهذا رفض الأئمة من أهل البيت عليه السلام التوقيت وكذبوا من نقله عنهم^(٣).

وهذا ما أثبتناه فيما تقدم من خلال الروايات التي ذكرنا حول النهي عن التوقيت، وتكذيب كل من يدعي علمه بها.

العلامات المحتومة:

تحدثت الروايات عن بعض علامات الظهور وأن حصولها يكون بشكل قطعي ومقارن لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

(١) المهدي، السيد صدر الدين الصدر، ص ١٩٣.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٣) الإمام المهدي وأدعياء البابية، البكاء، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

إلا أن هذه العلامات قد تكون حتمية عند البعض وغير حتمية عند البعض الآخر.

وقد يضاف إليها علامات عند البعض وينقص منها عند البعض الآخر. لذا فإننا عند ذكرنا لهذه العلامات لا ندعي حتميتها إلا وفقاً لبعض المراكز. فقد يأخذ بها الباحث ويقبلها، وقد يرفضها. ومما جاء في الروايات حول العلامات الحتمية، ما ورد عن العلام الخمس والتي منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياي، والصبيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»^(١).

وعنه عليه السلام:

«خمس قبل قيام القائم عليه السلام: اليماني، والسفياي، والمنادي، يتنادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية»^(٢).

وعنه عليه السلام أنه سئل:

«... قلنا له السفياي من المحتوم! فقال عليه السلام: نعم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، والقائم من المحتوم، وخسف بالبيداء من المحتوم، وكفّ تطلع من السماء من المحتوم، والنداء. فقلت وأي شيء النداء؟ فقال: مناد يتنادي باسم القاسم واسم أبيه»^(٣).

وقد علّق السيد محسن الأمين (رضوان الله عليه)، على كلام الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) بعد سرده لعلامات الظهور حيث قال المفيد: (... ومن جملة هذه الأحداث محتومة ومنها مشترطة)^(٤)، قال السيد الأمين:

(١) إكمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٦٥٠، منتخب الأثر، الكليني، ص ٤٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٤٩.

(٣) الغيبة للنعماني، ص ٢٥٢ و ٢٥٧، ومنتخب الأثر، ص ٤٦٠.

(٤) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ٣٧٠.

ولعل المراد بالمحتوم ما لا بد من وقوعه ولا يمكن أن يلحقه البدء الذي هو إظهار بعد إخفاء لا ظهور بعد خفاء، والذي هو نسخ في التكوين كما أن النسخ المعروف نسخ في التشريع، وبغير المحتوم أو المشترك ما يمكن أن يلحقه البدء والمحو والنسخ في التكوين يمحو الله ما يشاء، فهو مشترك بعدم لحوق ذلك^(١).

العلامات الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام:

الأولى: أنه له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم بنفسه ويخاطبه بالخروج بأمره تعالى.

الثانية: أنه له سيف مغمّد إذا حان وقت خروجه إقتلع ذلك من غمده ويأمره من ناحية الله بالخروج، ويدل على ذلك الحديث الوارد عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليه السلام قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب في وصف القائم عليه السلام إلى أن قال له أبي: وما دلائله وعلاماته يا رسول الله؟ قال ﷺ:

«له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه وأنطقه الله عز وجل، فناداه العلم: أخرج يا ولي الله فاقتل أعداء الله وهما آيتان وعلامتان (أي انتشار العلم ونطقه).

وله سيف مغمّد فإذا حان وقت خروجه إقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله عز وجل، فناداه السيف: أخرج يا ولي الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله، يخرج جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يسرته، وسوف تذكرون ما أقول لكم ولو بعد حين وأفوض أمري إلى الله عز وجل...»^(٢).

وبهذا المضمون أخبار متعددة.

(١) أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٧١.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٣١١.

الثالثة: رؤيته عليه السلام جبرئيل وأمره بالخروج بأمره تعالى كما ورد في الخبر عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام في ذكر القائم عليه السلام وهو طويل، ومما جاء فيه:

قال عليه السلام:

«فيجلس تحت شجرة فيجئته جبرئيل في صورة رجل من كلب (أي من بني كلب) فيقول: يا عبد الله ما يجلسك ههنا؟ فيقول يا عبد الله إني أنتظر أن يأتيني العشاء فأخرج في دبره إلى مكة وأكره أن أخرج في هذا الحر، قال: فيضحك فإذا ضحك عرفه أنه جبرئيل، قال: فيأخذ بيده ويصافحه ويسلم عليه ويقول له: قم ويجئته بفرس يقال له البراق فيركبه، ثم يأتي إلى جبل رضوى فيأتي محمد عليه السلام وعلي عليه السلام فيكتبان له عهداً منشوراً يقرؤه على الناس، ثم يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها الحديث...»^(١).

ويمكن استفادة هذا المضمون من حديث آخر عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام. فعنه أنه قال:

«يُنَادِي بِاسْمِ الْقَائِمِ عليه السلام فيؤتى وهو خلف المقام فيقال له قد نودي باسمك فما تنتظر؟ ثم يؤخذ بيده فيأبى الحديث»^(٢).

الرابعة: أنه ينكت في قلبه عليه السلام كما ورد ذلك في الخبر:

«فإذا أراد الله إظهار أمره نكت في قلبه نكتة فظهر، فقام بأمر الله»^{(٣)(٤)}.

الخامسة: ورد في بعض الروايات أن الدار التي يسكنها الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى معلق فيها قميص الإمام الحسين عليه السلام الذي استشهد فيه

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٨٤.

(٤) الإمام المهدي وظهوره، السيد جواد آل الشاهرودي، ص ١٨١ - ١٨٢.

وعليه دمه الذي سال منه على أرض كربلاء وهو جاف . وحينما يسيل هذا الدم المتجمد وتتقاطر الدماء من القميص يكون ذلك إيذاناً للإمام المهدي عليه السلام بالخروج .

وروى الأمين في الأعيان حول كيفية علم الإمام المهدي عليه السلام بالإذن الخاص له بالخروج :

«إن له علماً إذا حان خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه وأنطقه الله عز وجل ونادى أخرج يا ولي الله فاقتل أعداء الله وله سيف مغمم فإذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله عز وجل فتداه أخرج يا ولي الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله...»^(١)

العلامات الخمس المحتومة:

ونظراً لكثرة الروايات الواردة في العلامات الخمس، والإجماع الحاصل عليها، ولمقبولية هذه العلامات وعدّها عند الكثيرين أنها علامات حتمية، نتحدّث عنها بشيء من التفصيل ليقف القارئ على معنى كل واحدة ويعرف ما هو المراد منها .

الأولى: خروج السفيناني:

ورد اسم السفيناني كواحد من الشخصيات المهمة التي تلعب دوراً مؤثراً وفاعلاً في حركة الظهور، وذلك في عداد العلامات الحتمية والحركات المناهضة لثورة الإمام المهدي عليه السلام . وهو من أعمدة الشر والفساد في الأرض ولم ينفرد الشيعة بذكر السفيناني، بل ذكره علماء السنة في كتبهم أيضاً، والأحاديث متواترة ومتفق عليها في كتب الفريقين، وقد جاء ذكره في المصادر المهمة لأهل السنة المتضمنة لأخبار السفيناني ومنها: العرف الوردی للسيوطي

(١) أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٨٢.

في الجزء الثاني ص ٧٥، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٧ ص ٣١٤، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٤٩٣، وعقد الدرر للشافعي في كثير من فصوله وأبوابه، وكنز العمال للمتقي الهندي ج ٦ ص ٦٨.

أما المصادر الشيعية فلا يكاد يخلو واحد منها من ذكر السفيناني، فضلاً عن ما ورد في تفاصيل حركته وخروجه والأحداث التي ترافق تحركاته.

الروايات حول السفيناني:

منها ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام:

«إن أمر القائم حتم من الله، وأمر السفيناني حتم من الله، ولا يكون قائم إلا بسفيناني»^(١).

ونقل النعماني في «الغيبة» عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«للقائم خمس علامات: السفيناني...»^(٢) الحديث.

ونقل عنه عليه السلام، قال الراوي: قلت ما من علامة بين هذا الأمر. فقال: بلى وما هي؟ قال:

«هلاك العباسي وخروج السفيناني...»^(٣) الحديث.

وفيما نقله السفير الرابع علي بن محمد السمري عن الإمام المهدي عليه السلام في البيان الذي ختمت به الغيبة الصفري يقول عليه السلام:

«فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو كذاب مفتر»^(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

(١) البحار، ج ٥٣، ص ١٨٢.

(٢) الغيبة للنعماني، ص ١٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٤) الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٧.

«من الأمر محتوم، ومنه ليس بمحتوم، ومن المحتوم، خروج السفيناني في رجب»^(١).

وغيرها من الأخبار الكثيرة التي سنعرض لها في طي كلامنا عن السفيناني وعلاماته وصفاته.

اسمه ونسبه:

سُمي بالسفيناني لأنه من نسل أبي سفيان وذريته. وهذا من الأمور المتفق عليها، كما أنه يسمى ابن آكلة الأكباد نسبةً إلى جدته هند زوجة أبي سفيان التي سميت بذلك لأنها حاولت أن تأكل كبِد الحمزة سيّد الشهداء بعد شهادته في أحد.

عن الإمام علي عليه السلام قال:

«يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة (أي مربع) وحش الوجه، ضخّم الهامة، بوجهه أثرُ الجدرى. إذا رأيته حسبته أهور، اسمه عثمان بن عنبسة وأبوه عُيَيْنَةُ (عَنْبَسَة) وهو من ولد أبي سفيان، حتى يأتي أرض قرارٍ ومعين فيستوي على منبرها»^(٢).

وفي الأحاديث أنه من أولاد معاوية بن أبي سفيان، وأشارت بعض الأحاديث إلى أنه من أولاد عنبسة بن أبي سفيان وبعضها إلى عتبة بن أبي سفيان.

والمعلوم أن أولاد أبي سفيان خمسة، عتبة ومعاوية ويزيد وعنبسة وحنظلة. ولعل هذا ما أوقع الخلط في النقل، مما استدعى البعض أن يعتبر أن (عُيَيْنَةُ) في الحديث تصحيفاً لـ (عَنْبَسَة).

(١) الغيبة، للنعماني، ص ٣٠٠، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٤٨.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٢٠٥.

وفي بعض الروايات أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان. كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان».

أما اسمه فالمشهور عند الشيعة أنه (عثمان)، أما عند علماء السنة فاسمه (عبد الله). وقد ورد في بعض المصادر الشيعية - وهي قليلة - أن اسمه عبد الله.

صفاته:

الروايات التي تحدثت عن صفات السفيناني وسلوكه وأخلاقياته تشير إلى أنه يحمل كل نزعات الشر والإثم والظلم والاعتداء على الناس، فهو إنسان ممسوخ، من أقذر من عرفتهم الإنسانية، فإذا ظهر يقتل الصبيان ويبقر بطون النساء، ويقتل الأبرياء إلى غير ذلك من ظلمه ومواقاته.

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«السفيناني أحمر أشقر أزرق لم يعبد الله قط ولم ير مكة ولا المدينة قط يقول: يا رب ثاري والنار، يا رب ثاري والنار»^(١).

والأحاديث التي تتحدث عن السفيناني وأعماله، وجرائمه. تقشعر منها الجلود، وتفزع منها القلوب، فهو من أقسى البشر قلباً ولا يعرف معنى العاطفة والرحمة، وأكثرهم جنائية وجريمة وجراً على الله تعالى.

وهو أموي النسب، سفاك للدماء، يقتل البشر كما تقتل الحشرات، بلا هوادة، ويهتك ستور النساء المسلمات بكل صلافة واستهتار، ولا يدع حراماً إلا أباحه، ولا جريمة إلا ارتكبها.

وهو وأصحابه قد امتلأت قلوبهم حقداً وغيظاً وبغضاً وعداوة لآل رسول الله ﷺ لأن السفيناني وارث أسلافه الأمويين، الذين تلطخت أيديهم

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢٥٤ سر الفية، النعماني، ص ١٦٤.

بدماء آل رسول الله وشيعتهم، فهو يحاول أن يكمل تلك الجرائم المتسلسلة، والجنايات التي اهتزّ منها عرش الرحمن، ويضجُّ أهل السماوات من فظائمه وفجائعه^(١).

وتحدّث الروايات عن نفاقه وسرد سيرته، ومعاداته لله تعالى ولرسوله ﷺ، وللمهدي ﷺ. والأحاديث التي رواها الفريقان عن شخصيته وأعماله واحدة ومتقاربة ومنها:

«السفياي شر ملك، يقتل العلماء وأهل الفضل ويغنيهم، ويستعين بهم، فمن أبى عليه قتله...»

يقتل السفياي من عصاه، وينشرهم بالمناشير، ويطبّخهم بالقدور، ستة أشهر... يخرج السفياي فيقاتل، حتى يبقر بطون النساء، ويغلي الأطفال في المراحل (القدور الكبيرة)...»^(٢).

وعن الإمام علي عليه السلام في وصفه للسفياي يقول:

«... ثم يسير في سبعين ألف نحو العراق والكوفة والبصرة.

ثم يدور الأمصار والأقطار، ويقتل أهل العلم، ويحرق المصاحف، ويخرب المساجد، ويستبيح المحرام، ويأمر بضرب الملاهي والمزامير في الأسواق، والشرب على قوارع الطريق، ويحلّل لهم الفواحش، ويحرّم عليهم كل ما افترضه الله (عزّ وجلّ) من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والجور، بل يزداد تمرداً وطفیاناً.

ثم يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان أبائنا عصوك فما ذنبنا؟

فيأخذ منهم اثنين، اسمهما: حسن وحسين، فيصلبهما، ثم يسير إلى الكوفة، فيفعل بهم كما فعله بالأطفال ويصلب على باب

(١) الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، القزويني، ص ٣٤٢.

(٢) عصر الظهور، الشيخ علي كوراني، ص ١٠٦، نقلاً عن الفتن لابن حماد، ص ٧٦ - ٨٤.

مسجدها طفلين اسمهما حسن وحسين، فتغلي دماؤهما، كما غلى دم يحيى بن زكريا، فإذا رأى - السفنياني - ذلك أيقن بالهلاك والبلاء، فيخرج هارباً منها متوجهاً إلى الشام، فلا يرى في طريقه أحداً يخالفه.

فإذا دخل دمشق، اعتكف على شرب الخمر والمعاصي، ويأمر أصحابه بذلك...^(١).

ومن الموصفات المهمة للسفنياني نفاقه وخبثه ومحاولاته العديدة في إعطاء حركته وإظهارها بمظهر الدين، ويعطيها الطابع الإسلامي، كما جاء في بعض الروايات أن السفنياني شديدُ الصفرة به أثر العبادة، وهذا يعني أنه يظهر بمظهر المتدين، ولكن واقع حاله كما سيأتي - أنه يخرج متنصراً يحمل الصليب في عنقه عندما يأتي من بلاد الروم، وفي نفس الوقت يتظاهر بين المسلمين بالصلاة والتدين، لكي يخدع المسلمين بأنه منهم.

عقيدته:

يظهر من بعض الأخبار أنه مسيحي، أو من صنائع المسيحيين، كما في الرواية التي نقلها الشيخ الطوسي في الغيبة قال:

«يقبل السفنياني من بلاد الروم متنصراً في عنقه صليب، وهو صاحب القوم»^(٢).

ويظهر من بعض الأخبار أنه من المسلمين المنحرفين المبغضين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وحقق السفنياني على أهل البيت وشيعتهم هو من أبرز صفاته التي تذكرها الروايات، بل يظهر منها أن دوره السياسي هو إثارة الفتنة المذهبية بين المسلمين

(١) عقد الدرر، الشافعي، ص ٩٣ - ٩٤.

(٢) الغيبة، الطوسي، ص ٢٧٨.

وتحريك الستة على الشيعة تحت شعار نصره التسنن... في نفس الوقت الذي هو موالٍ لأئمة الكفر الغربيين واليهود.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين، تعادينا في الله... قلنا صدق الله وقالوا كذب الله... قاتل أبو سفيان رسول الله ﷺ وقاتل معاوية بن أبي سفيان علياً بن أبي طالب عليه السلام وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليه السلام والسفياني يقاتل القائم عليه السلام»^(١).

وعنه عليه السلام قال:

«كأنّي بالسفياني - أو بصاحب السفياني - قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فنأدى مناديه: من جاء برأس (من) شيعة علي فله ألف درهم! أما إن إمارتكم يومئذٍ إلّا لأولاد البغايا...».

وفي حديث آخر:

«وتقبل خيل السفياني في طلب خراسان، فيقتلون شيعة آل محمد بالكوفة، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي».

وهذا الحقد القابع في قلب السفياني أمر طبيعي أن يبرز ويظهر في أفعاله وهو الذي يخرج لقتال الإمام المهدي عليه السلام ليوقف زحفه باتجاه بيت المقدس، وهو الذي يحمل ثقافة العالم الغربي واليهود أعداء الدين والإنسانية.

ومما يدل على ولائه للغربيين أن جماعته بعد هزيمته وهزيمة اليهود وقتله، يهربون إلى الروم ثم يسترجعهم أصحاب المهدي عليه السلام ويقتلونهم.

وهذا هو قضاء الله وحكمه في كل من يريد الوقوف في وجه الرسالة في زمن الإمام المهدي عليه السلام المؤيد بنصر الله وقوته وعزته.

زمان خروجه وملكه:

روى الشيخ الطوسي عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني، في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد...»^(١).

وروى الشيخ الصدوق عن زمان خروج السفياني حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن أمر السفياني من المحتوم وخروجه في رجب...»^(٢).

وهذا يعني أن خروجه يكون قبل ظهور المهدي عليه السلام بنحو تسعة أشهر، لأنه عليه السلام يظهر في مكة في ليلة العاشر أو يوم العاشر من محرم في تلك السنة. ويعني أيضاً أن سيطرة السفياني على بلاد الشام تتم قبل ظهور المهدي عليه السلام الأمر الذي يمكنه من إرسال جيشه إلى العراق ثم إلى الحجاز للقضاء بزعمه على أنصار المهدي وحركته.

وعن مدة خروجه روى المجلسي في البحار عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«السفياني من المحتوم وخروجه من أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً»^(٣).

والمراد من الكور كما في حديث هشام بن سالم حيث ذكر له الإمام عليه السلام الكور الخمس بزعم هشام هي: دمشق وفلسطين والأردن وحمص وحلب^(٤).

وعن مكان خروجه روى الشيخ الصدوق عن أبي منصور البجلي، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن اسم السفياني فقال:

(١) النبية، الطوسي، ص ٢٧١.

(٢) إكمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٦٥٠.

(٣) البحار، المجلسي، ج ٥٢، ص ٢٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٥٢.

«وما تصنع باسمه، إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين، فتوقعوا الفرج قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا. ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً»^(١).

فهذه الرواية وبضميمة الرواية المنقولة عن الإمام عليه السلام والتي فيها أن السفيناني يخرج من الوادي اليابس يتبين لنا أن مكان خروج السفيناني هو الوادي اليابس الواقع في الكور الخمس.

وروى النعماني عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في حديث طويل يقول:

«لا بدّ لبني فلان - يعني بني العباس - من أن يملكوا، فإذا ملكوا ثم اختلفوا تفرّق ملكهم وتشتت أمرهم، حتى يخرج عليهم الخراساني والسفّيناني، هذا من المشرق وهذا من المغرب، يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان هذا من هنا، وهذا من هنا، حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما. أما أنهم لا يبقون منهم أحداً... خروج السفّيناني واليماني والخراساني في سنة واحدة. في شهر واحد، نظام كنظام الخرز، يتبع بعضه بعضاً...»^(٢).

وروى عنه أيضاً أنه قال:

«لا بدّ أن يملك بنو العباس. فإذا ملكوا واختلفوا وتشتت أمرهم، خرج عليهم الخراساني والسفّيناني، هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان، هذا من ههنا وهذا من ههنا، حتى يكون هلاكهم على أيدينا، أما إنهما لا يبقون منهم أحداً أبداً»^(٣).

(١) إكمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٦٥١.

(٢) الغيبة، النعماني، ص ١٣٥ - ١٣٧.

(٣) المصدر نفسه.

تفصيل حركة السفيناني:

تقع أهم الأحداث التي تواكب حركة السفيناني في بلاد الشام التي تكون المحور الأساس للمعارك التي يخوضها ضد خصومه، حيث تدل بعض الأحاديث على أن الشيعة في منطقة الشام لا يكونون هم العدو الأساسي للسفيناني عند خروجه، بل جماعة الأبقع والأصهب الذين هم أعداء للشيعة والسفيناني معاً.

فمن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«فتلك الستة فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب الشام، يختلفون على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفيناني»^(١).

ولعل أهم الأخبار التي تتحدث عن الصراع بين السفيناني وخصومه من الذين لا يوالون الإمام المهدي عليه السلام، خبران:

الأول: ما نقله الشيخ الطوسي عن عمار بن ياسر أنه قال:

«إن دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان، ولها إمارات... إلى أن قال: ويظهر ثلاثة نفر بالشام كلهم يطلب الملك: رجل أبقع ورجل أصهب ورجل من أهل بيت أبي سفيان، يخرج من كلب، ويحضر الناس بدمشق ويخرج أهل المغرب إلى مصر. فإذا دخلوا فتلك إمارة السفيناني. ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد، وتنزل الترك الحيرة، وتنزل الروم فلسطين. ويسبق عبد الله عبد الله حتى يلتقي جنودهما بقرقيسيا على النهر ويكون قتال عظيم. ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء. ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة السفيناني. فيسبق اليماني، ويحوز السفيناني ما جمعوا. ثم

يسير إلى الكوفة فيقتل أهوان آل محمد ﷺ ويقتل رجلاً من مسميهم. ثم يخرج المهدي على لوائه شبيب بن صالح.

وإذا رأى أهل الشام قد اجتمع أمرها على ابن أبي سفيان، فالحقوا بمكة. فعند ذلك تقتل النفس الزكية، وأخوه بمكة ضبيعة، فينادي مناد من السماء: أيها الناس أميركم فلان. وذلك هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(١).

الثاني: ما أخرجه النعماني بسنده إلى جابر الجعفي عن الإمام الباقر ﷺ في حديث طويل يقول فيه:

«يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات، راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفيناني. فيلتقي السفيناني بالأبقع فيقتتلون. فيقتله السفيناني ومن يتبعه، ويقتل الأصهب. ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق...»^(٢).

فعلى ما يظهر من هذه الروايات وجود صراع على السلطة بين هؤلاء الثلاثة: الأبقع - أي المبتقع الوجه - وهو صاحب السلطة في بلاد الشام، أو صاحب ثورة ما، والأصهب - أي الأصفر الوجه - الذي ينافس ويثور عليه في خارج الدولة، فلا يستطيع أحدهما أن ينتصر على الآخر، فيستغل السفيناني هذه الفرصة ويقوم بثورته من الخارج وينتصر عليهما وكما يبدو من الروايات أن الأصهب والأبقع معاديان للإسلام، ومواليان لأعدائه من القوى الكافرة.

وفي حديث لرسول الله ﷺ يصف فيه هذه الفتنة التي تقع في الشام يقول فيه:

«تكون قبل المهدي فتنة تحصر الناس حصراً، فلا تسبوا أهل الشام، بل ظلمتهم فإن الأبدال منهم، وسيرسل الله سيياً من السماء فيفرقهم

(١) الغيبة، النعماني، ص ٢٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ١٤٩.

حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم. ثم يبعث الله المهدي في إثني عشر ألفاً أن قتلوا، وخمسة عشر ألفاً إن كثروا، وعلامتهم أَمِتْ أَمِتْ، على ثلاث رايات، يقاتلهم أهل سبع رايات، ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك، ثم يظهر المهدي فيردُّ إلى المسلمين إلفتهم ونعمتهم^(١).

هناك إذن وفقاً لهذه الرواية وغيرها في الكثير من الروايات فتنة تصيب أهل الشام، تكون قبل خروج السفيناني، وتذكر الأحاديث بأنها طويلة ومدتها إثنتا عشرة سنة، أو ثمانين سنة، ثم يكون قتال شديد بين ثلاث رايات لأصحاب الإمام المهدي عليه السلام شعارها «يا منصور أَمِتْ أَمِتْ» وسبع رايات هم أتباع لسبعة زعماء متفقيين على قتال الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه، ولكنهم غير متفقيين فيما بينهم، لأن كل واحد منهم يطمع بالملك والرياسة. وهذا لا يمنع أن يكون رئيسهم جميعاً السفيناني.

ووفقاً لما تقدّم في زمن خروج السفيناني أنه يقوم بمعادلة تثبيت سلطانه في الفترة الأولى لخروجه، ثم يبدأ بالغزو وخوض المعارك في العراق والحجاز ضد الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره، ثم يتراجع عن العراق والحجاز ليبدأ مرحلة الدفاع أمام زحف جيش المهدي عليه السلام ممّا يبقى في يده من بلاد الشام، وعن القدس.

وتكون أكبر معارك السفيناني على الإطلاق هي معركة فتح فلسطين التي تكون مع الإمام المهدي عليه السلام، ويكون وراء السفيناني فيها اليهود والروم، وتنتهي بهزيمته وفتله، وانتصار الإمام المهدي عليه السلام أرواحنا فداء، وفتح فلسطين ودخوله القدس.

ونظراً لما لحركة السفيناني من الأحداث التي تنجم عن خروجه، ووقوفه في مواجهة الإمام المهدي عليه السلام. نرى أنه من المناسب الإسهاب في الحديث عن

حركته وما يجري فيها من أحداث وتطورات . ونحن إذ نفصل في هذا الأمر مقتبسين كل ما فيه مما ذكره سماحة الشيخ علي الكوراني في كتابه عصر الظهور، حيث أجاد في الحديث عن هذه الحركة الخبيثة لواحد من أكبر أعداء الإمام المهدي عليه السلام ^(١).

ومن الواضح وجود تسلسل في هذه الأحداث التي ترافق خروج السفيناني بدءاً من ظهوره إلى يوم قتله على يد جيش الإمام المهدي عليه السلام، وهذا التسلسل في الأحداث نستعرضه في الأمور التالية:

معركة قرقيسيا الكبرى:

تبدأ حركة السفيناني كما في الروايات من خارج منطقة دمشق وذلك بعد سيطرته الكاملة على منطقة الشام . من مكان اسمه حوران أو درعا على الحدود السورية الأردنية، وقد سُمّت الروايات منطقة خروجه بالوادي اليابس والأسود .
عن الإمام علي عليه السلام قال:

«يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجذري، إذا رأته حسبته أعور . اسمه عثمان وأبو عنيسة (عُيَيْنَة) وهو من ولد أبي سفينان . . . حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها» ^(٢).

ويسيطر السفيناني على المنطقة سيطرة تامة، ويتغلب على جميع خصومه (جماعة الأبقع والأصهب . . .).

وكما في الحديث:

«فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه» ^(٣).

(١) راجع عصر الظهور، الشيخ علي الكوراني، فصل بلاد الشام وحركة السفيناني، ص ٩١.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

ثم يبدأ بعد ذلك مهمته الخارجية، فيعدُّ جيشه الكبير لمواجهة الإيرانيين الممّهدين على اعتبار أن ظهور أصحاب الرايات السود الإيرانيين يكون قبل ظهور السفيناني بمدة. وتكون قواتهم قبل حركته في بلاد الشام، ويظهر قائدهم السيد الخراساني وقائد قواته شعيب بن صالح مقارناً لخروج السفيناني، وذكرت بعض الروايات أنهما يظهران قبله بأكثر من خمس سنوات.

أما السفيناني فيكون همّة الأساسي ما جاء في هذا الحديث:

«فلا يكون له هِمة إلا الإقبال نحو العراق، ويمرُّ جيشه بقرقيسيا فيقتلون بها، فيقتل من الجبارين مائة ألف...»^(١).

وهذه المعركة تحصل أثناء توجه السفيناني إلى العراق مقصده الأساس للسيطرة عليه ومقاومة زحف الإيرانيين - أصحاب الرايات السود - ولكن تعترضه معركة قرقيسيا في الطريق إلى العراق بسبب حادث غريب وهو ظهور «كنز» في مجرى نهر الفرات أو عند مجراه، حيث تحاول عدة أطراف السيطرة عليه، وتنشب الحرب هناك فيقتل منهم أكثر من مائة ألف، ثم لا ينتصر طرف منهم نصراً حاسماً، ولا يسيطر أحد منهم على الكنز.

وقرقيسيا هي مدينة صغيرة عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات، وهي اليوم أطلال قرب مدينة دير الزور السورية. فهي قريبة من الحدود السورية العراقية، وقريبة نسبياً من الحدود السورية التركية.

ومن الأحاديث التي تشير إلى هذه المعركة ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنَّ لله مائدة (وفي رواية مآذبة) بقرقيسيا، يطلع مطلع من السماء فينادي يا طير السماء ويا سباع الأرض هلموا إلى الشيع من لحوم الجبارين»^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

فكأن هذه المعركة هي حكمة تدبير إلهي لإشغال الظالمين ببعضهم البعض، تمهيداً لإضعافهم في مواجهة جيش الإمام المهدي عليه السلام.

أما الكنز المختلف عليه، فقد وورد ذكره في العديد من الروايات منها:

«ينحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة، فيقتل عليه من كل تسعة سبعة، فإن أدركتموه فلا تقربوه»^(١).

«... الفتنة الرابعة ثمانية عشر عاماً، ثم تنجلي وقد انحسر الفرات عن جبل من ذهب، تنكبُّ عليه الأمة فيقتل من كل تسعة سبعة»^(٢).

أما الطرف المقابل للسفياي في هذه المعركة فأكثر الأحاديث تذكر أنهم الترك. ولكن ما هو المقصود من الترك هنا؟

الأقرب: أن يكونوا الجيش التركي، ولكن توجد مؤشرات عديدة تؤيد احتمال أن يكون المقصود بالترك هنا الروس، أو أنهم يساندون الأتراك في هذه المعركة.

وتبقى القوى المؤيدة للإمام المهدي عليه السلام - اليمانيون والإيرانيون - في هذا الوقت بمنأى عن هذا الصراع حيث لا يتدخلون في حرب قرقيسيا، لأنها حرب بين أعدائهم.

السفياي والعراق:

ذكرنا فيما سبق أن الهدف الأول للسفياي هو احتلال العراق لمواجهة جيش الإمام عليه السلام وكل المؤيدين والداعمين له.

في حين يكون العراق منقسماً على نفسه بين مؤيد للإمام ومؤيد للسفياي.

وتكون عملية دخول السفياي وجيشه إلى العراق مصحوبة بالقتل والتدمير، مستهدفة للشيعية بشكل أساس، حيث يقوم بقتلهم والاعتداء عليهم والفتك بهم.

(١) الفتن، ابن حماد، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) المصدر نفسه.

وفي وصفه لما يجري في أثناء دخول السفيناني إلى العراق يقول الإمام الصادق عليه السلام :

«كأنني بالسفيناني (أو بصاحب السفيناني) قد طرح رحله في رُخْبَتِكُم بالكوفة، فنادى مناديه: من جاء برأس (من) شيعة عليّ فله ألف درهم. فَيُثْبِتُ الجار على جاره ويقول هذا منهم، فيضربُ عُنُقَهُ ويأخذ ألف درهم، أما إن إمارتكم لا تكون يومئذٍ إلا لأولاد البغايا... وكأنني أنظر إلى صاحب البرقع فيحوشكُم فيمرفكُم ولا تعرفونه، فيغمز بكم رجلاً رجلاً... أما إنه لا يكون إلا ابن بغية»^(١).

ومع أن السفيناني يقوم بهذه الأعمال الفظيعة والشنيعه بحق أتباع أهل البيت عليه السلام لكنه لا يستطيع إحكام سيطرته على العراق، حيث لا تمضي أسابيع قليلة على قواته إلا وتصاب بالذعر من خبر وصول قوات الممهديين الخراسانيين واليمانيين الذين يبادرون مسرعين إلى العراق، فتقرر قوات السفيناني الانسحاب أمامهم ولا تخوض معهم إلا معارك جانبية في عدة مواضع تنهزم فيها.

السفيناني والحجاز:

يتحرك السفيناني باتجاه الحجاز لنفس الهدف الذي من أجله سار إلى العراق، فيوجه قواته إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة، وفي الوقت ذاته ينتظر الإمام المهدي عليه السلام تحقيق وعد الله عز وجل ومعجزته الموعودة على لسان النبي عليه السلام وهي الخسف بجيش السفيناني بالبيداء قرب مكة.

ويدخل جيش السفيناني إلى المدينة المنورة بحثاً عن الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره ويرتكب فيها الجرائم، وتذكر الروايات أن الإمام عليه السلام يكون في هذا الوقت في المدينة ثم يخرج منها إلى مكة على سُنّة موسى عليه السلام خائفاً يترقب، ثم يأذن الله تعالى له بالظهور.

وقد ورد ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث رواه جابر الجعفي وفيه يقول:

«... ويبعث السفيناني بعثاً إلى المدينة، فينفر (أي: يخرج) المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفيناني أن المهدي قد خرج إلى مكة فيبعث جيشاً على أثره، فلا بدركه حتى يدخل - الإمام الهدي عليه السلام - مكة خائفاً يترقب، على سنة موسى بن عمران»^(١).

وعن جرائمه ومجازره في المدينة روى حذيفة بن اليمان حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله ذكر فيه فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب وقال:

«فبينما هم كذلك يخرج عليهم السفيناني... فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق، وآخر إلى المدينة...»

ويحلّ الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بليلاتها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل فيقول يا جبرئيل اذهب فأبذهم. فيضربها برجله ضربة يخسف بهم عندها، ولا يفلت منهم إلا رجلاً من جهينة»^(٢).

وهذان الرجلان يذهب واحد منهم إلى الإمام المهدي عليه السلام ليبشّره بهلاك العدو، ورجل يذهب إلى السفيناني ليخبره بمصير جيشه.

وأهم حدث يجري في تلك المرحلة هو الخسف الذي يقع بجيش السفيناني وقد ذكرت المصادر هذا الحدث وتحدثت عن تفاصيله الكثيرة وفقاً لما جاء في الكثير من الروايات منها:

ما ورد عن الإمام علي عليه السلام قال:

«المهدي... يكون مبدؤه من قبل المشرق، فإذا كان ذلك خرج

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٦.

السفياي... ويأتي المدينة بجيش جزار، حتى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف الله به. وذلك قول الله عز وجل: (ولو ترى إذ فرعوا فلا قوتٍ وأخذوا من مكانٍ قريب)»^(١).

وروى أبو حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين والحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليه السلام يقولان: «هو جيش البيداء، يؤخذون من تحت أقدامهم»^(٢).

نهاية السفياي:

بعد هزيمة السفياي على يد جيش الإمام المهدي عليه السلام في الحجاز، يقوم الإمام عليه السلام وبعد تحقق الخسف في البيداء، بإحكام سيطرته على المنطقة ومنها يتوجه إلى العراق، وهناك تتوجه إليه الناس بالبيعة، وفي الرواية.

«تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة. فإذا ظهر المهدي بعثت إليه بالبيعة»^(٣).

وتحدثت الروايات عن معركة أخرى تدور مرة ثانية مع جيش السفياي وفيها يعين الإمام عليه السلام شعيب بن صالح قائد قوات الإيرانيين قائداً عاماً لقواته عليه السلام. وبعدها يتوجه جيش الإمام المهدي عليه السلام ناحية إيران، وتذكر الروايات معركة باب إصطخر، وهي مدينة قديمة في جنوب إيران في منطقة الأهواز. ومن الروايات التي ذكرت هذه المعركة وما قبلها:

عن الإمام علي عليه السلام قال:

«إذا خرجت خيلُ السفياي إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي - لكي يبايعوه - فيلتقي - أي الإمام - هو والهاشمي برايات سود على مقدمته شعيب بن صالح. فيلتقي هو وأصحاب

(١) الغيبة، النعماني، ص ١٦٣.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ١٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٧.

السفياي بباب إصطخر فيكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياي... فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه. وبهذا يبدأ السفياي بالتراجع على أثر الهزيمة التي تتلوها هزيمة أخرى، لينتهي عهده وعمره في المعركة الأخيرة والحاسمة وهي معركة تحرير القدس.

بعد الإنتصارات التي يحققها الإمام المهدي عليه السلام، واتساع قواعده الشعبية، والتفاف الناس من حوله، وتفرقهم عن السفياي، يزحف الإمام عليه السلام بجيشه إلى بلاد الشام حتى يعسكر في «مرج عذراء» في ضاحية من ضواحي دمشق، ويقوم السفياي بإخلاء عاصمته دمشق ويتراجع إلى داخل فلسطين، ويتخذ من «وادي الرملة»^(١) عاصمة أو مقرّاً لقيادته التي ورد أن قوات الروم تنزل فيها.

وفي هذا الوقت ينضم إلى الإمام المهدي عليه السلام أبداً أهل الشام ومؤمنوها، ويلتحق به أناس كثيرون منهم أفراداً في جيش السفياي، والظاهرة المهمة التي ينبغي الوقوف عندها وهي التي تبين ضعف السفياي وتراجعها، اللقاء الذي يحصل بينه وبين الإمام عليه السلام.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«... إن السفياي - إذا بلغه خبر توجه الإمام المهدي عليه السلام إليه من ناحية الكوفة - يتحرك بجيشه حتى يلتقي بجيش الإمام، فيخرج ويقول: أخرجوا إليّ ابن عمي^(٢)؟»

فيخرج الإمام المهدي عليه السلام ويلتقي بالسفياي ويجري بينهما حوار ينتهي إلى مبايعة السفياي للإمام عليه السلام.

ثم ينصرف السفياي إلى أصحابه^(٣) فيقولون له: ما صنعت؟
فيقول: أسلمت وبايعت!

(١) الرملة: بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس.

(٢) وذلك باعتبار أن بني أمية كانوا يعتبرون أنفسهم أولاد عم لبني هاشم، وقد ذكرنا أن السفياي نسبته ينتهي إلى بني أمية.

(٣) وفي رواية: أنه ينصرف على أخواله من قبيلة كلب.

فيقولون: قَبَّحَ الله رأيك، بينما أنت خليفة متبوع صرت تابِعاً؟
فيستقيل السفيناني وينكث البيعة ويستعد لمحاربة الإمام.

وفي الصباح تقع الحرب بين الجيشين ويقتتلون يومهم ذلك ثم إنَّ
الله تعالى ينصر الإمام المهدي وأصحابه عليهم، فيقتلوههم حتى
يفنّوهم^(١).

وفي رواية أخرى:

«إنَّ السفيناني يعتبر ممّا جرى على جيشه المرسل إلى مكّة، وكيف
ابتلعتهم الأرض، فيحاول أن ينقاد للإمام المهدي عليه السلام فيبايع ثم
ينكث البيعة وينقض العهد، ويتمرّد على الإمام ويقاتله. وتدور
معركة طاحنة تمتد محاورها من عكا إلى صور إلى أنطاكية في
الساحل، ومن دمشق إلى طبرية إلى القدس في الداخل... ويشنّد
غضب الله عزّ وجلّ على السفيناني وحلفائه، وتظهر للإمام
المهدي عليه السلام الكثير من المعجزات والكرامات الباهرة، وتنقلب
الأُمور على السفيناني. وعلى كل من يقف خلفه من اليهود والروم
وتنزل بهم الهزيمة. ويتحقّق وعد الله عزّ وجلّ بتحرير القدس على
يد الإمام المهدي عليه السلام من شرّ اليهود. وتكون نهاية السفيناني أن
يقبض عليه أحد جنود الإمام المهدي عليه السلام فيقتلونه عند بحيرة طبرية
أو عند مدخل القدس كما تذكر الروايات، والتي يشير بعضها إلى
أن السفيناني يؤخذ أسيراً فيأمر الإمام عليه السلام به فيذبح على بلاط باب
إيليا»^(٢).

وقد ورد في مقتل السفيناني ونهايته عدة أخبار نذكر منها:

ما رواه المجلسي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

(١) عقد الدرر، السلمي الشافعي، ص ٨٥.

(٢) صحرة عند مدخل مدينة القدس.

«يكون لصاحب هذا الأمر غيبة... إلى أن يقول: لأصحابه سيروا إلى هذه الطاغية، فیدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فيعطيه السفيناني في البيعة سلماً، فيقول له كلب - وهم أخواله - ما هذا؟ ما صنعت؟ واللّه ما نبايعك على هذا أبداً... فيقول: ما أصنع، فيقولون: استقله... فيستقبله.

ثم يقول له القائم ﷺ: خذ حذرک، فإنني أذيت إليك، وأنا مقاتلك، فيصبح، فيقاتلهم. فيمنحه الله أكتافهم. ويأخذ السفيناني أسيراً، فينطلق به يذبحه بيده...»^(١).

ومنها ما رواه صاحب إسعاف الراغبين قال:

«وإن السفيناني يبعث إليه من الشام جيشاً، فيخسف بهم البيداء فلا ينجو منهم إلا المخبر.

فيسير إليه السفيناني بمن معه، ويسير إلى السفيناني بمن معه، فتكون النصره للمهدي، ويذبح السفيناني»^(٢).

وبهذا ينتهي عهد طاغية جبار ظلّ يحارب الدعوة للإسلام مدة تزيد على الخمسة عشر شهراً، قام خلالها بارتكاب أبشع الجرائم، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات.

وهذه هي نهاية كل ظالم وطاغية في آخر الزمان^(٣).

الثانية: اليماني:

وردت الأحاديث حول اليماني في المصادر الشيعية، بل قد يقال بأنها انفردت واختصت به إلى حدّ التواتر.

(١) البحار، ج ١٣، ص ١٨٩.

(٢) راجع المصدر، ص ١٣٩.

(٣) ولمزيد من التفصيل حول السفيناني وما ورد في حركته راجع الموسوعات الحديثة كالبهار ج ٥٢، وإكمال الدين، وعصر الظهور للشيخ علي كوراني، بلاد الشام وحركة السفيناني، وتاريخ الغيبة الكبرى وتاريخ ما بعد الظهور للسيد محمد الصدر.

ومما ذكرته الروايات عن اليماني أنه يظهر في اليمن قبل السفيناني، أو مقارناً له في شهر رجب، وأنه يدعو إلى الحق وتجب إجابة دعوته، وأنه يتوجه إلى العراق وسوريا ويشارك مع الخراساني في قتال السفيناني.

ووصفت هذه الروايات راية اليماني بأنها أهدى الرايات في عصر الظهور على الإطلاق، وتؤكد على وجوب نصرتها مثل تأكيدها على نصرة راية المشرق الإيرانية وأكثر.

أما اسمه وشخصيته فقد ذكرت رواية أن اسمه (حسن) أو (حسين) وأنه من ذرية زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.

وظهور اليماني من العلامات المحتومة - كما تقدم - التي صرحت بها الروايات ومنها ما رواه النعماني عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «للقائم خمس علامات: السفيناني واليماني...»^(١) الحديث.

وروي أيضاً عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«قبل هذا الأمر: السفيناني واليماني والمرواني وشعيب بن صالح: فكيف يقول هذا هذا»^(٢).

وعلق المجلسي صاحب البحار فقال: «أي كيف يقول هذا الذي خرج أني القائم، يعني محمد بن إبراهيم، أو غيره».

والمراد بالمرواني المذكور في الرواية فقد يكون الأبقع (ذكرناه في الحديث عن السفيناني)، أو يكون أصله الخراساني...

وعن زمان خروجه ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«خروج الثلاثة الخراساني والسفيناني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد. وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق»^(٣).

(١) الغيبة، النعماني، ص ١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ١٣٤ والبحار ج ٥٢، ص ٢٣٣.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٢١٠.

وعن هشام بن الحكم أنه لما خرج طالب الحق قيل للإمام الصادق عليه السلام: «أترجو أن يكون هذا اليماني؟ فقال عليه السلام: لا. اليماني يتوالى علياً، وهذا يبرأ منه»^(١).

وعن هشام بن الحكم أيضاً، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «اليماني والسفياني كفرسي رهان»^(٢).

وعن مكان خروجه فقد أشارت الروايات إلى أن ذلك يكون من منطقة اليمن كما في بشارة الإسلام ص ١٨٧:

«ثم يخرج ملك من صنعاء اسمه حسين أو حسن، فيُذْهِبُ بخروجه غَمْرَ الفتن. يظهر مباركاً زاكياً. فيكشف بنوره الظلماء، ويظهر به الحق بعد الخفاء».

وبناء على ما ورد من أن خروج الإمام المهدي عليه السلام يكون من مكة من المسجد الحرام، وخروج اليماني من اليمن، حمل البعض ما جاء في بعض الروايات من أن الإمام المهدي عليه السلام يخرج من اليمن من قرية يقال لها كَرْعَة على أن المقصود به ليس الإمام عليه السلام بل اليماني الذي يبدأ أمره من هذه القرية. لأن الثابت المتواتر والمؤكد أن الإمام المهدي عليه السلام يكون خروجه من مكة وليس من اليمن^(٣).

وأما مدح هذه الراية واعتبارها من أهدى الرايات فقد ورد ذلك في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها:

«خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخَرَز»^(٤) يتبع بعضه بعضاً...

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عصر الظهور، الكوراني، ص ١٤٤.

(٤) الخرز - جمع خرزة على وزن قصب وقصبة -: وهي الحبات المثقوبة، تصنع من الزجاج ونحوه تجعل في الخيط بشكل منظم إحداها تلو الأخرى مباشرة، يصنع منها السبحة والقلادة.

فيكون في البأس من كل وجه، ويلّ لمن ناوهم. وليس في الرايات رايةً أهدى من راية اليماني، هي راية حق لأنه يدعو إلى صاحبكم. فإذا خرج اليماني حَرَمَ بيع السلاح على الناس. وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمُسْلِم أن يلتوي عليه^(١)، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم^(٢).

إلى غير ذلك من الروايات في مختلف المصادر الشيعية، وهي مستفيضة تقريباً.

الثالثة: الخسف بالبيداء:

وهي العلامة الثالثة من العلامات المحتومة التي ذكرتها الروايات والأحاديث الشريفة، وأن الخسف يحصل لجيش السفيناني حين يقصد قتل الإمام المهدي عليه السلام وهو مستجير بمكة.

وتعليقاً على روايات وأحاديث الخسف يقول السيد محمد الصدر:

«... وبذلك نحصل على شيء في بال، وهو انضمام أخبار الخسف المستفيضة إلى أخبار السفيناني، وإن لم تذكر السفيناني بالصراحة. فإذا علمنا أن أخبار السفيناني مستفيضة، كان ضم المستفيض إلى المستفيض منتجاً للتواتر لا محالة»^(٣).

وملخص هذه الحادثة هو أن السفيناني يرسل جيشاً إلى المدينة المنورة لملاحقة الإمام المهدي عليه السلام ومحاربته، فإذا وصل الجيش إلى المدينة يسمع بأن الإمام قد توجه نحو مكة، فيخرج الجيش من المدينة نحو مكة، وعندما يصل إلى وسط الصحراء - بين المدينة ومكة - يخسف الله بهم الأرض، فتبتلعهم جميعاً، ولا ينجو منهم إلا رجلاً.

(١) يلتوي عليه، ويقال: التوى عن الأمر: أي تناقل، وأمال وجهه عنه إعراضاً واستكباراً.

(٢) بشارة الإسلام ص ٩٣ عن غيبة النعماني ص ١٣٥.

(٣) تاريخ ما بعد الظهور، ص ٢٣٩.

وهذه العلامة وهذا الحدث الكبير ليس إلا تأييداً من الله عز وجل للإمام المهدي عليه السلام ولجيّشه حيث تتدخل المعجزة الإلهية لنصرته وتأييده وقتل أعدائه، والانتقام من كل من تسوّّل له نفسه محاربة الإمام عليه السلام.

وفي هذا الشأن وردت عدة أخبار نذكر منها:

قال في اسعاف الراغبين وهو يعدد ما ورد في الروايات من حوادث ظهور الإمام المهدي عليه السلام:

«وأن السفيناني يبعث إليه من الشام جيشاً، فيخسف بهم البيداء فلا ينجو منهم إلا المخبر. فيسير إليه السفيناني بمن معه، ويسير إلى السفيناني بمن معه، فتكون النصره للمهدي، ويذبح السفيناني»^(١).

وروى إلزام الناصب عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث طويل تحدث فيه عن ما بعد ظهور القائم.

«... وسيدنا القائم مسند ظهره إلى الكعبة... ثم يقبل على القائم رجل وجهه إلى قفاه، وقفاه إلى صدره، ويقف بين يديه فيقول: يا سيدي أنا بشير، أمرني ملك من الملائكة أن ألحق بك، وأبشرك بهلاك جيش السفيناني بالبيداء، فيقول له القائم: بين قصتك وقصة أخيك؟

فيقول الرجل: كنت وأخي في جيش السفيناني، وخربنا الدنيا في دمشق إلى الزوراء^(٢) وتركناها جماء^(٣) وخربنا الكوفة وخربنا المدينة، وكسرنا المنبر، ورائت بغالنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخرجنا منها... نريد إخراج البيت وقتل أهله، فلما صرنا في البيداء عرّسنا فيها^(٤) فصاح بنا صائح: يا بيداء أبيدي القوم

(١) راجع، ص ١٣٨.

(٢) الزوراء: بغداد.

(٣) جماء: ملساء.

(٤) عرّس في المكان، أي نزل فيه.

الظالمين، فانفجرت الأرض وبلعت كل الجيش، فوالله ما بقي على وجه الأرض عقاب ناقة فما سواه غيري وغير أخي، فإذا نحن بملك قد ضرب وجوهنا فصارت إلى ورائنا كما ترى، فقال لأخي: ويلك امض إلى الملعون السفيناني بدمشق فأنذر به بظهور المهدي من آل محمد، وعرفه أن الله قد أهلك جيشك بالبيداء. وقال لي: يا بشير إالحق بالمهدي لمكة وبشره بهلاك الظالمين، وثب على يده فإنه يقبل توبتك، فيمر القائم يده^(١) فيرده سوتاً كما كان، ويُبايعه ويكون معه^(٢).

وفي كتاب البرهان في علامات مهدي آخر الزمان أخرج نعيم عن عمرو بن العاص قال:

«علامة خروج المهدي إذا خسف بجيش في البيداء فهو علامة خروج المهدي عليه السلام»^(٣).

وفي سنن ابن ماجه (ج ٢) في أبواب الفتن في باب جيش البيداء، حدثنا هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن أمية بن صفوان بن عبد الله بن صفوان سمع جده عبد الله بن صفوان يقول: أخبرتني حفصة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ليؤمنن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأوسطهم ويتنادى أولهم آخرهم، فيخسف بهم فلا يبقى منهم إلا الشريد الذي يخبر عنهم»^(٤).

وعلق صاحب كتاب منتخب الأثر على روايات الخسف بالقول:
«... وروى ابن ماجه أيضاً في هذا الباب في الخسف حديثاً بسنده

(١) أي: يسحبها

(٢) إلزام الناصب، ج ٢، ص ٢٥٩.

(٣) منتخب الأثر، ص ٤٦٤.

(٤) المصدر نفسه.

عن أم سلمة، والروايات في الخسف وفي السفيناني وما يجري بينه وبين المهدي عليه السلام وقتل النفس الزكية واليماني والصبيحة في كتب الفريقين كثيرة جداً تبلغ حد التواتر^(١).

وعن المكان الذي يقع فيه الخسف روى الصافي الكلبايكاني في منتخب الأثر عن صاحب النهاية أنه قال:

البيداء المفازة التي لا شيء فيها، وقد تكرر ذكرها في الحديث، وهي ههنا اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة وأكثر ما ترد ويراد بها هذه، ومنه الحديث أن قوماً يغزون البيت فإذا نزلوا بالبيداء بعث الله تعالى جبرئيل فيقول يا بيدا أبيدي بهم الأرض فيخسف بهم - أي أهلكهم.

وقال في معجم البلدان (ج ٢ - ص ٣٢٦) البيداء اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة، وهي إلى مكة أقرب^(٢).

الرابعة: النداء من السماء:

وهي التي جاء التعبير عنها في الأحاديث مرة بالنداء وأخرى بالصيحة من السماء، أو الصوت، أو الفرقة، وغيرها من الألفاظ والتعابير التي تشير كما هو واضح إلى مضمون واحد.

والنداء من السماء هو من الآيات البارزة، والمعجزات الباهرة التي يؤيد الله بها الإمام المهدي عليه السلام.

والنداء ليس هو إلا صوت يصدر من السماء، ومعناه واضح، وبصوت جبرئيل عليه السلام، ليعلن للبشرية جمعاء أن الحق في آل محمد عليهم السلام فيشر بظهور المهدي عليه السلام، ويدعو الناس إلى متابعتة، والخضوع لسلطانه، والقتال تحت لوائه ورايته.

(١) منتخب الأثر، ص ٤٦٤.

(٢) المصدر نفسه.

ويكون السبب في هذا الصوت شيء من قبيل المعجزة، لأن سببه صادر من فوق الطبيعة المادية، وهو صوت الملائكة المكرمين.

وورد في بعض الأحاديث التعبير عنه بالصيحة والفرجة، ولا شك بأن المعنى واحد، حيث يراد بهما صوت عظيم يكون في السماء، يوقظ النائم، ويفزع اليقظان، ويخرج الفتاة من خدرها خوفاً وفرحاً. ومن هنا سميت بالفرجة. وهذا النداء ليس المراد به صوت كالرعد، أو الهدية العظيمة بل إنه - كما ذكرنا - صوت جبرئيل إلى كافة الخلق.

والروايات التي تحدّثت عن النداء والصيحة كثيرة نذكر منها:

أخرج الصدوق بإسناده إلى محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في حديث قال فيه:

«ومن علامات خروجه عليه السلام... وصيحة من السماء في شهر رمضان»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«الصيحة في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة، لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»^(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إذا نادى مُنادٍ من السماء أن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس...»^(٣).

وأخرج النعماني عن داود الدجاني عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال:

«سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ

(١) إكمال الدين، ج ٢، ص ٦٥٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الفتن لنسيم بن حماد، ص ٩٢.

بَيْنَهُمْ ﴿ فَقَالَ: اانتظروا الفرج من ثلاث: فقبل يا أمير المؤمنين. وما من؟!... فقال: ... والفرجة في شهر رمضان. فقبل: وما الفرجة في شهر رمضان. فقال: أو ما سمعتم قول الله عز وجل في القرآن: ﴿إِنَّ شَأْنًا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لِمَا خِضِبُونَ﴾ هي آية تخرج الفتاة من خدرها توقظ النائم ويفزع البقطان^(١).

روى عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال:

«يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة فيها ملك ينادي: هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«ينادي منادٍ من السماء باسم القائم عليه السلام فيسمع من بالشرق ومن بالمغرب، ولا يبقى راقداً إلا استيقظ، ولا قائماً إلا قعد، ولا قاعداً إلا قام على رجلبيه، فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب - أي اهتم به والتحق بالإمام المهدي عليه السلام - فإن الصوت الأول هو صوت جبرئيل.

ثم قال عليه السلام: يكون الصوت في شهر رمضان، في ليلة جمعة، في ليلة ثلاث وعشرين، فلا تشكوا في ذلك، واسمعوا وأطيعوا. وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس، ينادي: ألا إن فلاناً قتل مظلوماً ليشتكك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شاكٍ متحيرٍ قد هوى في النار.

إذا سمعتم الصوت في شهر رمضان، فلا تشكوا فيه، إنه صوت جبرئيل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم واسم أبيه حتى تسمعه العذراء في خدرها، فتحرّض أباها وأخاها على الخروج.

(١) الغيبة، النعماني، ص ١٣٣ - ومثله في عقد الدرر، الحديث ١٤٣ من الفصل الثالث.

(٢) نور الأبصار ص ١٥٥، ينابيع المودة، ص ٤٤٧.

ثم قال عليه السلام :

لا بدّ من هذين الصوتين قبل خروج القائم عليه السلام فاتبعوا الصوت الأول وأياكم والأخير أن تفتنوا به^(١).

ولعل من أهم ما دل على وقوع الصيحة من الأخبار، ما ورد في الخطاب الذي أخرجه السفير الرابع عن الإمام المهدي عليه السلام. والذي أعلن فيه المهدي عليه السلام انتهاء السفارة بموت هذا السفير. يقول فيه :

«ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة، فهو كذاب مفتر»^(٢).

ونستخلص من روايات وأحاديث النداء ما يلي :

إن النداء يكون من خلال ملك ينادي على رأس الإمام المهدي عليه السلام بأن هذا هو المهدي فاتبعوه.

أو يكون من خلال ملك ينادي في السماء بأن الإمام المهدي عليه السلام قد خرج فاتبعوه.

وقد صرّحت الروايات بأن الملك الذين ينادي بظهور الإمام عليه السلام هو جبرئيل عليه السلام بصوت يسمعه أهل الأرض، كل قوم بلغتهم فيذهلون له.

وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام عندما قال :

«ينادي منادٍ باسم القائم عليه السلام. فقيل له: خاص أو عام؟

فقال عليه السلام : عام يسمع كل قوم بلسانهم.

فقيل : فمن يخالف القائم عليه السلام وقد نودي باسمه؟

قال عليه السلام : لا يدعهم إبليس حتى ينادي في آخر الليل فيشكك

(١) الغيبة، النعماني، الباب ١٤، ح ١٣، ص ٢٥٤، وعقد الدرر، ص ١٠٥.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٢٩٧.

الناس^(١) وفي المقابل يخرج صوت الباطل المتمثل بإبليس لعنه الله الذي ينادي بنداء يحاول من خلاله فتنة الناس وإيقاع الشك في نفوسهم^٤.

وأما الفترة المتخللة بين النداء والظهور. فهي بناءً على أن النداء يحصل في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان، ولعله هو الشهر الذي يقع فيه الكسوف والخسوف على غير المؤلف - كما سنشير إليه - والروايات التي تحدثت عن يوم الظهور - كما سيأتي - أشارت إلى أنه يحصل في مساء اليوم العاشر من محرم الحرام، الذي يلي شهر رمضان.

وبهذا يتعين أن تكون الفترة الفاصلة بين النداء والظهور ثلاثة أشهر قمرية تقريباً.

وذكر السيد الأمين في الأعيان بأن هذا النداء يكون بحسب ما يستفاد من الأخبار والروايات أربع مرات:

المرة الأولى: في رجب (روى) النعماني والطوسي في غيبتيهما بأسانيدهما عن الحميري وغيره عن الرضا عليه السلام في حديث لا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل بطانة ووليعة وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي يبكي عليها أهل السماء وأهل الأرض كأنني بهم أسر ما يكونون قد نودوا نداء أسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين ينادون في رجب ثلاثة أصوات من السماء، صوتاً منها ألا لعنة الله على الظالمين والصوت الثاني أزفت الأزفة يا معشر المؤمنين والصوت الثالث يرون بدنًا بارزاً نحو عين الشمس هذا أمير المؤمنين قد ذكر في هلاك الظالمين (وفي رواية الحميري) والصوت بدن يرى في قرن الشمس يقول: إن الله بعث فلاناً، فاسمعوا له وأطيعوا فعند ذلك يأتي الناس الفرج وتود الناس لو كانوا أحياء ويشفي الله صدور قوم مؤمنين.

المرة الثانية: النداء بعد مبايعة بين الركن والمقام كما مر في الأمر السادس وهذا يكون في شهر رمضان من ليلة ثلاث وعشرين في ليلة جمعة ينادي جبرئيل من السماء باسم القائم أو اسم أبيه أن فلان ابن فلان هو الإمام (وفي رواية) أيها الناس إن أميركم فلان وذلك هو المهدي (وروي) باسمه واسم أبيه وأمه بصوت يسمعه من المشرق والمغرب وأهل الأرض كلهم، كل قوم بلسانهم، اسمه اسم نبي حتى تسمعه العذراء في خدرها فتحرض أباها وأخاها على الخروج، ولا يبقى راقد إلا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجله فزعا من ذلك، وروي الفرعة في شهر رمضان آية تخرج الفتاة من خدرها وتوقظ النائم وتفرغ اليقظان وفي رواية صبيحة في شهر رمضان تفرغ اليقظان وتوقظ النائم وتخرج الفتاة من خدرها وقال الباقر عليه السلام الصبيحة لا تكون إلا في شهر رمضان وفي صبيحة جبرئيل وروي ينادي أن الأمر لفلان بن فلان فقيم القتال (أو) فيم القتل (أو) فيم القتل والقتال صاحبكم فلان ولا يبعد أن يكون هذا نداء آخر كالذي يأتي بعده (تفسير علي بن إبراهيم) بسنده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: (ولو ترى إذ فرعوا) قال من الصوت وذلك الصوت من السماء (الحديث).

المرة الثالثة: النداء باسم القائم يا فلان ابن فلان قم، رواه النعماني بسنده عن الصادق عليه السلام والظاهر أنه غير النداءين السابقين.

المرة الرابعة: نداء جبرئيل ونداء إبليس (وروي) أنه ينادي جبرئيل من السماء أول النهار ألا إن الحق مع علي وشيعته ثم ينادي إبليس من الأرض في آخر النهار ألا أن الحق مع فلان (رجل من بني أمية) وشيعته (وروي) ألا أن الحق في السفيناني وشيعته فعند ذلك يرتاب المبتطلون كما نادى إبليس برسول الله ﷺ ليلة العقبة (وروي) هما صبيحتان صبيحة في أول الليل ونداء في النهار (وقال) الباقر عليه السلام لا بد من هذين الصوتين قبل خروج القائم، صوت جبرئيل من السماء

وصوت إبليس من الأرض، فاتبعوا الأول وإياكم والأخير أن تفتنوا به (وفي رواية) بعد ذكر العلامات فإن أشكل عليكم هذا فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره (وعن) الصادق عليه السلام أشهد أنني قد سمعت أبي عليه السلام يقول والله إن ذلك (يعني النداء باسم القائم) في كتاب الله عز وجل لبين حيث يقول (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) فلا يبقى يومئذ في الأرض أحد إلا خضع وزلت رقبته لها (إلى أن قال) فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء ثم ينادي (الحديث) (وفي رواية) إذا سمعوا الصوت أصبحوا وكأنما على رؤوسهم الطير (وسأل) زرارة الصادق عليه السلام فقال النداء خاص أو عام قال عام يسمعه كل قوم بلسانهم فقال فمن يخالف القائم وقد نودي باسمه فقال لا يدعهم إبليس حتى ينادي فيشكك الناس (وسأله أيضاً) فقال فمن يعرف الصادق من الكاذب فقال يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا ويقولون أنه يكون قبل أن يكون ويعلمون أنهم هم المحقون الصادقون (وسأله) هشام بن سالم فقال وكيف تعرف هذه من هذه أي الصيحتان فقال يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون^(١).

الخامسة: قتل النفس الزكية:

وقد ورد ذكره في مصادر الشيعة إلى درجة بلغت حد التواتر، وتعد هذه العلامة من المحتومات الخمس.

فمن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«... وقُتل غلام من آل محمد عليه السلام بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن: النفس الزكية... فعند ذلك خروج قائمنا»^(٢).

(١) أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٩٢.

وعن أبي محبوب عن الشمالي قال :

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: إن خروج السفيناني من الأمر المحتوم، قال لي: نعم واختلاف ولد العباس من المحتوم وقتل النفس الزكية من المحتوم وخروج القائم عليه السلام من المحتوم»^(١).

والأحاديث فيه من مصادر السنة قليلة ولكنها عديدة، وقد ورد في بعضها أنه حسني وفي أكثرها أنه حسيني وأن اسمه محمد بن الحسن وأن ابني عمه أخ وأخت اسماهما محمد وفاطمة، يفرون من جيش السفيناني من العراق ويدخلون المدينة، فيقبض الظالمون على ابن عمه وأخته ويقتلونهما ويطلبونهما في المدينة المنورة. ويفرّ هو إلى مكة فيقتلونه ظلماً وعدواناً بغير ذنب في الخامس والعشرين من ذي الحجة الحرام في المسجد الحرام بين الركن والمقام، وليس بين قتله وظهور المهدي عليه السلام إلا خمسة عشرة ليلة.

هذا باختصار مجريات أحداث قضية قتل النفس الزكية، ولكن من هو صاحب النفس الزكية، وما حكايته مع الإمام المهدي عليه السلام؟

ورد في الأحاديث التعبير عنه بـ«غلام» فيمكن أن يكون في أوائل شبابه.

ويراد بالنفس الزكية: النفس الكاملة الطيبة، من زكا إذا نما وطاب. ويراد بالنمو في منطق الإسلام التكامل بالعلم والإخلاص والتضحية. ويمكن أن يراد من الكمال أحد معنيين.

الأول: ما هو مطلوب إسلامياً من الفرد المسلم من قوة الإيمان والإرادة والاندفاع والتضحية. ومعه يكون المراد من النفس الزكية شخصاً من المخلصين الممّحّصين في الغيبة الكبرى، وأنه يقتل نتيجة للفتن والانحراف.

الثاني: أن يكون المراد من الكمال: البراءة من القتل. فيكون مساوياً لقوله

عز وجل: ﴿أَفَنَتَّكَ نَفْسًا زَكِيَّةً يَغْيِرُ نَفْسٍ لَّغَدًا جِثَّتْ شَيْئًا نُّكْرًا﴾^(١)، ولعل التعبير بالنفس الزكية في القرآن يوحي تماماً بأن المراد من الأخبار نفس ذاك المعنى، وهو البراءة من القتل.

غير أن الذي يقرب المعنى الأول، ويكون قرينة عليه، هو أن المنساق والمتبادر في كل واحدة من الروايات - التي سنذكرها -: إن المراد بالنفس الزكية رجل معين يكتسب مقتله أهمية خاصة، ولا شك أن هذا منسجم مع المعنى الأول. لأن مقتل الرجل المخلص الممخص، لا يكون - عادة - إلا على صعيد عالٍ من مستويات العمل الإسلامي، فيكون ملفتاً للنظر، على حين ينبغي أن تكون العلامة مما يعرف - عادة - بين الناس، وإلا سقطت فائدة دلالتها على الظهور^(٢).

وأما ما يجري معه من أحداث وكيفية قتله فقد لخصها السيد الصدر:

بأن الإمام المهدي عليه السلام مع خاصة أصحابه حين يهربون من وجه جيش السفيناني المبعوث ضدهم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، يصبح من الواجب على أهل مكة نصرته، بحسب تكليفهم في نصرة المؤمنين المظلومين ضد الظالمين ممن كان على شاكلة السفيناني.

ولكن لن يكون لأهل مكة استعداد للنصرة، إما لأجل اختلاف مذهبهم عن مذهب الإمام المهدي عليه السلام في الإسلام، وإما لأجل خوفهم من سطوة السفيناني وسلطاته. وحسبنا أن نعرف أن السفيناني يدخل الحجاز من دون مقاومة عسكرية، لمدى الخوف الذي يزرعه في النفوس.

ومن هنا يحافظ أهل مكة على مصالحهم الخاصة وينكمشون ضد المهدي عليه السلام... أعني: بعنوانه المعلن وإن جهلوا حقيقته.

ويعلم الإمام المهدي عليه السلام بعدم استعدادهم لنصرته. فيقول لخاصته: يا

(١) سورة الكهف، الآية ٧٤.

(٢) تاريخ الغيبة الكبرى، الصدر، ص ٥٠٤ - ٥٠٥.

قوم، إنَّ أهل مكة لا يريدونني. ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم، بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم.

ويكون هذا الاحتجاج إتماماً للحجة عليهم، ومواجهة صريحة لهم بالموقف حتى لا يبقى منهم غافل أو معاقل.

ومن هنا يفكر الإمام المهدي عليه السلام بأن يرسل شخصاً من قبله إلى أهل مكة يقوم بهذا الاحتجاج. فيدعو بعض أصحابه، وهو من الهاشميين ومن المخلصين الممحصين... ويحمّله رسالة شفوية معينة، ويأمره بأن يخطب بها في المسجد الحرام بين الركن والمقام.

وما أن يسمع أهل مكة هذه الخطبة، حتى يجتمعون عليه ويقتلون بين الركن والمقام قرب الكعبة المشرفة في بيت الله الحرام. ولعلمهم يقطعون رأسه ويرسلونه إلى الشام، إلى السفيناني، ليكون لهم الزلفى لديه... وسوف لن يكون بين مقتله وبين الظهور أكثر من خمسة عشر ليلة^(١).

وأما الأخبار والروايات التي ذكرت مقتل النفس الزكية فهي كثيرة، وقد رواها النعماني في الغيبة والمفيد في الإرشاد والشيخ في الغيبة والصدوق في إكمال الدين والمجلسي في البحار وغيرهم... ومنها:

عن الإمام الباقر عليه السلام يقول القائم عليه السلام لأصحابه:

«يا قوم إنَّ أهل مكة لا يريدونني، ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم فيدعوا رجلاً من أصحابه فيقول له امض إلى أهل مكة فقل: يا أهل مكة: أنا رسول فلان - يقصد الإمام نفسه - إليكم وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين.

وإنَّا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا، وابتزُّ مِنَّا حقُّنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا.

فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في حديث عن المهدي عليه السلام يقول فيه:

«ويستأذن الله في ظهوره: فيطلع على ذلك بعض مواليه. فيأتي الحسين فيخبره الخبر، فيبتدر الحسين إلى الخروج، فيشب عليه أهل مكة، فيقتلونه، ويبعثون برأسه إلى الشام، فيظهر عند ذلك صاحب الأمر...»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٨.

الفصل الثاني

العلامات الحتمية التي لها علاقة بالإمام المهدي عليه السلام وبقيام الساعة

- ★ الدجال وكيفية ظهوره
- ★ خروج ياجوج وماجوج
- ★ الرايات السود من المشرق (الخراساني)
- ★ الكسوف والخسوف في غير وقتها
- ★ طلوع الشمس من مغربها
- ★ خروج السيد الحسني
- ★ موت خليفة في الحجاز
- ★ ظهور الفساد والمنكرات
- ★ نزول المطر الشديد
- ★ خلع العرب أعنتها
- ★ كف تطلع من السماء
- ★ الشيخ المفيد وعلامات الظهور

العلامات الحتمية التي لها علاقة بالإمام المهدي ﷺ وبقيام الساعة

هناك علامات وإن لم تذكر مع العلامات الخمس مجتمعة إلا أنها مما تواترت وتضافرت الروايات المستفيضة في الحديث عن حتميتها ووقوعها كواحدة من العلامات المحتومة التي لا بد أن تقع في عصر الظهور، وارتبط حدوثها بقيام الساعة، بحيث أن دلالتها تقع في سياق علامات الظهور وكذلك علامات قيام الساعة.

ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ :

«إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: الدُّخَانُ وَالذَّجَالُ وَالِدَّابَّةُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَفَتْحُ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ، وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ»^(١).

فمن أهم وأبرز هذه العلامات:

الدجال وكيفية ظهوره:

وهو صاحب آخر الفتن التي ستحل بالمسلمين الذين تصيبهم مجموعة من الفتن لتمتصهم وتغربلهم، ليتبين أهل الإيمان من أهل الكفر والنفاق.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ٥٣١، ص ٢٠٢.

عن رسول الله ﷺ قال :

«تكون أربع فتن: الأولى يستحل فيها الدم، والثانية يستحل فيها الفرج، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفرج، والرابعة الدجال»^(١).

وعنه عليه السلام قال :

«الملاحم خمس مضى منها اثنتان وبقي ثلاث، فأولاهن ملحمة الترك بالجزيرة وملحمة الأعماق وملحمة الدجال ليس بعدها ملحمة»^(٢).

وشدّد النبي ﷺ على المسلمين بأن يتعوّذوا من الدجال وفتنته كما يتعوّذون من إبليس وأضاليه، فعنه عليه السلام أنه قال :

«إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوّد من أربع، من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شرّ المسيح الدجال»^(٣).

وعنه أيضاً عليه السلام قال :

«تعوّدوا باللّه من جهنّم، تعوّدوا باللّه من عذاب القبر، تعوّدوا من فتنة المسيح الدجال، تعوّدوا باللّه من فتنة المحيا والممات»^(٤).

وملخص ما ورد في سيرته في الأحاديث الشريفة هو أن الدجال الأعور من علامات الساعة، وأنه مولود وموجود منذ عهد رسول الله ﷺ فإنه يستعمل عجائب السحر فيغري أتباعه، ويضلّهم ويدّعي الربوبية، وأنّ المهدي والمسيح عليه السلام يقانلانه، وتتضمّن أحاديثه غرائب غير مألوفة تحيط بشخصيته وحرّكته وأفعاله. وأقوى الاحتمالات في أمره أن يكون شخصاً حقيقياً يستغلّ التطوّر الذي تصل إليه العلوم الطبيعية في ظل الدولة الإسلامية بقيادة الإمام

(١) الفتن، ابن حماد، ص ٨، وص ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢ و ١٤١ و ١٤٢.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٧، ح ٤٥٢.

المهدي عليه السلام في أساليب من السحر، كما يستغل ردة الفعل السلبية للرفاهية الشاملة التي يعيشها الناس، فيغري أتباعه بالمحرّمات والإباحية ويلبس عليهم بالسحر والشعوذة. وعلى هذا فإن الطابع الأسطوري الذي تتصف به أحاديثه يكون لها أساس من الصحة، وإن أضاف عليها بعض الرواة.

ويليه في القوة أن يكون الدجال هو الشيطان إبليس الذي طلب من الله تعالى أن ينظره إلى يوم يبعثون فأجابه عز وجل: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ (٢٧) لَأَن يَوْمَ الْوَعْدِ أَكْمَلُومٍ وقد ورد أن قتله في يوم الوقت المعلوم يكون على يد المهدي عليه السلام.

ويوجد احتمال آخر، أن يكون الدجال نفس السفيناني وقد وقع التضخيم في أوصافه وأحاديثه، وقد ذكرت بعض الروايات أن السفيناني يبدو أعور وليس بأعور... ولكن يبقى هذا الاحتمال ضعيفاً لأن أكثر الصفات الواردة في الدجال لا تنطبق على السفيناني. ومنها ادّعاء الربوبية وعجائب السحر.

واحتمال آخر، أن يكون الأعور الدجال أو الدجال تعبيراً مجازياً عن إغراء الحضارة المادية والكاذبة المزيفة، أو إغراء الدنيا ورفاهيتها الكاذبة. وهو أيضاً ضعيف لصراحة الأحاديث بأنه شخص حقيقي من نوع خاص يقود حركة عسكرية إضلالية في آخر الزمان.

وينبغي التحرز في بحث أحاديث الدجال من أمرين أحدهما: أن غالبية أحاديثه تقريباً عن كعب الأحبار.

والثاني: أن من عقائد اليهود أن مسيحهم المنتظر يقتل الدجال^(١).

صفات الدجال:

وردت صفات الدجال في الروايات بأوصاف تكشف عن قبحه الخارجي فضلاً عن نفسه وروحه الخبيثة التي تحمل كل العداء للدين، والشروع والآثام التي يرتكبها بحق البشرية والإنسانية.

قال رسول الله ﷺ :

«إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال، رجل قصير أفجع^(١)، جمعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجرا^(٢)، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»^(٣).

وعنه عليه السلام قال في أوصافه أيضاً :

«الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»^(٤).

«إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء، وتعوذوا بالله من عذاب القبر»^(٥).

«الدجال أعور عين الشمال، بين جنبه مكتوب كافر، وعلى عينه ظفرة غليظة...»^(٦).

ويمكن أن نختصر صفاته بما يلي :

- ١ - أنه أعور العين اليسرى.
- ٢ - أعور العين اليمنى كأن عينه عنب طائفة.
- ٣ - أنه أعور ذو حدقة جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في جنب جدار. وعلى أي حال فهو أعور سواء كانت عينه اليمنى أم اليسرى.
- ٤ - أنه هيجان أزهر، أي أبيض فيه حمرة.
- ٥ - عريض الجبهة، مشرف الجيد.

(١) أفجع: متباعد ما بين الرجلين، والتفجع والفرشخة مترادفان.

(٢) العين الناتئة: الباردة، والحجرا: الغائرة في المحجر.

(٣) الفتن، ابن حماد، ص ١٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٥) مجمع أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ٣٩٦، ص ٢٨.

(٦) الفتن، ابن حماد، ص ١٤٦.

٦ - جفال الشعر، أي شعره كثيف ملتف .

٧ - أنه بلاء وامتحان للمؤمنين .

أورد النووي في شرح صحيح مسلم:

«إنه شخص ابتلى الله به عباده وأقדרه على أشياء من مقدورات الله سبحانه»^(١) .

قال ابن تيمية :

«وتظهر على يده بعض الآيات كإنزال المطر وغيره حتى يكون فتنة لمن رآه ولكن الله تعالى يكشف زيفه للمؤمنين الأخيار، ويؤمن به الشُّج والبسطاء ممن أظلمت نفوسهم»^(٢) .

٨ - إن الأنبياء جميعاً قد حذروا منه . عن النبي ﷺ قال : «ما من نبي إلا وقد أُنذر أُمته الأعور الدجال ألا وإنه أعور... مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن»^(٣) .

وعنه ﷺ :

«إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد وصف الدجال أُمته...»^(٤) .

٩ - أنه عقيم لا يُولد له .

عن النبي ﷺ قال :

«الدجال لا يُولد له، ولا يدخل المدينة ولا مكة»^(٥) .

١٠ - أنه كافر :

ورد في البخاري عن أنس :

(١) المصدر السابق، ج ١٨، ص ٥٨ .

(٢) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ج ٢٠، ص ٤٥٧ .

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ٥٥، ح ٣٨٢ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٦ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥، ح ٣٩٤ .

«وأن بين عينيه مكتوب: كافر»^(١).

١١ - أنه يدعي الربوبية.

أخرج ابن ماجة عن رسول الله في صفة الدجال. وفيه يقول:

«إنه يقول: أنا ربكم»^(٢).

١٢ - أنه يقتله المسيح بن مريم عليه السلام عند نزوله:

قال رسول الله ﷺ:

«يخرج الدجال في أمي فيلبث فيهم أربعين. لا أدري أربعين يوماً

أو أربعين سنة أو أربعين ليلة أو أربعين شهراً. فيبعث الله عز وجل

عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي. فيظهر

فيهلكه...»^(٣).

١٣ - أن اليهود يؤمنون به، وينضبونه قائداً أعلى لهم، ويرون أنه المسيح

الموعودون به، ويقولون:

«هذا هو حقاً المسيح الذي طالما انتظرناه. هذا هو الذي يتكلم كتابنا

المقدس عنه ومن الطبيعي أن يؤمن اليهود بالدجال، لأنه يحمل أفكارهم

السامة وأحقادهم الموروثة على الإسلام، وهو سيقوم بخوض المعارك ضد

المسلمين لتحقيق أطماع الصهاينة».

اسمه ولقبه وكنيته:

وردت بعض الأحاديث التي تشير بل تؤكد بأن الدجال لعنه الله قد ولد منذ

عصر النبي ﷺ وأنه يبقى حياً يرزق إلى أن يخرج في آخر الزمان.

وقد اختص برواية هذا الأمر مصادر الستة أكثر من مصادر الشيعة الذين لم

يرووا إلا القليل النادر في أخبار الدجال.

(١) صحيح البخاري، ج ٩، ص ٧٥.

(٢) سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٦٠.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ١١١.

وإذا صح ذلك فلا ينبغي أن يُستهجن حينئذ الاعتقاد بأن الإمام المهدي عليه السلام مولود وحياً يُرزق حتى يأذن الله تعالى بظهوره. هذا مع الفارق بأن الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عليه السلام وولادته لا يقبل الشك عندنا، لأن أحاديثه قطعية متواترة، أما بالنسبة إلى أحاديث الدجال فهناك مجال لمناقشتها.

قال الشيخ الصدوق بعد ذكره لرواية حدث فيها النبي صلى الله عليه وآله أصحابه عن الدجال وفيها^(١):

«... ثم قال صلى الله عليه وآله لأصحابه: أيها الناس ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وقد أُنذر قومه الدجال، وإن الله عز وجل قد أخره إلى يومكم هذا فمهما تشابه عليكم من أمره فإن ربكم ليس بأعور، إنه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل، يخرج ومعه جنة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب، يدخل آفاق الأرض كلها إلا مكة ولابتيها، والمدينة ولابتيها»^(٢).

فعلق الشيخ الصدوق قائلاً:

إن أهل العناد والجحود يصدّقون بمثل هذا الخبر ويروونه في الدجال وغيبته وطول بقائه المدة الطويلة وخروجه في آخر الزمان ولا يصدّقون بأمر القائم عليه السلام وأنه يغيب مدة طويلة، ثم يظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، مع نص النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بعده عليه باسمه وغيبته ونسبه، وإخبارهم بطول غيبته إرادة لإطفاء نور الله عز وجل وإبطالا لأمر ولي الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، وأكثر ما يحتجّون به في دفعهم لأمر الحجة عليه السلام أنهم يقولون: لم نَرِ هذه الأخبار التي تروونها في شأنه ولا نعرفها... فنقول لهم: أتصدّقون على أن الدجال في الغيبة يجوز أن يعمر عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان، وكذلك إبليس اللعين ولا تصدّقون بمثل ذلك لقائم آل محمد عليه السلام مع النصوص الواردة فيه بالغيبة وطول العمر والظهور بعد ذلك

(١) إكمال الدين، ج ٢، ص ٥٢٩.

(٢) لابن المدينة حرتاء، واللاية: الحرة وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها.

للقيام بأمر الله عز وجل وما روي في ذلك من الأخبار التي ذكرتها في هذا الكتاب ومع ما صح عن النبي ﷺ إذ قال :

«كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة مثله حذو النمل بالنمل والقذّة بالقذّة».

وقد كان فيمن مضى من أنبياء الله عز وجل وحججه ﷺ معمرّون...^(١).

وعلى أي الأحوال فقد أشارت أكثر مصادر أهل السنة إلى أن الدجال الذي ولد في زمن رسول الله ﷺ هو «ابن الصائد».

فقد أورد البخاري حديثاً عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله: إن ابن الصائد الدجال، قلت: تحلف بالله، قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ^(٢).

وأورد ابن حماد في الفتن عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«هو ابن صائد الذي ولد بالمدينة»^(٣).

وهذه الأحاديث معارضة بما ورد من أحاديث تشير إلى أن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة، وغيرها من المواصفات التي لا تنطبق على ابن صائد، الذي احتج بنفسه واستنكر هذه التهمة، واغتنم وتأذى من الناس الذين وصفوه بأنه الدجال.

روى أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال: «حججنا فنزلنا تحت شجرة وجاء ابن صائد، فنزل في ناحيتها فقلت: إنا لله، ما صب هذا عليّ، قال: فقال: يا أبا سعيد ما ألقى من الناس وما يقولون لي، يقولون: إني الدجال، أما سمعت رسول الله يقول: قال: قلت: بلى، أو قال: قد ولد لي، وقد خرجت من المدينة وأنا أريد مكة».

(١) كتاب الدين، ج ٢، ص ٥٣٠.

(٢) مجمع أحاديث المهدي ﷺ، ج ٢، ص ١١٧، ح ٤٦٦، نقلاً عن البخاري، ج ٩، ص ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه.

قال أبو سعيد: فكأنني رقت له، فقال: واللّه إن أعلم الناس بمكانه لأنّ، قال: قلت: تنبأ لك سائر اليوم^(١).

وممّا يؤيد هذا الأمر أن الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، بعد ذكره لأحاديث ابن صياد قال:

ومن ذهب إلى أن الدجال غيره يعني ابن صياد، احتجّ بحديث تميم الداري وإسناده أصحّ، مع جواز موافقة صفته صفة الدجال والدجال غيره، كما في (خبر تميم الداري) أنه أشبه الناس بعبد العزّي بن قطن، وليس به. وأمر ابن صياد على ما حكى عنه كان فتنة ابتلى الله بها عباده كما كان أمر العجل في زمن موسى عليه السلام فتنة ابتلاه الله بها، إلّا أن الله عزّ وجلّ عصم منها أمة محمد عليه السلام ووقاهم شرّها، وليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي صلى الله عليه وآله على قول عمر بن الخطاب، ويحتمل أنه عليه السلام كان كالموقوف في بابه، حتى جاء الثبوت من الله عزّ وجلّ أنه غيره، فقال في حديث تميم الداري ما قال...^(٢).

كيفية ظهوره:

تذكر الأحاديث والروايات أن خروج الدجال يكون بعد ظهور القائم عليه السلام وحرّبه في بلاد الروم.

عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«يحكم رجل من بني هاشم في بيت المقدس وتكون هزيمة الروم، وفتح القسطنطينية على يديه ثم يسير إلى رومية فيفتحها ويستخرج كنوزها ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ثم يرجع إلى بيت المقدس فينزلها، ويخرج الدجال في زمانه...»^(٣).

ويسبق خروج الدجال إمارات وعلامات منها: أن يُعنى الناس بكوارث

(١) مجمع أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٢، ص ٢٥، ح ٣٩٤، نقلًا عن مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٨.

(٣) عقد الدرر، ص ٢٤١.

اجتماعية واقتصادية، وشيوع الظلم والجور، وانتشار الفساد. وفتنة كبيرة تصيب الناس ولا ينجو منها إلا القليل.

عن النبي ﷺ قال:

«لأننا لفتنة بكم أخطر عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صُنِعَتْ فِتْنَةٌ منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال»^(١).

ومنها خروج ثلاثين كذاباً، كلهم يدعي النبوة. عن النبي ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، كلهم يزعم أنه نبي قبل يوم القيامة»^(٢).

وغيرها من المشاكل والآفات والمصائب التي تعم. عن النبي ﷺ:

«يكون قبل خروجه سنون خمس جذب، يهلك كل ذي حافر»^(٣).

ووفقاً لهذا كله نكون قد وصلنا إلى حقيقة مفادها أن اسم الدجال غير واضح لدينا لأن الروايات لم تذكر ذلك.

نعم ورد في ألقابه «المسيح» والسبب في ذلك إما لأنه ممسوح العين، أو لأنه يمسح الأرض فيقطعها ويطرفها كلها إلا (مكة) و(المدينة) و(بيت المقدس).

وأما كنيته فإنه يُكنى بأبي (يوسف) و(الرئيس) وقد لقّبه بذلك النصاري، و(أمير السلام! وإله فتى كرست) وقد لقّبه بذلك اليهود، و(الدكتاتور) و(الحاكم الأعلى)^(٤) وغيرها من الكنى والألقاب التي تليق بشرّه وكفره وطغيانه.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي (١)، ج ٢، ص ١٨، ح ٣٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٩ - ٣٤٨.

(٣) مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٣٤٧.

(٤) راجع المسيح الدجال، ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

مكان خروجه:

وقد اختلفت الروايات في مكان خروج الدجال.

ف قيل من خراسان (المشرق).

فعن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام
كأن وجوههم المجأن المطرقة»^(١).

وقيل من أصبهان (أصفهان). وهذا هو الأكثر تواتراً. عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«يخرج الدجال من قبل أصبهان»^(٢).

وعن عمران بن حصين قال:

«يخرج الدجال من قبل أرض يقال لها أصبهان المشرق وهم قوم
وجوههم كالمجان. وهذا وصف للترك المغول»^(٣).

وقيل من المشرق من دون تحديد لأي منطقة من المشرق.

عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«يخرج الدجال من ههنا أو ههنا أو من ههنا، بل يخرج ههنا يعني
المشرق»^(٤).

وكما هو واضح فإن هذه الروايات المتقدمة وإن اختلفت في تحديد المكان

الذي يخرج منه الدجال، إلا أنها تتفق على جهة المشرق. وهكذا كل المناطق
الأخرى التي حدّدت مكان خروجه ومنها:

أنه يخرج من العراق.

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ٥٩، ح ٤١٥.

(٢) معجم أحاديث الإمام، ج ٢، ص ٧٠، ح ٤١٧.

(٣) المصدر نفسه. نقلاً عن كنز العمال، ج ١٤، ص ٣٢٧، ح ٣٨٨٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ح ٤١٨، نقلاً عن كنز العمال، ج ٤، ص ٥٢٨.

فمن النبي ﷺ قال :

«يخرج الدجال من العراق»^(١).

وعن النبي ﷺ قال :

«يخرج الدجال من خلّة بين الشام والعراق».

أتباعه وجنوده:

تشير الروايات التي تتحدث عن اليهود ودورهم في عصر الظهور إلى أن أكثر أتباع الدجال هم من اليهود حيث يكون اعتماده العسكري عليهم، ويضاف إليهم كل المفسدين.

وهذا ليس بالأمر الغريب والمستهجن لأن اليهود كانوا ولا زالوا عبر التاريخ التجسيد الحي لكل مفسدٍ وعابث في الدنيا، وهم الذين يتصدّون دائماً لمحاربة أنبياء الله وقتلهم وتشريدهم وتعذيبهم. وهم السبب في كل فتنة وفساد في الأرض.

عن النبي ﷺ قال :

«الدجال أوّل من يتبعه سبعون ألفاً من اليهود عليهم السجبان»^(٢)
ومعه سحرة اليهود يعملون العجائب ويرونها للناس فيضلّونهم بها»^(٣).

وفي رواية أخرى عنه ﷺ :

«يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيلاسة وثلاثة عشر ألف امرأة»^(٤).

كما ويخرج مع الدجال يهود أمة محمد ﷺ وهم الذين آمنت ألسنتهم ولم

(١) المصدر السابق، ص ٦٢، ح ٤١٩.

(٢) ملابس مصنوعة من الصوف.

(٣) راجع المسيح الدجال، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٤) المصدر نفسه.

تؤمن قلوبهم، واستبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان، وتحينوا الفرص لمقاتلة جيش الإسلام، ومحاربة الدعوة الإسلامية في كل مكان وزمان.

عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«يتبع الدجال من أمني سبعون ألفاً عليهم السيجان»^(١).

وأتباع الدجال ذوو الأطماع، عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«يخرج الدجال فيتبعه ناس يقولون: نحن شهداء أنه كافر، وإنما نتبعه لنأكل من طعامه ونرعى من الشجر، فإذا نزل غَضِبَ الله نزل عليهم جميعاً»^(٢).

وعن عدد أتباعه وجنده، يقول النبي صلى الله عليه وآله:

«كأنني بمقدمة الأعور الدجال ستمائة ألف من العرب يلبسون السيجان ويزيدُ لي تصديقاً ما أرى نعشو منها...»^(٣).

وفي رواية أخرى يقول النبي صلى الله عليه وآله:

«يهبطنُ الدجال حُورٌ وكِرمان في ثمانين ألفاً كأنَّ وجوههم المُجانُ المطرقة يلبسون الطيالة ويتعلون الشعر»^(٤).

والمجان المطرقة تشبيه للوجوه بالتروس المضروبة عند الحداد أو المخططة وكذا انتعال الشعر وردا في صفات المغول.

والحاصل أن أتباع الدجال هم اليهود، وفئة من المسلمين، وأهل الطيالة الخضر وهم أهل الأموال والسمعة والسيطرة الاجتماعية في المجتمع المسلم المنحرف، وأولاد الزنا.

(١) الفتن، ابن حماد، ص ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٢، ص ٦٩، ح ٤٢٦ وح ٤٢٧.

(٤) المصدر نفسه.

حركة الدجال ونهايته:

تشير المصادر التاريخية إلى أن الدجال يتحرك في ثمانين ألفاً - على بعض الروايات -:

كَانَ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانَّ الْمَطْرُقَةَ وَيَلْبَسُونَ الطِّيَالِسَةَ وَيَتَتَعْلَوْنَ الشَّعْرَ، وَقِيلَ إِنَّ مَعَهُ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ الْحَاكَّةِ، أَوْ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمُ السَّيْجَانُ^(١) وَرَوَى أَنْ أَوَّلَ مَنْ يَتَّبِعُهُ النِّسَاءُ وَأَنَّهُ يَتَجَاوَبُ مَعَهُ أَنَسُ فِي قُبُورِهِمْ «لَوْ خَرَجَ الدَّجَالُ لَأَمَنَ بِهِ قَوْمٌ فِي قُبُورِهِمْ»^(٢).

ثم يهبط الدجال في خوز كرمان ثم يتجه صوب البصرة فينزل جبلاً مشرفاً عليها، ثم يتوجه إلى الشام حيث يصل إلى عقبة أفيق ويتابع سيره إلى بيت المقدس ويحاصرها ثم يتوجه إلى الحجاز فتستعصي عليه المدينة المنورة ومكة المكرمة فيعود من المدينة إلى باب لد.

عن النبي ﷺ قال:

«المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها، فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله»^(٣).

وعنه ﷺ قال:

«الدجال لا يبقِي من الأرض شيء إلا وطنه وغَلَبَ عليه إلا مكة والمدينة...»^(٤).

وفي هذه الأثناء يظهر عيسى بن مريم عليه السلام في الشام فيجتمع إليه جند من المسلمين، فيسير بهم مطارداً الدجال بباب لد فيقتله، وقيل يذوب الدجال أمام عيسى عليه السلام، وربما كان الذوبان بمعنى تلاشي أمره، لا الذوبان المادي.

(١) تقدّم معنى تفسير هذه المفردات في الفقرة السابقة.

(٢) كنز العمال، ج ١٤، ص ٦٠٢، ح ٣٩٦٨٩.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٢، ص ٧١، ح ٤٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٧، ح ٤٣٤.

أخرج مسلم في صحيحه حديثاً عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال... إلى أن يقول:

«فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين... فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة...»^(١).

وفي حديث آخر لمسلم قال: قال رسول الله ﷺ:

«يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين... فيبعث الله عيسى بن مريم، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين إثنتين عداوة...»^(٢).

وقد أشارت بعض الروايات إلى أن الذي يقتل الدجال هو الإمام المهدي عليه السلام، فقد أخرج الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام. فهي أرواحنا، فقبل له: يا ابن رسول الله، ومن الأربعة عشر؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والأئمة من ولد الحسين، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبة فيقتل الدجال، ويطهر الأرض من كل جور وظلم»^(٣).

فكيف يمكن الجمع بين الروايات المتعارضة التي يشير بعضها إلى أن الدجال يُقتل على يد المسيح عليه السلام وبعضها الآخر يشير إلى أنه يُقتل على يد الإمام المهدي عليه السلام؟

(١) صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) منتخب الأثر، ص ٤٨٠، نقلاً عن إكمال الدين للصدوق.

وللتوفيق بين الروايات يمكن القول أنه لما كانت القيادة للإمام المهدي عليه السلام فيمكن نسبة القتل إليه حتى ولو قام به المسيح عليه السلام .
 وورد أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام :

« أن القائم عليه السلام سوف «يظفروا الله بالدجال فيصلبه على كنانة الكوفة»^(١) .

فهل يتناقض هذا مع قتله في باب لد أو عقبة أفيق؟
 وذلك وفقاً لما أخرجه الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في حديث طويل :

« ... يقتله الله عز وجل بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق، لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلي عيسى بن مريم خلفه ... »^(٢)

إنه في الواقع لا يتناقض، لأنه يمكن قتله هنا وحمله إلى الكوفة مقتولاً لصلبه^(٣) .

وبهذا تكون نهاية هذا المجرم الظالم على يد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ورافع لواء الحق والعدل في آخر الزمان، ومبيد الظلمة والكفرة الإمام المهدي عليه السلام بعد أن يُمعن في القتل والتدمير، ويدّعي لنفسه مقام الألوهية والربوبية، ويبيح المحرمات . كما ذكر وحديث عن ذلك الإمام الصادق عليه السلام حيث قال وهو يصف أفعال هذا الخبيث :

« فيبيح الزنا واللواط وسائر المناهي حتى يباشر الرجال والنساء والغلمان في أطراف الشوارع عُراة وعلاتية ويفرط أصحابه في أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وارتكاب أنواع الفسق والفجور ويسخر

(١) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) إكمال الدين، الصدوق، باب حديث الدجال وما يتصل به من أمر القائم .

(٣) راجع المهدي المنتظر بين الدين والفكر البشري، ص ١٧١ - ١٧٢ .

أفاق الأرض إلا (مكة) و(المدينة) ومرآقد الأئمة عليهم السلام ، فإذا بلغ في طغيانه وملأ الأرض من جوره وجور أعوانه يقتله من يصلي خلفه عيسى بن مريم... (١).

وهذه هي أيضاً نهاية كل طاغية وكل جبار يحاول التمرد على إرادة الله عز وجل.

خروج يأجوج ومأجوج:

من هم؟

ورد ذكر يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم في سياق الحديث عن قصة ذي القرنين في قوله تعالى:

(حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً * قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً...) (٢).

يحدثنا القرآن الكريم عن ذي القرنين بأنه من الذين أعطاهم الله سبحانه وتعالى قدرات عالية وعلماً وكل ما يستطيع من خلاله التوصل إلى التغلب على الأعداء فاستعمل ذو القرنين كل ذلك في سبيل الخير وصالح الأعمال، فذهب إلى مغرب الشمس ثم إلى المشرق، ثم رجع إلى بلاد ثالثة قيل إنها تقع شرقي البحر الأسود وبين السدين - أي جبلين - ولقي هناك قوماً طلبوا منه أن يبنّي لهم سداً يمنع عنهم يأجوج ومأجوج، فقد كانوا يغزون أرضهم، ويسومونهم سوء العذاب قتلاً وسيّاً ونهباً.

واختلفت الروايات في وصف يأجوج ومأجوج، فروي أنهم من الترك ومن ولد يافث ابن نوح كانوا يفسدون في الأرض فضرّب السد دونهم. وروي أنهم من غير ولد آدم، وفي عدة من الروايات أنهم قوم ولود لا يموت الواحد منهم

(١) منتخب الأثر، ص ٤٨٠.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٩٣ - ٩٤.

من ذكر أو أنثى حتى يولد له ألف من الأولاد وأنهم أكثر عدداً من سائر البشر حتى عذّوا في بعض الروايات تسعة أضعاف البشر، وروي أنهم من الشدة والبأس بحيث لا يمرون ببهيمة أو سبع أو إنسان إلا افترسوه وأكلوه ولا على زرع أو شجر إلا رعوه ولا على ماء نهر إلا شربوه ونشفوه إلى غير ذلك من الروايات التي تحكي أوصافهم العجيبة والغريبة^(١).

وأما فيما يتعلق بدورهم في حركة الظهور أو الأعمال التي يقومون بها، فقد أشارت الروايات إلى أن خروجهم يكون سابقاً على الظهور، بحيث أن هؤلاء وبعد أن بنى ذو القرنين السد الذي كان سبباً لنجاة الناس منهم، وبقوا وراء السد... فإنهم يخرجون إلى العالم مرة أخرى ويتجدّد فسادهم. ويذوق البشر منهم الأمرين.

وهناك بعض الأخبار والروايات التي أشارت إلى أن خروج يأجوج ومأجوج إنما يكون بعد الظهور. إلا أن السيد الصدر لم يوافق على ذلك وعارضه بالقول: ولعل أهم ما يدل على ذلك - أي خروجهم قبل الظهور - ما دلّ من الأخبار على خوف المسلمين من فتح يأجوج ومأجوج... وهي دالة بوضوح على تحصن المسلمين منهم وعجزهم عن قتالهم وسحبهم لمواشيهم معهم وهذا الخوف إنما يمكن تحقيقه قبل تأسيس الدولة العالمية، بل قبل ظهور المهدي عليه السلام أساساً، إذ لا معنى للخوف بعد الظهور، حين يكون النصر محرزاً والأمن مستتباً... إذن فيتعين أن يكون انتشار يأجوج ومأجوج الموجب للخوف والتحرز بين المسلمين، سابقاً على الظهور حين لا يكون للمسلمين قوة عليا وهيمنة^(٢).

ورد في سنن ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال:

«يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، فيخرجون، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ

(١) راجع التفصيل تفسير الميزان، الطباطبائي، ج ١٣، سورة الكهف البحث الروائي، ص ٣٥٤، وتفسير الكاشف، الشيخ مغنية، ج ٥، ص ١٥٨.

(٢) تاريخ ما بعد الظهور، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ^(١)، فيعيشون الأرض وينحاز عنهم المسلمون، حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، حتى أنهم يمزون بالنهر فيشربونه، حتى ما يذرون فيه شيئاً. فيمر آخرهم على أثرهم، فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء. ويظهرون على الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولنتازلن أهل السماء. حتى أن أحدهم ليهز حرثه إلى السماء فترجع مخضبة بالدم. فيقولون: قد قتلنا أهل السماء.

فبينما هم كذلك إذ بعث الله دود الجراد^(٢)، فتأخذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد، يركب بعضهم بعضاً. فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً. فيقولون: من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى. فيناديهم: ألا أبشروا، فقد هلك عدوكم. فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم. فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر عليها^(٣)، كأحسن ما شكرت من نيات أصابته قط^(٤).

وأخرج مسلم والبخاري في الصحيحين بالإسناد عن زينب بنت جحش قالت: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استيقظ من نومه وهو يقول:

«لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍ قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه. وعقد سفيان بيده عشرة.

قلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث^(٥).

وأخرج أبو داود بإسناده عن حذيفة الغفاري في حديث قال فيه:

(١) النغف: يفتح الغين، قطعة الجلد التي تتخذ حزاماً شبه بها الدود الذي يبعث على يأجوج ومأجوج.

(٢) شكرت الدابة: بكسر الكاف، شكراً: سنت وكثر لبنها.

(٣) سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٦٣، وراجع الفتن، ابن حماد، ص ١٦٤.

(٤) صحيح البخاري، ج ٨، ص ٧٦، وصحيح مسلم، ج ٨، ص ٢٦٥.

فقال رسول الله ﷺ :

«لن تكون أو لن تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات: ...
وعذ منها: خروج يأجوج ومأجوج»^(١).

هلاك يأجوج ومأجوج:

من خلال الإطلاع على أخبار يأجوج ومأجوج يمكن للمحقق والمدقق فيها أن يشعر أنها تتحدث عن أساطير وخرافات لا علاقة لها بالواقع، وليس لها أساس من الصحة.

لكن النظر الصحيح للأمور يعطينا ويرشدنا إلى أن الروايات التي تحدثت عن مثل «فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوية بالدم» «ويقولون: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم أو لتنازلن أهل السماء». كلها تشير إلى معاني رمزية لها دلالاتها وتفسيراتها التي لا يمكن معرفتها إلا في وقت خروجهم.

ولكن هذه الروايات أشارت إلى نهاية طغيان هؤلاء القوم وإزالة جبروتهم ومنها:

عن رسول الله ﷺ في حديث طويل قال:

«... ثم إن عيسى عليه السلام يرفع يديه إلى السماء فيرفع المؤمنون معه، فيدعو الله عز وجل ويؤمن المؤمنون، فيبعث تعالى عليهم دوداً يُقال له الثَّقَفُ، فيدخل من مناخرهم، حتى يدخل في الدماغ، فيصبحون أمواتاً، قال: فيبعث الله عز وجل عليهم مطراً وإبلاً أربعين صباحاً فيغرقهم في البحر ويرجع عيسى إلى بيت المقدس، والمؤمنون معه»^(٢).

(١) سنن أبي داود، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٢) مجمع أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٢، ص ١٤٥ - ١٤٦، ح ٤٨٧.

وهذا النص صريح بأن هلاكهم يكون بدعاء نبي الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فيستجيب الله هذا الدعاء وبه تكون نهاية هؤلاء القوم.
وعنه عليه السلام قال:

«إذا قتل عيسى الدجال ومن معه، مكث الناس حتى يُكسر سدُ يأجوج ومأجوج، فيموجون في الأرض ويُفسدون، لا يمرُّون بشيءٍ إلا أفسدوه وأهلكوه، ولا يمرُّون بماءٍ ولا عين ولا نهر إلا نزفوه... فيستغيث الناس برَّبِّهم لهلاك يأجوج ومأجوج فلا يُستجاب لهم. وأهل طور سينا هم الذين فتح الله على أيديهم القسطنطينية، فيدعون ربَّهم، فيبعث الله لهم دابةً ذات قوائم أربعين فتدخل في آذانهم فيصبحوا موتى أجمعين، فتتنقُّ الأرض منهم فيؤذي الناس تنهم أشد عليهم منه إذ كانوا أحياء، فيستغيثون بالله فيبعث الله ريحاً ثمانية غبراً، فتصير على الناس عمماً ودُخاناً شديداً وتقع على المؤمنين الرُّكمة. فيستغيثون برَّبِّهم ويدعو أهل طور سينا، فيكشف الله ما بهم بعد ثلاثة أيام، وقد قُذِفَت يأجوج ومأجوج في البحر»^(١).

الرايات السود من المشرق (الخراساني):

من العلامات الهامة والحتمية التي ورد ذكرها في سياق علامات الظهور أحاديث وروايات جاءت بالفاظ متعدِّدة عن النبي صلى الله عليه وآله وكلها تشير إلى رايات سوداء لقوم من المشرق - إيران - يخرجون لنصرة الإمام المهدي عليه السلام ومؤازرته في قتال أعداء الدين.

والحديث الذي ورد في هذا المجال بصيغ مختلفة حديث متواتر رُوِيَ عن عددٍ من الصحابة ويطرق متعددة بحيث يُعلم بذلك أن هذا المضمون قد صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فضلاً عن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ويمكن لنا من خلال مراقبة مضمون الحديث اعتباره من معجزات النبي ﷺ التي أنبأ وأخبر بها عن قضايا غيبية ستحدث في المستقبل، وما سيجري من ظلم وأذى على أهل بيته عليه السلام من بعده، وأن الله سبحانه وتعالى سيهيئ في هذه الدنيا قوماً يأخذون بأمرهم يأتون من المشرق ويمهّدون الأرض لقيام دولة الإمام المهدي عليه السلام، ويسلمون راياتهم له، فتعلمو بذلك كلمة الله، كلمة الحق والعدل، وتملا الأرض قسطاً وعدلاً.

وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه الأحاديث التي تحدّثت عن أهل خراسان وراياتهم السوداء المشرقة.

حدّث محمد بن فضيل وعبد الله بن إدريس وجريز، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ جاء فتية من بني هاشم، فتغيّر لونه، فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه، فقال ﷺ:

«إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي هؤلاء سيقتلون (سيلقون) بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً، حتى يأتي قومٌ من ههنا، من نحو المشرق، أصحاب رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، مرتين أو ثلاثاً، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوها» (هـ) حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج، فإنه المهدي»^(١).

وهذا الحديث وردت مقدّمته بلفظ آخر:

عن عبد الله بن مسعود قال: أتينا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشراً يُعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيءٍ إلّا أخبرنا به، ولا سكتنا إلّا ابتدأنا، حتى مرّت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين عليه السلام فلما رأهم

الزمهم وانهملت عيناه، فقلنا يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه، فقال عليه السلام: الحديث... (١).

روى ثوبان عن رسول الله عليه السلام أنه قال:

«إذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسان فاستقبلوها مشياً على أقدامكم، لأن فيها خليفة الله المهدي» (٢).

وروي هذا الحديث بلفظ آخر وفيه: «... ولو حبواً على الثلج...». وقد علّق صاحب فيض القدير في الجزء الأول من الصفحة ٣٦٣ في ذكره للحديث فقال:

«قال ابن كثير ليست هي الرايات التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية، بل رايات تأتي صحبة المهدي» (٣).

وعن عبد الله بن عمر، ولم يسنده إلى النبي عليه السلام قال:

«يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق، لو استقبلته الجبال. أي اعترضت طريقه. لهدمها واتخذ فيها طُرْقاً» (٤).

وعن الحكم بن نافع، عن جراح، عن أرطاة قال: - ولم يسنده إلى النبي عليه السلام -:

«... ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهدي، ثم يبعث السفيناني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد حتى يرد بهم الكوفة، ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين ويبعث السفيناني في طلبهما، فإذا بلغ المهدي ومنصور مكة نزل جيش السفيناني البيداء

(١) أورد هذا الحديث الحاكم في المستدرک، ج ٤، ص ٤٦٤ وص ٥٥٣، وابن ماجة في سننه ص ٩٣ وابن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٤ و ٨٥، والشافعي في عقد الدرر حديث ١٦٢ و ١٦٤، ص ١٢٤.

(٢) الفتن، ابن حماد، ص ٨٤، وعقد الدرر، الشافعي السلمي، ص ١٢٥، باب ٥، البحار، ج ٥١، ص ٨٢، باب ١.

(٣) راجع معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٣٩٢.

(٤) منتخب الأثر، ص ١٩٩، فصل ٢، باب ٨، ح ٤.

فيخسف بهم، ثم يخرج المهدي حتى يُمرَّ فيستنقذ من كان فيها من بني هاشم.

وَتُقْبَلُ الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ من فيها من بني هاشم. ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم الْمُصَبُّ ليس معهم سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة فيدركون أصحاب السفيناني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي^(١).

روى عامر أبو الطفيل أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال له:

«يا عامر! إذا سمعت الرايات السود مقبلة من خراسان فكنت في صندوق مقفل عليك فاكسر ذلك القفل، وذلك الصندوق حتى تقتل تحتها فإن لم تستطع فتدحرج، حتى تقتل تحتها»^(٢).

روى الحسن بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ذكر بلاء يلقاه أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء من نصرها نصره الله، ومن خذلها خذله الله حتى يأتوا رجلاً اسمه كاسمي، فيؤليه (فيؤلونه) أمرهم، فيؤلده الله وينصره»^(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدي»^(٤).

وفي مدحه لأهل المشرق - إيران - روى أبو هريرة أنه قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولينا استبدلوا بنا ثم

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ١، ص ٤٠٠، ح ٢٦٠.

(٢) كنز العمال، ح ٦، ص ٦٨.

(٣) عقد الدرر، ص ١٣٠، باب ٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٥، باب ٥.

لم يكونوا أمثالنا؟ قال وكان سلمان بجانب رسول الله ﷺ، قال: فضرب رسول الله ﷺ فخذ سلمان وقال:

«هذا وأصحابه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجل من فارس»^(١).

وقال رسول الله ﷺ:

«تجيء الرايات السود من قبل المشرق كأنّ قلوبهم رُزِقَ الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبواً على الثلج»^(٢).

وفي مدحه لقادة الرايات السوداء روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«يخرج بالري رجل ربعة أسمر، مولى لبني تميم، كوسج يقال له شعيب بن صالح، في أربعة آلاف ثيابهم بيض وراياتهم سود، يكون على مقدمة المهدي، لا يلقاه أحدٌ إلا فله (قتله)»^(٣).

وعنه ﷺ قال:

«يخرج على لواء المهدي غلامٌ حديث السن، خفيف اللحية، أصفر، لو قاتل الجبال لهرّأها حتى ينزل إليها»^(٤).

وعنه ﷺ قال:

«إذا بلغ السفيناني الكوفة وقتل أعوان آل محمد خرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح»^(٥).

وذكرت الروايات تفاصيل ما يحصل من معارك بين الخراساني وشعيب بن صالح في مواجهة السفيناني، وانفردت رواية واحدة بذكر هزيمة الخراساني

(١) صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٣٨٤، باب ٤٨، ح ٣٢٦١.

(٢) عقد الدرر، الشافعي السلمي، ص ١٢٩، باب ٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٠، باب ٥.

(٤) الفتن، ابن حماد، ص ٨٥.

(٥) منتخب الأثر، ص ٣١٩، فصل ٢، باب ٤٩، ح ٦.

وشعيب في معركتهم ضد السفيناني قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، فيتوجهان بعدها إلى بيت المقدس بانتظار خروج الإمام عليه السلام ولتوطئة الأرض لخروجه عليه السلام.

عن شريح بن عبيد وراشد بن مسعود وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا:

«بيعت السفيناني خيله وجنوده، فيبلغُ عامة الشرق من أرض خراسان وأرض فارس فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم، ويكون بينهم وقعات في غير موضع، فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلاً من بني هاشم، وهم يومئذ في آخر الشرق فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من بني تميم، مولى لهم، أصفر، قليل اللحية، يخرج إليه في خمسة آلاف إذا بلغه خروجه فيبايعه فيصيره على مقدمته، لو استقبله الجبال الرواسي لهدّها، فيلتقي هو وخيل السفيناني فيهزمهم ويقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم تكون الغلبة للسفيناني، ويهرب الهاشمي، ويخرج شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله، إذا بلغه خروجه إلى الشام»^(١).

أما سائر الروايات والأحاديث فإنها ذكرت الانتصارات التي يحققها أصحاب الرايات السود، والتأييد الإلهي الذي يرافق حركتهم ومسيرتهم، وأنهم لا يقاتلهم أحد إلا هزموه، وقد تبين لنا هذا المعنى من خلال ما تقدم من الروايات، ونضيف إليها ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«فبيعت الله عليه (أي على السفيناني) فتى من قبل المشرق يدعوهم إلى أهل بيت النبي، هم أصحاب الرايات السود المستضعفون يُعزّزهم الله ويُنزِل عليهم النصر فلا يقاتلهم أحد إلا هزموه»^(٢).

وعنه أيضاً عليه السلام:

(١) عقد الدرر، ص ١٢٨، باب ٥ نقلاً عن الفتن والملاحم لابن حماد، ص ٨٨.

(٢) الملاحم والفتن، ابن طاووس، ص ١٥٠.

«يخرج شاب من بني هاشم . بكفه اليمنى خال، من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يُقاتِلُ أصحاب السفيناني فيهمهم»^(١).

ما هو المقصود من خراسان وبلاد المشرق:

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٢ - ص ٣٥٠:

«خراسان بلاد واسعة أول حدودها ممّا يلي العراق أذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها ممّا يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منهما إنما هو أطراف حدودها - ثم قال: وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع:

فالربيع الأول: إيران شهر، وهي نيسابور، وقهستان، والطبسان، وهرات، وبوشنج، وباذغيس، وطوس، واسمها طبران.

والربيع الثاني: مرو الشاهجان، وسرخس، ونسا، وأبيورد، ومرد الروذ، والطالقان، وخوارزم، وآمل، وهما على نهر جيحون.

والربيع الثالث: وهو غربي النهر بينه وبين النهر ثمانية فراسخ...

والربيع الرابع: ما وراء النهر: بخارى، والشاش، والطرازبند...

ثم قال الحموي: قال المؤلف: فالصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا إليه أولاً، وإنما ذكر البلاذري هذا لأنّ جميع ما ذكره من البلاد كان مضموماً إلى والي خراسان، وكان اسم خراسان يجمعها... فيدل كلام الحموي على أن ولاية خراسان كانت تشتمل في زمن البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ. أكثر من النصف الجنوبي الشرقي لإيران الحالية ابتداء من مدينة إيران شهر القريبة من بحر عمان إلى آمل وخوارزم القريبة من بحر قزوين وما بينهما إلى الشرق، وقسماً من أفغانستان، والقسم الإسلامي الذي تحتله روسيا وجمهوريات القزق والقزغيز والأوزبك والتاجيك والتركمان.

وأَنَّهُ قد طرأ عليها تقسيم إداري جديد فأصبحت مساحتها أصغر حيث استثنيت منها بلاد ما وراء النهر وغيرها، وكانت على ذلك في عصر الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ.

وكلا التقسيمين الإداريين الذين ذكرهما البلاذري والحموي تقع فيهما محافظة خراسان الحالية في إيران بعاصمتها القديمة طوس والجديدة مشهد. والذي يهمنا هو أن اسم خراسان في زمن صدور النص من النبي ﷺ، كان مرادفاً عند العرب لاسم بلاد المشرق أو بلاد الشرق ويطلق على منطقة واسعة تشمل إيران الحالية والمناطق الشرقية والشرق جنوبية التي تليها إلى حدود الهند ووبر الصين.

فبالنسبة لمكة المكرمة والجزيرة فإن إيران وما وراءها من المناطق الشرقية هي الشرق وبلاد المشرق.

بل يفهم من استعمال المسلمين في صدر الإسلام أن الأصل في كلمة المشرق أن يقصد بها إيران خاصة.

أما الغربيون فقد اشتهر تسمية المنطقة عندهم بفارس ولم يشتهر عندهم اسم خراسان أو بلاد الشرق. والسبب في ذلك بعدهم عن خراسان أولاً، وأن الشرق والمشرق في الأصل اسم لجهة شروق الشمس، وهو اسم نسبي ومجمل يتحدد بموجب قرائن متعددة من أهمها مكان المتكلم.

بناءً على هذا يصبح من المعقول أن يعبر النبي ﷺ برايات المشرق تارة ورايات خراسان أخرى لأن معناهما العرفي واحد أو متقارب^(١).

الخراساني وشعيب من هما؟ ومتى يظهران؟

لم أجد بعد التتبع في المصادر الإمامية من فسر وأوضح أحاديث رايات المشرق والخراساني وشعيب بن صالح أفضل مما ذكره المحقق الشيخ علي الكوراني في كتابه عصر الظهور والممهدون للمهدي.

(١) الممهدون للمهدي، الشيخ علي الكوراني، ص ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣.

لذا نقتصر في هذا المجال على بعض مما ذكره سماحته حيث يقول متحدثاً عن شخصية الخراساني وشعيب بن صالح:

والأسئلة حول شخصية الخراساني وشعيب متعددة، من أبرزها: هل أن المقصود بـ«الخراساني» في هذه الأحاديث رجل معين، أم هو تعبير عن قائد إيران الذي يكون في زمن ظهور المهدي عليه السلام؟

أما رواياته الواردة في مصادر السنة، وكذا في مصادرنا المتأخرة، فهي تدل بوضوح على أنه رجل من ذرية الإمام الحسن أو الإمام الحسين عليهما السلام، وتسمية الهاشمي الخراساني، وتذكر صفاته البدنية وأنه صبيح الوجه، في خذه الأيمن خال، أو في يده اليمنى خال... الخ.

وأما رواياته الواردة في مصادر الدرجة الأولى عندنا، مثل غيبة النعماني وغيبة الطوسي فهي تحتل تفسيره بصاحب خراسان، أو قائد أهل خراسان أو قائد جيشهم، لأنها تعبّر بـ«الخراساني» فقط، ولا تنص على أنه هاشمي أيضاً. ولكن مجموعة القرائن الموجودة حوله تدل على أنه شخص معين، يكون خروجه مقارناً لخروج السفيناني والبيمانى، وأنه يرسل قواته إلى العراق فتَهْزِمُ قوات السفيناني.

ومنها، هل يمكن أن يكون اسم الخراساني وشعيب اسمين رمزيين لا حقيقيين؟

أما الخراساني فليس فيه مجال للرمزية لأن الروايات لم تذكر اسمه، نعم يمكن القول أن نسبته إلى خراسان لا تعني بالضرورة أن يكون من محافظة خراسان الفعلية، فإن اسم خراسان والنسبة إليها يستعمل في صدر الإسلام بمعنى بلاد المشرق، التي تشمل إيران والمناطق الإسلامية المتصلة بها، فقد يكون هذا الخراساني من أبناء أي منطقة منها، ويصح تسميته الخراساني، كما لا يفهم من مصادر الدرجة الأولى عندنا أنه سيّد حسني أو حسيني، كما تنص على ذلك المصادر عند أخواننا السنة.

وأما شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب، فتذكر الروايات أوصافه، وأنه

شاب أسمر نحيل، خفيف اللحية. وأنه صاحب بصيرة ويقين، وتصميم لا يلين، وأنه رجل حرب من الطراز الأول، لا تُرَدُّ له راية ولو استقبلته الجبال لهذها واتخذ فيها طُرْقاً... ومن المحتمل أن يكون اسمه رمزياً من أجل المحافظة عليه حتى يظهر أمر الله فيه. وأن يكون اسمه واسم أبيه مشابهيْن لشعيب بن صالح، أو بمعناهما.

وتذكر بعض الروايات أنه من أهل سمرقند التي هي الآن تحت الاحتلال الروسي، ولكن أكثر الروايات تذكر أنه من أهل الرّي، وأن له علاقة ببني تميم. وإذا صح ذلك، فيمكن أن يكون أصله من جنوب إيران حيث توجد إلى الآن عشائر من بني تميم. أو من بني تميم الذين استوطنوا من صدر الإسلام في محافظة خراسان، وذاب أكثرهم في الشعب الإيراني، وبقي منهم إلى اليوم بضعة قرى قرب مشهد يتكلمون العربية، أو تكون له علاقة نسبياً بهم.

ومنها، السؤال عن وقت ظهورهما. وقد تقدّم أن المَرّجَح أن يكون في سنة ظهور المهدي عليه السلام. مقارناً لخروج السفيناني واليماني... وإن كان من المحتمل صحة الرواية التي تقول: «يكون بين خروجه (أي شعيب) وبين أن يسلم الأمر للمهدي إثنا وسبعون شهراً».

فيكون ظهورهما قبل ظهور المهدي عليه السلام بنحو ست سنوات. أما المدة الفاصلة بين بداية دولة الممّهدين الإيرانيين على يد رجل من قم، وبين ظهور الخراساني وشعيب، فهي غير محدودة، في الروايات، ما عدا بعض الإشارات والقرائن التي تصلح أن تكون دليلاً على التحديد الإجمالي... منها ما ورد عن قم وما يحدث لها من موقع ديني وفكري عالمي، وأن ذلك يكون «قرب ظهور قائمنا» بحسب ما ذكره المجلسي في البحار (ج ٦٠، ص ٢١٣).

وما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام من قوله: «أما أني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر» (البحار ج ٥٢، ص ٢٤٣)، الذي يدل على أن المدة بين ظهوره عليه السلام وبين قيام دولة أهل المشرق ودخولهم في حرب مع أعدائهم، لا يزيد عن عمر إنسان...

والسؤال الأخير عن الخراساني، هل يكون مرجع تقليد وولي الأمر أم يكون قائداً سياسياً إلى جانب المرجع، كان يكون رئيس جمهورية أو أحد كبار معاوني المرجع القائد مثلاً؟

فالذي يبدو من أحاديثه أنه القائد الأعلى لدولة أهل المشرق، ولكن يبقى احتمال أن يكون قائداً سياسياً بإمرة المرجع والقائد الأعلى، أمراً وارداً والله العالم^(١).

دور الخراساني وشعيب قبل الظهور:

يتحدث سماحة الشيخ الكوراني عن ذلك فيقول^(٢):

وخلاصة دورهما كما يستفاد من مصادر السنة وبعض روايات مصادرتنا، أن الإيرانيين يكونون في حرب مع أعدائهم، وعندما يرون أن الحرب قد طالت عليهم يُؤلّون هذا الخراساني عليهم، ولا يكون هو راغباً في ذلك، ولكنهم يصرون عليه... وعندما يتولى قيادة إيران يوحد قواتها المسلحة، ويعين صاحبه شعيب بن صالح قائداً عاماً لها.

ويدير الخراساني وشعيب الحرب على الحدود الإيرانية التركية العراقية، ويسحبان قواتهما التي تكون في الشام، وفي نفس الوقت يستعدان للزحف الكبير إلى فلسطين والقدس، عبر العراق والشام.

في هذه الأثناء يواجه الخراساني تطورات سياسية وعسكرية على جبهتين: جبهة العراق حيث يزداد نفوذ السفيناني ويتحرك جيشه لاحتلاله، وتعرضه في الطريق معركة قرقيسيا مع (الترك).

وجبهة الحجاز، حيث يظهر المهدي عليه السلام في مكة، ويحررها ويستقر فيها، بينما يكون حكم الحجاز بيد بقايا بني فلان، وقوى القبائل المحلية.

ويبدو من الأحاديث أن فكرة إرسال قوات إيرانية إلى الحجاز لا تكون

(١) عصر الظهور، الكوراني، ص ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٨، ٢٣٩، ٢٤٠.

واردة، إما بسبب الظروف السياسية العالمية والمحلية، وإما لأن المهدي عليه السلام لا يوافق على ذلك، لأنه مأمور أن ينتظر في مكة حتى يقصد إليها جيش السفيناني، فتحدث معجزة الخسف التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وآله وتكون آية للمسلمين.

ولا تذكر الروايات أن الإيرانيين يرسلون قواتهم لمساعدة الإمام المهدي عليه السلام في تحرير المدينة المنورة أو باقي مدن الحجاز، ويبدو أنه لا تكون حاجة إلى ذلك. ولهذا تكتفي قواتهم التي تدخل العراق بإعلان ولايتها وبيعها للمهدي عليه السلام:

«تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة. فإذا ظهر المهدي بعثت إليه بالبيعة»^(١).

ومن جهة أخرى، تذكر الروايات حركة الإيرانيين واحتشادهم في جنوب إيران، التي يحتمل أن تكون زحفاً جماهيرياً باتجاه الحجاز نحو الإمام المهدي عليه السلام.

«إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي»^(٢).

وتذكر بعض الروايات أن هذا الاحتشاد يكون بقيادة الخراساني في «بيضاء إصطخر» قرب الأهواز، وأن الإمام المهدي عليه السلام يتوجه بعد تحريره الحجاز إلى بيضاء إصطخر، ويلتقي بأنصاره الخراساني وجيشه، وأنهم يخوضون بقيادته معركة هناك ضد السفيناني... ومن المحتمل أن تكون هذه المعركة المذكورة مع قوات بحرية من الروم إلى جانب قوات السفيناني... ويؤيده أنها تكون معركة فاصلة تفتح الباب أمام المد الشعبي المؤيد للمهدي عليه السلام.

«إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة في طلب أهل خراسان،

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢٠٧.

(٢) الفتن، ابن حماد، ص ٨٦.

ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي بربايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو والسفياني بباب إصطخر فيكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي فيطلبونه^(١).

ومنذ ذلك الحين، يصبح الخراساني وشعيب بن صالح من أصحاب الإمام المهدي الخاصين «يصبح شعيب القائد العام لجيش الإمام المهدي ﷺ، وتكون قوات الخراسانيين هي الثقل أو ثقلًا في جيش المهدي، الذي يعتمد عليه في تصفية الوضع الداخلي في العراق من المعادين له والخوارج عليه، ثم في قتال الترك (الروس)، ثم في زحفه العظيم لفتح القدس وفلسطين.

الهدف من تحرك الخراساني وشعيب:

إن كل راية تخرج ما قبل عصر الظهور أو تكون مقارنة لخروج الإمام المهدي ﷺ ستعلن وبلا شك موقفها إما المعادي أو المناصر والمؤيد للإمام المهدي ﷺ.

ورايات المشرق التي ستنتقل من خراسان بقيادة السيد الخراساني وشعيب بن صالح تعتبر بالإضافة إلى راية اليماني من أهم الحركات والقوى الداعمة والمساندة بل الممهدة والموطنة لعملية الظهور.

«يخرج ناس من المشرق يوطنون للمهدي سلطانه»^(٢).

«... ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، أي المهدي ﷺ. قتلاهم شهداء»^(٣).

(١) الفتن والملاحم، ابن حماد، ص ٨٦.

(٢) راجع البحار، ج ٥١، ص ٨٣، وج ٥٢، ص ٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه.

«... حتى يأتوا رجلاً اسمه اسمي فيولونه أمرهم فيؤذنه الله»^(١).

وهي وإن كانت تهدف في الأساس من خلال تحريكها نصرة الإمام المهدي عليه السلام ومؤازرته إلا أنها تتجه صوب الجهة الأساس التي تواكب الإمام عليه السلام وهي تطهير الأرض من لوث الصهاينة اليهود وتحرير بيت المقدس من خبيثهم ورجسهم.

«وتخرج من خراسان رايات سود فلا يرُدُّها شيء حتى تُنصَّب في إيلياء»^(٢).

وروى ابن حماد في الفتن ص ٨٤ عن محمد بن الحنفية قال:

«تخرج رايات سود لبني العباس ثم تخرج من خراسان أخرى سود فلانسهم سود وثيابهم على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم، يهزمون أصحاب السفيناني حتى ينزل بيت المقدس يوطئ للمهدي سلطانه، ويُمدُّ إليه ثلاثمائة من الشام. يكون بين خروجه وبين أن يُسَلَّم الأمر إلى المهدي إثنان وسبعون شهراً»^(٣).
ورد حديثاً آخر ونصّه:

«يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته من المشرق، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر، يقتل ويقتل ويتوجّه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتى يموت»^(٤).

وهذه الأحاديث واضحة وصريحة في الإشارة إلى أن تحرك الرايات السود من المشرق يكون هدفها النهائي هو (إيلياء) أي بيت المقدس، بحسب ما أشار إلى ذلك صاحب مجمع البحرين حيث قال:

«إيل بالكسر فالسكون، اسم من أسمائه تعالى، عبراني أو سرياني،

(١) المصدر السابق.

(٢) السنن، الترمذي، ج ٣، ص ٣٦٢.

(٣) الفتن، ابن حماد، ص ٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٦ و ٩٦.

وقولهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بمنزلة عبد الله وتيم الله ونحوهما. وإيل هو البيت المقدس. وقيل بيت الله لأن إيل بالمبرانية الله».

واتفق علماء اللغة على أن (إيلياء) اسم لمدينة القدس.

وتشير الروايات في هذا الإطار إلى النصر العظيم سيتحقق على يد رايات أهل المشرق القادمة من إيران، حيث ستكون تضحياتهم وجهودهم بتحرير القدس من أيدي اليهود. وهذا هو الوعد الإلهي للمسلمين ولعباده الصالحين والمؤمنين.

بين رايات العباسيين ورايات المشرق:

قد يلتبس الأمر على البعض حيث يظهر من روايات أهل المشرق أنها إشارة إلى رايات بني العباس التي خرجت بقيادة أبي مسلم الخراساني، وقد حاول بنو العباس الاستفادة من روايات الرايات السود في تحركهم ضد بني أمية، وإيهام الناس ومحاولة إقناعهم بأن حركتهم ودولتهم وراياتهم قد بشر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصبح عليها الشرعية.

وفي مواجهة ذلك نقول بأن علماء الحديث قد نصوا على أن هذه الرايات الموعودة ليست هي نفس رايات العباسيين، وأن هناك بوناً شاسعاً وفارقاً كبيراً بين رايات بني العباس التي تستهدف الاستيلاء على السلطة وتسلم زمام الأمور حتى ولو كان ذلك على حساب دماء الناس وظلمهم، وهم لا يقلّون شأناً في سفكهم للدماء عن الأمويين.

وبين رايات الحق والهدى التي ستنتقل في آخر الزمان من بلاد المشرق.

وقال ابن كثير في النهاية تعليقاً على هذا الحديث:

«هذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم فاستلب بها دولة بني أمية. بل رايات سود أخرى تأتي صحبة المهدي».

هذا فضلاً عن وجود العديد من الأدلة والبراهين التي تثبت بشكل قاطع

وصريح على وجود فارقٍ أساسي وجوهري بين رايات العباسيين ورايات أهل المشرق بقيادة الخراساني نذكر منها:

أولاً: الحديث الذي يذكر الرايتين ويفرق بينهما.

«تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس، ثم يمكنون ما شاء الله، ثم تخرج رايات سود صفار تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه، ويؤدون الطاعة للمهدي»^(١).

ثانياً: الاختلاف في الهدف من كلا الرايتين.

فقد كان الهدف من قيام وتحرك بني العباس هو الاستيلاء على السلطة في منطقة الشام والتي كانت بيد الأمويين.

أما الهدف من رايات أهل المشرق فهي - كما أشرنا سابقاً - بيت المقدس وتحريره من أيدي اليهود.

ثالثاً: الوقائع والشواهد التاريخية، وكذلك محاولات أئمة أهل البيت عليه السلام لا سيما الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حيث لا يمكن أن يقبل أي عاقل بتطبيق روايات أهل المشرق والرايات السوداء على حفنة من البشر نهبوا وسلبوا واعتدوا وظلموا أهل البيت عليه السلام وهذا ثابت لكل من يراجع التاريخ ليرى المظلومية الكبرى التي تعرض لها أهل البيت عليه السلام نتيجة الممارسة الظالمة للسلطة العباسية.

يُضاف إلى ذلك ما ورد عن الأئمة عليه السلام الذين سعوا بكل الوسائل إلى تكذيب إدعاءات العباسيين وفضح كل مؤامراتهم، حتى كان ذلك بارزاً وصريحاً على لسان الإمام الصادق عليه السلام في جملة من المناظرات بينه وبين خلفاء بني العباس وسلاطينهم.

الكسوف والخسوف في غير وقتهما:

يحصل كسوف الشمس عادة في أواخر الشهر القمري، وخسوف القمر يحدث في أواسط الشهر القمري.

وهذه القضية من القضايا التي اتفق عليها علماء الفلك والنجوم منذ قديم الزمان، ولم يقع أي خلاف في ذلك.

لأن هذا القانون الطبيعي والفلكي لخسوف القمر وكسوف الشمس سوف يتغير في وقت ما ليكون شاهداً ودليلاً على ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وآية ومعجزة من السماء تأييداً له في مسيرته الكبرى.

فماذا سيحصل؟

سيغير القانون الطبيعي في شهر رمضان بعد الصيحة التي تحدث في السماء وفي نفس العام، فتتكسف الشمس في وسط الشهر، وينخسف القمر في آخره على خلاف ما يعتاده الناس، وهو أمر لم يحصل منذ هبوط آدم عليه السلام إلى هذه الدنيا.

ورد في الحديث عن يزيد بن الخليل الأسدي قال: «كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فذكر آيتين تكونان قبل قيام القائم عليه السلام لم تكونا منذ أهبط الله تعالى آدم، وذلك أن الشمس تنكسف في النصف من شهر رمضان والقمر ينخسف في آخره.

فقال له رجل: يابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف.

فقال أبو جعفر:

«إني لأعلم بما تقول ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال :

«آيتان بين يدي هذا الأمر : خسوف القمر لخمس، أي قبل خمسة أيام من نهاية الشهر . وكسوف الشمس لخمس عشرة، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين»^(١).

وعنه عليه السلام قال :

«إن لمهدينا آيتين لم يكونا منذ خلق الله السماوات والأرض : ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه . ولم يكونا منذ خلق الله السماوات والأرض»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال :

«علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاث عشرة وأربع عشرة منه»^(٣).

وهذا التغيير الذي يصيب المنظومة الشمسية والكونية لا شك بأنه يحدث أموراً غريبة وعجيبة سيقف عندها البشر حائرين متسائلين عما يحصل في الكون.

وهو أمر إعجازي يريد الله سبحانه وتعالى من خلاله أن يُظهر لخلقه وعباده ويكشف لهم عن أمرٍ لطالما إنتظره الكثير من الناس طوال الزمن.

أما عن إمكانية ذلك من الناحية العقلية . فهو أمر لا يمكن أن ينكره العقل، ولا يستطيع العلم أن ينفيه وذلك لوقوعه في دائرة الإمكان العلمي.

فالكسوف الشمسي يحصل بسبب توسط القمر بين الشمس والأرض، فتختفي الشمس، ولا فرق في ذلك بين أن يكون القمر مظلاً في آخر الشهر أو أن يكون مضيئاً في وسطه.

(١) إكمال الدين، ج ٢، ص ٦٥٥، والغية للنعماني، ص ٢٧٢.

(٢) الحاوي للفتاوي، ج ٢، ص ١٣٦ نقلاً عن تاريخ ما بعد الظهور، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٣) الغية، النعماني، ص ١٤٥.

كما أن خسوف القمر يحدث لتوسط الأرض بينه وبين الشمس . ولا فرق في ذلك أيضاً بين أن يكون هلالاً في أول الشهر أو آخره ، وبين أن يكون بدرأ في وسطه . غير أن الظل الأرضي إذا صار على القسم المظلم من القمر لم يؤثر فيه شيء ولم يمكن رؤيته . وأما إذا صار هذا الظل على القسم المضيء من القمر ، أي الهلال ، أثر فيه وذهب ببعضه أو بجميعه .

فبحسب التجريد العقلي ممكن وبقدرة الله تعالى ممكن وهو الذي خلق الكون ، وله التصرف فيه كيف يشاء^(١) .

طلوع الشمس من مغربها:

وردت هذه العلامة في كثير من الروايات على أنها من علامات الساعة (القيامة) ، وكذلك وردت على أنها من علامات الظهور ومن الذين أوردوها في سياق علامات الظهور الشيخ المفيد في الإرشاد عند تعداده لعلامات الظهور حيث قال :

قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي عليه السلام وحوادث تكون أمام قيامه ، وآيات ودلالات : فمنها : ... وطلوعها من المغرب^(٢) .

وكذلك الشيخ الطوسي في الغيبة حيث أورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

«عشر علامات لا بد منها ... وعدّ منها : طلوع الشمس من مغربها»^(٣) .

وأيضاً الصدوق في الإكمال ، والمجلسي في البحار وغيرهم ...

وأخرج البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

«لا تقوم الساعة ... حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت

(١) تاريخ الغيبة الكبرى ، ص ٤٧٩ .

(٢) الإرشاد ، المفيد ، ص ٣٦٨ .

(٣) الغيبة ، الطوسي ، ص ٢٦٧ والبحار ، ج ٥٢ ، ص ٢٠٩ ، ح ٤٨ .

ورآها الناس أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن
أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال . . .»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ إنه قال:

«إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، أو خروج الدابة
على الناس ضحى، فأيتها كانت قبل صاحبيتها فالأخرى على أثرها
قريباً»^(٣).

والكلام في كيفية حصول هذه العلامة وقت الظهور، وهل أنه من الممكن
أن يحصل أي إختلال في نظام الكون والمجموعة الشمسية من خلال طلوع
الشمس من مغربها؟

من هنا فسر البعض على أن المقصود من طلوع الشمس من مغربها ليس هو
المعنى الحقيقي بل المراد معنى مجازي، وهو كناية عن ظهوره عليه السلام حيث يظهر
من مكة التي هي سمت المغرب، وهذا المعنى يُستفاد من كلام لأمير
المؤمنين عليه السلام.

ورد عن النزال بن سبرة قال: خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله
وأثنى عليه، ثم قال: سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني - ثلاثاً - فقام إليه
صعصعة بن صوحان، فقال: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال. فتحدث
عندئذ أمير المؤمنين عليه السلام وقال فيما قال:

«يقتله الله عز وجل بالشام . . . على يد من يصلي عيسى المسيح بن
مريم خلفه».

(١) صحيح البخاري، ج ٩، ص ٧٤، نقلًا عن تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٤٩٥.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ٢، ص ٢٠٥ - ٢٠٦، ح ٥٣٢ وح ٥٣٣.

(٣) المصدر نفسه.

وبعد أن انتهى من كلامه قال النزال بن سبرة لصعصعة: ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول؟ فقال صعصعة: يابن سبرة إن الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن علي، وهو الشمس الطالعة من مغربها، يظهر عند الركن والمقام يطهر الأرض، ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحدٌ أحدًا. فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام أن حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليه ألا يخبر بما يكون بعد ذلك غير عترته الأئمة^(١).

فهذا الحديث من أمير المؤمنين عليه السلام ينص بوضوح على أن المراد من طلوع الشمس من مغربها إنما هو المعنى المجازي.

والبعض الآخر لم يقبل هذا التفسير لأن أحاديث طلوع الشمس من مغربها تدل صراحة على أن المقصود هو المعنى الحقيقي للشمس والطلوع.

خروج السيد الحسنی:

وهو الذي يصل إليه وإلى أصحابه نبأ خروج وظهور الإمام المهدي عليه السلام فيخرج معهم لمبايعته.

روى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام هل للمأمور المنتظر المهدي عليه السلام من وقت موقت يعلمه الناس؟ فقال:

«حاش لله أن يوقت ظهوره بوقت يعلمه شيعةنا... إلى أن قال:

ثم يخرج الحسنی الفتی الصبیح الذي نحو الديلم يصبح بصوت له فصيح يا آل أحمد أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح فتجيبه كنوز الله بالطالقان كنوز، وأي كنوزا ليست من فضة ولا ذهب بل هي رجال كزير الحديد على البراذين الشهب بأيديهم الحراب ولم يزل يقتل الظلمة حتى يرد الكوفة وقد صفى أكثر الأرض فيجعلها له مقللاً.

فيتصل به ويأصحابه خبر المهدي عليه السلام ويقولون: يابن رسول الله من هذا الذي قد نزل بساحتنا؟ فيقول: أخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد وهو والله يعلم أنه المهدي وأنه ليعرفه ولم يرد بذلك الأمر إلا ليعرف أصحابه من هو.

فيخرج الحسني فيقول: إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله ﷺ وخاتمه وبردته ودرعه الفاصل وعمامته السحاب وفرسه اليربوع وناقته العضباء وبغلتة الدلدل وحماره اليعفور ونجييه البراق ومصحف أمير المؤمنين عليه السلام؟ فيخرج له ذلك ثم يأخذ الهراوة فيغرسها في الحجر الصلد وتورق ولم يرد ذلك إلا أن يرى أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتى يبايعوه.

فيقول الحسني: الله أكبر مذك يدك يابن رسول الله حتى نبايعك، فيمد يده فيبايعه ويبايعه سائر العسكر الذي مع الحسني إلا أربعين ألفاً أصحاب المصاحف المعروفون بالزيدية فإنهم يقولون ما هذا إلا سحر عظيم.

فيختلط العسكران فيقبل المهدي عليه السلام على الطائفة المنحرفة فيعظهم ويدعوهم ثلاثة أيام فلا يزدادون إلا طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعاً ثم يقول لأصحابه: لا تأخذوا المصاحف ودعوها تكون عليهم حسرة كما بذلوها وغيروها وحرفوها ولم يعملوا بما فيها^(١)...

وتشير المصادر إلى أن مقتل السيد الحسني يكون على يد جيش السفيناني.

نقل السيد الأمين عن الشيخ الطوسي في (الغيبة) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن المهدي عليه السلام حينما يريد الخروج يطلع على ذلك بعض مواليه

فيأتيه الحسنی فيخبره الخبر فيبتدره الحسنی إلى الخروج فيشب عليه أهل مكة فيقتلونهم ويبعثون برأسه إلى الشامي (أي السفيناني) فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر^(١).

موت خليفة في الحجاز:

أشارت الروايات إلى موت خليفة في منطقة الحجاز اسمه (عبد الله) ويحصل بعده اختلاف على الملك، وأحداث داخلية وفراغ سياسي في منطقة الحجاز. ويكون على أثر ذلك ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

روى عمار بن مروان عن أبي بصير، قال:

«سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم ثم قال: إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله ويذهب ملك سنين ويصير ملك الشهور والأيام فقلت: يطول ذلك قال: كلا^(٢).

وروى البزنطي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«إن من علامات الفرج حدثاً يكون بين الحرمين قلت: وأي شيء يكون الحدث؟ فقال: عصبية تكون بين الحرمين، ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً^(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة فيأتي مكة، فيستخرجه الناس من بيته وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليه جيش من الشام، حتى إذا كانوا بالبيداء خُصِف

(١) أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٧٥.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٢١٠، ح ٥٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ح ٥٦.

بهم، فيأتيه عصائب العراق^(١) وأبدال الشام^(٢) فيبايعونه، فيستخرج الكنوز ويقسم المال، ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض^(٣)، يعيش في ذلك سبع سنين، أو قال تسع سنين^(٤).

ظهور الفساد والمنكرات:

وهي من العلامات التي ذكرتها جملة من الروايات منها:

ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث قال فيه: قلت: يا بن رسول الله متى يخرج قائمك؟ قال:

«إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وركب ذوات الفروج السروج، وقُبلت شهادات الزور، وردّت شهادات العدول، واستخفّ الناس بالدماء وارتكاب الزنا وأكل الربا، وأتقى الأشرار مخافة الستتهم، وخروج السفيناني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد عليه السلام بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية، وجاء صبيحة من السماء بأن الحقّ فيه وفي شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا، فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة...»^(٥).

ومنها ما عن صعصعة بن صوحان عندما سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن خروج الدجال فقال عليه السلام:

«... إحفظ فإن علامة ذلك إذا أمارت الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة

(١) المصائب: الجماعات القليلة العدد.

(٢) الأبدال: مؤمنون خاصون يستبدل الله بهم بعض عباده، وسيأتي ذكرهم.

(٣) أي يتمكن الإسلام في الأرض ويستقر.

(٤) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ١، ص ٤٤٢، ح ٣٠٣.

(٥) إكمال الدين، ج ١، ص ٣٣١.

واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيدوا البنيان، وباعوا الدين بالدينيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء، واستخفوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكان الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة^(١)، والقراء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستملن الفجور، وقول البهتان، والإثم والطفیان، وحلبت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطوّلت المنارات، وأكرمت الأشرار، وازدحمت الصفوف واختلفت القلوب، ونقضت العهود، واقترب الموعود، وشارك النساء أزواجهن في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفساق واستمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأتقى الفاجر مخافة شره، وصدق الكاذب، وائتمن الخائن، واتخذت القيان والمعازف^(٢)، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وركب ذوات الفروج السروج، وتشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وشهد الشاهد من غير أن أن يستشهد، وشهد الآخر قضاء لذمام بغير حق عرفه، وتفقّه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف وأمر من الصبر، فعند ذلك ألوحا^(٣)، ثم العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس، وليأتين على الناس زمانٌ يتمنى أحدهم أنه من سكانه^(٤).

نزول المطر الشديد:

ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد في باب ذكر علامات قيام القائم عليه السلام فقال:

«ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحي بها الأرض من بعد

(١) المراد بالعرفاء هنا جمع عريف، وهو العالم بالشيء والذي يعرف أصحابه والقيم بأمر القوم.

(٢) جمع قنية: الإماء المغنيات.

(٣) ألوحا: يعني السرعة السرعة.

(٤) إكمال الدين: الصدوق، ج ٢، ص ٥٢٥ - ٥٢٦.

موتها وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة عن مُعتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون نحوه لنصرته. كما جاءت بذلك الأخبار^(١).

وروى المجلسي عن سعيد بن جبير أنه قال:

«السنة التي يقوم فيها المهدي تمطر أربعاً وعشرين مطرة يرى أثرها وبركتها»^(٢).

وروى مثله الشيخ الطوسي في الغيبة، والشيخ المفيد في الإرشاد.

وأخرج الطبرسي في أعلام الوري عن عبد الكريم الخثعمي عن الإمام الصادق عليه السلام، في حديث عن القائم يقول فيه:

«إذا آن قيامه، مطر الناس في جمادى الآخرة عشرة أيام من رجب مطراً لم ير مثله...»^(٣).

ومما نلاحظه في روايات كثرة المطر أن ذلك يكون خاتمة علامات الظهور في شهر جمادى الآخرة ثم عشرة أيام من رجب.

وهذا يتعارض مع كون آخر العلامات بحسب ما استفاضت به الروايات هو النداء والكسوف والخسوف.

لهذا اعتبر البعض أن عدها من علامات الظهور هو من باب التوسع، فيكون زمن نزول هذا المطر المتواصل في جمادى ورجب بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام وليس قبل ظهوره.

وثانياً: أن هذا المطر ليس من قبيل المعجزة، إلا أن توقيته وكميته، يبدو من سياق الروايات أنها بقصد إعجازي خاص من قبل الباري عز وجل، وحكمة منه تبارك وتعالى لإعلام الناس باقتراب ظهور منقذ البشرية الإمام المهدي عليه السلام،

(١) الإرشاد، ص ٣٧٠.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٢١٢، ح ٦٣.

(٣) أعلام الوري، الطبرسي، ص ٤٣٢.

ليبين الله عز وجل لعباده أن زمن الظهور وعصره هو عصر الخيرات والبركات والإنعاش في الأرض والإنسان والحيوان والنبات.

وبهذا يرتفع إشكال البعض بأن زمن الظهور من علاماته كما جاء في بعض الروايات الجذب وقلة الأمطار.

فإن الروايات لم تحدد البقعة الجغرافية التي سيعمها الخير بنزول المطر، ولا البقعة الجغرافية التي سينزل فيها البلاء كالجفاف والجذب. فقد يكون الخير يعم قوماً ومنطقة دون أخرى، وهكذا البلاء.

إلا أن المستفاد من مجموع الروايات أن نزول المطر والخير سيكون في منطقة الشرق الأوسط - كالحجاز والعراق وغيرها..

خلع العرب أعتتها:

عن يعقوب بن السراج قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام متى فرج شيعتكم؟ فقال عليه السلام:

«إذا اختلف ولد العباس وهى سلطانهم^(١) وطمع فيهم من لم يكن يطمع، وخلعت العرب أعتتها ورفع كل ذي صيصية صيصيته^(٢)، وظهر السفيناني واليماني، وتحرك الحسني، خرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله، قلت: وما تراث رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: سيفه، ودرعه، وعمامته، وبرده، وقضييه، وفرسه، ولامته، وسرجه^(٣)».

ورواه الشيخ المفيد في الإرشاد في باب ذكر علامات قيام القائم:
«... وخلق العرب أعتتها وتملكها البلاد وخروجها عن سلطان المعجم...»^(٤).

(١) يقال: وهى السقاء والقرية والجل: استرخى ونهيا للتحرق.

(٢) الصيصية شوكة الديك وقرن البقر والظباء، وكلما امتنع به، أي أظهر كل ذي قوة قوته.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٢٤٢، ح ١١٢.

(٤) الإرشاد، ص ٣٦٩.

وخلع الأعتة تعبير مجازي إما عن الثورة أو عن الإنحراف عن زمام الدين وأحكامه حلاً، وتصريف الأمور تحت شعارات أخرى لا تمت إلى الدين بصلة. والتعبير بالعرب ربما كان قرينة على ذلك، حيث يمكن أن يدل على أن الثورات تقوم على أساس شعار العروبة لا على أساس الإسلام. وتملكها البلاد، يعني سيطرة أناس من أهل البلاد على الحكم. وخروجها عن سلطان المعجم عبارة عن محاولتها التحرر من الاستعمار والخروج عن سيطرته^(١).

كف تطلع من السماء:

روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«النداء من المحتوم والسفياني من المحتوم واليماني من المحتوم وقتل النفس الزكية من المحتوم وكف تطلع من السماء من المحتوم»^(٢).

وأخرج الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي والحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد عن عبد الله بن عباس قال:

«لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية»^(٣).

وأخرج الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن قال الزهري وقالت أسماء بنت عيسى:

«إن إمارة ذلك اليوم أن كفاً من السماء مدلاة ينظر إليها الناس»^(٤).

وعن الآيات السماوية مما يشابه روايات طلوع الكف من السماء، ورد في الروايات ظهور العديد منها نذكر منها:

عن كثير بن مرة الحضرمي ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله قال:

(١) تاريخ الغيبة الكبرى، الصدر، ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

(٢) الغيبة، النعماني، باب ١٤، ص ٢٥٢.

(٣) عقد الدرر، باب ٤، فصل ٣، ص ١٠٦.

(٤) المصدر نفسه.

«آية الحدّثان في رمضان علامة في السماء بعدها اختلاف في الناس، فإن أدركتها فأكثر من الطعام ما استطعت»^(١).

عن الوليد قال: بلغني عن كعب أنه قال: ولم يسنده إلى النبي ﷺ:
«يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذناب»^(٢).

الشيخ المفيد وعلامات الظهور:

بعد التفصيل الذي قدّمناه في ذكرنا لبعض علامات الظهور والتي تستحق الوقوف عندها مطوّلاً نظراً لما ورد في الأخبار والروايات من التأكيد عليها. نكتفي بذلك لننقل الكلام للشيخ المفيد (رضوان الله عليه) ونذكر ما قاله في مجال تعداده لعلامات الظهور حيث يقول:

قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي عليه السلام وحوادث تكون أمام قيامه، وآيات ودلالات: فمنها:

خروج السفيناني، وقتل الحسيني، واختلاف بني العباس في الملك الدنياوي، وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات، وخسب بالبيداء، وخسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب، وقتل نفس ذكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهدم سور الكوفة، وإقبال رايات سود من قبل خراسان، وخروج اليماني، وظهور المغربي بمصر وتملكه للشامات، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة، وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينمطف حتى يكاد يلتقي طرفاء، وحمرة تظهر في السماء وتنتشر في أفاقها، ونار تظهر بالمشرق طويلاً وتبقى في الجوّ ثلاثة أيام أو سبعة أيام، وخلع العرب أعنتها وتملكها البلاد وخروجها عن سلطان المعجم، وقتل أهل مصر أميرهم، وخراب

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي، ج ١، ص ٢٧١، ح ١٧١ نقلاً عن ابن حماد، ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٢، ح ١٧٢.

الشام، واختلاف ثلاثة رايات فيه، ودخول رايات قيس والعرب إلى مصر ورايات كندة إلى خراسان، وورود خيل من قبل المغرب حتى تُربط بفتاء الحبرة، وإقبال رايات سود من المشرق نحوها، ويثق في الفرات^(١) حتى يدخل الماء أزقة الكوفة، وخروج ستين كذاباً كلهم يدعي النبوة، وخروج إثني عشر من آل أبي طالب كلهم يدعي الإمامة لنفسه، وإحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء وخانقين، وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة السلام، وارتفاع ريع سوداء بها في أول النهار، وزلزلة حتى ينخسف كثير منها، وخوف يشمل أهل العراق، وموت ذريع فيه، ونقص من الأنفس والأموال والشمرات، وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه حتى يأتي على الزرع والغلات، وقلة ريع لما يزرعه الناس، واختلاف صنفين من المعجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليتهم ومسح لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قرود وخنازير، وغلبة العبيد على بلاد السادات، ونداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كل أهل لغة بلغتهم، ووجه وصدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس، وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون.

ثم يُختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحيى بها الأرض من بعد موتها وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون نحوه لنصرته. كما جاءت بذلك الأخبار ومن جملة هذه الأحداث محتومة ومنها مشترطة، والله أعلم بما يكون، وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول وتضمنها الأثر المنقول، وبالله نستعين وإياه نسأل التوفيق^(٢).

(١) إنشق الماء: انفجر وجري.

(٢) الإرشاد المفيد، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠.

القسم الرابع

تاريخ الظهور وموعده

★ الفصل الأول:

متى موعده الظهور

★ الفصل الثاني:

أصحاب الإمام عليه السلام وأنصاره

★ الفصل الثالث:

الدين الذي يدعو إليه الإمام المهدي عليه السلام

الفصل الأول

متى موعد الظهور؟

★ البيعة للإمام عليه السلام وخطبته الأولى

★ البيان الأول للإمام عليه السلام

★ البيان الثاني للإمام عليه السلام

★ لواء الإمام عليه السلام ورايته

متى موعد الظهور

إنها اللحظات التي ينتظرها المؤمنون بلفه وشوق، وينتظرها أهل السماوات والأرض، ويتربها المظلومون للانتقام من ظالمهم، ويتطلع إليها من كان في قلبه شوق وحنين للقاء! ولكن أي لقاء هو؟

هو اللقاء بوعد الله وبشارة النبي المصطفى ﷺ لأمة التي طالما لقيت من آلام وعذابات وتحملت المصائب والويلات من المفسدين والعابثين بأهل الأرض، ومن سلاطين وحكام أظهروا الإسلام والإيمان واستبطنوا الكفر والنفاق.

نعم... إنه وعد الله الذي لن يُخلف وعده.

إنه اللقاء بوارث الأنبياء ومحقق أحلامهم، والمتقم من أعدائهم، هو شبيه يوسف بن يعقوب في غيبته واختفائه، وموسى في دوام خوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته، وتَعَبُ شيعته من بعده مما لقوا من الأذى والهوان، وعيسى في اختلاف من اختلف فيه، حتى قالت طائفة منهم ما ولد، وجده المصطفى ﷺ في خروجه بالسيف وقتله أعداء الله، والجبارين والطواغيت.

إنه السيف المسلول لإظهار الحق، يخرج ومعه سلاح رسول الله ﷺ، ودرعه، وسيفه، وعهده، ورايته...

فمتى يكون عام الله، وشهره، ويومه؟

وفي أي مكان يظهر، وكيف يخرج منتصراً لدين الله عز وجل؟

تشير الروايات الصادرة عن النبي ﷺ وأهل بيت العصمة ﷺ إلى أن القائم المهدي ﷺ يظهر وينكشف للناس بعد الإحتجاب والاستتار وطول الغيبة، شاهراً سيفه، ومعلناً ثورته، ورافعاً لوائه.

أما السنة التي يظهر فيها:

فقد ذكر الطبرسي في أعلام الوري، والشيخ المفيد في الإرشاد، والشيخ الطوسي في الغيبة عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال:

«لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين: سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع»^(١).

وأما الشهر: فهو المحرم، وأما اليوم: فهو السبت المصادف للعاشر من المحرم.

روي عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال:

«ينادي باسم القائم في يوم ست وعشرين من شهر رمضان، ويقوم في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين بن علي ﷺ، لكانني به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل ﷺ على (يده اليمنى) يُنادي: البيعة لله، فتصير إليه شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طياً حتى يُبايعوه، فيملا الله به الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٢).

وروى الشيخ الصدوق في إكمال الدين، عن أبي بصير عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال:

«يخرج القائم يوم السبت يوم عاشوراء، اليوم الذي قُتل فيه الحسين ﷺ»^(٣).

وفي رواية عن أبي بصير عن الصادق ﷺ أنه قال:

«إن القائم صلوات الله عليه، يُنادي اسمه ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم

(١) راجع الإرشاد، ص ٣٧٨، وأعلام الوري، ص ٤٣٠، والغيبة، ص ٢٧٤، ومنتخب الأثر، ص ٤٦٥.

(٢) الإرشاد، المفيد، ص ٣٧٨-٣٧٩، وراجع منتخب الأثر، ص ٤٦٥، والبحار، ج ٥٢، ص ٢٩٠، وعقد الدرر، ص ٦٥، باب ٤، فصل ١.

(٣) إكمال الدين، ج ٢، ص ٦٥٣.

يوم عاشوراء، يومٌ قتل فيه الحسين بن علي عليه السلام ^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«لَزَقَتِ السفينة يوم عاشوراء على الجودي، فأمر نوح عليه السلام من معه من الجن والإنس أن يصوموا ذلك اليوم، وقال أبو جعفر عليه السلام: أتدرون ما هذا اليوم؟ هذا اليوم الذي تاب الله عز وجل فيه على آدم وحواء عليهما السلام، وهذا اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل فأغرق فرعون ومن معه، وهذا اليوم الذي غلب فيه موسى عليه السلام فرعون، وهذا اليوم الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، وهذا اليوم الذي تاب الله فيه على قوم يونس عليه السلام، وهذا اليوم الذي ولد فيه عيسى بن مريم عليهما السلام، وهذا اليوم الذي يقوم فيه القائم عليه السلام ^(٢).

ويمكن للباحث تسجيل عدة ملاحظات على توقيت موعد الظهر اشرنا إليها في الفصل السابق منها:

أولاً: إن في الأمور التي ورد التأكيد عليها في كثير من الأخبار النهي عن توقيت الظهر، ويستفاد من بعض الأخبار أن من وقَّت له عليه السلام وقتاً فقد شارك الله تعالى في علمه وادعى أنه ظهر على سره وما لله من سر. وفي بعض الروايات:

«وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى وكذب الوقتون وهلك المستعجلون ونجى المسلمون وإلينا يصيرون».

وأخبار توقيت عام الظهر ويومه. كلها تتعارض مع ذلك. فكيف الجمع بينهما؟

إن الروايات التي أشارت إلى وقت الظهر لم تعينه تفصيلاً، فهي لم تحدد ولم تذكر العام والشهر واليوم، وإنما ذكرته إجمالاً.

(١) الغيبة، الطوسي، ص ٢٧٤.

(٢) البحار، ج ٩٨، ص ٣٤، باب ٨، ح ٣، ووسائل الشيعة، ج ٧، ص ٣٣٨، باب ٢٠، ح ٥.

وما نُهي عنه وكذّبه الأخبار هو التوقيت التفصيلي . فمثلاً حَدّدت الروايات الظهور بيوم السبت يوم عاشوراء . ولكن أي سبت وأي عاشوراء؟ فهذا ما لم يُذكر .

وبهذا لا تكون هذه الروايات متعارضة مع أخبار النهي عن التوقيت .

ثانياً: أشارت بعض الروايات إلى أن يوم الظهور هو يوم السبت وبعضها الآخر إلى أنه يوم الجمعة . وهذا تعارض واضح؟

ويمكن الجمع بينهما بأن ابتداء خروجه يوم الجمعة وظهوره بين الركن والمقام ومبايعته يوم السبت كما يومي إليه قول الإمام الباقر عليه السلام : كَانِي بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام بين يديه جبرئيل . . .

مكان الظهور:

يتحرك الإمام المهدي عليه السلام من المدينة باتجاه مكة ، ويصلي عند المقام أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود .

وهذا ما تشير إليه روايات أهل البيت عليه السلام من أن الإمام المهدي عليه السلام يخرج من مكة ، ومنها يُعلن عن الظهور المبارك .

روى صاحب البحار عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

«إنه يأتي المسجد الحرام فيصلّي فيه عند مقام إبراهيم أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود: ثم يحمد الله ويثني عليه ويذكر النبي ﷺ ويصلي عليه، ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس...» (١).

وروى السيوطي في الحاوي عن نعيم بن حماد عن قتادة، قال :

قال رسول الله ﷺ :

«يخرج المهدي من المدينة إلى مكة، فيستخرجه الناس من بينهم، فيبايعونه بين الركن والمقام، وهو كاره»^(١).

وروى أيضاً عن أم سلمة، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«يباع لرجل بين الركن والمقام عذّة أهل بدر، فيأتيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشام، فيغزوه جيش من أهل الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»^(٢).

وأخرج أبو داود عن أم سلمة عن النبي ﷺ انه قال:

«يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره. فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من أهل الشام، فيخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة. فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام»^(٣).

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام أنه قال:

«لكنائي به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام...»^(٤).

وعن توجه الإمام عليه السلام من المدينة إلى مكة روى في عقد الدرر عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه بعض علامات ظهور المهدي والخسف بجيش السفيناني، إلى أن قال:

«ويبعث السفيناني بعثاً إلى المدينة ويفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفيناني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً

(١) الحادي، السيوطي، ج ٢، ص ١٥٢، نقلاً عن تاريخ ما بعد الظهور، ص ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سنن أبي داود، ج ٢، ص ٤٢٣.

(٤) الإرشاد، ص ٣٧٩.

على أثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران^(١).

وقال في إسعاف الراغبين: وصح أنه عليه السلام قال:

«يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث عليهم بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة»^(٢).

وفي ينابيع المودة عن فرائد السمطين، عن الإمام الرضا عليه السلام، في حديث ذكر فيه المهدي وغيته وأنه الرابع من ولده، إلى أن قال:

«وهو الذي ينادي منادٍ من السماء يسمعه جميع أهل الأرض إلا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه، فإن الحق فيه ومعه»^(٣).

وأما بشأن بعض الروايات التي ذكرت خروجه عليه السلام من قرية باليمن اسمها (كرعة)، والتي منها ما رواه عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:
«يخرج المهدي من قرية يقال لها كرعة»^(٤).

وكرعة هي قرية في اليمن.

قال في معجم البلدان (ج ٧ - ص ٢٣٨):

كرعة: روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ: يخرج المهدي من قرية باليمن يقال لها كرعة. وفي النجم الثاقب (ح ٦٢) عن ضياء العالمين للعالم الجليل الشريف الشيخ أبي الحسن العاملي عن جماعة عن محمد بن أحمد أن شيخاً تاجراً حكى لنا وصوله إلى هذه القرية وتشرفه بزيارة الحجة عليه السلام وقال:

(١) عقد الدرر، باب الثاني.

(٢) إسعاف الراغبين، ص ١٥٠.

(٣) ينابيع المودة، ص ٤٤٨.

(٤) عقد الدرر، الفصل ٢، باب ٤، ص ٦٩، ومنتخب الأثر، ص ٤٧١.

«لا منافاة بين هذا الخبر والأحاديث الواردة في أنه يظهر بمكة لأنه ﷺ يخرج من المحل الذي هو فيه فيأتي مكة ويظهر أمره فيها».

وبهذا يرتفع التعارض بين الأخبار، مع الإشارة على أنه يمكن المناقشة في الروايات التي ذكرت خروجه ﷺ من قرية كرعة. من حيث عدم استفاضتها، كأخبار خروجه من مكة.

البيعة للإمام ﷺ وخطبته الأولى:

يحتاج الإمام المهدي ﷺ عند ظهوره المبارك، وإطلالته الأولى على الأمة إلى من يؤازره ويسانده ويدعم حركته التغييرية، وفي طليعة من يقف ليتحمل عبء هذه المسؤولية أنصاره وجيشه الذين ينبغي أن يمتازوا بالعديد من الموصفات التي تليق بأفراد يكونون نواة حركة التغيير هذه.

ونظراً لدقة وأهمية هذه القضية فإن الروايات تحدثت عن دعم ومؤازرة من الله تعالى للإمام المهدي ﷺ تساوق وتعاذل مؤازرته سبحانه وتعالى لأنبيائه ورسله.

فكما كانت الملائكة شريكة في خوض المعركة إلى جانب جيش الإسلام في فجر الدعوة الإسلامية بقيادة النبي الأعظم ﷺ في معركته ضد مشركي قريش في بدر.

كذلك هي المؤازرة والمساندة للإمام المهدي ﷺ.

ففي البيعة له ﷺ يشترك أهل السماء والأرض، فبيعة أمين وحي الله جبرئيل عليه السلام للإمام المهدي ﷺ تسبق بيعة الناس له.

روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن المفضل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:

«إذا أذن الله عز اسمه للقائم في الخروج صَعَدَ المنبر، فدعا الناس إلى نفسه، وناشدهم بالله، ودعاهم إلى حقه، وأن يسير فيهم بسيرة رسول الله ﷺ ويعمل فيهم بعمله».

فبيعت الله جلّ جلاله جبرئيل عليه السلام حتى يأتيه، فينزل على العظيم.

يقول له: إلى أي شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام.

فيقول جبرئيل: أنا أول من يبايعك، أبسط يدك، فيمسح على يده، وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيبايعوه... ويقيم بمكة حتى يسم أصحابه عشرة آلاف نفس، ثم يسير منها إلى المدينة^(١).

ثم يطلب الإمام المهدي عليه السلام من أصحابه وأنصاره البيعة، وهي المعاهدة، على الطاعة والإنقياد، والالتزام بأوامره، ويكون ذلك على شروط، وبالرغم من معرفة الإمام عليه السلام ووثوقه بهم، ولكن على القائد أن يذكر دائماً، وأن يكون في موقع الناصح الأمين.

وعن كيفية طلب البيعة من الأصحاب ومكانها:

فإن الروايات تشير - وكما تقدم - إلى أنها تكون في أقدس بقعة على الأرض، وفي أشرف مكان وأجله وهو ما بين الركن والمقام، في بيت الله الحرام. حيث يأتي الإمام عليه السلام ويصلي عند المقام أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود، فيحمد الله ويثني عليه ويذكر النبي صلى الله عليه وآله ويصلي عليه فيبايعه من يبايعه^(٢).

وعن شروط البيعة ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه:

«إنه يأخذ البيعة من أصحابه على أن لا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يسبوا مسلماً، ولا يقتلوا محرماً، ولا يهتكوا حريماً محرماً، ولا يهجموا منزلاً، ولا يضربوا أحداً إلا بالحق، ولا يكتزوا ذهاباً ولا فضاة ولا برأ ولا شعيراً، ولا يأكلوا مال اليتيم، ولا يشهدوا بما لا يعلمون، ولا يخربوا مسجداً، ولا يشربوا مسكراً، ولا يلبسوا الخرز ولا الحرير، ولا يتمنقوا بالذهب، ولا يقطعوا طريقاً، ولا يخيفوا

(١) الإرشاد، ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٢) راجع البحار، ج ١٣، ص ١٨٠.

سبيلاً، ولا يفسقوا بغلام، ولا يحبسوا طعاماً من بر أو شعير، ويرضون بالقليل، ويشمون الطيب، ويكرهون النجاسة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويلبسون الخشن من الثياب، ويتوسّدون التراب على الخدود، ويجاهدون في الله حق جهاده، ويشترط على نفسه لهم أن يمشي حيث يمشون ويلبس كما يلبسون، ويركب كما يركبون، ويكون من حيث يريدون، ويرضى بالقليل، ويملا الأرض بعون الله عدلاً كما ملئت جوراً، يعبد الله حق عبادته، ولا يتخذ حاجباً ولا بواباً^(١).

ثم يقوم الإمام المهدي عليه السلام يلقي خطبته الأولى وهذا نصّها:

روي أن الإمام المهدي عليه السلام يُسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به، ثم يبتدى بخطبته الأولى التي رويت عن الإمام الباقر عليه السلام من أنه يفتتحها بحمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على محمد وآله الطاهرين ثم ينادي ويقول:

«أيها الناس! إنّنا نستنصر الله ومن أجابنا من الناس فإننا أهل بيت نبيكم محمد، ونحن أولى الناس بالله ويمحمد عليه السلام فمن حاجّني في آدم فانا أولى الناس بآدم.

ومن حاجّني في نوح فانا أولى الناس بنوح.

ومن حاجّني في إبراهيم فانا أولى الناس بإبراهيم.

ومن حاجّني في محمد فانا أولى الناس بمحمد.

ومن حاجّني في النبيين فانا أولى الناس بالنبيين.

ليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً بِضَافَةٍ مِنْ بَعْضِهِمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾^(٢).

(١) منتخب الأثر، ص ٤٧٣، ح ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

فأنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد صلى الله عليه وآله.

الا: فمن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله.

الا: ومن حاجني في سنة رسول الله فأنا أولى بسنة رسول الله.

فأنشد الله من سمع كلامي اليوم، لما بلغ الشاهد منكم الغائب، وأسألكم بحق الله وحق رسوله وبحقِّي. فإن لي عندكم حقَّ القريب من رسول الله. إلا اهتتمونا، ومنعتمونا ممن يظلمنا، فقد أخفنا وظلمنا، وطردنا من ديارنا وأبنائنا، وبغى علينا، ودفعنا عن حقنا، واقترب أهل الباطل علينا.

فأله الله فينا، لا تخذلونا، وانصرونا ينصركم الله تعالى^(١).

وعن محل البيعة للإمام المهدي عليه السلام روى في عقد الدرر، عن أبي عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن عن عبد الله بن مسعود، في خبر طويل يذكر فيه خروج المهدي من المدينة إلى مكة وطلب مبايعته وآبائه عليهم السلام إلى أن قال:

«فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له ويلقي الله محبته في صدور الناس»^(٢).

وفيه أيضاً عن ابن حماد عن أبي هريرة قال:

«يبايع للمهدي بين الركن والمقام، لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً»^(٣).

البيان الأول للإمام عليه السلام:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«ثم يظهر المهدي بمكة عند العشاء، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) الغيبة، النعماني، باب ١٤، حديث ٦٧.

(٢) عقد الدرر، الباب الخامس والباب السابع.

(٣) المصدر نفسه.

وقميصه وسيفه، وعلامات، ونور، وبيان، فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول:

أذكركم الله أيها الناس، ومقامكم بين يدي ربكم، فقد اتخذ الحجة، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تُحنيوا ما أحيا القرآن، وتُمتيتوا ما أمات، وتكونوا أحوالاً على الهدى، ووزراً على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وأذنت بالوداع، فإني أدعوكم إلى الله وإلى رسوله، والعمل بكتابه، وإمارة الباطل، وإحياء سُنته، فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عِدَّة أهل بدر، على غير ميعاد... (١).

البيان الثاني للإمام عليه السلام:

روى المجلسي في البحار عن المفضل بن عمر أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عدة أسئلة عن القائم المنتظر عليه السلام وفيه أنه عليه السلام يقول في جوابه للمفضل:

«... ويقف بين الركن والمقام، فيصرح صرخة فيقول: يا معاشر نقبائي وأهل خاصتي ومن ذخركم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض! إنثوني طائعين! فتد صيحته عليه السلام عليهم وهم على محاربيهم، وعلى فرشهم، في شرق الأرض وغربها فيسمعونها في صيحة واحدة في إذن كل رجل، فيجيئون نحوها، ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر، حتى يكون كلهم بين يديه عليه السلام بين الركن والمقام... إلى أن يقول عليه السلام:

وسيدنا القائم مسند ظهره إلى الكعبة، ويقول: يا معشر الخلائق ألا ومن أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فما أنا ذا آدم وشيث.
ألا ومن أراد أن ينظر إلى نوح وولده سام فما أنا ذا نوح وسام.
ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فما أنا ذا إبراهيم وإسماعيل.

(١) منتخب الأثر، ص ٤٩٠، فصل ٩، باب ٣، ح ١ عن ملاحم ابن طاووس.

ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فما أنا ذا عيسى وشمعون .

ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهم) فما أنا ذا محمد وأمير المؤمنين .

ألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فما أنا ذا الحسن والحسين .

ألا ومن أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين فما أنا ذا الأئمة عليه السلام .

اجبوا على مسألتي، فإني أنبئكم بما تُبتم به وما لم تبثوا به .
ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني، ثم يبتدئ بالصحف التي أنزلها الله على آدم وشيث عليه السلام . . .

ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون: هذا والله القرآن حقاً الذي أنزله الله على محمد عليه السلام، وما اسقط منه وحرف وبُذِّل . . . (١)

لواء الإمام عليه السلام ورايته:

والكلام يقع في اسم حامل اللواء، وما هو الشعار المكتوب فيه، والراية التي تكون معه عليه السلام .

أما حامل اللواء فهو القائد العظيم الذي يأتي برايات المشرق أو الرايات الخراسانية السوداء مع القائد الخراساني حيث يلتحق هذا الجيش بالإمام المهدي عليه السلام، ويقوم الإمام عليه السلام بتنصيب شعيب بن صالح (الذي يكون قائداً لجيش الخراساني) قائداً عاماً لجيوشه، ويعطيه اللواء، وهو الذي عبرت عنه الروايات بالفتى التيمي .

روى صاحب البرهان في علامات مهدي آخر الزمان عن الطبراني أن النبي عليه السلام أخذ بيد علي فقال:

«يخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي فإنه يُقبل من المشرق وهو صاحب راية المهدي»^(١).

وروى أيضاً عن ابن حماد عن عمار بن ياسر قال:

«إذا بلغ السفيناني الكوفة وقتل أعوان آل محمد خرج عليه المهدي على لوائه شعيب بن صالح»^(٢).

أما العبارات المكتوبة على الراية، فقد روى في ينابيع المودة عن نوف أنه قال:

«راية المهدي فيها مكتوب: البيعة لله»^(٣).

وروى ابن حماد في الفتن مسنداً إلى نوف البكالي قال:

«في راية المهدي مكتوب: البيعة لله»^(٤).

وما هذه العبارات إلا إشارة على الهدف الأساس من نهضة الإمام المهدي عليه السلام والتي هي بيعة الإمام عليه السلام وأصحابه لله عز وجل لإعزاز دينه، ورفع كلمته، وتحقيق حكم الله على الأرض.

وروى الشيخ الصدوق في الإكمال:

«أنه يكون في راية المهدي: الرفعة لله عز وجل»^(٥).

وروى المجلسي في البحار بإسناده إلى كتاب الفضل بن شاذان قال:

«روي أنه يكون في راية المهدي: إسمعوا وأطيعوا»^(٦).

وهذه الراية التي يرفعها الإمام المهدي عليه السلام هي نفس الراية التي كان

(١) منتخب الأثر، ص ٣٢٤، ح ٥ و ٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ح ١.

(٤) المصدر السابق، ح ١.

(٥) منتخب الأثر، ص ٣٢٤، ح ٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٢٤، ح ٣.

يحملها رسول الله ﷺ والمصنوعة من عامود العرش الإلهي، ومن خصائصها أنها لا تحمل إلى طائفة إلا خذلت.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«كأنني أنظر إلى القائم عليه السلام قد ظهر على نجف الكوفة، فإذا ظهر على النجف نشر راية رسول الله ﷺ، عامودها من عمد عرش الله تبارك وتعالى وسائرهما من نصر الله جل جلاله، لا يهوي بها إلى أحد إلا أهلكه الله عز وجل، فقال الراوي: تكون معه أو يؤتى بها؟ فقال عليه السلام: بل يؤتى بها، يأتيه بها جبرئيل عليه السلام»^(١).

وفي حديث أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«فينشر راية رسول الله ﷺ عامودها من عامود العرش وسائرهما من نصر الله، لا يهوي بها إلى شيء أبداً إلا هتكه الله، فإذا هزها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه كزبر الحديد، ويُعطى المؤمن قوة أربعين رجلاً، ولا يبقى مؤمن إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره، وذلك حين يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم»^(٢).

وفي حديث عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«وهي راية رسول الله ﷺ نزل بها جبرئيل يوم بدر، ثم قال: يا أبا محمد ما هي والله قطن ولا كتان ولا قز ولا حرير. قلت: فمن أي شيء هي؟ قال: من ورق الجنة، نشرها رسول الله ﷺ يوم بدر ثم لفها ودفعها إلى علي عليه السلام فلم نزل عند علي عليه السلام حتى إذا كان يوم البصرة نشرها أمير المؤمنين ففتح الله عليه، ثم لفها وهي عندنا هناك لا ينشرها أحد حتى يقوم القائم، فإذا هو قام نشرها فلم

(١) البحار، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٢٦.

يبقى أحد في المشرق والمغرب إلا لعنها، ويسير الرعب قدامها شهراً
ووراءها شهراً، وعن يمينها شهراً وعن يسارها شهراً»^(١).

وهذا اللعن الوارد في الرواية لرأية الإمام عليه السلام يمكن تفسيره بما ورد عن
أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول:

«إذ ظهرت رأية الحق لعنها أهل المشرق وأهل المغرب، أتدري لِمَ
ذاك؟ قلت: لا، قال: للذي يلقي الناس من أهل بيته قبل
خروجه»^(٢).

وفي حديث آخر:

«مما يلقون من بني هاشم...»^(٣).

(١) الغيبة، النعماني، باب ١٩، ح ٢.

(٢) المصدر نفسه، باب ١٧، ح ٤ و ٥.

(٣) المصدر نفسه.

الفصل الثاني

أصحاب الإمام عليه السلام وأنصاره

★ الفرق بين الأصحاب والأنصار

★ الأصحاب:

- ★ أهميتهم
- ★ إيمانهم وعبادتهم
- ★ علمهم
- ★ طاعتهم
- ★ عددهم
- ★ أسماؤهم وجنسياتهم
- ★ شجاعتهم
- ★ شعارهم
- ★ لقاء الإمام عليه السلام بأصحابه

أصحاب الإمام عليه السلام وأنصاره

لم تكن غيبة صاحب العصر والزمان عليه السلام إلا لحكمة اقتضتها مشيئة الله سبحانه وتعالى، فهذا الإمام العظيم الذي سينهض في آخر الزمان ويحمل معه لواء التغيير، ويكتب على يديه نصرته الإسلام وأهل الإيمان، وسيطرة قوى العدل، ومحو قرى الظلم والجور سيكون وبلا أدنى شك مؤيداً ومسدداً من قبل الله تعالى.

وإن واحدة من أهم ما يمكن اعتباره كتغيير لعملية الغيبة والاحتجاب وعدم الظهور هي تهئية السبل لتحقيق الانتصار وإنجاز الوعد الإلهي على يديه، وهذا إنما يتم بعد التمهيص الذي يختبر الله به عباده الصالحين ليستخلص من بينهم أفراداً هم قادة جيش الإمام عليه السلام وأنصاره وأعوانه ونواة الجيش العقائدي والإيماني الذي به يقود الإمام المهدي عليه السلام ثورته على الظلم.

لذا كان أصحاب الإمام عليه السلام الذين سيخرجون معه ويكونوا أول المبايعين له صفناً ونوعاً آخر من الناس.

فهم كما وصفتهم الروايات: الصلحاء والنجباء والفقهاء، المطيعون لأمره عليه السلام، المشتاقون للشهادة بين يديه في سبيل الله عز وجل.

هم رجال قلوبهم كزبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله، من سماتهم وصفاتهم التقوى والورع والخشية من ذات الله، خيار البشر لا يخشون في الله لومة لائم.

نعم، لا بد وأن يكون نواة جيش الإمام المهدي عليه السلام خيرة أهل الأرض في ذلك الزمان، ومن الذين توفرت فيهم المؤهلات المطلوبة، واللياقة والكفاءة

لإدارة الكرة الأرضية، وتدبير شؤون الناس أجمعين، وكُل ذلك تحت لواء
وقيادة الإمام المهدي عليه السلام وإرشاداته وتعاليمه.

وهذا هو بعض مما جاء في مواصفاتهم في أحاديث أهل البيت عليه السلام :

«... كأن قلوبهم زبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله أشد من
الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها لا يقصدون براياتهم بلدة إلا
خزبوها، كأن على خيولهم العقبان، يتمسحون بسرج الإمام عليه السلام
يطلبون بذلك البركة، يحفون به، يقونه بأنفسهم في الحروب
ويكفونه ما يريد فيهم.

رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل يبيتون
قياماً على أطرافهم ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث
بالنهار وهم أطوع له من الأمة لسيدها، كالمصابيح كأن قلوبهم
القناديل وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن
يقتلوا في سبيل الله، شعارهم (يا لثارات الحسين) إذا ساروا يسير
الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر
الله إمام الحق»^(١).

الفرق بين الأصحاب والأنصار:

لعل بعض من يقرأ بأن عدد أصحاب الإمام المهدي عليه السلام ثلاثمائة وثلاثة
عشر رجلاً، أو يقرأ قائمة الأسماء التي وردت في الروايات، يستولي عليه اليأس
والخيبة إذا لم يجد اسمه أو اسم بلدته في القائمة المذكورة، ولكن سرعان ما
يتبدل هذا اليأس بالرجاء، وتنقلب هذه الخيبة إلى الأمل، عندما يعلم هؤلاء بأن
أصحاب الإمام عليه السلام ليس منحصراً في هذا العدد.

فهناك فرق بين أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وبين أنصاره:

فالأصحاب:

هم الثلاثمائة والثلاثة عشر، وهم الذين عبّر عنهم الإمام أمير المؤمنين والإمام الصادق عليه السلام بقولهما: «هم أصحاب الألوية».

إشارة إلى توفر المؤهلات فيهم لقيادة الجيوش والعساكر، وعبّر عنهم الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «وهم حكام الله في أرضه».

وستقرأ - في المستقبل - أن لكل واحد من هؤلاء الأصحاب دوراً كبيراً في قيادة الجيوش وفتح البلاد وإدارة الأمور وغير ذلك.

أما الأنصار:

فهم المؤمنون الصالحون الذين يلتحقون بالإمام المهدي عليه السلام في مكة وغيرها، وينضون تحت لوائه، ويحاربون أعداء الله ورسوله.

وستقرأ أن الإمام المهدي عليه السلام لا يخرج من مكة إلا ومعه عشرة آلاف رجل من الأنصار، وهذا العدد هو بعض الأنصار أيضاً لا كلهم، ولهذا فإن السيد الهاشمي يلتحق بالإمام المهدي عليه السلام - في العراق - ومعه إثنا عشر ألف رجل. كل هذا عدا أنصار الإمام المهدي من الملائكة، الذين يمثلون أوامره وتعليماته^(١).

وقد ورد في الأدعية والزيارات المروية عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام أن يسأل الإنسان ربه أن يجعله من أنصار الإمام المهدي وأعوانه والمجاهدين بين يديه.

وفيما يلي نذكر بعض النماذج من تلك الأدعية والزيارات:

١ - «وأسأل الله البرّ الرحيم أن يرزقني مودتكم، وأن يوفقني للطلب بشاركم مع الإمام المنتظر الهادي من آل محمد...»^(٢).

(١) الإمام المهدي من المهد إلى الظهور، القزويني، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٤٦٤، زيارة عاشوراء غير المعروفة.

٢ - «... وأن يرزقني طلب ثاري مع إمام هدى (مهدي) ظاهر ناطق بالحق منكم...»^(١).

٣ - «... واجعلني اللهم من أنصاره وأعوانه وأتباعه وشيعته...»^(٢).

٤ - «... اللهم كما جعلت قلبي بذكره معموراً فأجعل سلاحه بنصرته مشهوراً، وإن حال بيني وبين لقائه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً وأقدرت به على خليقتك رغماً، فأبعثني عند خروجه ظاهراً من حفرتي، مؤتزرأ كفني، حتى أجاهد بين يديه في الصف الذي أثنيت على أهله في كتابك فقلت: «كانهم بنيان مرصوص...»^(٣).

٥ - وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من دعا إلى الله تعالى أربعين صباحاً بهذا الدعاء، كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله، أخرجه الله تعالى من قبره، وأعطاه بكل كلمة ألف حسنة، ومحي عنه ألف سنة».

والمقصود من الدعاء، هو دعاء العهد المروي في مفاتيح الجنان، للمحدث القمي في الصفحة ٥٣٩ - ٥٤٠، وكتاب المصباح للشيخ العاملي الكفعمي في الصفحة ٥٥١ - ٥٥٢.

وسنعرض فيما يلي عدة نقاط تتناول أصحاب الإمام المهدي عليه السلام من حيث مواصفاتهم وأهميتهم وعددهم وإيمانهم وشجاعتهم ومقدار طاعتهم للإمام المهدي عليه السلام وشعاراتهم، وكيفية التحاقهم بالإمام المهدي عليه السلام.

(١) مفاتيح الجنان، ص ٤٥٧، والزيارة مروية عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٢٥، والزيارة مروية عن الإمام المهدي عليه السلام.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٢٨.

أهميتهم:

تظهر أهمية أصحاب الإمام المهدي عليه السلام لنا من خلال مسألتين .
 أولاً: من ناحية الدور والمسؤولية والأهداف التي من أجلها يخرجون مع الإمام .

ثانياً: من خلال ما وصفته بهم روايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليه السلام .
 ونحن ندرك بعمق مدى المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق إمامنا المهدي عليه السلام ، فهو الأمل الموعود والمنتظر ، والذي سيقود الأمة نحو تحقيق أهدافها وغاياتها في تحقيق حكومة العدل الإلهي .
 ولكي يحقق الإمام هذه الأهداف لا بد وأن يكون معه الصفوة المخلصة من الأطهار الذين محصوا واختبروا في الامتحان الإلهي لهم .
 ولهذا مدحتهم الروايات وأثنت عليهم ، وأعطتهم مواصفات ومميزات لم تكن لتعطى لأحد غيرهم على الإطلاق .
 فهم : «رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته» .

«رهبان بالليل ليوث بالنهار» .

«خير فوارس على ظهر الأرض» .

«كان قلوبهم زُبُر الحديد ، لا يشوبها شك في ذات الله ، أشد من الحجر ، لو حملوا على الجبال لأزالوها...» .

وسيشارك هؤلاء الأصحاب إمامهم وقائدهم ويكونون تحت إمرته وقيادته ، وهم معه «هم أطوع له من الأمة لسيدها» وسيرون في ركب قيادته الحكمة للسيطرة على العالم كله ، وإزالة كل قوى الشر والفساد والظلم ، من الذين كانوا يتحكمون بمقدرات الشعوب .

إيمانهم وعبادتهم:

يتمتع أصحاب الإمام المهدي عليه السلام بأعلى درجات الإيمان واليقين بالله عزَّ

وجلّ، ومن مناقبهم وصفاتهم كثرة العبادة، والتهجد بالليل، والقيام في الأسحار.

وليس في قلوبهم من مكان لأحد إلا لله عزّ وجلّ والطاعة والانقياد لقائدهم المهدي عليه السلام والطاعة لأوامره.

قال محي الدين ابن عربي:

«يبايعه - أي الإمام المهدي - العارفون بالله من أهل الحقائق، عن شهود وكشف بتعريف إلهي، رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء يحملون أثقال المملكة، ويعينونه على ما قلده الله تعالى.

إن الله يستوزر له طائفة خباهم في مكنون غيبه أطلعهم الله كشفاً وشهوداً على الحقائق»^(١).

وعن مقدار حب الله لهم، وحبهم لله يروي سليمان بن هارون العجلي قال: سمعت جعفر الصادق عليه السلام يقول:

«إن صاحب هذا الأمر - يعني القائم - محفوظاً، لو ذهب الناس جميعاً أتى الله بأصحابه، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿يَتَّبِعُنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَزْدَكُكُمْ عَنْ رَبِّهِمْ فَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ بِقُوَّةٍ يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ أَوْفَوْا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزُّوا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾»^(٢).

وسنذكر فيما يلي مقتطفات مما ورد في إيمانهم في النصوص الشريفة:

«ورجال كأن قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها في ذات الله... كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله...»^(٣).

(١) حياة الإمام المهدي، القرشي، ص ٢٨٨، نقلاً عن الفتوحات المكية.

(٢) ينابيع المودة، ص ٤٢٤.

(٣) البحار، ج ١٣، ص ١٨٠.

«... رهبان بالليل أَسَدٌ بالنهار...».

وعن سعيهم لرضا الله عزَّ وجلَّ، أخرج القندوزي في الينابيع عن أبي بصير، قال: قال جعفر الصادق عليه السلام:

«ما كان قول لوط عليه السلام لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَيْتُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(١) إلا تمنياً لقوة القائم المهدي وشدة أصحابه وهم الركن الشديد، فإنَّ الرجل منهم يُعطى قوة أربعين رجلاً، وإن قلب رجل منهم أشد من زبر الحديد، لو مروا بالجبال لتدكدكت، لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله عزَّ وجلَّ»^(٢).

«... رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي آخر الزمان...»^(٣).

وفي حديث آخر عن المفضل بن عمر قال: قال الصادق عليه السلام:

«... فهم أصحاب الألوية... قلت جعلت فداك أيهم أعظم إيماناً؟ قال: الذي يسير في السحاب نهاراً. وهم المفقودون، وفيهم نزلت الآية: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَيْشًا﴾»^(٤).

علمهم:

روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه عدة أصحاب القائم عليه السلام من البلاد على التفصيل، قال أبو بصير: جعلت فداك ليس على الأرض يومئذ مؤمن غيرهم؟ قال عليه السلام:

«بلى ولكن هذه التي يخرج الله فيها القائم وهم النجباء والقضاة

(١) سورة هود، الآية: ٨٠.

(٢) ينابيع المودة، ص ٥٣٨.

(٣) منتخب الأثر، ص ٤٨٩، ج ٢، نقلاً عن كنز العمال.

(٤) الغيبة، النعماني، ص ١٦٩.

والحكّام والفقهاء في الدين، يمسح الله بظونهم وظهورهم فلا يشتهه عليهم حكم^(١).

وأخرج السيوطي في الحاوي عن نعيم بن حماد عن ابن مسعود قال:

«يباع للمهدي سبعة رجال علماء توجّهوا إلى مكة من أفرق شتى على غير ميعاد وقد بايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيجتمعون بمكة فيبايعونه. ويقذف الله محبته في صدور الناس...»^(٢).

والرواية الأولى تبين أن أصحاب الإمام عليه السلام لا يكون ما يمتلكونه من علم مقتصرًا على العلوم العادية، وإنما هناك قدرة ربانية تمدهم بالعلم اللازم لهم ليحكموا بين الناس بحكم الله عز وجل فلا يخطئون فيما يحكمون به، ومما يدل على ذلك ما رواه عبد الله بن حماد الأنصاري عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال:

«إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً. يقول: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فانظر إلى كفك واعمل بما فيها...»^(٣).

طاعتهم:

وهي أمر طبيعي لمن يحمل صفات الإيمان والتقوى والورع، ويضع نفسه في تصرف القائد المهدي عليه السلام حيث يسلمون الأمر كله له، وينقادون له بشكل مطلق.

وفي وصفه لهم في هذا المجال يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(١) منتخب الأثر، ص ٤٩٠، ح ٤، نقلاً عن دلائل الإمامة.

(٢) تاريخ ما بعد الظهور، ص ٣٧١، نقلاً عن الحادي للسيوطي، ج ٣، ص ١٤٨.

(٣) الغيبة، النعماني، ص ١٧١.

«... هم أطوع له من الأمة لسيدها، كالمصابيح، كأن قلوبهم

القناديل. وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة...»^(١).

ويتأكد هذا الأمر من خلال مسارعته للبيعة ليكونوا أول من يقف معه ويسانده، فتكون المكافأة لهم من الله إحداث معجزة طي الأرض لهم.

روى أبو بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث عن القائم يقول فيه: «فيصير إليه أنصاره من أطراف الأرض تطوى لهم طياً، حتى يبايعوه»^(٢).

وتعظيماً منهم لشأن الإمام عليه السلام، وانقيادهم للإمام المعصوم عليه السلام يصفهم صادق أهل البيت عليهم السلام:

«... يتمسحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة...»^(٣).

عدداهم:

روت مصادر الشيعة والسنة أن أصحاب الإمام المهدي عليه السلام هم بعدد أصحاب النبي عليه السلام في بدر، ثلاثمائة وثلاثة عشر، وما ذلك إلا للدلالة وإلفات النظر على وحدة الهدف والشبه بين بعثة النبي الأعظم محمد عليه السلام ونهضة الإمام المهدي عليه السلام. ولبيان أن الإسلام يُبعث مجدداً على يده عليه السلام ويد أصحابه.

ورود أيضاً بأن أصحاب المهدي عليه السلام تجري فيهم عدّة سنن جرت على أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن أصحاب موسى ابتلوا بنهر، وهو قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ وإن أصحاب القائم يتلون بمثل ذلك»^(٤).

(١) البحار، ج ١٣، ص ١٨٠.

(٢) الفصول المهمة، ابن الصباغ، ص ٢٢١.

(٣) البحار، ج ١٣، ص ١٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٣٢.

وهذا العدد (الثلاثمائة والثلاثة عشر) إنما هو عدد الأصحاب. وهذا لا يعني أبداً أن جيش الإمام المهدي عليه السلام يقتصر على هذا العدد. بل إن الروايات دلّت على أن الإمام ينتصر له الآلاف من الأنصار ليكونوا نواة جيش الغضب، جيش الإمام المهدي عليه السلام.

وقد ذكرنا سابقاً الفارق بين الأصحاب والأنصار.

وسنذكر نموذجاً من الروايات التي تتحدث عن عدد أصحاب الإمام عليه السلام، ثم نذكر نموذجاً من الروايات التي تشير إلى عدد أنصاره وجيشه، وكيفية اجتماعهم بالإمام المهدي عليه السلام.

روى عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«المفقودون من فرسهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عذّة أهل (بدر) فيصبحون بمكة) وهو قول الله عز وجل (أينما تكونوا يأتي بكم الله - عز وجل). وهم أصحاب المهدي»^(١).

وعن صالح بن سعد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ...﴾ قال عليه السلام:

«قوة القائم عليه السلام، والركن الشديد أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً»^(٢).

وعن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يزال الناس ينقصون حتى لا يقال الله فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيبعث الله قوماً من أطرافها، يجيشون قزعاً كقزع الخريف، والله إني لأعرفهم وأعرف أسمائهم وقبائلهم واسم أميرهم، وهم قوم يحملهم الله كيف شاء من القبيلة الرجل والرجلين حتى بلغ تسعة فيتوافون من الآفاق

(١) منتخب الأثر، ص ٤٨٠ و ٤٨١، ح ٥ وح ٦.

(٢) المصدر نفسه.

ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدّه أهل بدر وهو قول الله: (أيمنّا تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير...) (١).

وروى جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام، وذكر حديثاً طويلاً فيه بعض علائم ظهور المهدي وخروج السفيناني وخروج المهدي من المدينة إلى مكة، إلى أن قال:

«فيجمع الله للمهدي أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً».

وعن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً أولاد العجم. بعضهم يحمل في السحاب نهاراً يعرف باسمه واسم أبيه ونسبه وحليته وبعضهم نائم على فراشه، فيوافيه في مكة على غير ميعاد» (٢).

وعن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال:

«فيكون أول خلق الله مبايعة له أعني جبرئيل، ويبايعه الناس الثلاثمائة والثلاثة عشر...» (٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«يظهر المهدي بمكة عند العشاء... فيظهر في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أهل بدر، على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف رهبان بالليل أسد بالنهار...» (٤).

وأما الروايات التي تشير إلى جيش الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره والذين يفوق عددهم عدد الأصحاب فنذكر منها:

أخرج ابن طائوس في الملاحم والفتن عن ابن رزين الغافقي أنه سمع علياً عليه السلام يقول:

(١) منتخب الأثر، ص ٤٨١، ح ٧.

(٢) الغيبة، النعماني، ص ١٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

(٤) تاريخ ما بعد الظهور، ص ٤٩٤، نقلاً عن السيوطي في الحاوي، ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٥.

«يخرج المهدي في اثني عشر ألفاً إن قُلُوا، وخمسة عشر ألفاً إن كُثِرُوا. ويسير الرعب بين يديه. لا يلقاه عدو إلا هزمهم بإذن الله، شعارهم: أمت أمت. لا يبالون في الله لومة لائم...»^(١).

ومن هذه الرواية يظهر أن عدد جيش الإمام المهدي عليه السلام لا يمكن أن يقل عن الإثني عشر ألفاً.

ومن الروايات ما تحدّد بأن أقل عدد الأنصار عشرة آلاف. وهذا ما ذكره الشيخ الصدوق في إكمال الدين بسنده عن أبي بصير قال:

«سأل رجل من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام: كم يخرج مع القائم عليه السلام؟ فإنهم يقولون: إنه يخرج مثل عدّه أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.
فقال:

«ما يخرج إلّا في أولي قوة. وما يكون أولو قوة أقل من عشرة آلاف»^(٢).

وتشير بعض الروايات إلى أن جيش الأنصار لا يمكن تحديده بعدد لأن الإمام المهدي عليه السلام يجمع له الله الأنصار من الشرق والغرب.
فعن تاريخ ابن عساکر:

«إذا قام قائم أهل محمد جمع الله له أهل المشرق، وأهل المغرب، فيجتمعون كما يجتمع قزح الخريف، فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة، وأما الأبدال فمن أهل الشام»^(٣).

وعن أبي سمنية عن مولى لابن أبي الحسن قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ قال:

(١) تاريخ ما بعد الظهور، ص ٤٩٤، نقلاً عن السيوطي في الحارثي، ج ٢، ص ٥٢.

(٢) إكمال الدين، نقلاً عن تاريخ ما بعد الظهور، ص ٣٧٦.

(٣) منتخب الأثر، ص ٤٨١، ج ١.

«ذلك والله لو قد قام قائمنا يجمع الله إليه شيعتنا من جميع البلدان»^(١).

وأخرج بن الصباغ في الفصول المهمة عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث عن القائم يقول فيه:

«فبصير إليه أنصار من أطراف الأرض تطوى لهم طياً، حتى يبايعوه»^(٢).

ومن الأحاديث والروايات التي تشير إلى وفود الشيعة من أقطار الأرض لنصرة الإمام المهدي عليه السلام، ما رواه الطبرسي في حديث عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال فيه:

«لكنائي به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل بين يديه ينادي بالبيعة له. فتصير شيعته من أطراف الأرض، تطوى لهم طياً حتى يبايعوه. فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٣).

هذا فضلاً عن جيش الرايات السود القادم من خراسان بقيادة الخراساني، وأنصاره القادمين من طالقان، المُعَبَّر عنهم في الروايات بكنوز الطالقان.

روى المجلسي في البحار عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«وَتَقْبِلُ رَايَاتٍ مِنْ شَرْقِي الْأَرْضِ غَيْرِ مُعَلِّمَةٍ لَيْسَتْ بِقَطْنٍ وَلَا كَتَانٍ وَلَا حَرِيرٍ، مَخْتُومَةٌ فِي رَأْسِ الْقَنَاةِ بِخَاتَمِ السَّيِّدِ الْأَكْبَرِ، يَسُوقُهَا رَجُلٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، تَظْهَرُ بِالشَّرْقِ وَتَوَجُّدُ رِيحُهَا بِالمَغْرِبِ كَالْمِيكِ الْأَذْفَرِ، يَسِيرُ الرَّعْبُ أَمَامَهَا بِشَهْرِ حَتَّى يَنْزِلُوا الْكُوفَةَ طَالِبِينَ بَدْمَاءَ آبَائِهِمْ... إِلَى أَنْ يَقُولَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ رَايَاتٌ مِنْ

(١) المصدر السابق، ج ٢.

(٢) تاريخ ما بعد الظهور، ص ٣٧١.

(٣) أعلام الوري، الطبرسي، ص ٤٣٠.

قبل خراسان تطوي المنازل طياً حثيثاً ومعها نفرٌ من أصحاب القائم عليه السلام^(١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«... حتى ترتفع رايات سود في المشرق فيسألون الحقّ فلا يُعطونه... فإنها رايات هدى بدفْعونها إلى رجلٍ من أهل بيتي يواطِي اسمه اسمي فيملك الأرض فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

وأما أحاديث كنوز الطالقان فهي كثيرة ومتواترة نذكر منها:

«ويحاً للطالقان فإن الله عز وجل بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي آخر الزمان»^(٣).

وروى الفضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«له كنزٌ بالطالقان ما هو بذهب ولا فضة، وراية لم تُنشر منذ طويت، ورجال كأن قلوبهم زُبُر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله، أشد من الجمر، لو حَمَلُوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون براياتهم بلدة إلا خربوها، كأن على خيولهم العقبان، يتمسحون بسرج الإمام يطلبون بذلك البركة ويحفظون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يُريدُ منه»^(٤).

وبهذا يظهر لنا مقدار عدد جيش الإمام المهدي وأنصاره، حيث لا يمكن لنا تقديره بعددٍ محدّد سوى ما حدّثته الروايات بأن الأصحاب هم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، والأنصار لا يقل عددهم عن العشرة أو الإثني عشر ألفاً.

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢٧٤، ح ١١٧.

(٢) عقد الدرر، حديث ١٢٤ و ١٦٢ و ١٦٤.

(٣) ينابيع المودة، القندوزي، ص ٤٤٩.

(٤) البحار، ج ٥٢، ص ٣٠٧، ح ٨٢.

ويُضاف إلى هذا ما ذكرناه من التحاق جيش الخراساني واليماني وكنوز الطالقان وأبدال أهل الشام، وعصائب أهل العراق، والنجباء من مصر، وكل مؤمن على وجه الأرض. وكل مؤمن كان قد توفي ودعا إلى الله بأن يخرج من قبره يوم ظهور الإمام المهدي عليه السلام فيستجيب الله لهؤلاء الصفوة من عباده فيحييهم ويعيدهم إلى الدنيا ليقاتلوا بين يدي إمامهم وقائدهم. وكما يكون للإمام المهدي عليه السلام جنود وأنصار من أهل الأرض، كذلك فإن للإمام المهدي عليه السلام جيشاً من الملائكة يبعثهم الله لنصرة دينه، ومؤازرة وليه في آخر الزمان.

روى النعماني بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول:

«لو قد خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين، يكون جبرئيل أمامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن يساره، والرعب مسيره أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله والملائكة المقربون حذاه...»^(١).

وقال القندوزي في الينابيع نقلاً عن إسعاف الراغبين للصبيان قوله:

«وجاء في روايات عدة أنه عند ظهوره ينادي فوق رأسه ملك: هذا خليفة الله فاتبعوه... وإن الله تعالى يمدّه بثلاثة آلاف من الملائكة... وإن جبرئيل على مقدمة جيشه وميكائيل على ساقته...»^(٢).

وروى ابن قولويه في كامل الزيارات بإسناده عن أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«كأنني بالقائم على نجف الكوفة... إلى أن يقول: فينحط عليه

(١) الغيبة، النعمان، ص ١٢٢.

(٢) ينابيع المودة، ص ٥٦٣.

ثلاث عشر ألف ملك وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً. قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال: نعم، الذين كانوا مع نوح في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقي في النار والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه، وأربعة آلاف ملك مع النبي ﷺ مُسَوِّمين، وألف مردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدرين أو أربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال... وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام إلى وقت خروجه عليه صلوات الله^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«يؤيده بثلاثة أجناد: بالملائكة وبالمؤمنين وبالرعب...»^(٢).

أسمائهم وجنسياتهم:

يتحدّر أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وقادة جيشه من جنسيات متعددة، ويتوافدون إليه من أماكن مختلفة، فيجتمع عنده الشيعة والأنصار والأصحاب من شرق الأرض وغربها، وتطوى لهم الأرض طياً، حتى يصلوا إليه ويباعوه.

وهناك الكثير من الروايات التي ذكرت أسماء البلدان والمناطق التي يخرج منها أصحاب الإمام المهدي عليه السلام، كما وذكرت هذه الروايات أسماء هؤلاء بالتحديد.

ولعل أهم ما جاءنا في هذا السياق بعض الخطب المنسوبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها الخطبة المعروفة «بالبیان». ومع اختلاف هذه الروايات في بعض الأسماء إلا أن هناك قدراً جامعاً ومشتركاً بينها يمكن أن يكون ركيزة في الإطلاقة على معرفة بعض الأمور عن الأسماء والبلدان.

(١) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص ١٢٠.

(٢) الغيبة، التلعثماني، ص ١٢٢.

والقدر المتيقن المتفق عليه في أسماء المناطق هو:

. أبدال أهل الشام .

. عصاب أهل العراق .

. النجباء من أهل مصر .

. منطقة الشرق الأوسط .

. البصرة والكوفة والنجف - الرفقاء من أهل الكوفة .

. الحجاز (مكة والمدينة المنورة) .

. الطالقان .

. الشمال الإفريقي .

. اليمن وشرق الجزيرة العربية .

. أوروبا .

وسنكتفي بما ذكرناه من روايات سابقة وكلها تشير إلى هذه الأماكن . نعم

سنشير إشارة عابر إلى مضامين هذه الروايات ومنها:

. فيأتيه ناسٌ من أهل مكة . . .

. يبايع القائم بين الركن والمقام . . . فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال

من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق . . . والرفقاء من أهل الكوفة .

. يبايع لرجل . . . فيأتيه . . . وعصب أهل المشرق . . .

. يخرج ناس من المشرق فيوطنون للمهدي . . . وثلاثة عشر رجلاً أولاد

المعجم .

. ويحاً للطالقان، فإن لله فيه كنوزاً ليست من ذهباً ولا فضة . . .

وفي الروايتين الواردتين عن الإمام علي عليه السلام (وفيها أسماء الأصحاب

وبلدانهم) نلاحظ اتفاقاً على نسبة قليلة من المدن، وذكرت الرواية الأولى مائة

وستاً وعشرين مدينة، والثانية مائة وست مدن مع أنساب وعناوين أخرى .

نرى ونلاحظ أن الروایتين تتفقان على تسمية خمس وثلاثين مدينة فقط وهي :

«البصرة، عسكر مكرم، عثمان، سیرادف، شیراز، أصفهان، الكرخ، قم، الطالقان، قزوین، أرمينية، الزوراء، عبادان، الموصل، نصیبین، بالس، حلب، حمص، دمشق، بیت المقدس، غزة، الفسطاط، الاسكندرية، الإفرنج، عدن، المدينة، مكة، الطائف، مرو، هجر، عرفات (عرفة) رملة (رميلة) عكا، أنطاكية، اليمامة».

ثم إن هذه الروایات اختلفت في العدد الذي يخرج من هذه المدن، فيما عدا إحدى عشرة مدينة هي :

«البصرة (إثنان)، الطالقان (أربع وعشرون)، بالس (واحد)، عرفات (واحد)، الفسطاط (أربعة)، المدينة المنورة (عشرة)، مكة المكرمة (أربعة)، هجر (واحد)، عكر (إثنان)، أنطاكية (واحد)».

وهناك بعض الروایات الواردة عن الإمام علي عليه السلام - كما ذكرنا - تحمل أسماء أصحاب المهدي عليه السلام وأسماء مدنهم تفصيلاً نذكر منها :

أخرج ابن طاووس في الملاحم والفتن عن أبي صالح السليبي في كتاب: الفتن. من عدد رجال المهدي عليه السلام بذكر بلادهم، ثم ذكر السند إلى الأصبح بن نباتة، قال: خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام خطبة فذكر المهدي وخروج من يخرج معه وأسماءهم. فقال له أبو خالد الحلبي صفه لنا يا أمير المؤمنين!.. فقال علي عليه السلام :

«ألا إنه أشبه الناس خلقاً وخلقاً وحسناً برسول الله ﷺ. ألا أدلكم على رجاله وعددهم. قلنا: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: أولهم من البصرة وآخرهم من اليمامة. وجمل علي عليه السلام يعدد رجال المهدي عليه السلام والناس يكتبون فقال :

رجلان من البصرة ورجلان من الأهواز ورجل من عسكر مكرم،
 ورجل من مدينة نستر، ورجل من دورق، ورجل من الباستان
 (لعلها: الباكستان) واسمه علي، وثلاثة... من اسمه (لعلها:
 اسمرة): أحمد وعبد الله وجعفر، ورجلان من عمان: محمد
 والحسن، ورجلان من سيراف: شداد وشديد. وثلاثة من شیراز:
 حفص ويعقوب وعلي، وأربعة من أصفهان: موسى وعلي وعبد الله
 وغلفان. ورجل من أبدح واسمه يحيى. ورجل من المرج (المرج)
 واسمه داود. ورجل من الكرخ واسمه عبد الله. ورجل من بروجرد
 واسمه قديم. ورجل من نهاوند واسمه عبد الرزاق. ورجلان من
 الدينور: عبد الله وعبد الصمد. وثلاثة من همدان: جعفر وإسحاق
 وموسى. وعشرة من قم: أسماؤهم على أسماء أهل بيت
 رسول الله ﷺ ورجل من خراسان اسمه دريد. وخمسة من الذين
 أسماؤهم على أهل الكهف. ورجل من آمل. ورجل من جرجان.
 ورجل من هراة، ورجل من بلخ، ورجل من قراح، ورجل من
 عانة، ورجل من دامغان، ورجل من سرخس وثلاثة من السيار،
 ورجل من ساوة ورجل من سمرقند. وأربعة وعشرون من الطالقان،
 وهم الذين ذكرهم رسول الله ﷺ، وفي خراسان^(١) كنوز لا ذهب
 ولا فضة، ولكن رجال يجمعهم الله ورسوله. ورجلان من قزوین،
 ورجل من فارس، ورجل من أبهر، ورجل من برجان (لعلها:
 جرجان) ورجل من جموح، ورجل من شاخ ورجل من صريح،
 ورجل من أردبیل ورجل من مراد، ورجل من تدمر، ورجل من
 أرمينية، وثلاثة من المراغة. ورجل من خوي، ورجل من سلماص
 ورجل من أردبیل (مكرر في الرواية) ورجل من بدليس ورجل من

(١) قوله: كنوز لا ذهب ولا فضة، ورد بالنسبة إلى الطالقان في الرواية السابقة لا بالنسبة إلى خراسان، فلمل
 قوله: وفي خراسان هنا، زائد والعبارة تنسجم بدونه.

نسور، ورجل من بركري ورجل من سرخيس، ورجل من منارجرد (لعلها: بروجرد)، ورجل من قلقيل، وثلاثة من واسط، وعشرة من الزوراء، ورجل من السراة، ورجل من النيل، ورجل من صبيداء، ورجل من جرجان، ورجل من القصور، ورجل من الأنبار، ورجل من عكبرا، ورجل من الحنانة، ورجل من تبوك، ورجل من الجامدة، وثلاثة من عبادان، وستة من حديقة الموصل، ورجل من الموصل، ورجل من معلشاي، ورجل من نصيبين، ورجل من كازرون ورجل من فارقين (أقول: أصله: ميفارقين) ورجل من آمد، ورجل من رأس العين، ورجل من الرقة ورجل من حران، ورجل من بالس، ورجل من قبيج. ثلاثة من طرطوس، ورجل من القصر، ورجل من ادنة (لعلها: ادنة) ورجل من خمري (أقول: أصلها: باخمري) ورجل من عرار (لعلها: عرعر)، ورجل من قورص (لعلها: قبرص)، ورجل من أنطاكية، وثلاثة من حلب، ورجلان من حمص، وأربعة من دمشق، ورجل من سورية، ورجلان من قسوان (لعلها: أسوان)، ورجل من قيموت (لعلها: بيروت). ورجل من كراز ورجل من أذرح، ورجل من عامر. ورجل من دكار. ورجلان من بيت المقدس. ورجل من الرملة، ورجل من بالس (مكرر) ورجلان من عكا، ورجل من صور، ورجل من عرفات، ورجل من عسقلان، ورجل من غزة، وأربعة من الفسطاط. ورجل من قرميس، ورجل من دمياط، ورجل من المحلة ورجل من الاسكندرية ورجل من برق، ورجل من طنجة ورجل من افرنجة (ويعني أوروبا بلاد الإفرنج، أو فرنسا خاصة) ورجل من القبروان وخمسة من السوس (لعلها: الشرق الأقصى)، ورجلان من قبرص، وثلاثة من حميم، قوص، ورجل من عدن ورجل من علالي، وعشرة من مدينة الرسول ﷺ وأربعة من مكة، ورجل من الطائف ورجل الدير، ورجل من الشيروان، ورجل من زبيد، وعشرة من

مرو ورجل من الإحساء ورجل من القطيف، ورجل من هجر،
ورجل من اليمامة».

قال علي عليه السلام :

«أحصاهم لي رسول الله ﷺ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، بعدد
أصحاب بدر، يجمعهم الله مشرقها ومغربها...» الحديث.
فهؤلاء حوالي المائتين والأربعين فرداً. وهو ينقص عن العدد المطلوب
بتسعين.

وهناك رواية تذكرهم بكاملهم وتذكر أسماءهم ومدنهم، يحسن بنا أن
نذكرها بالرغم من طولها، لتتوفر على المقارنة بين الروایتين:

روى في إلزام الناصب^(١) بسند ضعيف عن عبد الله بن مسعود رفعه إلى
علي بن أبي طالب: لما تولى الخلافة... أتى البصرة فرقى جامعها وخطب
الناس... وهي آخر خطبة خطبها «وتسمى خطبة البيان، وهي لها نسختان وهذا
النص مطابق لأحد النسختين. كما ذكر في المصدر» أقول: بين النسختين
اختلاف كبير جداً ونحن ننقل منها بمقدار الحاجة من النسخة الأولى:

«اسمعوا أبين لكم أسماء أنصار القائم! إن أولهم من أهل البصرة
وآخرهم من الأبدال. فالذين من أهل البصرة رجلان: اسم أحدهما
علي والآخر محارب. ورجلان من قاشان: عبد الله وعبيد الله.
وثلاثة رجال من المهجمة: محمد وعمر ومالك. ورجل من السند:
عبد الرحمن. ورجلان من حجر (لعلها: هجر): موسى وعباس.
ورجل من الكورة: إبراهيم. ورجل من شيراز عبد الوهاب. وثلاثة
رجال من سعداوة: أحمد ويحيى وفلاح. وثلاثة رجال من زين:
محمد وحسن وفهد. ورجلان من حمير: مالك وناصر. وأربعة
رجال من شيران، وهم: عبد الله وصالح وجعفر وإبراهيم. ورجل

(١) ص ١٩٣ وما بعدها إلى عدة صفحات ط إيران.

من عقر: أحمد. ورجلان من المنصورية: عبد الرحمن وملاعب.
وأربعة رجال من سيراف: خالد ومالك وحوقل وإبراهيم. ورجلان
من خوفخ (لعلها: خوي) محروز ونوح. ورجل من المثقة: هارون
ورجلان من السنن (لعلها: السند) مقداد وهود. وثلاثة رجال من
الهويقين: عبد السلام وفارس وكليب. ورجل من الزناط: جعفر.
وسنة رجال من عمان: محمد وصالح وداود وهواشب وكوش
ويونس ورجل من العارة (لعلها: عانة) مالك. ورجلان من ضفار
يحيى وأحمد. ورجل من كمان: عبد الله. وأربعة رجال من
صنعاء: جبرئيل وحمزة ويحيى وسميع. ورجلان من عدن: عون
وموسى. ورجل من لونجة كوثر، ورجلان من صمد (لعلها: صفد)
علي وصالح. وثلاثة رجال من الطائف: علي وسبا وزكريا. ورجل
من هجر: عبد القدوس. ورجلان من الخط: عزيز ومبارك. وخمسة
رجال من جزيرة آوال، وهي البحرين: عامر وجعفر ونصير ويكير
وليث. ورجل من الكبش: فهد (محمد). ورجل من الجدا:
إبراهيم. وأربعة رجال من مكة: عمر وإبراهيم ومحمد وعبد الله.
وعشرة من المدينة، على أسماء أهل البيت: علي وحمزة وجعفر
وعباس وطاهر وحسن وحسين وقاسم وإبراهيم ومحمد. وأربعة
رجال من الكوفة: محمد وغيث وهود وعتاب (عباب) ورجل من
مرو: حذيفة، ورجلان من نيشابور: علي ومهاجر. ورجلان من
سمرقند: علي ومجاهد وثلاثة رجال من كازرون: عمر ومقمر
ويونس. ورجلان من الأسوس: شيبان وعبد الوهاب. ورجلان من
دستر: أحمد وهلال. ورجلان من مرقون: بشر وشعيب. وثلاثة
رجال من بر وعد: يوسف وداود وعبد الله. ورجلان من عسكر
مكرم: الطيب وميمون. ورجل من واسط: عقيل، وثلاثة رجال من
الزوراء: عبد المطلب وأحمد وعبد الله. ورجلان من سر من رأى:

مراثي وعامر. ورجل من المسهم (المتهم): جعفر وثلاث رجال من سيلان: نوح وحسن وجعفر. ورجل من كرخا بغداد: قاسم. ورجلان من نوية: واصل وفاضل. وثمانية رجال من قزوين: هارون وعبد الله وجعفر وصالح وعمر وليث وعلي ومحمد. ورجل من البلخ: حسن. ورجل من المداغة (لعلها: المرافعة) صدقة. ورجل من قم: يعقوب. وأربعة وعشرون من الطالقان، وهم الذين ذكرهم رسول الله ﷺ فقال: إني أجد بالطالقان كنزاً ليس من الذهب ولا فضة (الفضة)، فهم هؤلاء كنزهم الله فيها. وهم صالح وجعفر ويحيى وهود وفالح وداود وجميل وفضيل وعيسى وجابر وخالد وعلون وعبد الله وأيوب وملاعب وعمر وعبد العزيز ولقمان وسعد وقبضة ومهاجر وعبدون وعبد الرحمن وعلي. ورجلان من سحار: أبان وعلي. ورجلين من شرخيس: ناحية وحفص. ورجل من الأنبار: علوان. ورجل من القادسية: حصين. ورجل من الدورق: عبد الغفور وستة رجال من الحبشة: إبراهيم وعيسى ومحمد وحمدان وأحمد وسالم. ورجلان من الموصل: هارون وفهد. ورجل من بلقا: صادق. ورجلان من نصيبين أحمد وعلي. ورجل من سنجار: محمد ورجلان من خراسان (لعلها: خراسان): نكبة ومسنون. ورجلان من أرمينية: أحمد وحسين. ورجل من أصفهان: يونس. ورجل من وهان (لعلها: هران) حسين. ورجل من الري: مجمع. ورجل من دنيا: شميب. ورجل من هراش: نهروش. ورجل من سلماس: هارون ورجل من بلقيس: محمد. ورجل من الكرد: عون. ورجل من الحبش: كثير. ورجلان من الحلاط: محمد وجعفر. ورجل من الشوبا: عمير. ورجلان من البيضاء: سعد وسعيد. وثلاثة رجال من الضيعة: زيد وعلي وموسى. ورجل من أوس: محمد. ورجل من الأنطاكية: عبد الرحمن. ورجلان من

حلب: صبيح ومحمد. ورجل من حمص. جعفر. ورجلان من دمشق: داود وعبد الرحمن. ورجلان من الرملية (لعلها: الرملة): طليق وموسى. وثلاثة رجال من بيت المقدس: بشر وداود وعمران وخمسة رجال من غسقان (لعلها: عسقان): محمد ويوسف وعمر وفهد وهارون: ورجل من غزة: عمير. ورجلان من عكة (عكا) مروان وسعد. ورجل من عرفة: فرخ. ورجل من الطبرية: فليح. ورجل من البلسان: عبد الوارث. وأربعة رجال من القسقاط (القساط) من مدينة فرعون لعنه الله: أحمد وعبد الله ويونس وظاهر. ورجل من بالس: قصير وأربعة رجال من الإسكندرية: حسن ومحسن وشبيل وشيبان. وخمسة رجال من جبل اللكام: عبد الله وعبيد الله وقادم وبحر وطالوت. وثلاثة رجال من السادة: صلب وسعدان وصبيح. ورجلان من الإفرنج: علي وأحمد. ورجلان من اليمامة: ظافر وجميل. وأربعة عشر رجلاً من المعادة: سويد وأحمد ومحمد وحسن ويعقوب وحسين وعبد الله وعبد القديم ونعيم وعلي وحيان وظاهر وتغلب وكثير. ورجل من المرطة: معشر. وعشرة رجال من عبادان: حمزة وشيبان وقاسم وجعفر وعمر وعامر وعبد المهيمن وعبد الوارث ومحمد وأحمد. وأربعة عشر من اليمن: جبير وحويش ومالك وكعب وأحمد وشيبان وعامر وعمار وفهد وعاصم وحجرش وكلثوم وجابر ومحمد. ورجلان من بدو مصر: عجلان ودواج. وثلاثة رجال من بدو عقيل: منبه وضابط وعريان. ورجل من بدو اغير: عمر. ورجل من بدو شيبان: نهراش. ورجل من تميم: ريان. ورجل من بدو قين: جابر. ورجل من بدو كلاب: مطر. وثلاثة رجال من موالي أهل البيت: عبد الله ومخنف وبزّاك. وأربعة رجال من موالي الأنبياء: صباح وصياح وميمون وهود. ورجلان مملوكان: عبد الله وناصح.

ورجلان من الحلة: محمد وعلي. وثلاثة رجال من كربلاء: حسين وحسين وحسن. ورجلان من النجف: جعفر ومحمد. وستة رجال من الأبدال، كلهم أسماؤهم عبد الله... الحديث^(١).

وأورد السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة أسماء البلدان التي يخرج منها أنصار الإمام المهدي عليه السلام وهي مأخوذة من مجموع الروايتين مرتبة على حروف المعجم وذكرها في ضمن الجدول التالي^(٢):

العدد	اسم البلد	العدد	اسم البلد
١	أسوان	٧	الري
٧	أصحاب الكهف	٣	سجستان
٢	اصطخر	١	اسلم
٢	الأهواز	٥	سلمية
٢	ايلة	٤	سمندار
١	باغة	١	سوط
١	بالس	٤	سنتجار
٩	بارود	٢	السند
١٩	بتليس	١	شيراز
١	بدا كذا	٢	الصامقان ^(٣)
٣	البصرة	٢	صنعا

(١) الملاحم والفتن، ابن طاووس، ص ١١٩.

(٢) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٨٤.

(٣) مدينة عند حدود طبرستان.

١	بعلبك	١	طازنيد الشرق
٢	بلمورق كذا		وهو المرباط السياح
١	بله	٢٤	الطالقان
٤	بوشينج	٢	طاهي
٩	بيروت	٧	طبرستان
٤	التابون سرنديب وسمندار ^(١)	١	طبرية
٢	التاجران من عانة إلى أنطاكية وغلالمها ^(٢)	١	طرابلس
٢	ترمذ	١	الطواف الطالب للحق من يخشب ^(٣)
٥	تفليس	٥	طوس
٣	جابر وان	١	عكبرا
١	الجار	١	الفاريب
١٢	جرجان	١	فرغانة
١	الحارث	٤	الفسطاط
١	حديثة الموصل	١	فلسطين
٢	حران	١	قالس

(١) في الرواية أنهم أربعة من تجار فارس يخرجون عن تجارتهم فيستوطنون سرنديب وسمندار حتى يسمعوا الصوت ويمضون إليه.

(٢) في الرواية أنهما يخرجان مع غلام لهما أصجمي في رفقة من التجار يريدون أنطاكية فيسمعون الصوت فيذهلون عن تجارتهم ويفتقدون رفقائهم ثم يبيعون لهم تجارتهم ويحملونها إلى أهاليهم وبعد ستة أشهر يوافون إلى أهاليهم على مقدمة القائم عليه السلام.

(٣) هو رجل من أهل يخشب قد كتب الحديث وعرف الاختلاف وبين الناس فلا يزال يطوف بالبلاد حتى يأتيه المر وهو يسير في الموصل إلى الرها فيمضي حتى يوافي مكة.

٤	حلب	١	قليقلا
٢	حلوآن	١	القبة
١	خلاط	١	القريات
١	خير	٢	قزوين
٣	دمشق	١٨	قم
١	دمياط	١	قنڊايل
٤	الديلم	٢	قعس
١	الدنيل	٢	القيروان
٢	الرافقة	٣	كور كرمان
١	الربذة	١	كوريا
٣	الركة	١٤	الكوفة
١	الرها	١	مازن
١	ريدار	١	المتخلي بسقبة ^(١)

شجاعتهم:

بقدر ما يكون الإنسان حاملاً لمبدأ معين، ومنتصلاً إلى عقيدة و متمسكاً بهذا المبدأ وهذه العقيدة، مؤمناً بصوابيتهما، وأنهما طريق الحق الذي لا يجوز التخلي عنه في حال من الأحوال. بقدر ما يكون صلب الإرادة والعزيمة والعنفوان.

(١) في الرواية أنه رجل من أبناء الروم لا يزال يخرج إلى بلد الإسلام يجول بلدانها حتى يمن الله عليه بمعرفة الأمر الذي أنتم عليه فيدخل سقبة ويعد الله حتى يسمع الصوب فيجيبه.

فكيف إذا كان هذا المبدأ والنهج هو خط الإسلام والرسالة التي جاهد من أجلها الأنبياء من أولهم إلى خاتمهم، ثم الأوصياء من بعدهم لتصل النبوة إلى عصارة هذا الجهاد والكفاح، إلى محقق حلم الأنبياء صلوات الله عليهم المنادي بصوت الحق الذي صرخوا به، وناضلوا من أجله، لينتهي الأمر إلى تحقيق وإنجاز دولة العدل والحق، دولة الإسلام المرتقبة في آخر الزمان. وأصحاب الإمام المهدي عليه السلام هم من سيكونون بين يدي قائدهم وملهمهم، وطوع أمره لإنجاز هذا الوعد، وتحقيق هذا الحلم. فمنه يستمدون العزيمة والإرادة والشجاعة الكافية ليصبح الواحد منهم بأربعين، وتصبح قلوبهم كزبر الحديد بل هي أشد من ذلك بكثير، لو مروا بالجيال لتدكدكت، الواحد منهم أجراً من ليث وأمضى من ستان.

قوتهم هي قوة الإيمان بالله عز وجل... وإرادتهم وشجاعتهم وبسالتهم يستمدونها من هذا الإيمان، فتكون القوة التي لا يquerها أحد على الإطلاق. وبمجرد أن تلوح راية الإمام المهدي عليه السلام، تمتلئ نفوسهم وأرواحهم قوة وشجاعة.

يروى أبان بن تغلب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث يتحدث فيه عن المهدي عليه السلام. ثم ذكر رايته، فقال:

«فإذا هزها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد، وأعطى قوة أربعين رجلاً»^(١).

وتصف بعض الروايات لحظة اجتماعهم بالإمام عليه السلام:

«فبصير مع قوم أسد بالنهار ورهبان بالليل... فإذا قام قائمنا المهدي عليه السلام كان الرجل من محبيننا أجراً من سيف وأمضى من ستان...»^(٢).

(١) الغيبة، النعماني، ص ١٦٧.

(٢) ينابيع المودة، القندوزي، ص ٥٣٨.

وعن العزيمة والقوة التي يستمدونها من الإمام عليه السلام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«... فإذا هزّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب. ووضع يده على رؤوس العباد، فلا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد. وأعطاه الله عز وجل قوة أربعين رجلاً...»^(١).

ومعنى «زبر الحديد»: بضم الأول وفتح الثاني، جمع زبرة، فهي القطعة منه. قال الله تعالى: (آتوني زُبَرَ الحديد)^(٢)، أي قطع الحديد. وما هذا التشبيه لقلوب الأصحاب بقطع الحديد إلا للتأكيد على شجاعتهم وقوتهم، وعدم دخول الخوف أو الرعب إليهم. وأعظم من ذلك تشبيههم بالسيف والسنان، فإنهم ليسوا فقط مثل هذه الجمادات في الأثر بل هم أجراً وأقوى من ذلك.

ومن أوصاف الشجاعة والقوة التي وردت في الروايات، ما رواه المجلسي في البحار عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«ورجال كأن قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شك في ذات الله، أشد من الجمر، لو حملوا على الجبال لأزالوها... رهبان بالليل ليوث بالنهار... إذا ساروا سار الرعب أمامهم مسيرة شهر... بهم ينصر الله إمام الحق»^(٣).

شعارهم:

الشعار يمكن أن يُراد به أحد معنيين:

المعنى الأول: اللفظ الذي يُنادى به في الحرب لأجل بث روح الحماس والإقدام في الجنود. وهو المعنى الذي كان مفهوماً من اللفظ عند صدور الروايات. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتخذ الشعار في حروبه. والمعروف

(١) أعلام الوري، الطبرسي، ص ٤٣٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٦.

(٣) البحار، ج ١٣١، ص ١٨٠.

المروي أن شعار المسلمين يوم بدر: «يا منصور أمت»^(١)، ويوم بني الملوحة: «أمت أمت»^(٢).

المعنى الثاني: اللفظ الذي يُصاغ للتثقيف الجماهيري، يعبر عن مفهوم أو هدف معين. وهو المعنى المفهوم في عصرنا الحاضر^(٣).

والإمام المهدي عليه السلام صاحب أعظم نهضة وأهم ثورة في آخر الزمان، وسيقود الجيش الذي من المتوقع أن يتشكل من أفراد ينتشرون في جميع أرجاء المعمورة.

والحروب التي سيخوضها لا تقل أهمية عن ما سبقها من حروب خاضها الإسلام ضد الكفر. وفي هذه الحالة نحتاج إلى شعار (سواء بالمعنى الأول أو الثاني) ليكون تعبيراً وعنواناً لما يختلج في صدره وصدور أصحابه، ووسيلة للإفصاح عن الهدف من هذه الثورة والنهضة الكبرى.

فهل يوجد في الروايات ما يشير إلى الشعارات التي يُنادي بها الإمام عليه السلام وأصحابه؟

الجواب: طائفة من الروايات نضعها بين يدي القارئ الكريم ليطلع على ذلك.

روي في عيون أخبار الرضا عن الريان بن شبیب عن الرضا عليه السلام في حديث طويل قال:

«يا بن شبیب إن كنت باكباً فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه ذُبِحَ كما يُذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة

(١) راجع واسئل الشيعة، الحر العاملي، كتاب الجهاد، باب استحباب اتخاذ المسلمين شعاراً.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ ما بعد الظهور، ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

آلاف لنصرته فلم يؤذن لهم فهم عند قبره شعثٌ غبر إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره، وشعارهم يا لشارت الحسين عليه السلام^(١)

وفي كامل الزيارات روى ابن قولويه بإسناده عن مالك الجهنبي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرم . . . إلى أن يقول: قال: قلت: فكيف يعزي بعضهم بعضاً، قال: يقولون: عظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام^(٢)

وفي دلائل الإمامة عن الإمام الباقر عليه السلام:

«أنه سُئل: يا بن رسول الله أستم كلكم قائمين بالحق؟ قال: لَمَّا قُتِلَ جَدِّي الحسين عليه السلام ضَجَّتِ الملائكة بالبكاء والنحيب، وقالوا إلهنا وسيندنا، تصفح عمن قتل صفوتك وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك؟ فأوحى الله إليهم قزوا ملائكتي فوعزتي وجلالي لأنتقم منهم ولو بعد حين ثم كشف الله عز وجل لهم عن الأئمة من ولد الحسين فسرت الملائكة بذلك، ورأوا أحدهم قائماً يصلي فقال سبحانه: بهذا القائم أنتقم منهم»^(٣).

لقاء الإمام عليه السلام بأصحابه:

من المعلوم لدينا بعد عرضنا لطائفة من الروايات الواردة في أصحاب الإمام المهدي عليه السلام وخصوصاً المتعلّقة منها بجنسياتهم وبلدانهم، أن ظهور

(١) منتخب الأثر، ص ٣٠، ح ١٤.

(٢) كامل الزيارات، ص ١٧٥، ومفاتيح الجنان، ص ٤٥٤.

(٣) منتخب الأثر، ص ٣٠٣، ح ١، نقلاً عن دلائل الإمامة.

الإمام عليه السلام يكون في مكة المكرمة وأصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر ينتمون إلى بلدان ومناطق بعيدة عن مكة.

فكيف يتسنى لهؤلاء أن يلتحقوا بالإمام عليه السلام ويكونوا معه لحظة الظهور ويستمعوا إلى خطبته الأولى، وإعطاء البيعة وغيرها من الأمور التي تستدعي وجودهم معه.

الذي يبدو لنا من الروايات أن التحاقهم بالإمام عليه السلام يأخذ أشكالاً متعددة بحسب ظرف كل واحد منهم. ومن ذلك:

أولاً: وصول الأصحاب إلى مكة بطريقة المعجزة، فلو كان الواحد منهم بعيداً، ومهما كانت المسافة بينه وبين مكة، فإن الله عز وجل يوصلهم إلى الإمام عن طريق غير اعتيادي عبر إظهار معجزته في هذا الأمر، وهذا ما يُسهّل وصولهم بسرعة فائقة.

ومن مصاديق هذا الإعجاز:

أن وصولهم عن طريق طي الأرض لهم، كما في بعض الروايات:
«فيصير إليه أنصاره من أطراف الأرض تطوى لهم طياً، حتى يبايعوه».

وفي خبر آخر رواه الطبرسي:

«فتصير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طياً، حتى يبايعوه».

ثانياً: وصولهم عبر السحاب. كما في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام:
«... بعضهم يُحمل في السحاب نهراً يُعرف باسمه واسم أبيه ونسبه وحليته...».

ثالثاً: وصولهم وهم نائمون في فرشهم، فما يدرون إلا وهم بين يديه، وهو ما جاء في تكملة الرواية السابقة:

«... وبعضهم نائم على فراشه، فيوافيه في مكة على غير ميعاد...».

رابعاً: وصولهم عبر الطرق العادية والسفر الطبيعي إلى مكة. وهؤلاء قد يكونوا في مكة يوم الظهور حيث يتوافدون إليها بعد سماعهم أو معرفتهم ببعض علامات الظهور مثل النداء من السماء في شهر رمضان، فيأتون إلى مكة مع الناس في موسم الحج ويمكثون فيها إلى يوم الظهور في العاشر من المحرم، وليس من الضروري أن يكون هؤلاء من الذين يعرفون أنفسهم أنهم بالتحديد من أصحاب الإمام المهدي عليه السلام، وليس من الضروري أن يعرف الواحد منهم الآخر، حيث يتكفل الله عز وجل باجتماعهم من خلال هذه الطرق المتعددة من المناطق المختلفة:

«يجتمعون في ساعة واحدة، كما تجتمع قزح الخريف».

أي قطعاً كقطع السحاب حين تجتمع في السماء.

الفصل الثالث

الدين الذي يدعو إليه
الإمام المهدي عليه السلام

الدين الذي يدعو إليه الإمام المهدي عليه السلام

وهو سؤال نطرحه: بأن الإمام المهدي عليه السلام إلى أي دين يدعو؟ وإلى أي مذهب من المذاهب الإسلامية ينتمي؟

وهنا قد يستغرب القارئ الكريم طرح هذا الموضوع لأنه من الثابت في عقيدتنا أن الإمام المهدي عليه السلام ما هو إلا امتداد لخط النبوة المحمدية وخط الرسالة الإسلامية التي من ثوابتها الأساسية البشارة بظهور الإمام المصلح في آخر الزمان.

والذي نهدف إليه هو تثبيت هذا الانتماء الديني للإمام المهدي عليه السلام إلى خط الإسلام من خلال الأدلة والبراهين لأجل الوصول إلى الغاية والهدف الأهم والذي هو سيطرة الإسلام على يديه على كل الأديان، ودعوته للأديان الأخرى ولأصحابها للانتماء إلى الإسلام.

وثانياً التأكيد على الخط الذي ينتهجه الإمام المهدي والمذهب الذي ينتمي إليه، والذي هو في رأينا مذهب وخط ومنهج أهل بيت النبي الأعظم (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين).

أما الحديث في النقطة الأولى: أي الدين الذي يدعو إليه الإمام المهدي عليه السلام فنستعرض ما جاء في الروايات حول هذا الموضوع:

روى الشيخ المفيد في الإرشاد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهدهم إلى أمرٍ

قد ذُيِّرَ فَضِّلَ عَنْهُ الْجُمْهُورُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْقَائِمُ مَهْدِيًّا لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى أَمْرٍ مَضْلُوعٍ عَنْهُ، وَسُمِّيَ بِالْقَائِمِ لِقِيَامِهِ بِالْحَقِّ»^(١).

وعن عبد الله بن عطاء المكي، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: سألته عن سيرة المهدي كيف سيرته؟ فقال:

«يَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ كَمَا هَدَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيَسْتَأْنِفُ الْإِسْلَامَ جَدِيداً»^(٢).

وعن الإمام زين العابدين والإمام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ يُظْهِرُهُ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ ﷺ»^(٣).

روى الشيخ الصدوق في إكمال الدين عن محمد بن مسلم الثقفي قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول:

«الْقَائِمُ مَثَلُ مَنْصُورٍ بِالرَّعْبِ، مُؤَيَّدٌ بِالنَّصْرِ، تُطَوَّى لَهُ الْأَرْضُ، وَتُظْهِرُ لَهُ الْكَتُوزَ، يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَيُظْهِرُ اللَّهُ عِزَّهُ وَجَلَّ بِهِ دِينُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ خِرَابٌ إِلَّا وَأَعْمُرُ، وَيَنْزِلُ رُوحُ اللَّهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَيُصَلِّيَ خَلْفَهُ...»^(٤).

وفي تفسير فرات الكوفي في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» قال:

«إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ لَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا كَرِهَ خُرُوجُهُ حَتَّى لَوْ كَانَ فِي بَطْنِ صَخْرَةٍ لَقَالَتِ الصَّخْرَةُ: يَا مُؤْمِنُ فَيُشْرِكُ فَافْكُسْنِي وَاقْتُلْهُ»^(٥).

(١) الإرشاد، ص ٣٦٤، والبحار، ج ٥١، ص ٣٠، باب ٣، ح ٧.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٣٥٢، باب ٢٧، ح ١٠٨.

(٣) منتخب الأثر، ص ٢٩٩، ح ٥، عن نتائج المودة، ص ٤٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٧، ح ١، نقلاً عن إكمال الدين.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٩، ح ٤.

وفي البحار في حديث عن تفسير العياشي في قوله تعالى:
﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.

عن الصادق عليه السلام عن أبيه:

«لم يجئ تأويل هذه الآية ولو قد قام قائمنا سبى من يدركه ما يكون تأويل هذه الآية، وليلفن دين محمد ﷺ ما بلغ...»^(١).

وروى المجلسي أيضاً في البحار عن كنز جامع الفوائد عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ قال:

«لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي، ولا نصراني، ولا صاحب ملّة إلا دخل في الإسلام حتى يأمن الشاة والذئب والبقرة والأسد والإنسان والحية، وحتى لا تقرض فأرة جراباً، وحتى توضع الجزية، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير وذلك قوله تعالى: (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إن قائمنا إذا قام، دعا الناس إلى أمر جديد، كما دعا إليه رسول الله ﷺ وإن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغريباء»^(٣).

وعن عبد الله بن عطاء، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فقلت: إذا خرج المهدي بأي سيرة يسير؟ فقال عليه السلام:

«يهدم ما قبله كما صنع رسول الله ﷺ، ويستأنف الإسلام جديداً»^(٤).

(١) منتخب الأثر، ص ٢٩٩، ح ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٠، ح ١٠.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٣٦٦، باب ٢٧، فصل ١٤٧.

(٤) عقد الدرر، ص ٢٢٧، باب ٩، فصل ٣.

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن القائم (عجل الله فرجه) إذا قام بأي سيرة يسير في الناس؟ فقال عليه السلام:

«سيرة ما سار به رسول الله ﷺ حتى يظهر الإسلام، قلت: وما كانت سيرة رسول الله ﷺ؟ قال: أبطل ما كان في الجاهلية، واستقبل الناس بالعدل، وكذلك القائم عليه السلام إذا قام يُبطل ما كان في الهدنة مما كان في أيدي الناس، ويستقبل بهم العدل»^(١).

وروى الشيخ الطوسي عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث عن القائم عليه السلام قال:

«ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمد ﷺ...»^(٢).

وهذه الروايات وغيرها مما لم نذكره تثبت لنا بشكل واضح وقطعي أن الإمام المهدي عليه السلام يخرج إلى هذا العالم ليعيد تطبيق أحكام الإسلام من جديد بعد أن طاولتها يد التحريف ويد الإثم والعدوان التي عملت جاهدة على محو الصورة الحقيقية للإسلام من قلوب وعقول المسلمين.

وبذلك يعود الإسلام من جديد ليسط سلطان عدله على جميع أرجاء الدنيا، ويشهد العالم عودة ميمونة ومباركة للإسلام الذي رسم معالمه وأرسى قواعده النبي الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ.

وليس هناك من دين يعتنقه ويطبقه القائم المهدي عليه السلام سوى الإسلام الذي هو أطروحته العادلة والشاملة.

وبحسب مضمون هذه الروايات فإن الإمام عليه السلام يقاتل حتى لا يبقى على وجه الأرض إلا من يؤمن بالإسلام ولن يقبل منه غير ذلك.

وهذه هي أولى وأساس وأهم أهداف خروجه عليه السلام ومن المؤيدات لهذا الكلام ظهور النبي عيسى عليه السلام وعودته إلى الدنيا ليصلي خلف الإمام

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٨١، باب ٢٧، ح ١٩٧.

(٢) الغيبة، ص ٢٨٣.

المهدي عليه السلام ورفضه لإمامة الصلاة بحضوره عليه السلام. وبهذا يظهر أيضاً التفسير الحقيقي لبعض آيات القرآن الكريم التي صرّحت بأن الله سبحانه وتعالى سوف يُظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون والكافرون.

ومن الآثار الهامة المترتبة على ذلك السيطرة الكاملة والشاملة للدين الإسلامي، وتوحيد المعتقد الديني في العالم بدين الإسلام، وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(١) وقيام الحكم على أساس معايير الإسلام وقوانينه.

وأما النقطة الثانية وهي المذهب الذي يتبناه الإمام المهدي عليه السلام من المذاهب الإسلامية الموجودة والتي يعتنقها المسلمون. فقد صرّح عدد من علماء العامة ومفكرهم بعدم انطباق أحكام المهدي مع شيء من المذاهب الأربعة.

قال ابن عربي في الفتوحات المكية في كلامه عن الإمام المهدي عليه السلام: به يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص. أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهب إليه أئمتهم^(٢).

وقال السيوطي: عن الحكم الذي يمارسه عيسى بن مريم عليه السلام - وهو العضد الأيمن للمهدي عليه السلام - في دولة الحق، قال:

«وإذا قلتم أنه يحكم بشرع نبينا، فكيف طريق حكمه به أبلمذهب من المذاهب الأربعة المقررة، أو باجتهاد منه؟! هذا السؤال عجب من سائله!!! وأشدّ عجباً منه قوله فيه: بمذهب من المذاهب الأربعة!! فهل خطر ببال السائل: أن المذاهب في الملة الشريفة منحصرة في أربعة، والمجتهدون من الأمة لا يحصون كثرة... فلا شيء خصص السائل المذاهب الأربعة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٢٧. نقلاً عن تاريخ ما بعد الظهور، ص ٩١.

ثم كيف يظن بنبي أنه يقلد مذهباً من المذاهب، والعلماء يقولون: إن المجتهد لا يقلد المجتهد، فإذا كان المجتهد من آحاد الأمة لا يقلد، فكيف يظن بالنبي أنه يقلد...»^(١).

وأما الشيعة فإن هذا الأمر من المسلمات التي لا نقاش فيها، فالإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر، وهو واحد من مصادر التشريع لديهم، وعندما يدعون إلى اتباعه وسلوك منهجه فلا بد أن يكون ذلك متطابقاً ومنسجماً مع مذهب أهل البيت عليه السلام وفقههم وعقائدهم ونظرتهم العامة للكون والدين. والإمام المهدي عليه السلام هو المظهر لدولة الحق دولة آل بيت محمد عليه السلام روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لكل أناس دولة يرقبونها، ودولتنا في آخر الدهر تظهر»^(٢).

وهو واحد من سلالة العترة الطاهرة لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وبهذا صرح كل علماء السنة ومفكرهم الذين أجمعوا على ظهوره في آخر الزمان وإن اختلفوا مع الشيعة في بعض التفاصيل.

ومن المؤيدات لهذا الأمر تصريح علماء أهل السنة بأن الإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام وأنه آخرهم.

فإذا كان الإمام المهدي عليه السلام هو من سلالة النبي صلى الله عليه وآله والإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام والمحقق لدولتهم، فيثبت لنا أنه على خطهم ومنهجهم. وليس هو إلا مذهب أهل البيت، المذهب الإمامي الذي به ينتصر الإمام المهدي عليه السلام للإسلام وللدين.

(١) الحاوي للفتاوى، السيوطي، ج ٢، ص ٢٨٠، نقلاً عن تاريخ ما بعد الظهور، ص ٩١.

(٢) أمالي الصدوق، ص ٣٩٦، المجلس ٦٤، ح ٣.

القسم الخامس

أحداث ما بعد الظهور

- الفصل الأول:
- بداية الظهور
- الفصل الثاني:
- الإمام عليه السلام في العراق
- الفصل الثالث:
- الإمام المهدي عليه السلام وإيران
- الفصل الرابع:
- أحداث منطقة الشام
- الفصل الخامس:
- الإمام المهدي عليه السلام في واجهة الصراع

الفصل الأول

بداية الظهور

★ أحداث منطقة الحجاز

★ الإمام عليه السلام في طريقه إلى المدينة

بداية الظهور

بفسا حجة ١

تشير الروايات والأحاديث الشريفة إلى أن بداية الظهور، وخروج الإمام المهدي عليه السلام يكون من مكة بعد أن يتوجه إليها قادماً من المدينة التي يرسل إليها السفيناني جيشه لقتال الإمام المهدي عليه السلام بعد سماعه نبأ خروجه.

ومن مكة يعود الإمام عليه السلام إلى المدينة فالعراق فالقدس وترافق هذه المسيرة أحداث وحروب ومعارك يخوضها الإمام عليه السلام ضد كل رموز الباطل، وتظهر له فيها الكثير من المعجزات والكرامات الباهرة.

ومن الأحداث الهامة والبارزة التي يريدها الله سبحانه وتعالى أن تكون إشارة للناس وتنبيهاً لهم على بدء وقرب عملية الظهور، وبالتالي لإعدادهم وتهيئتهم، أمران:

الأول: وقوع انقلاب في منطقة بلاد الشام بقيادة السفيناني.

الثاني: النداء الموجه من السماء إلى جميع شعوب العالم ويسمعونه جميعاً. كل قوم بلغتهم فلا يبقى نائم إلا استيقظ، ولا قاعد إلا نهض.

وبعد وقوع هذين الحدثين يبقى لظهور الإمام المهدي عليه السلام نحو ستة أشهر، باعتبار ما تقدّم معنا أن النداء السماوي يكون في شهر رمضان والظهور العلني في شهر محرم.

وتأتي أيضاً عملية خروج السفيناني في شهر رجب في طليعة الأحداث الهامة التي تحصل في الشام وتسبق الظهور المبارك للإمام المهدي عليه السلام.

ولنا أن نتساءل عن تحركات الإمام عليه السلام في هذه الستة أشهر التي تفصله عن خروج السفيناني؟

تشير المصادر التاريخية إلى أن هذه الأشهر الفاصلة بين خروج السفيناني وظهور الإمام المهدي عليه السلام تُعتبر مرحلة الظهور الخفي بعد الغيبة الكبرى، ولعل هذا هو ما أشارت إليه بعض الأخبار التي تحدّثت عن ظهور الإمام عليه السلام ثم اختفائه بعد خروج السفيناني.

فمن حَدَّثَنا بن بشير عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال :

«فإذا ظهر السفيناني اختفى المهدي ثم يظهر بعد ذلك»^(١).

وهذا إشارة واضحة إلى أنه عليه السلام يظهر للناس بعد خروج السفيناني في شهر رجب، ثم يعود للاختفاء إلى وقت الظهور ومثله ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال :

«لا يقوم القائم حتى يقوم إثنا عشر رجلاً كلهم يُجمعُ على قول إنهم قد راوه فيكذبونهم»^(٢).

أي أن الناس تُكذَّب هؤلاء المدعين للرؤية باعتبار أنهم لم يروا ولم يسمعوا بالظهور العلني المبارك. وهؤلاء الرجال - كما يفهم من الروايات - من الصادقين، ويدل على ذلك تعبير الإمام الصادق عليه السلام عن إجماعهم على رؤيته، وتعجبه عليه السلام من تكذيب الناس لهم.

وأيضاً من المرجحات لما نقوله ما ورد عن الإمام علي عليه السلام :

«يظهر في شبهة ليستبين، فيعلو ذكره، ويظهر أمره»^(٣).

والظاهر أن معنى ذلك هو ظهوره عليه السلام بالتدريج أولاً، ثم بعد ذلك يتضح أمره للناس ويستبين، ولعل ذلك يكون من أجل اختبار أمر الناس ومدى استجابتهم له.

وأياً كان، فالذي يفهم من الروايات الشريفة أن فترة الستة أشهر، أي من

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣.

خروج السفيناني والنداء إلى ظهوره ﷺ في محرم تكون حافلة بنشاطه ونشاط أصحابه . وتظهر للناس الكرامات والآيات على أيديهم وأيادي من يتصل بهم ، وأن ذلك سيكون حدثاً عالمياً يشغل الناس والدول على السواء . . . أما الشعوب الإسلامية والمستضعفة فتعتمها موجة الحديث عن المهدي ﷺ وكراماته واقتراب ظهوره . وتكون هذه الموجة تمهيداً شعبياً مناسباً لظهوره . ولكنها تكون في نفس الوقت أرضية خصبة للكذابين والمشعوذين لادّعاء المهودية ومحاولة تضليل الناس . . . فقد ورد أن اثنتي عشرة راية تدّعي المهديّة تُرفع قبل ظهوره ﷺ ، وأن اثني عشر شخصاً من آل أبي طالب يرفع كل منهم راية ويدعو إلى نفسه ، وجميعها رايات ضلال ، ومحاولات دنيوية لاستغلال موجة تطلّع المسلمين وشعوب العالم إلى ظهوره ﷺ .

فمن المفضل بن عمرو الجعفي عن الإمام الصادق عليه السلام قال سمعته يقول :

«إياكم والتنويه ، أما والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم ، ولتمحصنّ حتى يقال مات أو هلك ، بأي وإد سلك ، ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين ، ولتكفؤنّ كما تكفأ السفن أمواج البحر ، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه ، وكتب في قلبه الإيمان ، وأيده بروج منه ، ولترفعنّ اثنتا عشرة رايةً مُشبهةً لا يدرى أي من أي ! . . . »

قال المفضل : فبكيت ، فقال لي : ما يُبكك يا أبا عبد الله ؟ فقلت : كيف لا أبكي وأنت تقول تُرفع اثنتا عشرة راية لا يدرى أي من أي ؟ قال ، فنظر إلى شمسٍ داخله في الصُفّة ، فقال : يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس ؟ قلت : نعم . قال : والله لأمرنا أن يُبَيّن من هذه الشمس^(١) .

أي لا تخشوا أن يشبهه عليكم أمر الإمام المهدي ﷺ بأمر من يدّعي المهديّة ، لأن أمره أوضح من الشمس ، بآياته التي تكون قبله ومعه ، وشخصيته التي لا تقاس بالمدعين والكذابين .

ومن ناحية أخرى، ستأخذ الدولتان الممهدتان له عليه السلام، اليمنية والإيرانية، موقعاً سياسياً هاماً في أحداث العالم وتطلعات شعوبه... وتكونان بحاجة أكبر إلى توجهاته عليه السلام^(١).

أما الوضع العام فإنه يشهد حروباً وأحداثاً وكذلك بروز اختلافات تحتاح العالم كله.

«أبشركم بالمهدي يُبعث في أمتي على اختلاف من الناس
وزلزالي...».

«... ويومئذ يكون اختلاف كثير في الأرض وفتن».

وتشير بعض الروايات إلى أن نتيجة هذه الحروب تكون خسائر كبيرة جداً تبلغ في بعض الأحاديث الثلاثين من سكان الأرض وأكثر.

وتتلاحق الأحداث مع بداية الظهور الشريف والمبارك لصاحب العصر والزمان وتنقل مع انتقال الإمام عليه السلام من بلدٍ إلى بلد.

وهذه الأحداث منها ما يكون صدًى إيجابياً لتفاعل الأمة التي طالما انتظرت هذه اللحظات. ومنها ما يكون بفعل ردود فعل الأعداء والمناوئين للإمام المهدي عليه السلام.

وبعبارة أخرى: إن من الأحداث ما يصنعها الإمام عليه السلام وجماهيره الملتية لندائه ولنصرته، ومنها ما يصنعها أعداء الإمام عليه السلام الذين يحشدون كل قواهم لمقاتلته وحربه.

ولمتابعة هذه الأحداث والوقوف على مجرياتها لا بد من متابعة حركة الظهور بدءاً من المدينة ومكة ومروراً بالعراق والشام ثم القدس الشريف. وكل ذلك وفقاً لما ورد في المصادر والكتب التي تضمنت الروايات والأحاديث والأخبار الواردة في هذا الشأن.

أحداث منطقة الحجاز:

تذكر الروايات أن انطلاق الإمام عليه السلام نحو مكة يكون من المدينة المنورة حاملاً معه تراث رسول الله ﷺ.

عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرج شيعتكم؟ فقال بعد أن ذكر جملة من العلامات:

«...» وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله ﷺ، فقلت: ما تراث رسول الله ﷺ؟ قال: سيف رسول الله ودرعه وعمامته وُزْدُهُ وقضيبه ورايته ولامته وسرجه، حتى ينزل مكة فيخرج السيف من غمده ويلبس الدرع وينشر الراية والبردة والعمامة ويتناول القضيب بيده، ويستأذن الله في ظهوره فيطلع على ذلك بعض موالیه...»^(١).

وعنه عليه السلام:

«إن الذين تطلبون وترجون إنما يخرج من مكة، وما يخرج من مكة حتى يرى الذي يحب ولو صار أن يأكل الأغصان أغصان الشجر»^(٢).

وعند وصوله عليه السلام إلى مكة، يأتي إلى المسجد الحرام ويصلي عند المقام أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود، فيتابعه أصحابه بين الركن والمقام، وقد أشرنا إلى بعض التفاصيل في فصل سابق في فقرة (مكان الظهور) فراجع.

وما يهمنا الإشارة إليه هو الحدث البارز والمهم الذي يقع في مكة وهو مقتل ملك خليفة اسمه عبد الله مما ينتج عنه حصول فراغ سياسي في منطقة الحجاز، وصراع على السلطة بين أفراد القبيلة الحاكمة.

(١) الكافي، الكليني، ج ٨، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، ح ٢٨٥.

(٢) البحار، ج ٥١، ص ٢٨، باب ٤، ح ١٢.

وعلى أثر هذا الحادث يكون الظهور المبارك والفرج لأنصار الإمام وشيعته . . .

وقد أخبر الإمام الصادق ﷺ عن وقوع هذا الحدث في حديث رواه أبو بصير يقول فيه :

«من يضمن لي موت عبد الله أضمن له القائم، ثم قال : إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد، ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله، ويذهب ملك السنين، ويصير ملك الشهور والأيام، فقلت يطول ذلك؟ قال : كلا»^(١).

وعنه ﷺ :

«بَيْنَا النَّاسَ وَقَوْفًا بِعَرَفَاتٍ، إِذْ أَتَاهُمْ رَاكِبٌ عَلَى نَاقَةٍ ذُغْلِبَةٍ»^(٢)، وَيُخْبِرُهُمْ بِمَوْتِ خَلِيفَةٍ. عِنْدَ مَوْتِهِ فَرَجٌ أَلَّ مُحَمَّدٌ وَفَرَجُ النَّاسِ جَمِيعًا»^(٣).

ويروي الشيخ الصدوق حول سبب قتل الملك المذكور أنه يحصل بسبب قضية أخلاقية، وأن الذي يقتله أحد خدمه.

فمن الإمام الباقر ﷺ قال :

«يَكُونُ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ يَنْكَحُ خِضْبًا لَهُ فَيَقُومُ فَيَذْبَحُهُ وَيَكْتُمُ مَوْتَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. فَإِذَا سَارَتِ الرِّكْبَانُ فِي طَلَبِ الْخِضْيِ لَمْ يَرْجِعْ أَوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ حَتَّى يَذْهَبَ مَلِكُهُمْ»^(٤).

والفتن والأحداث التي تقع في منطقة الحجاز كثيرة وعجيبة وغريبة حيث يقتل أناس كثيرون، ويعمّ البلاء.

وهذه طائفة من الروايات التي تشير إلى هذه الأحداث :

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢١٠، باب ٢٥، ح ٥٤.

(٢) الناقة العلية : أي الخفيّة السريعة، وهذا كناية عن الإسراع في إيصال الخبر وتبشير الحجاج به.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٢٤٠.

(٤) كمال الدين، ص ٦٥٥.

عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «يشمل الناس موت وقتل حتى يلجأ الناس عند ذلك إلى الحرم، فينادي منادٍ صادقٍ من شدة القتل فيم القتل والقتال؟ صاحبكم فلان»^(١).

وعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، فقال: «نعم، ولا يكون حتى يختلف سيف بني فلان وتضيق الحلقة، ويظهر السفيناني، ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل، يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله ﷺ»^(٢).

وهذه الأحداث كلها تقع بعد الصيحة والنداء السماوي، وقبل خروج السفيناني، ويكون لها علاقة بالحرب العالمية واختلاف أهل الشرق والغرب في ذلك الزمان.

وتشهد هذه الفترة التي يظهر فيها الإمام عليه السلام في مكة عدة أمور منها: أولاً: تجمع أصحابه حوله، وهم الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وهم غير الجيش الذي يخرج به من مكة بعد إحكام سيطرته عليها. وكنا قد أشرنا سابقاً في بحث مطول كيفية تجمع الأصحاب ووصولهم إليه. ثانياً: قتل النفس الزكية.

حيث يرسل الإمام عليه السلام في الرابع والعشرين أو الثالث والعشرين من ذي الحجة (قبل ظهوره بخمسة عشر ليلة) شاباً من أصحابه وأرحامه ليُلقي بيانه على أهل مكة، ولكنه ما أن يقف في الحرم بعد الصلاة، ويقرأ عليهم رسالة الإمام المهدي عليه السلام حتى يبشوا إليه ويقتلوه بوحشية بين الركن والمقام، ويكون لشهادته المفجعة أثر في الأرض والسما.

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢٩٦، باب ٢٦، ح ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ١٥٦، باب ٢٣، ح ١٧.

ثالثاً: سيطرة الإمام وأصحابه وبقيّة أنصاره ليلة التاسع من المحرم على منطقة مكة بما فيها الحرم الشريف، وتوجيه الإمام بيانه إلى جميع شعوب العالم في مكة في اليوم الثاني عشر من المحرم، من دون أن تحدث أية معركة أو قتل في داخل المسجد الحرام، ولا في مكة.

رابعاً: دخول الإمام المهدي عليه السلام في يوم السبت المصادف للعاشر من المحرم إلى المسجد الحرام لمخاطبة شعوب العالم المسلمة وشعوب العالم كله بلغاتهم، ويطلب منهم النصرة على الأعداء الكافرين والظالمين.

«يخرج القائم يوم السبت يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام»^(١).

فتكون حينئذ سيطرته ليلة العاشر من المحرم على المسجد الحرام وخطابه فيه مقدّمة للإعلان عن ظهوره العام للعالم كله في اليوم العاشر من المحرم.

خامساً: إقامة الإمام المهدي عليه السلام الحذّ على سُرّاق الكعبة الشريفة، والمستولين عليها ظلماً وعدواناً.

سادساً: تحرك جيش السفيناني إلى المدينة أثناء وجود الإمام المهدي عليه السلام في مكة التي يبقى فيها إلى ما بعد آية الخسف بجيش السفيناني.

سابعاً: تغيير الإمام عليه السلام لبناء الكعبة والمسجد الحرام والمسجد النبوي. حيث تشير الروايات إلى أن الإمام عليه السلام يقوم بتغيير بناء الكعبة، وبينها على النمط الذي بناها عليه إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليه السلام، ويأمر بقطع أيدي بني شيبه أصحاب مفاتيح الكعبة وتعليقها على الكعبة وأن يُنادي بأن هؤلاء هم سُرّاق الكعبة.

روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«القائم عليه السلام يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه ومسجد

الرسول ﷺ إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه وأقامه على أساسه وقطع أيدي بني شيبه السزاق أيضاً وعلّقها على الكعبة^(١).

وعنه ﷺ أنه قال:

«إذا قام القائم ﷺ هدم المسجد الحرام حتى يردّه إلى أساسه، وحول المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبه وعلّقها بالكعبة وكتب عليها هؤلاء سزاق الكعبة»^(٢).

الإمام ﷺ في طريقه إلى المدينة:

لم تذكر الروايات مدة بقاء الإمام ﷺ في مكة على وجه التحديد، وغاية ما ورد رواية وفيها:

«فَبَقِيَ في مكة ما شاء الله أن يقيم»^(٣).

ومنها يتحرك الإمام ﷺ إلى المدينة المنورة بجيشه البالغ عشرة آلاف أو بضعة عشر ألفاً.

فعن عبد العظيم الحسيني رضوان الله عليه قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى ﷺ - ويقصد الإمام الجواد ﷺ - إني لأرجو أن تكون أنت القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فقال ﷺ:

«يا أبا القاسم ما مِنّا إلّا قائم بأمر الله، وهاذ إلى دين الله، ولست القائم الذي يُطهرُ الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملؤها عدلاً وقسطاً. وهو الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحزّم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله ﷺ وكنيته، وهو الذي تُطوى له الأرض، ويُذلّ له كل صعب... يجتمع إليه

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٣٢.

(٢) الإرشاد المفيد، فصل سيرته، ح ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٤.

من أصحابه عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أناسي الأرض، وذلك قول الله عز وجل ﴿أَنْتُمْ مَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الأرض أظهر أمره. فإذا كُمِّلَ له العقد وهو عشرة آلاف خرج بإذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله تبارك وتعالى. قال عبد العظيم، قلت: يا سيدي، وكيف يعلم أن الله قد رضي؟ قال: يلقي الله في قلبه الرحمة^(١).

وفي أثناء طريقه عليه السلام إلى المدينة يمرّ على مكان الخسف بجيش السفيناني. وقد أشرنا سابقاً في الحديث عن علامات الظهور إلى أن الخسف في البداء هو واحد من العلامات الخمس المحتملة.

وملخص القضية: إن السفيناني عندما يعلم نبأ الظهور يوجّه قواته إلى المدينة المنورة بحثاً عن الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره، ويرتكب فيها الجرائم، وتذكر الروايات أن الإمام عليه السلام يكون في هذا الوقت في المدينة ثم يخرج منها إلى مكة على سُنّة موسى عليه السلام خائفاً يترقب، ويبلغ الخبر بخروج الإمام إلى مكة إلى السفيناني، فيبعث جيشاً على أثره.

ويحلّ الجيش الثاني في المدينة فينتهبونها ثلاثة أيام لباليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبداة بعث الله جبرئيل عليه السلام لإبادة جيش السفيناني، ولا يفلت من الجيش إلا رجلان يذهب واحد منهم إلى السفيناني ليخبره بمصير جيشه، والآخر إلى الإمام المهدي عليه السلام ليبشّره بهلاك العدو.

وفي هذه الأثناء يكون الإمام عليه السلام عائداً بجيشه إلى المدينة مرة أخرى، ولما يصل إلى مكان الخسف بجيش السفيناني يقف الإمام عليه السلام ويتلو قوله تعالى:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْفَىٰ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ

مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١﴾ .

ولدى وصول الإمام (عليه السلام) إلى المدينة تشير الروايات إلى وقوع معركتين يخوضهما الإمام (عليه السلام) ضد السفيناني والنظام الحاكم فيها، ويحقق (عليه السلام) فيهما نصراً كاملاً.

ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه :

«... ثم يدخل المدينة فيغيب عنهم (عنها) عند ذلك قريش، وهو قول علي ابن أبي طالب (عليه السلام) : والله لو دث قريش (أن لي) عندها موقفاً واحداً جَزَرَ جَزورٍ، بكل ما مَلَكَتْهُ وكل ما طلعت عليه الشمس، ثم يحدث حدثاً، فإذا هو فعل ذلك قالت قريش: (اخرجوا إلى هذا الطاغية، فوالله لو كان محمدياً ما فعل، ولو كان علويّاً ما فعل، ولو كان فاطمياً ما فعل)، فيمنحه الله أكتافهم، فيقتلُ المقاتلةَ ويسبي الذريةَ، ثم ينطلق حتى ينزل الشقرة فيبلغه أنهم قد قتلوا عامله، فيرجع إليهم فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرّة إليها بشيء... ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه» (٢).

ويعلق الشيخ الكوراني على هذه الرواية فيقول: فهذه الرواية تذكر معركتين في المدينة :

الأولى: بعد الحدث الذي يحدثه المهدي (عليه السلام) فيها فتُكبره قريش وغيرها، ويبدو أنه يتعلق بهدم مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) وقبره الشريف وإعادة بنائهما كما تذكر روايات أخرى، فيتخذ أعداؤه ذلك ذريعةً لتحريك الناس عليه وقتاله، فيقاتلهم ويقتل منهم مئات كما في رواية أخرى. وعندها يتمنى القرشيون، أي المتسبون إلى قبائل قريش لو أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان حاضراً ولو بمقدار جَزَرَ جَزورٍ، أي بمقدار ذبح ناقة، لكي يخلصهم من انتقام المهدي، لأن سياسة أمير المؤمنين فيهم كانت الحلم والعفو.

(١) سورة النحل، الآيةان: ٤٥ - ٤٦.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٣٤٢.

والمعركة الثانية: بعد أن يقضي عليه هذه الحركة المضادة، ويعين على المدينة حاكماً من قبيله، ويخرج متوجّهاً إلى العراق أو إيران، وينزل في منطقة الشقرة أو الشقرات وهي منطقة في الحجاز باتجاه العراق وإيران، وقد تكون محل عسكر جيشه، فيقوم أهل المدينة مرة أخرى بحركة مضادة ويقتلون الوالي الذي عينه عليهم، فيرجع إليهم ويقتل منهم أكثر مما قتل منهم الجيش الأموي في وقعة الحرة المشهورة، ويخضع المدينة مجدداً لسلطته. وعدد قتلى الحرة كما تذكر مصادر التاريخ أكثر من سبعمائة شهيد، وقد كانت ثورتهم على يزيد بن معاوية بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهي ثورة مشروعة بعكس ثورة أهل المدينة هذه على الإمام المهدي عليه السلام. وتشبيه فعل جيشه بأهل المدينة بفعل جيش يزيد إنما هو من حيث كثرة القتلى فقط^(١).

وهاتان المعركتان وإن كانتا في مواجهة الإمام المهدي عليه السلام عند دخوله إلى المدينة، إلا أن هذا لا يعني أن الإمام عليه السلام لا يلاقي تأييداً من قبل أهلها، أو عدم وجود المناصرين له فيها.

بل أكثر من ذلك فإن الروايات لم تتحدث إلا عن رضا أهل المدينة بالإمام عليه السلام وعدم مقاومتهم له.

والأهم من ذلك أنهم يلاقون الشدة والعذاب والتنكيل من جيش السفيناني، ويمكن اعتبار ذلك دليلاً على ولائهم للإمام عليه السلام وعدم رضاهم بالسفيناني والنزول عند إرادة جيشه.

وتُظهر لنا بعض الروايات هروب الكثير من أهل المدينة فراراً من جيش السفيناني. روى في عقد الدرر عن ابن حماد:

«فبيلغ أهل المدينة مخرج الجيش إليهم، فيهرب منها من كان من آل محمد عليه السلام إلى مكة يحمل الشديد الضعيف والكبير الصغير فيدركون نفساً من آل محمد عليه السلام فيذبحونه عند أحجار الزيت»^(٢).

(١) عصر الظهور، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) عقد الدرر، ص ٦٦، باب ٤، فصل ١.

وعلى كل الأحوال فإن الروايات تشير إلى السيطرة الكاملة للإمام المهدي عليه السلام على جميع أرجاء منطقة الحجاز «يفتح الله له الحجاز». «يفتح الله للمهدي أرض الحجاز». وهروب واندحار جيش السفيناني وانهيار النظام الحاكم فيها.

وبعدها يتوجه الإمام عليه السلام إلى العراق وفي بعض الروايات إلى إيران، فماذا يجري بعد ذلك؟

الفصل الثاني

الإمام عليه السلام في العراق

الإمام عليه السلام في العراق

بعد سيطرته الكاملة على منطقة الحجاز وتقوية دعائم حكمه فيها، يتحرك الإمام المهدي عليه السلام مع أصحابه وجيشه صوب العراق ليُتخذ من الكوفة عاصمة لدولته، وداراً لخلافته.

وللكوفة دور هام وشأن عظيم في عصر الظهور باعتبار ما ذكرنا وكذلك للأحداث التي تقع فيها وفي منطقة العراق بوجه عام.

وتشير بعض الروايات إلى أن تحرك الإمام عليه السلام من المدينة يكون باتجاه إيران، ونحن سواء كانت الوجهة هي العراق أم إيران سنتناول الحديث عن أحداث المنطقتين للإطالة على كل مجريات الأحداث والمعارك التي ستدور فيها خصوصاً بعد خروج الرايات السود من المشرق وبروز شخصية الخراساني وشعيب بن صالح واليماني وفي مقابلهم السفيناني وجيشه وأعوانه ومن يتبعهم.

يقول الإمام أمير المؤمنين عن مسير الإمام المهدي عليه السلام إلى الكوفة:

«... ثم يقبل إلى الكوفة فيكون منزله بها، فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه، ولا غارماً إلا قضى دينه، ولا مظلماً لأحدٍ من الناس إلا ردّها، ولا يقتل عبداً إلا أدى ثمنه» فدية مسلّمة إلى أهلها «ولا يقتل قتيل إلا قضى عنه دينه والحق عياله في العطاء، حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً. ويسكن هو وأهل بيته الرحبة، والرحبة إنما كانت مسكن نوح، وهي أرض

طيبة، لا يسكن رجل من آل محمد عليهم السلام ولا يُقتل إلا بأرض طيبة زاكية، فهم الأوصياء الطيبون»^(١).

وعن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام قال:

«الموضع الرجل (القدم) في الكوفة أحب إلي من دار بالمدينة»^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال في حديث عن الإمام المهدي عليه السلام:

«... ثم يرجع إلى الكوفة، فيبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الأفاق كلها، فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم، فلا يتعايرون»^(٣) في قضاء...»^(٤).

وعن حركته عليه السلام من مكة إلى المدينة فالعراق يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«يباع القائم بمكة على كتاب الله وسنة رسوله ويستعمل على مكة، ثم يسير نحو المدينة فيبلغه أن عامله قُتل، فيرجع إليهم فيقتلُ المقاتلة ولا يزيد على ذلك، ثم ينطلق فيدعوا الناس بين المسجدين إلى كتاب الله وسنة رسوله، والولاية لعلي بن أبي طالب، والبراءة من عدوه حتى يبلغ البيداء فيخرج إليه جيش السفيناني فيخسف الله بهم».

وفي خبر آخر:

«يخرج إلى المدينة فيقيم بها ما شاء، ثم يخرج إلى الكوفة ويستعمل عليها رجلاً من أصحابه، فإذا نزل الشفرة جاءهم كتاب السفيناني إن لم تقتلوه لأقتلن مقاتليكم ولأسبين ذراريكم، فيقبلون على عامله فيقتلونه، فيأتيه الخبر فيرجع إليهم فيقتلهم ويقتل قريشاً

(١) تفسير العياشي، ج ١، ص ٦٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٨٥، ح ١٩٨.

(٣) لا يتعايرون: لا يعجزون عن معرفة الأحكام والقضايا.

(٤) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٦.

حتى لا يبقى منهم إلا أكلة كبش ثم يخرج إلى الكوفة، ويستعمل رجلاً من أصحابه فيقبل وينزل النجف^(١).

وعن الإزدهار العمراني والاقتصادي في الكوفة في عصر الظهور، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام قائم آل محمد عليه السلام... اتصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء»^(٢).

وعن المفضل أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: يا سيدي... فإين تكون دار المهدي ومجتمع المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

«دار ملكه: الكوفة، ومجلس حكمه، جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين: مسجد السهلة، وموضع اشترى شبراً - من أرض السبع - بشبرٍ من ذهب... ولتصيرن أربعاً وخمسين ميلاً، وليجاورن قصورها كربلاء...»^(٣).

وحيث أن مضامين الروايات والأحاديث الشريفة تؤكد على الدور الهام والموقع الإستراتيجي للكوفة في عصر الظهور وما يجري فيها من أحداث، يدفعنا ذلك إلى تقصي تفاصيل بعض هذه الأحداث، والإطالة عليها من خلال هذه الروايات الشريفة.

فما هي إذن أهم القضايا والأحداث التي تجري في الكوفة خلال عصر الظهور، وتوجه الإمام المهدي عليه السلام إليها.

يلاحظ الباحث من خلال مراقبة الأحاديث الواردة حول العراق وأوضاعه في عصر الظهور أنه قبل دخول الإمام المهدي عليه السلام إليه واستقراره فيه، واتخاذها من الكوفة عاصمة له، يشهد العراق سلسلة من الأحداث والتي أهمها أنه يحكم من

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٠٨، باب ٢٦، ح ٨٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٦.

(٣) المصدر نفسه.

قبل سلاطين جبابرة وطغاة لفترة طويلة، ويمارس هؤلاء بعض الأفعال الجائرة ويمعنون في أهله القتل والخوف إلى أن يقوم الإمام عليه السلام بتحريره على يد الممّهدين من أصحاب الرايات السود.

وسنورد هذا الحديث الطويل عن الإمام علي عليه السلام الذي يتضمن ذكر عدة أحداث في العراق في مرحلة حكم الجبابرة قبل السفيناني وظهور الإمام المهدي عليه السلام:

روى سليمان الأعمش عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: حدثني أنس بن مالك وكان خادماً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لما رجع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قتال أهل النهروان نزل بُرثاء وكان بها راهب في قلايته وكان اسمه الحَبَاب، فلما سمع الراهب الصيحة والعسكر أُشرف من قلايته إلى الأرض فنظر إلى عسكر أمير المؤمنين عليه السلام فاستفزع ذلك ونزل مبادراً قال: من هذا، ومن رئيس هذا العسكر؟ فقيل له: هذا أمير المؤمنين وقد رجع من قتال أهل النهروان. فجاء الحَبَاب مبادراً يتخطى الناس حتى وقف على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين حقاً حقاً، فقال له: وما أعلمك بأني أمير المؤمنين حقاً حقاً؟ قال له: بذلك أخبرنا علماؤنا وأجباؤنا. فقال له: يا حَبَاب، فقال له الراهب: وما علمك باسمي؟ فقال: أعلمني بذلك حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له حَبَاب: مُد يدك فانا أشهد أن لا إله إلا الله. وأن محمداً رسول الله، وأنتك علي بن أبي طالب وصيّه. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وأين تأوي؟ فقال أكون في قلاية لي ههنا. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: بعد يومك هذا لا تسكن فيها، ولكن ابن ههنا مسجداً وسّمه باسم بانيه. فبناه رجل اسمه بُرثاء فسمى المسجد بُرثاء باسم الباني له ثم قال له: ومن أين تشرب يا حَبَاب؟ فقال يا أمير المؤمنين من دجلة ههنا. قال: فلما لا تحفر ههنا عينا أو بئراً؟ فقال له: يا أمير المؤمنين كلّمنا حفرنا ههنا بئراً وجدناها مألحة غير

عذبة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: احفر ههنا بئراً، فحفر، فخرجت عليهم صخرة لم يستطيعوا قلعها، فقلعها أمير المؤمنين عليه السلام فانقلعت عن عين أحلى من الشهد، وألذ من الزبد. فقال له: يا حباب سُبْنَى إلى جنب مسجدك هذا مدينة وتكثر الجبابرة فيها، ويعظم البلاء، حتى أنه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم سَدَّوا على مسجدك بقطوة ثم إذا فعلوا ذلك مُنِعُوا الحج ثلاث سنين، واحترقت خُضْرُهُمْ وسلَّطَ الله عليهم رجلاً من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله، ثم ليعد عليهم مرة أخرى، ثم يأخذهم القحط والغلا ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد، ثم يعود عليهم ثم يدخل البصرة فلا يَدْعُ فيها قائمة إلا سخطها وأهلكها وأهلك أهلها، وذلك إذا عمرت الخربة وبُنِيَ فيها مسجد جامع، فعند ذلك يكون هلاك أهل البصرة. ثم يدخل مدينة بناها الحجاج يُقَالُ لها واسط، فيفعل مثل ذلك، ثم يتوجه (نحو بغداد) فيدخلها عفواً، ثم يلتجئ الناس إلى الكوفة. ولا يكون بلد من الكوفة إلا تشوُّش له الأمر، ثم يخرج هو والذي أدخله بغداد نحو قبري لينبشه فيلقاهما السفيناني فيهزمهما ثم يقتلهما، ويتوجه جيش نحو الكوفة فيستعبد بعض أهلها، ويجيء رجل من أهل الكوفة فيُلجِئُهُمْ إلى سور فمن لجأ إليها آمن، ويدخل جيش السفيناني إلى الكوفة فلا يدعون أحداً إلا قتلوه، وإن الرجل منهم ليمُرُّ بالذرة المطروحة العظيمة فلا يتعرَّض لها، ويرى الصبي الصغير فيلحقه فيقتله.

فعند ذلك يا حَبَّابِ يَتَوَقَّعُ بعدها هيهات هيهات أمورَ عظام، وفتنَ كقطع الليل المظلم. فاحفظ عني ما أقول يا حَبَّابُ^(١).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

«يوشك أهل العراق أن لا يُجْبَى إليهم قفيزٌ ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل المعجم يمتعون ذلك»^(١).

عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل قال:

«يُزجر الناس قبل قيام القائم... وشمول أهل العراق خوفٌ لا يكون معه قرار»^(٢).

وقبل هذه المحن والشدائد التي تصيب العراق يكون محكوماً بحكم إسلامي قبل مجيء السفيناني إليه وقيامه بهذه الأفعال الخبيثة الشنيعة.

ومما يدل على ذلك مضمون عدد من الأخبار وردت حول قوم يخرجون من المشرق يطلبون الحق ويوطنون الأرض للإمام المهدي عليه السلام، وهي وإن لم تدل على قيام الحكم الإسلامي في العراق بشكل صريح وواضح، إلا أنها تدل على انتصار الإيرانيين على مرحلتين واحدة منها قبل دخول السفيناني وإسقاطه لهذا الحكم. والثانية بعد انتصارهم العسكري على جيش السفيناني. باعتبار أن هدفهم هو إسقاط حكم الجبابة في العراق وإقامة الحكم الإسلامي فيه.

ومن هذه الأخبار ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول:

«كأنني بقوم قد خرجوا بالمشرق، يطلبون الحق فلا يُعطونه، ثم يطلبونه فلا يُعطونه. فإذا رأوا ذلك وضعوا سُيوفهم على عواتقهم، فيُعْطُون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم. قتلاهم شهداء. أما إنني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»^(٣).

وأما الشخصيات التي ورد ذكرها وظهرها في العراق، فشخص اسمه

(١) المصدر السابق، ج ٥١، ص ٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٢٤٣.

الشييصاني نسبة إلى شيبسان، وهو وصف يعبر به أئمة أهل البيت عليه السلام عن الطواغيت والأشرار، لأنه بالأصل اسم للشيطان، ولذكر النمل.

وهو رجل يخرج قبل السفيناني، ويظهر من الأحاديث أنه لا يكون بينه وبين السفيناني مدة طويلة، أو يكون السفيناني بعده مباشرة وأما المنطقة التي يخرج منها فهي العراق الذي هو أرض كوفان، أو من مدينة الكوفة، ويكون خروجه وحكمه فجأة بنحو غير متوقع، كما هو مدلول الحديث الآتي «يَنْبُعُ كَمَا يَنْبُعُ الْمَاءُ» وأنه يكون طاغية سفاكاً يقتل المؤمنين.

ويقوم بقتل وجهاء المؤمنين كما في الحديث «فَيَقْتُلُ وَفَدُكُمْ» أي أعضاء الوفد الذين يكونون في المقدمة، حيث يقال وفد القبيلة ووفد المدينة بمعنى وجهائها ورهطها.

ومن الأخبار التي روت أو تعرضت لخروج الشييصاني ما رواه جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن السفيناني فقال:

«وَأَتَى لَكُمْ بِالسِّفِينَانِي حَتَّى يَخْرُجَ قَبْلَهُ الشَّيْبِصَانِي يَخْرُجُ بِأَرْضِ كُوفَانٍ، يَنْبُعُ كَمَا يَنْبُعُ الْمَاءُ، فَيَقْتُلُ وَفَدُكُمْ، فَتَوَقَّعُوا بَعْدَ ذَلِكَ السِّفِينَانِي وَخُرُوجَ الْقَائِمِ»^(١).

فالرواية تؤكد بأن فترة حكم الشييصاني للعراق تكون قبل حركة السفيناني وغزوه للعراق، وبعد حكم المؤيدين للإمام المهدي عليه السلام.

ومن الشخصيات التي ورد ذكرها أيضاً في هذا المجال عوف السلمي.

روى الشيخ الطوسي في الغيبة، عن حذلم بن بشير عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال:

قلت لعلي بن الحسين عليه السلام صف لي خروج المهدي وعرفني دلائله وعلاماته فقال: «يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق.

ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سَمَرْقَنْد. ثم يخرج السفيناني الملمعون من الوادي اليابس، وهو من وَلَدِ عُبَيْدَةَ بْنِ أَبِي سَفِيَّانٍ فَإِذَا ظَهَرَ السِّفِينَانِي اخْتَفَى الْمَهْدِي، ثُمَّ يَخْرُجُ بَعْدَ ذَلِكَ^(١).

فلهذا الشخص عوف السلمي صلة بأحداث بلاد الشام والعراق، حيث يكون مأواه تكريت وهي من مدن العراق، ومقتله في بلاد الشام، وخروجه يكون قبل السفيناني.

ويظهر من الرواية أنه يخرج على الحكم القائم في الشام وليس في العراق، وهذا تفسير لقتله في سوريا.

وبعد قيام هؤلاء الأشخاص بهذه التحركات، يكون للسفيناني وجيشه حركة باتجاه العراق فيقوم باحتلاله والسيطرة عليه، والتنكيل بأهله وخصوصاً شيعة أهل البيت عليه السلام.

والسبب في ذلك هو وجود سلطة ضعيفة تحكم العراق يستطيع السفيناني إسقاطها.

ومن المحتمل أن يكون دخول السفيناني إلى العراق بطلب من هذه الحكومة وذلك لمساعدتها في التصدي لمواجهة قوات اليمن وإيران، التي تقوم إلى العراق ويكون لها سنداً في مواجهة حكومته من قبل الناس التي تقف إلى جانب قوات البعث والخراساني.

وتشهد هذه الفترة أيضاً خراب لبصرة تذكره الروايات أنه يكون بأشكال متعددة منها:

أولاً: خرابها بالفرق.

وثانياً: خرابها بثورة الزنج.

وثالثاً: خرابها بالخسف والفرق.

ومن الممكن أن يكون هذا الخراب قد وقع في الماضي على نحو جزئي،

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢١٣، رواه عن كتاب الغية للطوسي.

فقد وقع خراب في البصرة بسبب ثورة صاحب الزنج التي وقعت في زمن العباسيين في منتصف القرن الرابع بقيادة القرمطي، وكانت ردة فعل للظلم والترف واضطهاد العبيد والمستضعفين، وكان جيشها من الزوج العبيد الحفاة الذين لا خيل لها.

وقد وردت أخبار وأحاديث عن الإمام علي عليه السلام أنباء عن وقوع هذه الثورة لا حاجة لنا إلى ذكرها.

وما يهمنا في هذا الموضوع هو ما ذُكر عن خراب البصرة في سياق الحديث عن علامات الظهور الذي ورد فيه عدة روايات تذكر أن البصرة من المؤتفكات المذكورة في القرآن الكريم، ومعنى ذلك أنها من المدن المُنقلبات بأهلها بالخسف والعقاب الإلهي، وأن البصرة اتفكت ثلاث مرات وبقيت الرابعة.

جاء في تفسير نور الثقلين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَاءَ بِرَبِّكَ وَرَعَوُا مِنْ قَبْلُ وَالْمُؤْتَفَكْتُ بِالْغَالِيَةِ﴾^(١)، أن المؤتفكات هي البصرة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَى﴾^(٢) عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«هم أهل البصرة، وهي المؤتفكة».

وذكر الشيخ الصدوق في كتابه من لا يحضره الفقيه عن جويرية بن مسهر العبدي قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين عليه السلام من قتل الخوارج حتى إذا قطعنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس فقال علي عليه السلام:

«أيها الناس إن هذه الأرض ملعونة قد عُدَّت في الدهر ثلاث مرات (وفي خبر آخر مرتين) وهي تتوقع الثالثة». وهي إحدى المؤتفكات.

وهذه المصاعب والمحن والقتل الشديد والنكبات التي تحل في العراق

(١) سورة الحاقة، الآية: ٩.

(٢) سورة النجم، الآية: ٥٣.

وأهله يعقبها توجه الإمام المهدي عليه السلام إليه الذي يكون محكوماً حينها لاتجاهات ثلاث كلها متناحرة متضاربة .

الأول : الإتجاه المؤيد للسفياني .

الثاني : الاتجاه المؤيد للخوراج عليه .

الثالث : الاتجاه المؤيد للإمام المهدي عليه السلام .

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه ذكر المهدي عليه السلام فقال :

«يدخل الكوفة وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له ، ويدخل حتى يأتي المنبر فلا يدري الناس ما يقول من البكاء»^(١) .

وتشير الروايات إلى أنه عليه السلام يدخل العراق أو الكوفة قادماً من المدينة المنورة ماراً بجنوب إيران حيث يلتقي بالخراساني وقائده شعيب بن صالح قرب منطقة إصطخر ، وهي مدينة واقعة قرب عبادان والأهواز .

وبعد لقائهم في إصطخر يخوضون معركة حاسمة مع جيش السفياني يكون الانتصار فيها لجيش المهدي عليه السلام والخراسانيين ويكون لهذا الانتصار أثراً هاماً وبالغاً على مستوى العالم .

وهذا المضمون ورد في حديث وفيه :

«إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة في طلب أهل خراسان ، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي ، فيلتقي هو والهاشمي برأيات سود على مقدمته شعيب بن صالح فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء إصطخر فيكون بينهم ملحمة عظيمة ، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني . . . فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه» .

ويكون لدخوله عليه السلام إلى الكوفة وقع خاص نظراً لكيفية وشكل هذا الدخول «ببيع قباب من نور . . .» .

وذلك كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

﴿يَمَسَّرَ الْمَرْءَ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

فقال عليه السلام:

«ينزل القائم يوم الرّجفة بسبع قباب من نور، لا يعلم في أيها هو، حتى ينزل الكوفة».

ويبرز دور الاتجاهات المناوئة والمناهضة للإمام عليه السلام التي تبدأ تصديها له، وبدوره يستعمل سياسة الشدة والقتل لمن يقف في وجهه حيث لا لغة حوار تنفع معهم ولا مفاوضات بل القتل والوعيد هو ما ينفع معهم.

فمن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته باللين، كان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل، بذلك أمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً، ويل لمن ناواه»^(١).

وعنه عليه السلام قال:

«يقوم القائم بأمر جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم»^(٢).

وإنما يكون شأنه صلى الله عليه وآله هكذا لأن الحجة البالغة قد وصلت إلى كل الناس في جميع أرجاء الأرض، وليس لهم خيار سوى الإيمان بهذه الرسالة وسلوك هذا الطريق، وإلا فإنه لا يمكن إقامة حكومة العدل على وجه هذه الأرض.

وفي مقابل ذلك يتعرض الإمام عليه السلام لأشد أنواع الضغط ومحاولات الوقوف في وجه نهضته عسكرياً وسياسياً، حيث سيتولى أعداؤه تسخير كل قواهم

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٥٤.

وتجنيد كل الطاقات في محاولة منهم لمنع القيام بهذه الثورة والنهضة الكبرى التي تهدف إلى تغيير وجه الكون وإبادة كل الطغاة والمستكبرين .

لذا فإن الأمور ستسير بشكل متوازن . فهناك شدة من الإمام عليه السلام في قتال الأعداء ، وموقف صارم تجاه كل من يقف في وجه المد الإسلامي الزاحف .

وهناك عدة أعداء وخوارج سيقفون في مقابله .

وإليك النصوص التي تعرضت إلى كلا الموقفين :

الموقف الأول : وهو موقف الإمام من الأعداء .

روى الحارث الهمداني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

«بأبي ابن خيرة الإمام - يعني القائم من ولد علي عليه السلام - يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مُصَبَّرَةٍ ، ولا يعطيهم إلا السيف هرجاً ، فعند ذلك تتمنى فجرة قريش لو أنَّ مُفَاداةً من الدنيا وما فيها ليُغْفَرَ لها ، لا نَكْفُ عنهم حتى يرضى الله» (١) .

وعنه عليه السلام أنه قال :

«... أما والله لو قد قام قائمنا لأخرج من هذا الموضع إثني عشر ألف درع وإثني عشر ألف بيضة لها وجهان ، ثم ألبسها إثني عشر ألف رجل من ولد المعجم ثم ليتأمر بهم ليقْتُلْنَ كل من كان على خلاف ما هم عليه ، وإنِّي أعلم ذلك وأراه كما أعلم هذا اليوم» (٢) .

وروى الشيخ الطوسي أن الإمام الحسين عليه السلام مرَّ على حلقة من بني أمية وهم جلوس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فقال :

«أما والله لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله مني رجلاً يقتل منكم ألفاً ومع الألف ألفاً ومع الألف ألفاً ، فقلت : جُعِلَتْ فداك إن هؤلاء ،

(١) الغيبة ، النعماني ، ص ٢٢٩ ، باب ١٣ ، ح ١١ .

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ، ج ٣ ، ص ١١٨ ، ح ٦٥٧ .

أولاد كذا وكذا لا يبلغون هذا، فقال: ويحك في هذا الزمان يكون الرجل من صلبه كذا وكذا رجلاً وإن مولى القوم من أنفسهم»^(١).

وروى أبو الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل أنه قال:

«إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة، فيخرج منها، بضعة عشر ألفاً يدعون البترة عليهم السلاح، فيقولون له: إرجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم، ثم يدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب، ويهدم قصورها، ويقتل مقاتليها حتى يرضى الله عز وعلا»^(٢).

وعنه عليه السلام في حديث منه حول عرض الإسلام من قبل الإمام المهدي عليه السلام على الناس، وكيفية معاملتهم في هذا الشأن يقول:

«إذا قام القائم عرض الإيمان على كل ناصب، فإن دخل فيه بحقيقة، وإلا ضرب عنقه أو يؤدي الجزية كما يؤديها اليوم أهل الذمة، ويشد على وسطه الهميان، ويخرجهم من الأمصار إلى السواد»^(٣).

الموقف الثاني: وهو موقف الأعداء والخوارج على الإمام المهدي عليه السلام. فقد تعرضت الروايات إلى ذكر المدن والطوائف التي تقف في وجه الإمام عليه السلام ومنها البصرة وأهلها.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ثلاث عشرة مدينة وطائفة يحارب أهلها ويحاربونه: أهل مكة، وأهل المدينة، وأهل الشام، وبنو أمية، وأهل البصرة...»^(٤).

وعنه عليه السلام قال:

(١) النية، الطوسي، ص ١١٦.

(٢) الإرشاد، المفيد، ص ٣٦٤.

(٣) الكافي، ج ٨، ص ٢٢٧، ح ٢٨٨.

(٤) النية، النعماني، ص ٢٩٩، باب ١٧، ح ٦.

«إِنَّ الْقَائِمَ يَلْقَى فِي حَرْبِهِ مَا لَمْ يَلْقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَاهُمْ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ الْمَنْقُورَةَ وَالْخَشَبَةَ الْمَنْحُوتَةَ، وَإِنَّ الْقَائِمَ يَخْرُجُونَ عَلَيْهِ فَيَتَأَوَّلُونَ عَلَيْهِ كِتَابَ اللَّهِ وَيَقَاتِلُونَهُ عَلَيْهِ»^(١).

ومن المدن التي ذكرتها الروايات (رميلة الدسكرة) وهي كما في معجم البلدان قرية قرب شهربان من قرى بعقوبة في محافظة ديالى.

روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ثُمَّ لَا يَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَخْرُجَ عَلَيْهِ مَارِقَةُ الْمَوَالِي بِرُمَيْلَةِ الدُّسَكْرَةِ، عَشْرَةَ آلَافٍ، شَعَارُهُمْ يَا عَثْمَانُ يَا عَثْمَانُ. فَيَدْعُو رَجُلًا مِنَ الْمَوَالِي فَيَقْلُدُهُ سَيْفَهُ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ»^(٢).

وعلى ما يبدو أن تسميته بـ(مارقة الموالى) لأنهم من غير العرب، أو لأن قائدهم من الموالى، أي غير العرب.

وفي مسيره إلى العراق يدخل الإمام عليه السلام إلى النجف.

فمن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«يَا أَبَا حَمْزَةَ، كَأَنِّي بِقَائِمِ أَهْلِ بَيْتِي قَدْ عَلَا نَجْفُكُمْ، فَإِذَا عَلَا فَوْقَ نَجْفُكُمْ نَشْرَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا نَشَرَهَا انْحَطَّتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ بَدْرٍ»^(٣).

وعنه عليه السلام قال:

«كَأَنِّي بِالْقَائِمِ عَلَى نَجْفِ الْكُوفَةِ قَدْ سَارَ إِلَيْهَا مِنْ مَكَّةَ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جِبْرِئِيلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُفَرِّقُ الْجُنُودَ فِي الْبِلَادِ»^(٤).

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٢٦، باب ٢٧، ح ٤١، عن إكمال الدين.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٦ - ٣٣٧، باب ٢٧، ح ٧٥، عن الإرشاد.

ولا تكاد تنقضي الأيام والشهور حتى يستطيع الإمام المهدي عليه السلام وبعون من الله تعالى القضاء على كل خصومه وأعدائه في العراق ويحكم سيطرته على تلك المنطقة بعد انتصاراته المتعددة في الحروب التي يخوضها ليكون مستقرة في الكوفة.

وللكوفة كما ذكرنا في بداية هذا الحديث شأن خاص ومكانة هامة في عصر الظهور حيث يدخل إليها الإمام عليه السلام ويتخذها عاصمة لدولته، كما عن الإمام الصادق عليه السلام:

«دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة. وموضع خلواته الذكوان البيض من الغريين - أي موضع اعتكافه للعبادة الربوات البيضاء قرب النجف وهي الغري أو الغريين...»^(١).

وأيضاً ذكرنا بأن دخوله عليه السلام إلى الكوفة يكون بهيئة خاصة:

«في سبع قباب من نور لا يُغْلَمُ بأئها هو».

وتصبح الكوفة أكبر مركز لتجمع الموالي والمؤيدين للإمام عليه السلام حيث يأتي إليها المؤمنون من مشارق الأرض ومغاربها عند سماعهم بدخول المهدي عليه السلام إليها.

عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«إذا دخل القائم الكوفة لم يبق مؤمن إلا وهو بها أو يجيء إليها...»^(٢).

وهكذا تصبح الكوفة محط أنظار المؤمنين، ومهوى أفئدتهم، لأن أكثر الشيعة القاطنين في الكرة الأرضية سيبدلون جهودهم للهجرة إلى الكوفة، وقد أشارت الروايات التي ذكرناها إلى اتساع مدينة الكوفة من جميع جوانبها، واتصالها بمدينة كربلاء المقدسة.

(١) البحار، ج ٥٣، ص ١١ - ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٣٠، ح ٥١، والنية للطوسي، ص ٢٧٥.

«... ولتصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلاً، وليجاورن قصورها كربلاء...».

ويتولى الإمام عليه السلام إقامة الصلاة الجامعة (وصلاة الجمعة) في المسجد الجامع بالكوفة، ومن الطبيعي أن يتفايض المسجد من المصلين، لأن المسجد - بالرغم من سعته في الوقت الحاضر - لا يسع لأكثر المصلين الذين يريدون الصلاة خلف الإمام المهدي عليه السلام.

والسبب في ذلك واضح وهو أن جميع الناس يشتاقون إلى الصلاة خلف الإمام ويتسابقون إليها.

وعن عملية توسيع المسجد في الكوفة على يد الإمام المهدي عليه السلام يحدثنا الإمام الباقر عليه السلام فيقول عند ذكره للمهدي عليه السلام:

«... ويدخل الكوفة حتى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري ما يقول من البكاء! فإذا كانت الجمعة الثانية سألته الناس أن يصلي بهم يوم الجمعة، فيأمر أن يُخطَّ له مسجدٌ على الغري ويصلي بهم هناك، ثم يأمر من يحفر من ظهر مشهد الحسين عليه السلام نهراً يجري إلى الغريين، حتى ينزل الماء في النجف، ويعمل على فوهته القناطير والأرحاء فكانني بالمعجوز على رأسها مكمل فيه بز تأتي تلك الأرحاء فتطحنه بلا كرى»^(١).

وفي حديث آخر عنه عليه السلام يقول:

«إذا دخل المهدي عليه السلام الكوفة قال الناس: يا بن رسول الله إن الصلاة معك تضاهي الصلاة خلف رسول الله، وهذا المسجد لا يسعنا فيخرج إلى الغري فيخطُ مسجداً له ألف باب يسع الناس، ويبعث فيجري خلف قبر الحسين عليه السلام نهراً يجري إلى الغري،

(١) الإرشاد المفيد، ص ٣٦٢، والبحار، ٥٢، ص ٣٣٠ - ٣٣١، باب ٢٧، ح ٥٣.

حتى يجري في النجف، ويعمل هو على فوهة النهر قناطر وأرجاء في السبيل»^(١).

وفي حديث عنه عليه السلام يقول:

«... فيخط مسجداً له ألف باب يسع الناس...»^(٢).

ويؤسس الإمام عليه السلام ويعمل على أن تكون الكوفة منزله وعاصمته وكذلك منزل القائمين من بعده كما كانت منزل الأنبياء والمرسلين. فعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام أو عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له: أي بقاع الأرض أفضل بعد حرم الله عز وجل وحرم رسوله عليه السلام فقال:

«الكوفة يا أبا بكر، هي الزكية الطاهرة فيها قبور النبيين المرسلين وقبور غير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه، ومنها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمهُ والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين»^(٣).

وبهذه الإنجازات والأعمال التي يقوم بها الإمام المهدي عليه السلام في العراق وفي الكوفة بشكل خاص، يتنفس العراق الصعداء في ظل سلطة الإمام المهدي عليه السلام ويدخل حياة جديدة في مركزه العالمي بوصفه عاصمة الإمام المهدي عليه السلام ومحط أنظار المسلمين ومقصد وفودهم... وتصبح الكوفة والسهيلة والحيرة والنجف وكربلاء محلاتٍ لمدينة واحدة يتردد ذكرها على ألسنة شعوب العالم وفي قلوبهم، ويقصدها القاصدون من أقاصي المعمورة ليلة الجمعة، ويُكرِّون لأداء صلاة الجمعة خلف إمامهم المهدي عليه السلام في مسجده العالمي ذي الألف باب...

(١) البحار، ج ١٠٠، ص ٣٨٥، باب ٦، ح ٤.

(٢) الغيبة الطوسي، ص ٢٨٠.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٥٢٤، باب ٤٤، ح ١٠، عن التهذيب، والبحار، ج ١٠٠، ص ٤٤٠، باب

وبتصفية الإمام المهدي عليه السلام العراق وضمه إلى دولته وجعله عاصمتها، تكون دولته قد شملت اليمن والحجاز والعراق وإيران - إذا كان دخوله إلى إيران قبل العراق - ومعها بلاد الخليج - وبذلك يتفرغ لأعدائه الخارجيين، فيبدأ أولاً بالترك فيرسل لهم جيشاً فيهزمهم. ثم يتوجه بنفسه على رأس جيشه إلى الشام حتى ينزل «مرج عذراء» قرب دمشق استعداداً لخوض المعركة الكبرى مع السفيناني واليهود والروم، معركة فتح القدس الكبرى^(١).

(١) عصر الظهور، ص ١٨٥ - ١٨٦.

الفصل الثالث

الإمام المهدي عليه السلام وإيران

★ خروج رجل من قم

★ حروب الإيرانيين مع أعدائهم

الإمام المهدي عليه السلام وإيران

ستنال إيران وشعبها الحظ العظيم والشرف الكبير في عملية التمهيد لعصر ظهور صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف. وأشارت الروايات والأحاديث إلى الدور الهام الذي يقوم به الإيرانيون في مساندة ومواكبة حركة ظهوره عليه السلام، وكذلك سيكون لها السهم الأوفر في انتساب الكثير من قادة جيش الإمام المهدي عليه السلام إليها، وفي طليعة هؤلاء القائد الخراساني والفتى التميمي شعيب بن صالح الذين يبدأون بتحريك مسيرتهم نحو الإمام عليه السلام فور سماعهم نبأ ظهوره من مكة المكرمة.

فليس عجباً أن نرى ونقرأ المدح الكبير للإيرانيين في الأحاديث الشريفة المعبر عنهم بتعابير مختلفة مثل:

(أهل المشرق الموطنون للمهدي، وقوم سلمان ورايات المشرق، وأصحاب الرايات السود، والخراسانيون...).

وتذكر الأحاديث أيضاً أسماء عدد كبير من قادتهم ومنهم:

الهاشمي الخراساني الزعيم السياسي الذي بكفه اليمنى خال، وشعبياً بن صالح الفتى الأسمر - التميمي - قائد قواتهم الذي يجعله الإمام المهدي عليه السلام قائداً لقواته، وكنوز الطالقان، وهم شباب ورجال يخرجون من مدينة طالقان في إيران.

ووصفت الروايات أصحاب المهدي عليه السلام - الإيرانيون - بأنهم من كنوز الله، وأنهم عرفوا الله حق معرفته، وأشارت إلى مدى قوة صلابتهم العقائدية والعسكرية، وحبهم وطاعتهم وانقيادهم للإمام المهدي عليه السلام.

ونظراً لكثرة ما ورد من مديح وثناء لأهل إيران في عصر ما قبل الظهور وما بعده، نرى من المفيد الإشارة إلى بعض ما ورد في هذا الشأن في تفسير آيات الكتاب العزيز، وفي الأحاديث والروايات الشريفة:

قال صاحب الميزان:

«... في الدر المنثور: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(١). فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال: «هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالشُّرْيا لتناوله رجال من فارس، وروى بطريق أخرى عن أبي هريرة مثله. وكذا عن ابن مردويه عن جابر مثله»^(٢).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأنزلت سورة الجمعة فتلاها حتى بلغ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ فقال له رجل: من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلمه، قال أبو هريرة: وكان سلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان وقال:

«والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالشُّرْيا لتناوله رجل من هؤلاء»^(٣).

ونكتفي بهذا القدر لننقل الكلام إلى الأحاديث الشريفة الواردة في مدح الإيرانيين لما فيها من تفصيل ما أجمله الكتاب الكريم.

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(١) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٢) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج ١٨، ص ٢٥٠، وراجع الكشف للزمخشري، ج ٤، ص ٣٣١.

(٣) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٧٢.

«لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل - أو قال رجال - من أبناء فارس حتى يتناولوه»^(١).

وروى أحمد في مسنده عن العباس بن سهيل بن سعد الساعدي، عن أبيه قال: كنت مع النبي ﷺ بالخندق، فأخذ الكرزين فحفر به فصادف حجراً فضحك، قيل: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال:

«ضحكت من ناسٍ يؤتى بهم من قبل المشرق في النكول»^(٢) يُساقون إلى الجنة»^(٣).

وعن سبب تسمية قم روى عفان البصري، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال لي:

«أندري لما سُمي قم؟ قلت: الله ورسوله وأنت أعلم، قال: إنما سُمي قم لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد ﷺ ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه»^(٤).

وعنه عليه السلام في مدح أهل قم يقول:

«تربة قم مقدسة وأهلها منا... أما إنهم انصار قائمنا ودعاة حقنا...»^(٥).

وأيضاً عنه عليه السلام قال:

«... سيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق، وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها...»^(٦).

(١) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٧٢، باب ٥٩، ح ٢٥٤٦.

(٢) النكول والأنكال جمع نكل بكسر النون: القيود.

(٣) مسند أحمد، ج ٥، ص ٣٣٨.

(٤) البحار، ج ٦٠، ص ٢١٦، باب ٣٦، ح ٣٨، عن تاريخ قم.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١٨، باب ٣٦، ح ٤٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢١٢ - ٢١٣، باب ٣٦، ح ٢٢.

ونختم الكلام في أحاديث مدح أهل قم بما رواه صفوان بن يحيى بن بياح السابري قال: كنت يوماً عند أبي الحسن عليه السلام فجرى ذكر قم وأهله وميلهم إلى المهدي عليه السلام، فترحم عليهم وقال:

«رضي الله عنهم، ثم قال: إن للجنة ثمانية أبواب، وواحد منها لأهل قم، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد، حَمَرَهُ اللهُ تعالى ولايتنا في طيبتهم»^(١).

والدور البارز والأعمال المهمة التي يقوم بها الإيرانيون والنتائج الصادرة عن تحركاتهم في ظل مواكبتهم لحركة الظهور المقدس يمكن اختصارها في ضمن النقاط التالية:

أولاً: بداية تحرك الشعب المجاهد في إيران على يد رجل من أهل قم إلى الفترة التي يدخلون فيها في حرب ضد أعدائهم.

ثانياً: دخولهم في حرب طويلة بقيادة الخراساني.

ثالثاً: ظهور أنصار المهدي عليه السلام في طالقان والمعبر عنهم في الروايات بـ«كنوز الطالقان».

رابعاً: تحركات أصحاب الرايات السوداء وأهل المشرق.

خامساً: بروز دور القادة الإيرانيين: الخراساني وشعيب بن صالح.

سادساً: وصول الإيرانيين ولقائهم بالإمام المهدي عليه السلام وتسليمهم الراية له، ومشاركتهم معه في نهضته المقدسة.

وقبل الدخول في العرض المفصل لبعض هذه النقاط، نحيل القارئ الكريم إلى ما ذكرناه في مبحث علامات الظهور في فقرة «الرايات السود من المشرق» حيث ذكرنا التفاصيل المتعلقة بدور الإيرانيين وقادتهم في عصر الظهور، وهي مقدمة ضرورية للدخول في هذا الموضوع.

(١) المصدر السابق، ص ٢١٦، باب ٣٦، ح ٣٩.

خروج رجل من قم:

وأما النقاط التي أشرنا إليها في مواكبة الإيرانيين لحركة الظهور المقدس نستعرضها مبتدئين بما ورد حول قيام رجلٍ من قم وأصحابه.

وقد أشرنا إلى المدح الكبير الذي نال أهل إيران بشكل عام وأهل قم بشكل خاص من أحاديث وروايات أهل البيت عليه السلام الذين اثنوا على الدور الهام الذي سيلعبه الإيرانيون في عصر الظهور.

ومدينة قم بالتحديد لها المكانة الخاصة عند أئمة أهل البيت عليه السلام، وهي بالأصل أسست كحاضرة ومدينة وفي وسط إيران على يد الإمام الباقر عليه السلام سنة (٧٣) هجرية، وأخبروا بما عندهم من علوم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله أنها سيكون لها شأن عظيم في المستقبل، ويكون أهلها أنصار المهدي المنتظر عليه السلام.

ومن خلال الروايات التي ذكرناها رأينا ارتباط تسميتها «قم» باسم المهدي القائم بالحق «لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد عليه السلام...».

وحبٌ وولاء أهل (قم) لأهل البيت عليه السلام ولاسيما للإمام المهدي عليه السلام وتعلقهم وارتباطهم بهم كان ولا يزال من عهد الأئمة إلى يومنا هذا ويستمر إلى ظهور القائم المهدي عليه السلام.

فليس بعيداً عنهم أن ينطلقوا بثورات وتحركات تصب كلها في خانة تمهيد الأرض للظهور المقدس، ومن هنا كان الكلام الذي تنبأ به الإمام الكاظم عليه السلام عن قيام رجلٍ من قم وأصحابه، حيث ورد عنه عليه السلام أنه قال:

«رجل من قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم قلوبهم كزُبر الحديد، لا تُزَلُّهم الرياح العواصف، لا يملؤون من الحرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين»^(١).

ولم تحدد الرواية زمان هذا الحدث، ومن غير المنطقي أن نقوم نحن بتطبيق مضمونها على أي تحرك قام به أهل قم حيث نترك ذلك لعلم أئمتنا عليه السلام.

وتحدثت الروايات عن المستقبل الباهر لقم وعن دورها في نشر علوم أهل البيت عليه السلام، وعن دورها العقائدي والإعلامي لخطهم ونهجهم عليه السلام - وسنشير إلى بعض الفقرات التي اقتطعناها من بعض الروايات الواردة في هذا الشأن وهي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إن الله احتج بالكوفة على سائر البلاد، وبالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد؟ واحتج ببلدة قم على سائر البلاد، وبأهلها على جميع أهل المشرق والمغرب من الجن والإنس... وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق، وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره. وأن الملائكة لتدفع البلايا عن قم وأهلها...»^(١).

وعنه عليه السلام أنه قال:

«ستخلو كوفة من المؤمنين، ويأزر عنها العلم كما تآزر الحية من جحرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم... وذلك عند قرب ظهور قائمنا... فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد...»^(٢).

حروب الإيرانيين مع أعدائهم:

والمقصود من هذا العنوان هو الحديث عن الحروب التي أشارت إليها الروايات الشريفة التي تعرضت لذكر رايات الخراسانيين أو أهل المشرق حيث ورد فيها الحديث عن خروج قوم من المشرق يطلبون الحق فلا يعطونه...

وهؤلاء القوم هم بلا شك أهل إيران، وهذا أمر متسالم عليه عند جيل الصحابة الذي رَوَوْا الحديث الشريف^(٣)، وسيواجه هؤلاء القوم بحركة عداوية

(١) المصدر السابق، ص ٢١٢ - ٢١٣، باب ٣٦، ح ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٣، باب ٣٦، ح ٢٣.

(٣) وقد فصلنا الحديث في هذا الموضوع في بحث علامات الظهور فراجع.

كبيرة ويخوضون العديد من المعارك والحروب التي ينتصرون فيها بإرادة الله تعالى لأن رايتهم راية هدى، ونصرتهم فريضة على كل مسلم والواجب عليه أن يأتيهم ولو حبوا على الثلج بحسب تعبير الروايات.

وما هذا العداء إلا لكونهم يرفعون الشعارات الواضحة في دعمها وتأييدها للإمام المهدي عليه السلام الذي يكون ظهوره المبارك بعد هذا التحرك الواسع من أهل الشرق.

ولعل أهم وأبلغ تأييد من الأئمة عليهم السلام لهم هي تلك الشهادة العظيمة من الإمام الباقر عليه السلام التي أعطاها لكل من يقتل أو يستشهد في هذه الحركة الثورية حيث يقول: «قتلهم شهداء...». ثم يُردف الإمام هذه الشهادة بقوله الشريف: «أما إني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر...».

هذه الحروب تبدأ من فور خروج خيل السفيناني إلى الكوفة، ولدى سماع الإمام المهدي عليه السلام بهذا النبأ يطلب نصر الخراسانيين الذين يلبون النداء سريعاً ويتوجهون إلى قتال السفيناني ويلتقون معه في باب إصطخر وتدور بينهم ملحمة عظيمة، ونتيجة المعركة هي هروب خيل السفيناني.

عن الإمام علي عليه السلام قال:

«إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة، بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو أصحاب السفيناني بباب إصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السفيناني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»^(١).

وباب إصطخر هي منطقة قرب الأهواز حيث يتوجه الإمام المهدي عليه السلام بعد

(١) الفتن، ابن حماد، ص ٨٦، وعقد الدرر، ص ١٢٧، فصل ٥.

سيطرته الكاملة على الحجاز، فيلتقي هناك بالخراساني وأنصاره وجيشه ويخوضون معاً هذه المعركة ضد السفيناني.

ومنذ ذلك الحين يصبح الخراساني وشعيب بن صالح من أصحاب المهدي الخاصين، ويصبح شعيب القائد العام لجيش الإمام المهدي عليه السلام، ويصبح جيش الخراساني مركز الثقل في جيش الإمام المهدي عليه السلام.

ويكون لهذا اللقاء الأثر الكبير في تعرف الخراسانيين على الإمام عليه السلام وتفتح لهم الأبواب للدخول في جيشه «فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه». ونزول جيش الخراساني في الكوفة خبر تواتر في الروايات ومنها عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان الكوفة، فإذا ظهر المهدي بمكة يُبعث إليه بالبيعة»^(١).

ومعركة باب أو بيضاء إصطخر تكون بعد قيام السفيناني بقتل وتشريد أهل الكوفة وأهل المدينة، وانتشار جيشه في الآفاق، وتأتي هذه المعركة مع تحركات الخراسانيين لإيقاف غطرسة وعدوانية هذا الرجل الخبيث.

وننقل للمقاري الكريم هذه الرواية الشريفة والتي فيها بعض تفاصيل معارك السفيناني ولقاءه بالخراسانيين...

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«يُبثُّ السفيناني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد فيبُلِّغُهُ قَرْعَةً من وراء النهر من أهل خراسان فيقتل أهل المشرق عليهم قتلاً ويذهب جهم، فإذا بلغه ذلك بعث جيشاً عظيماً إلى إصطخر عليهم رجل من بني أمية، فتكون لهم وقعة بقومش، ووقعة بدولات الرُّي، ووقعات بتخوم رَزَع، فعند ذلك يأمر السفيناني بقتل أهل الكوفة وأهل المدينة، وعند ذلك تُقبل الرايات السود من خراسان على

(١) الفتن، ابن حماد، ص ٨٥، وعقد الدرر، ص ١٢٩، باب ٥.

جميع الناس شاباً من بني هاشم بكفه اليمنى خال، يُسهّل الله أمره وطريقه، ثم تكون له وقعة بتخوم خراسان، ويسير الهاشمي في طريق الرّي فيسرح رجلاً من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى إصطخر إلى الأموي، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء إصطخر، فتكون بينهما ملحمة عظيمة حتى تطأ الخيل الدماء إلى أرساغها ثم تأتية جنود من سجستان عظيمة عليهم رجل من بني عدي فيظهر الله أنصاره وجنوده.

ثم تكون وقعة بالموانى بعد وقعتي الري، وفي هاترقوفا وقعة صليمة يخبر عنها كل ناج.

ثم يكون بعدها ذبح عظيم بباكل، ووقعة في أرض من أرض نصيبين، ثم يخرج على الأخوص قوم من سوادهم، وهم المصّب، عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنفدوا ما في يديه من سبي كوفان^(١).

والملاحظ من خلال هذه الراية وغيرها أن دخول السفيناني على العراق يسبق دخول قوات الخراساني وهذا ما يساعده على القتل بأهلها وقتلهم فقد ورد في الحديث:

«يدخل السفيناني الكوفة فيسببها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة... وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهربون»^(٢).

والسبب في ذلك قد يكون انتظارهم للإذن من الإمام المهدي عليه السلام لهم، وقد يكون لعوامل جغرافية أو سياسية أو كما هو الأرجح عسكرية حيث ينشغل الخراساني وجيشه ببعض الحروب الداخلية التي تحاول تحريف مسارهم أو

(١) الفتن، ابن حماد، ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٤.

القضاء على حركتهم في مهدها مما يكون عائقاً أمام وصولهم المبكر لنجدة أهل الكوفة والعراق.

«إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي»^(١).

وفي أرض الكوفة تكون البيعة من هذا الجيش العظيم جيش الخراساني وأنصاره للإمام المهدي عليه السلام، وتعلن ولاءها له، ووقوفها إلى جانبه.

ولأهمية الدور الكبير الذي يقوم به الخراسانيون في توطئة الأرض وتمهيدها لصاحب الأمر عليه السلام، ونظراً لكونهم يشكلون الدعامات الأساسية لنهضته عليه السلام، أكد النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام على الشيعة خاصة وعلى المسلمين عامة على ضرورة نصرتهم وتأييدهم.

فمن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبلي خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي عليه السلام»^(٢).

وفي رواية أخرى:

«فاستقبلوها مشياً على أقدامكم»^(٣).

وعنه أيضاً عليه السلام:

«تجيء الرايات السود من قبل المشرق كأن قلوبهم زُرُّ الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبواً على الثلج»^(٤).

وهذا الدور الذي يقوم به الخراسانيون في التمهيد والتوطئة للإمام المهدي عليه السلام نشير إليه بهذه الرواية التي تذكر في ضمنها تغلبهم على السفيناني

(١) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٢) الفتن، ابن حماد، ص ٨٤، والبحار، ج ٥١، ص ٨٢، باب ١.

(٣) راجع التعابير المختلفة لهذه الرواية في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ١، ص ٣٩١.

(٤) عقد الدرر، ص ١٢٩، باب ٥، والبحار، ج ٥١، ص ٨٤، ح ١٠٤.

وانتصارهم عليه، وأيضاً تذكر المدة الفاصلة بين خروجهم وظهور الإمام عليه السلام.

عن محمد بن الحنفية قال:

«تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء فلانسُهم سود وثيابهم بيض على مُقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح، أو صالح بن شعيب، من تميم، يهزمون أصحاب السفيناني، حتى ينزل بيت المقدس، توطئ للمهدي سلطانه ويمدُّ إليه ثلاثمائة من الشام.

يكون بين خروجه وبين أن يُسلم الأمر للمهدي إثنان وسبعون شهراً»^(١).

أما المدة الفاصلة بين بداية دولة المهديين الإيرانيين على يد رجل من قم، وبين ظهور الخراساني وشعيب، فهي غير محدودة في الروايات، ما عدا بعض الإشارات والقرائن التي تصلح أن تكون دليلاً على التحديد الإجمالي... منها، ما ورد عن قم وما يحدث لها من موقع ديني وفكري عالمي، وأن ذلك يكون «قرب ظهور قائمنا»^(٢).

وما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام من قوله:

«... أما إن لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر...»^(٣).

الذي يدل على أن المدة بين ظهوره عليه السلام وبين قيام دولة أهل المشرق ودخولهم في حرب مع أعدائهم، لا يزيد عن عمر إنسان. ومنها، الحديث الذي فيه:

«أتاح الله برجلٍ منا أهل البيت، يُشيرُ بالتُّقى، ويعمل بالهدى، ولا

(١) الفتن، ابن حماد، ص ٨٤، عقد الدرر، ص ١٢٦، باب ٥.

(٢) البحار، ج ٦٠، ص ٢١٣.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٤٣.

ياخذ في حكمه الرشا . والله إنني لأعرفه باسمه واسم أبيه . ثم يأتينا
الغليظ القصرة . . . ذو الخال والشامتين الحافظ لما استودع يملؤها
عدلاً وقسطاً^(١) .

وهذا يدل على أن بداية دولة أنصار المهدي عليه السلام ، أولاً على يد سيد من
أبناء أهل البيت عليه السلام ، ويكون الخراساني آخر من يحكم إيران قبل
المهدي عليه السلام أو مع آخر من يحكمها^(٢) .

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢٦٩ .

(٢) عصر الظهور، علي الكوراني، ص ٢٤٤ .

الفصل الرابع

أحداث منطقة الشام

★ أبدال أهل الشام

★ معركة قرقيسيا

★ المناطق الباقية وأحداثها

أحداث منطقة الشام

تتداخل أحداث الظهور بين منطقة وأخرى مما يستدعي في بعض الأحيان تكراراً لأمرٍ جرت في منطقة ثم إعادتها في أحداث منطقة أخرى، والسبب في ذلك هو تحركات البعض كالسفياني الذي يكون له دور في أحداث منطقة الحجاز وكذلك العراق وإيران والشام، وهذا ما يفرض علينا أن نذكر هذه التحركات من سائر الأنحاء.

وفي ما يتعلق بمنطقة الشام وما يجري فيها من تطورات فإن العنوان العام الذي يمكن وضعه لهذه المنطقة في تلك الفترة من الزمن هو أنها منطقة حروب وفتن واختلافات شديدة ومعارك وحروب تجري بين السفياني وخصومه على السلطة من جهة وبين السفياني والترك والروم من جهة أخرى، فضلاً عن الحروب الأساسية التي تكون الهدف الأول له وهي مواجهة ضد الإمام المهدي عليه السلام وأنصاره.

روى يعقوب السراج عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال:

«يا جابر لا يظهر القائم حتى يشمل الناس بالشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه ويكون قتلٌ بين الكوفة والحيرة، قتلاهم على سواء، ويتنادى متنادٍ من السماء»^(١).

وسمى الإمام علي عليه السلام هذه الفتنة بـ(فتنة اختلاف الأحزاب) المذكورة في

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢٧١، باب ٢٥، ح ١٦٢، عقد الدرر، ص ٥١، باب ٤، فصل ١.

القرآن الكريم، حيث سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ تَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١). فقال عليه السلام:

«انتظروا الفرج من ثلاث، فقليل يا أمير المؤمنين وما هُنَّ؟ فقال: «اختلافُ أهلِ الشام فيما بينهم. والرايات السود من خراسان، والفرقة في شهر رمضان...»^(٢).

ويصيبهم ضعف ووهن نتيجة هذه الفتن مما يسبب عجزهم عن مقاومة أي قوة تسلط عليهم ففي الحديث:

«يُرْسِلُ اللهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَنْ يُفَرِّقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْ قَاتَلْتَهُمُ الشَّعَالُ غَلِبَتْهُمْ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي ثَلَاثِ رَايَاتٍ...»^(٣).

وقد أشرنا سابقاً في الحديث عن علامات الظهور (السفياي) على صراع ينشب في الشام على السلطة بين السفياي والأبقع والأصهب، وتغلب السفياي عليهما. وسيطرته على المنطقة، وإخضاعها إلى حكمه.

وهذا ما ورد ذكره عن الإمام الباقر عليه السلام:

«فتلك السنة فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تُخَرَّبُ الشام، يختلفون على ثلاث رايات، راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياي»^(٤).

وهؤلاء الثلاثة من أبرز رموز العداء لمسيرة الإسلام التي يقودها الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان.

وتشهد تلك المنطقة حروباً أخرى غير تلك التي تجري في الداخل بين

(١) سورة مريم، الآية: ٣٧.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٢٢٩.

(٣) الفتن، ابن حماد، ص ٩٦.

(٤) البحار، ج ٥٢، ص ٢١٢.

السفياي وأعدائه الأبقع والأصهب، حيث يقاتل السفياي الترك والروم في معارك قاسية.

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إذا ظهر السفياي على الأبقع والمنصور البماني خرج الترك والروم فظهر عليهم السفياي»^(١).

ثم يقوم السفياي بعد ذلك بغزو العراق انطلاقاً من الشام.

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إذا ظهر السفياي على الأبقع وعلى المنصور والكندي والترك والروم، وصار إلى العراق . . . ويذبح فيها ذبائحاً صبراً ثم يخرج إلى الكوفة»^(٢).

وبعد دخوله إلى العراق يبلغ أهل المدينة خبر مجيء جيش السفياي إليها، فيهرب منها من كان من آل محمد عليه السلام . . . إلى أن يخسف الله الأرض بجيش السفياي.

وهذه الحروب التي يقوم بها السفياي في داخل وخارج منطقة الشام يكون أثرها بالغاً على تلك المنطقة.

ومن الأحداث الهامة التي تحصل في الشام، دخول قوات المغاربة بعد نشوب صراع بين فئتين، جاء التعبير عنه في الروايات بـ(اختلاف رمحان).

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«قال أمير المؤمنين: إذا اختلف الرُمحان بالشام، لم تنجل إلا عن آية من آيات الله. قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام، يهلك فيها أكثر من مائة ألف، يجعلها الله رحمةً للمؤمنين وعذاباً على الكافرين. فإذا كان ذلك، فانظروا على أصحاب البراذين

(١) الفتن، ابن حماد، ص ٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٢.

الشَّهْبِ المحذوفة، والرايات الصُّفْرِ، تُقْبَلُ من المغرب حتى تَحُلُ بالشام. وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك، فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حَرَسْتَا. فإذا كان ذلك، خرج ابن أَكَلَةَ الأكبَاد من الوادي اليابس، حتى يستوي على منبر دمشق. فإذا كان ذلك، فانظروا خروج المهدي عليه السلام^(١).

وتذكر الأحاديث أن سبب مجيء هذه القوات هو مواجهة قوات الخراسانيين الممهدين التي تدخل الشام لمحاربتها ومنعها من إكمال سيرها نحو فلسطين، ويظهر ذلك من الرواية التي تتحدث عن معركة بينهما عند القنطرة (التي يبدو أنها مدينة القنيطرة السورية المحتلة). فقد روى ابن حماد عن الزهري قال:

«يلتقي أصحاب الرايات السود وأصحاب الرايات الصفر (المغاربة) عند القنطرة فيقتتلون حتى يأتوا فلسطين، فيخرج على أهل المشرق (السفياي). فإذا نزل أهل لمغرب الأردن مات صاحبهم، فيفترقون ثلاث فرق: فرقة ترجع من حيث جاءت، وفرقة تحج، وفرقة تثبت. فيقاتلهم السفياي فيهزمهم، فيدخلون في طاعته»^(٢).

وعن ارتباط وعلاقة المغاربة بالسفياي يمكن القول بأن هؤلاء ليسوا من أعوانه ولا من أنصاره وإنما يدخلون الشام لغرض خاص فتحصل بينهم وبين السفياي حرب تكون نتيجةها لصالح السفياي فتتنضوي قواتهم تحت لواءهم «فيقاتلهم السفياي فيهزمهم، فيدخلون...».

ثم يلتقي السفياي والمغاربة في امر وهو قتال قوات الخراسانيين أما عن تأثير المغاربة على الشام فيذكر ابن حماد هذا الحديث:

«إذا اصطكت الرايات الصفر والسود من سُرَّة الشام، فالويل لسكانها من الجيش المهزوم، ثم الويل لها من الجيش الهازم، وويل لهم من المشوّه الملعون - وهذا من أوصاف السفياي»^(٣).

(١) الغيبة، النعماني، ص ٣٠٥-٣٠٦، ح ١٦، البحار، ج ٥٢، ص ٢١٦، باب ٢٥، ص ٧٣.

(٢) الفتن، ابن حماد، ص ٧١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٣.

ومن الإشارات التي ينبغي الالتفات إليها في أحاديث قوات المغاربة ما جاء في الحديث الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي يتحدث عن «رجفة تكون بالشام يهلك فيها مائة ألف» وهي هزة أرضية أو زلزلة تقع في الشام على أثر الاختلاف بين الرمحين . . .

هذه هي باختصار أهم أحداث منطقة الشام التي يقع في طليعتها حركة السفيناني وما يفعله في تلك المنطقة التي تعاني منه الولايات والمصائب .
وقد أشرنا إلى تفصيل حركة السفيناني ونتائجها في الحديث عن علامات الظهور فمن أراد التوسع فليراجع هناك .

أبدال أهل الشام:

يبقى أن نذكر ما لفت نظرنا في روايات أهل السنة الواردة في كتب الصحاح وغيرها من كتب الأحاديث التي تشير إلى تحول بارز في منطقة بلاد الشام حيث تتحول إلى معقل هام وقلعة من قلاع الإسلام وحصونه - وخصوصاً دمشق .
وفيها ما يلتقي مع ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام عن أبدال أهل الشام .

وإكمالاً أو إتماماً للفائدة نذكر الأحاديث الواردة في الشام ومدحها . . . ثم نذكر بعض أحاديث أبدال أهل الشام .

عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ الشَّامَ، فَإِذَا خُيِّرْتُمُ الْمَنَازِلَ فِيهَا فَعَلَيْكُمْ بِمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ، فَإِنَّهَا مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَلَاحِمِ وَفِسطاطُهَا مِنْهَا بِأَرْضِ يُقَالُ لَهَا الْفُوطَةُ»^(١) .

وعنه ﷺ أنه قال :

«سَيَكُونُ أَجْنَادٌ مُجَنَّدَةٌ، شَامَ وَيَمَنَ، وَعِرَاقَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيِّهَا بَدَأَ،

وعليكم بالشام، ألا وعليكم بالشام، ألا وعليكم بالشام، فمن كره فعليه بيمينه، وَلْيَسْتَقْ فِي غُدْرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَوَكَّلْ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»^(١).

وعن شريح بن عبيد قال: ذُكِرَ أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقال: ألعنهم يا أمير المؤمنين قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يُسْقَى بِهِمُ الْغَيْثُ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَيُضَرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمُ الْعَذَابُ»^(٢).

وعن شهر بن حوشب قال: لما فُتِحَتْ مصر سبوا أهل الشام، فاخرج عوف بن مالك رأسه من ثُرس ثم قال: يا أهل مصر، أنا عوف بن مالك، لا تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«فِيهِمُ الْأَبْدَالُ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ، وَبِهِمْ تَرْزُقُونَ»^(٣).

معركة قرقيسيا:

وهي من الأحداث الهامة في عصر الظهور حيث تقع عند الحدود السورية العراقية التركية^(٤)، وعند توجه السفيناني نحو العراق تشير الروايات إلى ظهور كنز في مجرى نهر الفرات، وتحاول أطراف متعددة السيطرة عليه، وتقع حرب مدمرة يُقْتَلُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ. ولا ينتصر فيها طرف على آخر، ولا يسيطر أحد على الكنز.

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٢.

(٣) معجم أحاديث المهدي، ج ١، ص ٢٨٤، ح ١٨٣، عن المعجم الكبير للطبراني.

(٤) ذكر في معجم البلدان. أن قرقيسيا مدينة صغيرة عند مصب نهر الخابور في نهر الفرات، وهي اليوم أطلال قرب مدينة دير الزور السورية.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«يُخَسِرُ الفرات عن جبلٍ من ذهب، فيقتل الناس عليه، فيقتل من كل فئة تسعون أو قال: تسعة وتسعون، كلهم يرى أنه ينجو»^(١).

وفي حديث آخر :

«يكون ناحية الفرات من ناحية الشام، أو بعدهما بقليل مجتمع عظيم، فيقتلون على الأموال، فيقتل من كل تسعة سبعة، وذلك بعد الهدية والواحية في شهر رمضان، وبعد افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك لنفسه، فيهم رجل اسمه عبد الله»^(٢).

وأطراف النزاع في معركة قرقيسيا هم السفيناني والترك، وذكر البعض أن المراد بالترك هنا هم الجيش التركي، وقد يكون الروس لوجود مؤشرات عديدة تؤيد أن يكون المقصود بالترك هنا الروس^(٣).

وتصف الأحاديث المعركة بأوصاف متعددة تؤكد على فظاعتها وكثرة القتل الذي يحصل فيها ونكتفي بذكر الروايات التي تشير إلى ما يجري في هذه المعركة :

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«إن لله مائدة - وفي غير هذه الرواية مأدبة - بقرقيسياً يطلع مطلع من السماء فينادي يا طير السماء ويا سباع الأرض هلموا إلى الشيع من لحوم الجبارين»^(٤).

عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

«فيلتقي السفيناني بالأبقع فيقتلون ويقتله السفيناني ومن معه ويقتل الأصهب، ثم لا يكون همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه

(١) عقد الدرر، ص ٥٩، باب ٤، فصل ١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨، باب ٤، فصل ١.

(٣) عصر الظهور، ص ١١٩.

(٤) عقد الدرر، ص ٨٧، باب ٤، فصل ٢، والبحار، ج ٥٢، ص ٢٤٦، باب ٢٥، ح ١٢٥.

بقرقيسيا فيقتتلون بها، فيقتلُ من الجبارين مائة ألف... ويبعثُ السفيناني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً^(١).

وفي حديث عمار بن ياسر ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله قال:

«... فتلتقي جنودهما بقرقيسيا على النهر فيكون قتال عظيم... ثم يظهر السفيناني بالشام على الرايات الثلاث، ثم يكون له وقعة بعد قرقيسيا عظيمة...»^(٢).

المناطق الباقية وأحداثها:

ولا يقتصر الأمر على أحداث هذه المناطق التي ذكرناها بل إن المنطقة كلها بشكل عام تتأثر وتتفاعل مع حركة الظهور المقدس لقائم آل محمد عليهم السلام بين مؤيد وداعم أو مبغض ومعادي.

فاليمين على سبيل المثال تشهد تطورات بالغة الأهمية وعلى رأسها حركة اليماني وخروجه - كما ذكرنا في علامات الظهور - وهي راية هدى بل أهدي الرايات في عصر الظهور كما وصفتها الروايات، وفيها ما يؤكد على وجوب نصرتها، ويكون خروجه في نفس اليوم والشهر والسنة التي يخرج فيها السفيناني والخراساني.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«خروج الثلاثة الخراساني والسفيناني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد. وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلى الحق»^(٣).

والدور الأساسي لليماني وأصحابه هو نصرته الإمام المهدي عليه السلام والعمل على إزالة العوائق من أمام زحفه الشريف للسيطرة على العالم، فقد ذكرت

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٢٣٧.

(٢) الفتن، ابن حماد، ص ٨٢.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٢١٠.

الروايات أن اليماني يدخل العراق على أثر غزو السفيناني له، ويعمل على مساندة قوات الخراساني التي تلتقي بقوات السفيناني.

وللوقوف على تفاصيل حركة اليماني يمكن للقارى مراجعة مبحث علامات الظهور... اليماني...

وأما مصر فإنها تشهر تحركاً موالياً للإمام المهدي عليه السلام، ويخرج منها قوم يشاركون في صنع حالة إسلامية تعمل على مساندة الإمام المهدي عليه السلام وهم المعبر عنه في الروايات بـ «نجباء مصر».

فمن الإمام علي عليه السلام قال:

«الأبدال من الشام، والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق»^(١).

وأيضاً ذكرت الروايات خروج رجل من مصر قبل السفيناني يدعو لآل محمد عليهم السلام ويؤيد ذلك أن الحديث يجعل المصري إلى جانب اليماني وكلاهما في مقابل السفيناني.

فمن محمد بن مسلم وهو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام - ولم يسنده إلى الإمام الباقر عليه السلام قال:

«يخرج قبل السفيناني مصري ويماني»^(٢).

وكذلك الأحاديث التي تذكر دخول قوات المغاربة إلى مصر والقتال الذي ينشب بينهما، فتذكره الروايات في مقابلهم ففي البحار ورد:

«ويخرج أهل الغرب (المغرب) إلى مصر، فإذا دخلوا فتلك إمارة السفيناني. ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) معجم أحاديث المهدي عليه السلام، ج ٣، ص ١٠٢، ح ٦٤٥.

(٢) الغيبة، الطوسي، ص ٢٧١.

(٣) البحار، ج ٥٢، ص ٢٠٨.

ويكون لدخول قوات المغاربة إلى مصر أثراً في حصول البلاءات فيها والفتن التي تدوم لفترة طويلة.

فعن أمين المؤمنين عليه السلام قال في حديث طويل:

«تختلف ثلاث رايات، راية بالمغرب، وراية لمصر وما يحل بها منهم. وراية بالجزيرة، وراية بالشام، تدوم الفتنة بينهم سنة...»^(١).

وبعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام وكمظهر من مظاهر الرحمة على الناس تتحول مصر من عهد الفتنة إلى عهد النعيم والرخاء حيث يسير إليها الإمام عليه السلام وينشر فيها العدل، ويحل الخير وينعم الناس ببركة وجوده الشريف.

فعن الإمام علي عليه السلام في حديث له عن المهدي وأصحابه يقول:

«ثم يسبرون على مصر فيصعد منبرها، فيخطب الناس، فتستبشر الأرض بالعدل، وتُعطي السماء قطرها، والشجر ثمرها، والأرض نباتها، وتزین لأهلها، وتأمين الوحوش حتى ترتعي في طرق الأرض كالأنعام، ويُقذف في قلوب المؤمنين العلم، فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه من العلم. فيومئذ تأويل الآية ﴿يُعْطِي اللَّهُ كَلَّامًا سَعَتِ﴾»^(٢).

(١) عقد الدرر، ص ٩٠ - ٩٩، باب ٤، فصل ٢.

(٢) بشارة الإسلام، ص ٧١.

الفصل الخامس

الإمام المهدي عليه السلام

في واجهة الصراع

★ نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال

★ مدة حروب الإمام المهدي عليه السلام

الإمام المهدي عليه السلام في واجهة الصراع

بعد هذه السلسلة من الأحداث الهامة التي تشهدها منطقة الظهور وما يجري فيها من متغيرات على مستوى الأنظمة الحاكمة، والمعارك والحروب التي يخوضها أتباع الإمام والمؤيدين له في مواجهة أعدائه رموز الكفر والانحراف في ذلك الزمان.

بعد هذا كله يبرز إلى الميدان الدور الريادي والقيادي للإمام المهدي عليه السلام ليدبر حركة الصراع بنفسه، ويتولى وضع حجر الأساس لدولة العدل والرخاء المرقبة.

وبطبيعة الحال فإن ظهوره عليه السلام إلى واجهة الأحداث يشكل مفاجأة بل صدمة لأعداء الدين والإسلام. وسيكون لبعض فئات الناس موقفاً سلبياً منه عليه السلام.

يروى الفضل بن يسار فيقول: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهال الجاهلية، قلت: وكيف ذاك؟ قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيidan والخشب المنحوتة، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتج عليه به، ثم قال: أما والله ليدخلن عليهم عدلته جوف بيوتهم كما يدخل الحر والقراء^(١).

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٦٢ - ٣٦٣، باب ٢٧، ح ١٣١ و ١٣٣.

وهذا يدل على أن الذين يكونون في الصف العدائي الأول للإمام هم فئات من المسلمين تحاول تأويل ظاهر الكتاب العزيز وفق آرائها ومعتقداتها.

لذا فإنه عليه السلام بعد انتقامه وثأره من قتلة الحسين عليه السلام - كما أشرنا سابقاً - يعمل على استئصال المنحرفين في جسم الأمة الإسلامية، ويقاقل الخوارج عليه وعلى الدين لدرجةٍ يكثر معها القتل والخراب.

وهذا الأمر يصبح موضع استغراب واستنكار لدى الكثيرين مما يدفعهم إلى إنكار كونه عليه السلام هو القائم المهدي لأنهم يعتقدون أن سيرته هي العفو والصفح واللين، وأشارت الروايات إلى اختلاف سيرته عليه السلام عن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وطريقة معاملته مع من حاربه ونصب العداوة له وأيضاً اختلافها عن سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الأئمة المعصومين عليه السلام.

فعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه، مما يقتل من الناس... حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم»^(١).

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: صالح من الصالحين سمّه لي أريد القائم عليه السلام فقال:

«اسمه اسمي، قلت أيسر بسيرة محمد عليه السلام قال: هيهات هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته، قلت: جعلت فداك لما؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله سار في أمته باليمن، كان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل، بذاك أمر في الكتاب الذي معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً، ويل لمن ناواه»^(٢).

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٥٤، باب ٢٧، ح ١١٣، والغية للنعماني، ص ٢٣٣، باب ١٣، ح ١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٥٣، باب ٢٧، ح ١٠٩.

ومن الروايات التي تتحدث عن شدة الإمام المهدي عليه السلام على أعدائه ما رواه أبو خديجة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«إن علياً عليه السلام قال : كان لي أن أقتل المولدين وأجهز على الجريح ، ولكنني تركت ذلك للعاقبة من أصحابي إن جرحوا لم يقتلوا ، والقائم له أن يقتل المولي ونجهز على الجريح»^(١).

وعن الحارث الأعور الهمداني ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«بأبي ابن خيرة الإمام - يعني القائم من ولده عليه السلام - يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مُصَبَّرَة ، ولا يعطيهم إلا السيف هرجاً فعند ذلك تمنى فجرة قریش لو أن لها مُفَادَة من الدنيا وما فيها ليُغفر لها ، لا نُكْف عنهم حتى يرضى الله»^(٢).

والسبب في موقف الإمام المهدي عليه السلام لعلة لوجود الفارق والاختلاف بين عصره وعصر النبي الأعظم عليه السلام حيث كان صلوات الله عليه قد بُعِث لإبلاغ الناس رسالة الإسلام ، وإرشادهم إلى صراط الله المستقيم ومن الطبيعي أن يعطي الفرصة للناس ويترك لهم مجالاً للتفكير لاختيار الطريق الصحيح .

أما في عصر المهدي عليه السلام فإن الحجة البالغة قد تَمَّت ، والبشرية قد مرّت بفترة الاختبار والتمحيص ، وأعطيت الفرصة الكافية للوصول إلى الحقيقة ، ومن المفروض بعد هذه الفترة الطويلة أن يصل كل فرد في هذه الأمة إلى أعلى درجات الإيمان واليقين . . . فطبيعة التعامل مع المجتمع الإسلامي الأول يفترض أن تختلف عن طبيعة القوانين والأحكام التي سيتم التعامل فيها مع مجتمع الإمام المهدي عليه السلام .

ولما كان عليه السلام مأموراً بإقامة دولة العدل ، دولة الأنبياء التي هي عصارة جهدهم وجهادهم أير أن يعمل بالسيف في وجه كل من يريد الوقوف في وجهه

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٥٣، باب ٢٧، ح ١١٠.

(٢) النبية، النعماني، ص ٢٢٩، باب ١٣، ح ١١.

تطبيق العدالة الإلهية في المجتمع الإنساني، لذا فإنه وإن كانت بعض الروايات قد ذكرت أن الإمام يعرض الإيمان على الناس قبل أن يفرضه عليهم من قبيل ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إذا قام القائم عرض الإيمان على كل ناصب، فإن دخل فيه بحقيقة وإلا ضرب عنقه أو يؤدي الجزية كما يؤديها اليوم أهل الذمة...»^(١).

إلا أن معظم الروايات أشارت إلى أنه قد أمر من الله بأن يستأصل المنحرفين دون أن يستتيبهم لأن فرصة التوبة قد ولت ولم يعد هناك مجال لفرصة ثانية يمكن أن تُتاح لهم.

وهذا الأمر لا يتنافى مع الروايات التي فيها أن المهدي عليه السلام «لا يهرق دمًا ولا يوقظ نائمًا» لأنها تتحدث عن المجتمع العادل الذي يؤسسه الإمام المهدي عليه السلام في دولته العالمية، المجتمع الذي تعمه السعادة والرفاهية، وتندر فيه أسباب الجريمة الذي تنفي فيه الحاجة إلى القتل.

أما الأخبار التي أشارت أو تحدثت عن سيرته عليه السلام بالقتل فإنها ناظرة إلى أسلوب الفتح العالمي وتأسيس دولة العدل الشاملة التي لا بد فيها من اللجوء إلى القوة واستعمال السلاح وبالتالي حصول القتل الشديد.

والفئات المناهضة والمحاربة للإمام المهدي عليه السلام والتي تقف في مواجهته بالسلاح هي ثلاث عشرة مدينة وطائفة.

فمن يعقوب السراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ثلاث عشرة مدينة وطائفة يحارب القائم أهلها ويحاربونه: أهل مكة، وأهل المدينة، وأهل الشام، وبنو أمية، وأهل البصرة، وأهل دميان (دشت میشان) والأكراد، والأعراب، وضبة، وغنى، وباهلة، وأزد البصرة، وأهل الري»^(٢).

(١) الكافي، ج ٨، ص ٢٢٧، ح ٢٨٨.

(٢) الغيبة، النعماني، ص ١٦٠.

وذكر الشيخ المفيد في الإرشاد خروج جماعة من الكوفة يقدر عددهم ببضعة عشر ألف نفس يدعون البترية يقاتلون الإمام عليه السلام ويقاتلهم^(١).

فالجو العام الذي يحيط بظهور الإمام المهدي عليه السلام وفقاً للروايات هو أنه سوف يواجه في مختلف المناطق الإسلامية حروباً مسلحة ومناوشات.

ويأتي في طليعة هذه الحروب والمعارك التي يخوضها ضد السفيناني إلى أن يتم القضاء عليه وعلى أتباعه، ولعلها تكون الحرب الأولى التي يخوضها الإمام المهدي عليه السلام وتحصل قبلها بعض الأحداث والمفاوضات بين الإمام عليه السلام والسفيناني يمكن تلخيصها على الشكل التالي:

بعد حدوث الخسف يحصل عند السفيناني حجة واضحة في أن الحق إلى جانب المهدي عليه السلام. فيقول: لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة. بعثت إليه ما بعثت فساخوا في الأرض. إن في هذا لعلبة ونصرة.

ويسير المهدي عليه السلام حتى ينزل الكوفة في هذا الجو الملائم، فيطلب السفيناني مواجهته في الكوفة، فيتقابلان.

فيتكلم معه الإمام عليه السلام فيزيده عقيدة به. فيبایعه السفيناني، ويعتقد بإمامته، ولم تصرح الروايات بالصيغة المتفق عليها بينهما. غير أن المفهوم عموماً أنه ليس تنازلاً مطلقاً من قبل السفيناني. بمعنى أنه يبقى حاكماً سياسياً كما كان بالرغم من مبايعته.

ويخرج السفيناني عائداً إلى عاصمته، فيستقبله أهل الحل والعقد من جماعته، وفيهم عدد كبير من المتطرفين المسيطرين. ذكرت الأخبار أنهم من عشيرة أمه، من قبيلة كلب. فيسألونه عن نتائج المباحثات. فيخبرهم بمبايعته. فيشجبون موقفه ويعبرونه عليه، باعتبار أنه قد أصبح تابعاً بعد أن كان متبوعاً.

ولا يمكن أن يكون للسفيناني بشخصه موقف مستقل ضد خاصته ومستشاريه. فيسألهم عن الرأي الصائب في نظرهم.

(١) راجع الإرشاد للمفيد، ص ٣٤٣.

فيقترحون عليه خلع البيعة ومواجهة المهدي عليه السلام مواجهة صارمة. فيعود السفيناني إلى المهدي طالباً خلع البيعة وإقالته منها. فيقبله المهدي عليه السلام منها. وبذلك يصبح خارجاً عن طاعته. فيهدده المهدي عليه السلام بالقتال، فلا يكون للسفيناني بد من القبول. وظاهر سياق الروايات في هذه النقطة أن المهدي عليه السلام يقاتل السفيناني وهو - أعني السفيناني - بعيد عن عاصمته، مع جماعته القليلة الذين جاؤوا معه إلى مقابلة المهدي عليه السلام. فيفنى عسكر السفيناني ويباشر المهدي قتل السفيناني بنفسه، كما تقول الروايات.

وتبقى عاصمة السفيناني بمن فيها من مسيطرين ومنحرفين بدون حاكم، فيسرع المهدي عليه السلام إليها بجيشه، فتسقط بيده بسهولة. ويستولي جيش المهدي على أموالهم «والخائب يومئذ من خاب من غنيمة كلب».

وبذلك تسقط المنطقة التي يحكمها السفينانيين كلها في يد الإمام المهدي عليه السلام ويصبح عليه السلام حاكماً عاماً عليها^(١).

وبهذا المضمون وردت روايات منها ما عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إذا بلغ السفيناني أنني القائم قد توجه إليه من ناحية الكوفة يتجرد بخيله حتى يلقي القائم، فيخرج فيقول: أخرجوا إلي ابن عمي! فيخرج عليه السفيناني فيكلمه القائم عليه السلام فيجيء السفيناني فيبايعه، ثم ينصرف إلى أصحابه فيقولون له: ما صنعت؟ فيقول: أسلمت وبايعت، فيقولون له: قبح الله رأيك بين ما أنت خليفة متبوع فصرت تابعاً! فيستقبله فيقبله ثم ينسئون تلك الليلة ثم يصبحون للقائم عليه السلام بالحرب فيقتتلون يومهم ذلك، ثم إن الله يمنح القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى ينفوهم، حتى أن الرجل يختفي في الشجرة فتقول الشجرة والحجرة: يا مؤمن هذا رجل كافر فاقتله فيقتله، قال: فتشيع السباع والطيور من لحومهم، فيقيم بها القائم عليه السلام ما شاء قال: ثم يعقد بها القائم عليه السلام ثلاث رايات: لواء

إلى القسطنطينية يفتح الله له، ولواء إلى الصين فيفتح له، ولواء إلى جبال الديلم فيفتح له»^(١).

وعن قتال الإمام المهدي عليه السلام للسفياي وانتصاره عليه روى المجلسي في البحار عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«يهزم المهدي السفياي وجيشه ويقتلهم أجمعين، ويدبغ السفياي تحت شجرة أغصانها مدلاة في بحيرة طبرية مما يلي الشام»^(٢).

وبهذا تنتهي حياة هذا الطاغية الملعون الذي سفك الدماء وقتل الأبرياء ووقف في مواجهة راية الحق والعدل، وتنتهي معه أسطورة الطغاة والجبابرة من على هذه الأرض.

نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال:

تعتبر قضية نزول النبي عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام من الحقائق الثابتة عند جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وهي من القضايا والأمور التي لا تقبل الشك والجدل.

وهذه المسألة مورد إجماع لدى مصادر السنة والشيعة، وبذلك فسر أكثر علماء التفسير قوله تعالى:

﴿وَأَن يَن أٰهْلَ الْكِتٰبِ اِلَّا لِّيُؤْمِنَ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ وَيَوْمَ اَلْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ سَهِيْدًا﴾^(٣).

ونقل صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وأبي مالك وقتادة وابن زيد والبلخي، وقال: واختاره الطبري.

وروى صاحب البحار تفسير هذه الآية نقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث يقول فيه:

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٨٨، باب ٢٧، ح ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٦، باب ٢٧، ح ١٩٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

«ينزل قبل يوم القيام إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا نصراني إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي»^(١).

وأما الأحاديث والروايات التي نقلها علماء الفريقين نذكر منها:

أخرج البخاري عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية (الحرب) ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها».

ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا:

﴿وَلَنْ يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(٢).

وأخرج مسلم عن أبي هريرة حديثاً وفيه:

«... وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص فلا يسمى إليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»^(٣).

ويذكر البخاري إقتداء النبي عيسى عليه السلام بالإمام المهدي عليه السلام في حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»^(٤).

وذكر هذا الحديث مسلم في صحيحه^(٥)، وأحمد بن حنبل في مسنده^(٦).

وفي عقد الدرر عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) البحار، ج ١٤، ص ٥٣٠.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٠٥.

(٣) صحيح مسلم، ج ١، ص ٩٣ - ٩٤.

(٤) صحيح البخاري، باب نزول عيسى ابن مريم، ص ١٥٨.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى عليه السلام، ج ٢، ص ٥٠٠.

(٦) مسند أحمد، ج ٢، ص ٣٣٦.

«يلتفت المهدي وقد نزل عيسى ابن مريم كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدي: تقدّم وصل بالناس!... فيقول عيسى ابن مريم: إنما أقيمت الصلاة لك. فيصلّي عيسى عليه السلام خلف رجل من ولدي، فإذا صليت قام عيسى حتى جلس في المقام فيبايعه»^(١).
وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منا الذي يصلي ابن مريم خلفه»^(٢).

وعن أمير المؤمنين في حديثه عن قصة الدجال ونزول عيسى عليه السلام... يقول:

«ألا وإن أكثر أتباعه أولاد الزنا، لابسوا التيجان إلا وهم اليهود، عليهم لعنة الله... أحوار اليمين... ويدخل المهدي عليه السلام بيت المقدس، ويصلي بالناس، إماماً، فإذا كان يوم الجمعة، وقد أقيمت الصلاة، نزل عيسى بن مريم عليه السلام، بثوبين مشرقين خمر، كأنما يقطر من رأسه الدهن، رَجُلُ الشعر، صبيح الوجه، أشبه خلق الله عز وجل بأبيكم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فيلتفت المهدي، فينظر عيسى عليه السلام فيقول لعيسى: يا بن البتول، صل بالناس. فيقول: لك أقيمت الصلاة، فيتقدم المهدي عليه السلام فيصلّي بالناس، ويصلي عيسى عليه السلام خلفه، وبايعه.

ويخرج عيسى عليه السلام فيلتقي الدجال، فيقطعنه، فيذوب كما يذوب الرصاص، ولا تقبل الأرض منهم أحداً، لا يزال الحجر والشجرة يقول: يا مؤمن تحني كافر اقتله.

ثم إن عيسى عليه السلام، يتزوج امرأة غسان، ويولد له منها مولود ويخرج حاجاً، فيقبض الله تعالى روحه في طريقه قبل وصوله إلى مكة»^(٣).

(١) عقد الدرر، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

(٣) عقد الدرر، ص ٢٧٤، باب ١٢، فصل ٢.

وعنه عليه السلام أيضاً في حديث طويل وفيه :

«... عيسى بن مريم ينزل من السماء، ويكون مع المهدي من ذريتي، فإذا ظهر فاصرفوه... يقف على باب الحرم فيصبح بأصحابه صبيحة، فيجمع الله تعالى عسكره في ليلة واحدة... فيتقدم المهدي من ذريتي، فيصلي إلى قبله جده رسول الله صلى الله عليه وآله، ويسيرون جميعاً على أن يأتوا بيت المقدس، ثم ذكر الحرب بينه وبين الدجال...»^(١).

وفي كتاب الحاوي على الفتاوي يقول السيوطي في الرد على من أنكر أن عيسى يصلي خلف المهدي.

هذا أعجب من العجب، فإن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة بإخبار الرسول صلى الله عليه وآله وهو الصادق المصدق الذي لا يخلفه خبر^(٢).

وهذه الأحاديث تتضمن دحضاً صريحاً وواضحاً لكل الأفكار والمعتقدات التي اعتبرت أن المهدي عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمان هو النبي عيسى عليه السلام وكما أشرنا إلى ذلك في أبحاث الكتاب المتقدمة وأما المضمون العام لهذه الأخبار فقد أشار إليه السيد الصدر في موسوعته القيمة فقال^(٣):

«إن الدجال يبلغ قمة مجده وإغرائه وسيطرته على العالم، ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من السماء واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق^(٤)، يبدو للرائي كأنه خرج من الحمام لوقته، لأنه إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدرت منه قطرات جمان كاللؤلؤ على وجهه. وإذا كان المفهوم من الخبر أن هذا خيال للرائي وليس هو برطوبة حقيقية.

(١) مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٣٢١، باب ٤٩، ح ٢١.

(٢) الحاوي على الفتاوي، السيوطي، ج ٢، ص ١٦٧.

(٣) راجع تاريخ ما بعد الظهور، ص ٨٥٩.

(٤) وفي بعض الروايات كما عن ابن حماد في الفتن أن المسيح عليه السلام ينزل في القدس.

وتكون الوظيفة الرئيسية الأولى للمسيح هي قتل الدجال والقضاء عليه، ويكون الدجال يومئذ في دمشق فيلحقه المسيح، فيدركه بباب لد فيقتله.

وحينما يقضي على الدجال مهمته الثانية تأييد المؤمنين في العالم والقضاء على الكافرين والمنحرفين، أما المؤمنين فيواجههم ويحدثهم عن درجاتهم في الجنة، وأما الكافرين فيقاتلهم على الإسلام ويدق الصليب بمعنى أنه يقضي على المسيحية المعروفة المتخذة للصليب، ويقتل الخنزير، بمعنى أنه يحرم أكله ويأمر بالقضاء على الموجود للتدجين منه، ويضع الجزية على من بقي على دين اليهودية والنصرانية، كما فعل رسول الله معهم. فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون.

وأما المهدي عليه السلام فهو الشخص الرئيسي من هؤلاء المؤمنين الذين يواجههم المسيح. وحين تحين الصلاة بعد وصولهم إليه أو وصوله إليهم، يدعوه الإمام المهدي عليه السلام إحتراماً له، أن يكون هو الإمام في صلاة الجماعة. فيأبى ذلك قائلاً: لا. إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة. يعني أن الأمة الإسلامية لا بد، في الحكم الإلهي، أن يحكمها شخص منها، وحيث أن المسيح عليه السلام ليس منها، باعتباره نبياً لدين سابق، إذن فلا ينبغي أن يحكم المسلمين، أو أن يأمرهم في الصلاة. وبعد هذا الاعتذار، يتقدم المهدي عليه السلام إماماً للصلاة ويصلي المسيح عليه السلام خلفه مأموماً.

وسيحين خلال هذه المدة، الوقت المناسب لمنازلة الكافرين والمنحرفين، متمثلين بياجوج ومأجوج، وبالرغم من أن القيادة العالمية إنما هي بيد الإمام المهدي عليه السلام غير أن قيادة الحرب ستكون بيد المسيح عليه السلام، ومن هنا نُسب القضاء على يأجوج ومأجوج إليه، كما نُسب قتل الدجال إليه أيضاً، مع أن هناك من الأخبار ما يدل على أن المهدي عليه السلام هو الذي يقتل الدجال، وكلا النسبتين صادقة، باعتبار وحدة العمل والهدف... انتهى كلامه.

ولنزول النبي عيسى ابن مريم عليه السلام في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام أبعاد ودلالات، وهو في نفس الوقت حكمة ومعجزة وآية من الله سبحانه وتعالى

وتحقيق للوعد القرآني الذي أخبرنا عن رفع الله تعالى للمسيح إليه حين أراد اليهود قتله فشبه لهم وقتلوا غيره مكانه ولعل أهم وأبرز حكمة من الله في نزول عيسى عليه السلام عند الظهور هي تقوية جانب الإمام المهدي عليه السلام، والاعتراف والتصديق بأنه حق لا ريب فيه، وخاصة بعد اقتدائه عليه السلام بالإمام المهدي عليه السلام في الصلاة.

ومن هذه الأبعاد والدلالات التأثير على جزء كبير من أهل الأرض. فنحن لا يمكننا إنكار كثرة انتشار الوجود المسيحي واليهودي الذين يمثلون فئة كبيرة وشريحة هامة من البشر. وعندما يقوم الإمام المهدي عليه السلام بالكشف عن موارث الأنبياء عليهم السلام، وهي تابوت آدم عليه السلام وهو الصندوق الذي كان يحفظ فيه كتاباته الدينية وتشريعاته، وعصا موسى عليه السلام، والتوراة والزبور والإنجيل وسائر كتب الله. فإن وجود المسيح عليه السلام إلى جانب المهدي يثبت لكل هؤلاء الناس وخصوصاً المسيحيين منهم بالحجة الواضحة وبعدها يتأكدون من شخصيته وأنه هو المسيح يسوع الناصري نفسه. وأن الإنجيل والتوراة إنما هي هكذا وليست على شكلها الموجود فيما بينهم وهي المحرفة.

ويقوم النبي عيسى عليه السلام بدور هام في إقناع هذه الشعوب بشخصية الإمام المهدي عليه السلام وأنه الوريث الشرعي لرسالات الأنبياء عليهم السلام، ويأمرهم بالرجوع إليه والإنصواء تحت قيادته الشرعية وفي هذا الشأن يقول الشيخ الكوراني^(١):

«... والمرجع عندي في أمر نزوله عليه السلام بقرينة قوله تعالى: ﴿وَأَن يَن أَمَلِ الْكَتَّابِ إِلَّا يَوْمُنَّ يَوْمَ﴾ الذي يدل على أن الشعوب المسيحية واليهود جميعاً يؤمنون به... أن الحكمة في رفعه إلى السماء عليه السلام وتمديد عمره أن الله تعالى قد ادخره لكي يؤدي دوره العظيم في هداية أتباعه وعُبادِهِ، في مرحلة حساسة من التاريخ يظهر فيها المهدي عليه السلام ويكون النصارى أكبر قوة في العالم، وأكبر عائق أمام

وصول نور الإسلام إلى شعوبهم وشعب العالم، وإقامة دولته وحضارته الإلهية ..

ولذا، فإن من الطبيعي أن تعمّ العالم المسيحي تظاهرات شعبية، وفرحة عامرة، ويعتبرون أن نزوله عليه السلام لهم في مقابل ظهور المهدي في المسلمين. ومن الطبيعي أن يزور المسيح عليه السلام بلادهم المختلفة، ويظهر الله تعالى على يديه الآيات والمعجزات، وأن تكون يعمل لهدايتهم إلى الإسلام بالتدريج والنفس الطويل... وأن تكون أول الثمرات السياسية لنزوله تخفيف حالة العداء في الحكومات الغربية للإسلام والمسلمين وعقد اتفاقية الهدنة بينهم وبين الإمام المهدي عليه السلام التي تذكرها الروايات. انتهى.

وقد يقع الباحث في حيرة وتساؤل حول ما يمكن فهمه من الروايات التي قد تبدو للوهلة الأولى أنها تحتوي على تناقض فيما بينها حيث أشارت بعض الروايات إلى أن الإمام المهدي عليه السلام يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بالإنجيل... وبعضها الآخر إلى أنه عليه السلام يحكم في دولته بحكم القرآن الكريم على كل الناس، وأنه لا يقبل من أحد إلا الدين الإسلامي.

والجواب هو أن المقصود من حكمه عليه السلام وتطبيقه لأحكام هذه الكتب تطبيق ما أمرت به من الدخول في الإسلام وما بشرت به من وجود نبي للإسلام، ويعرض أمامهم نصوص الكتب السماوية التي بشرت بالإسلام وأمرت باتباعه وألغت أو نسخت أحكام الشرائع السابقة عليه. فالواجب على كل البشر بعد النبي عليه السلام وخصوصاً في عصر الظهور العمل وفق أحكام الإسلام وما جاء به الكتاب الكريم.

وتطول فترة وجود النبي عيسى عليه السلام في هذه الأرض ويحكم فيها مع المهدي عليه السلام سنوات طويلة إلى أن تنتهي حياته قبل الإمام عليه السلام الذي يتولى إقامة مراسم دفنه على أعين الناس، حتى لا يقول فيه النصاري ما قالوا، وتشير

بعض الروايات إلى أنه يُكفنه بثوبٍ من نسج أمه الصديقة مريم عليها السلام ، ويدفنه في القدس إلى جانب قبرها .

يبقى أن نشير أخيراً إلى أن الروايات والأحاديث قرنت نزول عيسى عليه السلام إلى جانب ظهور الدجال الذي يكون أتباعه معظمهم من اليهود وفي ذلك إشارة واضحة إلى دور المسيح عليه السلام في هذا الأمر ومحاربتة لليهود ولسائر أتباع الديانات السماوية في حالة رفضهم لقيادة الإمام المهدي عليه السلام .

ولم نشأ التوسع في الحديث عن حركة الدجال وصفته وتفاصيل أمره باعتبار أننا قد تحدثنا مفصلاً عن ذلك في علامات الظهور - فراجع

مدة حروب الإمام المهدي عليه السلام :

تستغرق عملية إجتثاث جذور الكفر من الأرض على يد الإمام المهدي عليه السلام فترة من الزمن يستطيع الإمام عليه السلام معها أن ييسط سيطرته على جميع أرجاء المعمور .

وتواترت الأخبار والروايات وأجمعت على أن الإمام المهدي عليه السلام يقضي مدة في هذه الحروب هي (ثمانية أشهر) .

فعن عيسى الخشاب قال : قلت للحسين بن علي عليه السلام : أنت صاحب هذا الأمر؟ قال :

«لا، لكن صاحب الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه، المكنى بعمه، يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر»^(١) .

ونقل السيد محمد الصدر في تاريخ ما بعد الظهور طائفة من الروايات كلها تحدد مدة وضع (السيف) في رقاب المنحرفين، بثمانية أشهر، نذكر منها^(٢) :

(١) إكمال الدين، ج ١، ص ٣١٨، باب ٣٠، ح ٥، البحار، ج ٥١، ص ١٣٣ - ١٣٤، باب ٣، ح ٦ .

(٢) راجع المصدر، تاريخ ما بعد الظهور، ص ٥٨٨ - ٥٨٩ .

«... ثم يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر بيمينه. فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز وجل...».

وروى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لا يخرج القائم عليه السلام حتى تكون تكملة الحلقة. قلت: وكم تكملة الحلقة. قال: عشرة آلاف... إلى أن قال: يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر، يقتل هرجاً...».

وأخرج السيوطي في الحاوي عن نعيم بن حماد عن علي عليه السلام قال:

«إذ بعث السفيناني جيشاً فخسف بهم بالبيداء... على أن قال: ويخرج رجل من قبله (أي المهدي) رجل من أهل بيت بالمشرق، ويحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر...».

وأخرج عنه أيضاً عن علي عليه السلام قال:

«تفرج الفتن برجل منا يسومهم خسفاً، لا يعطيهم إلا السيف، يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر، حتى يقولوا: والله ما هذا من ولد فاطمة، ولو كان من ولدها لرحمنا».

القسم السادس

دولة المهدي ﷺ

• الفصل الأول:

دولة المهدي ﷺ خصائصها ومميزاتها

• الفصل الثاني

مدة حكم الإمام المهدي ﷺ

الفصل الأول

دولة المهدي ﷺ خصائصها ومميزاتها

- ★ استئصال المنحرفين والمنافقين
- ★ القيادة المعصومة
- ★ التشريع الإلهي
- ★ إلغاء التيارات الفكرية المنحرفة
- ★ القضاء على مظاهر الفساد
- ★ شمولها للعالم كله
- ★ التأييد الإلهي لها
- ★ تكامل وعي البشر فيها
- ★ تطور الحياة العصرية فيها
- ★ تسخير قوى الطبيعة لها
- ★ إحياء الدين وبعث الإسلام من جديد
- ★ العطاء والنعيم والرخاء
- ★ دولة القضاء والحكم العادل
- ★ الدولة التي لا يُعبد فيها غير الله

دولة المهدي ﷺ خصائصها ومميزاتها

استئصال المنحرفين والمنافقين:

لا بد للإمام المهدي ﷺ من أن يقوم بعدة خطوات وإجراءات عملية وميدانية على طريق تأسيس الدولة الإسلامية العادلة.

ويقع في أولويات هذه الخطوات ما ذكرناه من قيامه ﷺ حين ظهوره إلى الملأ من استئصال لرموز الكفر والنفاق والانحراف على وجه الأرض كتمهيد لبسط سلطانه وضمان عدم وجود من يعكر أو يحاول مواجهة هذه الدولة.

وحينما يلجأ ﷺ لتأسيس نظام جديد، فإن هذا الأمر يفترض إلغاء كل الأنظمة والقوانين الحاكمة في المجتمع البشري. لذا فإننا يمكننا وضع هذا الافتراض العقلي وهو قضاء المهدي ﷺ على تلك الأنظمة وإلغاؤها من ساحة الوجود ووضع البديل الصالح عنها.

وهذا ما يتطلب مواجهة حادة وقاسية ضد كل الحكام الذين يفرضون سيطرتهم بالقوة على شعوب العالم وبالخصوص الإسلامي، ويكون دور الإمام إزالة هذه الرموز الحاكمة والعمل على توحيد الأمة الإسلامية لتكون في ظل الحكومة الإسلامية العادلة والواحدة التي تنصره فيها كل الشعوب الإسلامية، لأنه ﷺ يتبنى الرؤية الإسلامية التي لا تعترف بتجزئة البشرية إلى حدود ودول... بل دولته عالمية واحدة برئاسة واحدة وقيادة واحدة، ومعه تُزال وتُمحى كل الأنظمة والقوانين الدولية، ولا توجد بعد ذلك دول متعددة - وهذه واحدة من خصائص الدولة المهدوية..

وفي اعتقادنا أن هذا الوضع الجديد سيكون له آثاره الإيجابية على الأمة وسيفتح لها باب السعادة والرخاء والسلام والعدل بين البشر أجمعين.

وورد في تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(١).

عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال:

«نزلت في القائم. إذا خرج أمر باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردة والكفار في شرق الأرض وغربها فَعَرَضَ عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه، ومن لم يسلم ضرب حُنْفَقُهُ، حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحدٌ إلا وُحِدَ الله تعالى. قلت جعلت فداك، إن الخلق أكثر من ذلك، فقال: إن الله إذا أراد أمراً قلل الكثير وكثر القليل»^(٢).

ومن خصائص الدولة المهدوية:

الأولى: القيادة المعصومة، فالرئاسة والقيادة العليا في الدولة التي لن تكون ملكية ولا رئاسية ولا دكتاتورية، ستكون إمامية، لأن الحاكم الأعلى سيكون هو الإمام المنصب من قبل الله عز وجل وسيمارس هذا المنصب الإمام المهدي عليه السلام بنفسه. في القيادة العليا، يوكل قيادة المناطق المختلفة في العالم إلى أصحابه المخلصين الممحصين «حكام الله في أرضه».

فشكل وطبيعة الدولة المهدوية هو نفس شكل وطبيعة الدولة التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وآله والتي يكون في المركز الأعلى فيها النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمة الخلفاء المعصومين عليهم السلام.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٨٣.

وما الدولة المهدوية إلا نموذجاً عن تلك الدولة المحمدية واستمراراً لنهجها وإحياء لمعالمها وقوانينها - وهذه هي الخصوصية الثانية لدولة المهدي ﷺ ..

الثالثة: هي أن التشريع في هذه الدولة ليس من خصائص الشعب أو المجالس المنبثقة عنه كما في الدولة والأنظمة القائمة في عالمنا المعاصر، فالتشريع في الدولة الإسلامية لله عز وجل وحده دون سواه، وليس الإمام المعصوم إلا مبلغاً لهذا التشريع ومطبقاً لأحكامه، وحامياً له .

الرابعة: إلغاء كل التيارات الفكرية المنحرفة والضالة بحيث لا يُسمع في ظل الدولة الإسلامية المهدوية لأي إنسان أن يتخذ ما يشاء من الرأي والعقيدة، وأن يتبنى ما يشاء من المعتقدات والأفكار، وخصوصاً إذا تضمن اتجاهه ورأيه مخالفة صريحة للأطروحة العادلة الكاملة . وقد أشرنا إلى موقف الإمام المهدي ﷺ من هؤلاء، وأنه يقوم باستئصالهم من الوجود في حال عدم قبولهم بدولة العدل الشامل .

ولا يقتصر الأمر في الدولة المهدوية على إلغاء التيارات الفكرية بل يطال الأمر الأديان والمعتقدات فلا يبقى فكر ولا معتقد ولا دين إلا الإسلام .

عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

«إن الإسلام قد يُظهره الله على جميع الأديان عند قيام القائم ﷺ»^(١) .

وذكر ابن العربي في كتابه الفتوحات الربانية هذا الأمر فقال في كلامه عن الإمام المهدي ﷺ :

«... يُظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله ﷺ حياً لحكم به، يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص»^(٢) .

(١) منتخب الأثر، ص ٢٩٤، فصل ٢، باب ٣٥، ح ٥ .

(٢) راجع الفتوحات المكية، باب ٣٦٦ .

الخامسة: القضاء على مظاهر الفساد الأخلاقي والاجتماعي، من قبيل منع الغش والربا والتغابن في المعاملات التجارية، ومنع تبذّل النساء وشرب الخمر وإعلان الفجور والسير في الزواج والطلاق والميراث على الخط المدني، وضبط الإعلام ومنعه الترويج لمظاهر الكفر والفسق والفجور.

فمع إرساء الإمام المهدي عليه السلام لدولته تطوى صفحة المنكر وتفتح للإنسانية معالم صفحة الأمر بالمعروف وتجسيده في المجتمع.

السادسة: شمول دولته عليه السلام كل العالم، فالوعد الإلهي للبشرية بتطبيق العدل لا بد وأن يكون شاملاً لكل الناس. فلا تُحرم منه فئة وتنعم به فئة أخرى.

ورد عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَنِيبُ الْأُمُورِ﴾ قال عليه السلام:

«هذه لآل محمد: المهدي وأصحابه يملكون الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين، ويميت الله عز وجل به وبأصحابه البدع والباطل كما أمات السفهة الحق حتى لا يرى أثر من الظلم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والله عاقبة الأمور»^(١).

وفي كتاب المحجة فيما نزل في القائم الحجة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

عن ابن دراج قال: سمعت جعفر الصادق عليه السلام يقول في هذه الآية:

«يَوْمَ الْفَتْحِ»، يوم تفتح الدنيا على القائم عليه السلام ولا ينفع أحداً تقرب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً، وأما من كان قبل هذا الفتح مؤمناً بإمامته ومنتظراً بخروجه فذلك الذي ينفعه إيمانه،

ويعظم الله عز وجل عنده قدره وشأنه وهذا أجر الموالين لأهل البيت ﷺ^(١).

فعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول: عهدك في كَفْكَ فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر على كَفْكَ، واعمل بما فيها...»^(٢).

وعنه عليه السلام أنه قال:

«يملك القائم ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعاً كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمد ويسير بسيرة سليمان بن داود، ويدعو الشمس والقمر فيجيبانه، وتطوى له الأرض ويوحى إليه فيعمل بالوحي بأمر الله»^(٣).

وتشير بعض الأحاديث إلى أن دولة الإمام المهدي ﷺ التي سيقمها ستكون أعظم من الدولة التي أقامها النبي سليمان وذو القرنين كما جاء ذلك.

عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إن ملكنا أعظم من مُلك سليمان بن داود، وسُلطاننا أعظم من سلطانه».

فدولة سليمان عليه السلام شملت فلسطين وبلاد الشام، ولم تشمل مصر وما وراءها من أفريقيا. أما دولة الإمام المهدي ﷺ فإنها تشمل كل مناطق العالم حتى لا يبقى مكان إلا نودي فيه بالشهادتين.

(١) المصدر السابق، ص ٤٧٥، ح ٢، عن المحجة.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٣٦٥، باب ٢٧، ح ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٩٠، باب ٢٧، ح ٢١٢.

ومن ناحية الإمكانات التي تسخر للمهدي عليه السلام، فهي تشمل الإمكانات التي سخرها الله تعالى لسليمان عليه السلام وتزيد عليها.

ومن حيث المدة فإن دولة المهدي في حياته وبعده. تستمر إلى آخر الدنيا، فإنه يحكم من بعده المهديون من أولاده، ثم تكون رجعة بعض الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فيحكمون إلى آخر الدنيا.

وروى عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان، والكافران: بختنصر ونمرود، وسيملكها خامس من أهل بيتي»^(١).

وتضافرت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليهم السلام أن الإمام المنتظر يملك الدنيا بأسرها وتدين بإمامته جميع شعوب العالم وأمم الأرض.

السابعة: التأييد الإلهي المطلق والدعم الكامل لها لأن الله سبحانه وتعالى وعد في كتابه الكريم بالوقوف على جانب الحق والعدل أينما وجد، وفي كل زمان ومكان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُورُوا أَنَّ اللَّهَ يَصْرُكُمُ وَلَيَبْطِلَنَّ أَقْدَامُكُمْ﴾^(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إن الملائكة الذين نصروا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر في الأرض ما صعدوا بعد، ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر، وهم خمسة آلاف»^(٣).

ودولة الإمام المهدي عليه السلام التي ستقوم في آخر الزمان هي واحدة من أبرز مصاديق العدل ونصرة الدين الإلهي، فلا شك بأنها ستحظى بتأييد الله ودعمه.

(١) عقد الدرر والعرف الوردی، ج ٢، ص ٨١.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) البحار، ج ١٩، ص ٢٨٤، باب ٢٦.

وهذا التأييد الإلهي سينعكس على الدولة المهدوية بآثاره الإيجابية حيث يتجلى ذلك في زيادة مقدراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية

الثامنة: تكامل الوعي البشري، فلا يعود هناك مجال لقوى الاستكبار في أن تتحكم في عقول البشر وتسير بهم وفق إرادتها وتسخيرهم لمصالحها.

فمن خلال دولة الإمام المهدي ﷺ ينتشر الوعي وتفتح الأذهان والعقول، وتتوحد الرواية والنظرة إلى القضايا بمجملها.

روى ابن أبي يعفور عن مولى لبني شيان، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم»^(١).

التاسعة: تطور الحياة في عصره، فإن وسائل الحياة الاجتماعية التي يستخدمها البشر في عصرنا الحاضر قد تتغير وتختلف في دولة الإمام المهدي ﷺ التي سخر الله لها ولقائدها وأصحابه بحيث تُسهّل لهم إدارة شؤون الدولة ولو بواسطة القضايا الإعجازية التي يوفرها الله لهم.

والتطور في الدولة المهدوية يشمل جميع العلوم ويتفوق عليها في شتى الميادين العلمية والتكنولوجية، ولعل الدليل الأهم على ذلك هو مقدار العلم الذي يصل إليه ويحصل عليه الإمام المهدي ﷺ وكذلك أصحابه.

فمن مقدار العلم يروي أبان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«العلم سبعة وعشرون جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل أجزاء، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الجزئين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين جزءاً، فبثها في الناس وضم إليها الجزئين، حتى يبثها سبعة وعشرين جزءاً»^(٢).

وأما عن مظاهر هذا التطور وأثر العلوم عند القائم عليه السلام وأصحابه روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٥، ح ٢١.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٢٣٦، باب ٢٧، ح ٧٣.

«إِذَا قَامَ الْقَائِمُ يَأْمُرُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالسَّلَامِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْجُلُوسِ مَعَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، فَإِذَا أَرَادَ وَاحِدٌ حَاجَةً أَرْسَلَ الْقَائِمُ مِنْ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَحْمِلَهُ، فَيَحْمِلُهُ الْمَلَكُ حَتَّى يَأْتِيَ الْقَائِمَ، فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ يَرْؤُهُ، وَمَنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَسِيرُ فِي السَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَعَ الْمَلَائِكَةِ مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْبِقُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَحَاكَمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ، وَالْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَوِّرُهُ الْقَائِمُ قَاضِيًا بَيْنَ مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»^(١).

العاشر: تسخير قوى الطبيعة للدولة المهدوية وقيادتها. وهذا أيضاً نوع من التأييد الإلهي لها، ومظهر من مظاهر تجلياته، ونتاج طبيعي له، وذلك من أجل توفير كل العوامل التي تساعد هذه الدولة على تثبيت أركانها وتقوية دعائمها وبسط نفوذها وسيطرتها على المقدرات الطبيعية.

عن الإمام الصادق ﷺ قال:

«إِذَا تَنَاهَتْ الْأُمُورُ إِلَى صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ، رَفَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ كُلَّ مَنْخَفُضٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَخَفِضَ لَهُ كُلَّ مَرْتَفَعٍ، حَتَّى تَكُونَ الدُّنْيَا عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ رَاحَتِهِ، فَأَيُّكُمْ لَوْ كَانَتْ فِي رَاحَتِهِ شَعْرَةٌ لَمْ يُبْصِرْهَا»^(٢).

عن الإمام الباقر ﷺ قال:

«إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا نَاصَحَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ، فَنَاصَحَهُ وَسَخَّرَ لَهُ السَّحَابَ، وَطَوَيْتَ لَهُ الْأَرْضَ، وَبَسَطَ لَهُ فِي النُّورِ، فَكَانَ يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ كَمَا يُبْصِرُ بِالنَّهَارِ، وَإِنْ أَثَمَةُ الْحَقِّ كُلِّهِمْ قَدْ سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ السَّحَابَ، وَكَانَ يَحْمِلُهُمْ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ.

(١) دلائل الإمامة، ص ٢٤١.

(٢) البحار، ج ٥٢، ص ٢٣٦.

وعلى هذا حال المهدي ﷺ ولذلك يُسمى (صاحب المرأى والمسمع) فله نور يرى به الأشياء من بعيد كما يرى من قريب، ويسمع من بعيد كما يسمع من قريب، وإنه يسبح في الدنيا كلها على السحاب مرة وعلى الريح أخرى، وتطوى له الأرض مرة، فيدفع البلايا عن العباد والبلاد شرقاً وغرباً.

الحادية عشرة: إحياء الدين وبعث الإسلام من جديد وتعميمه على العالم، بمعنى أن الإمام المهدي ﷺ سيظهر للناس كل القوانين والأحكام الإلهية التي بقي منها ما هو مستور عن الناس وقد تم تأجيل الإعلان عنها إلى زمن ظهور الإمام المهدي ﷺ، ومنها ما كان النبي ﷺ قد أعلنه على الناس وطبقه في زمانه وعصره ولكن الناس لم يعملوا بهذه الأحكام، فيكون دور الإمام ﷺ أن يطبق هذه الأحكام في دولته، ومنها ما كان قد بلغه النبي ﷺ إلا أنه مع مرور الزمن وضع جانباً وبقي في مطاوي الكتب.

وهذا المعنى هو ما أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١).

فمن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«أَظْهَرَ ذَلِكَ بَعْدُ؟ كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى لَا تَبْقَى قَرْيَةٌ إِلَّا وَنُودِيَ فِيهَا بِشَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ بَكْرَةً وَعَشِيَّةً»^(٢).

وعن ابن عباس قال في تفسير الآية:

«حَتَّى لَا يَبْقَى يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ وَلَا صَاحِبُ مِلَّةٍ، إِلَّا صَارَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَحَتَّى تَرْفَعَ الْجَزِيَّةُ وَيُكْسَرَ الصَّلِيبُ وَيُقْتَلَ الْخَنْزِيرُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، وَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ الْقَائِمِ»^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٢) المحجة فيما نزل بالقائم الحجة، البحراني، ص ٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٧.

وعن أبي بصير قال سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل في كتابه:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. فقال:

«والله ما نزل تأويلها بغد».

قلت: جعلت فداك ومتى ينزل تأويلها؟ قال: حتى يقوم القائم إن شاء الله تعالى، فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر ولا مشرك إلا كره خروجه، حتى لو أن كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت الصخرة يا مؤمن في بطني كافر أو مشرك فاقته، فيجئته فيقتله^(١).

فالهدف الإلهي من إقامة مشروع الدولة العادلة على يد الإمام المهدي عليه السلام هو كما في تعبير بعض الروايات:

«... وَيَبْلَغُنَّ دِينُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك على وجه الأرض...».

ولتصبح الأرض صافية نقية من الكفر والنفاق كسبيكة الفضة النقية من المواد المغشوشة.

وكما شهد التاريخ في بعض فتراته إنزواء وانكفاء بل إبعاداً لأحكام الله وتشريعاته وعدم إتاحة المجال أمام الإسلام ليعبر عن ذاته، كذلك سيشهد التاريخ مع بروز وإطالة الدولة الإسلامية المهدوية عزاً للإسلام وقدرةً على مواجهة التحديات.

فعن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«ولا يكون مُلْكٌ إلا للإسلام، وتكونُ الأرضُ كفاتورِ الفضة»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال في حديث له عن الإمام المهدي:

(١) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٢) الملاحم والفتن، ابن طائوس، ص ٦٦.

«يُعِزُّ الله به الإسلام بعد ذلِّه أو يُخَيِّبه بعد موته، وَيَضَعُ الْجَزِيَّةَ، ويدعو إلى الله بالسَّيْفِ، فمن أبى قُتِلَ، ومن نازعه خُذِلَ»^(١).

عن عبد الله بن عطاء، عن شيخ من الفقهاء يعني أبا عبد الله ﷺ قال: سألتُه عن سيرة الإمام المهدي كيف سيرته قال:

«يصنع كما صنع رسول الله ﷺ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله ﷺ أمرَ الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً»^(٢).

عن أبي خديجة، عن الإمام الصادق ﷺ أنه سُئِلَ عن القائم فقال:

«كُنَّا قائم بأمر الله واحدٌ بعد واحد، حتى يجيء صاحب السيف، فإذا جاء صاحب السيف جاء بأمر غير الذي كان»^(٣).

عن الإمام الصادق ﷺ قال:

«إذا قام القائم ﷺ دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم على أمرٍ قد دُثِرَ فَضْلُ عنه الجمهور، وإنما سُمِّيَ القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمرٍ مضلول عنه، وسُمِّيَ بالقائم لقيامه بالحق»^(٤).

وهذه الروايات المتقدمة تشير بشكل واضح وجلي إلى أن الإمام المهدي ﷺ لن يأتي بدين جديد غير الإسلام والشريعة التي بشر بها النبي محمد ﷺ، نعم. لقد حاول أعداء الإسلام والتشيع الإفتراء عليهم بأنهم يقولون ويدَّعون بأن الإمام المهدي ﷺ سوف يأتي بدين هو غير الإسلام. والجواب على هؤلاء بأن ما هو مذكور في روايات أهل البيت ﷺ هو أن الإمام يأت بأمرٍ جديد ويكون على يديه إحياء الإسلام وقيمه بعد محاولة البعض تشويه صورته وإبعاده عن حياة الناس.

فالإمام المهدي ﷺ صاحب أعظم ثورة تغييرية سوف تشهدا البشرية لتبث

(١) بشارة الإسلام، ص ٢٩٧.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ، ج ٤، ص ٥١، ح ١١٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٢، ح ١١٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥١، ح ١١٢٢.

فيها من جديد روح الإسلام وتعاليمه كما جاء به رسول الله ﷺ من دون زيف أو تحريف، وسيقوم الإمام ﷺ بنشر العلوم والمعارف الإسلامية التي يحتاج إليها الناس، ويرفع الحُجب عن معاني القرآن الكريم، ويفسر الأحكام الإلهية والمعارف القرآنية حسب ما أَرادها الله تعالى وهي قد تختلف مع ما استنبطه العلماء والفقهاء منها ونشروها خلال قرون عديدة باعتبارها معارف وأحكام إسلامية.

ومن الطبيعي أن لا تختلف هذه الموضوعات والأحكام الجديدة التي سينشرها الإمام ﷺ مع ما نزل بالوحي على النبي الأعظم ﷺ، أو أنها لا تكون موجودة في القرآن الكريم.

بل إن جميع هذه الأحكام والمعارف والعلوم والحقائق الإلهية قد أنزلها الله تعالى بالوحي على رسوله الأكرم ﷺ ولكن بسبب عدم إدراك الناس لها في جميع العصور وحتى ظهور المهدي ﷺ، وبسبب عدم إتاحة الظروف القاسية التي مر بها أهل بيت العصمة عليهم السلام لنشرها بين الناس، فإن الإمام المهدي ﷺ وبعد ظهوره الشريف، سيقوم بتبيان كل هذه الحقائق ونشرها بما يعطيه الله من قدرة على القيام بذلك.

وهذه هي حقيقة الأمر التي لا تشير إلى إتيان الإمام المهدي ﷺ بدين غير دين الإسلام، وبشريعة هي غير شريعة جده النبي ﷺ.

الثانية عشر: العطاء والنعيم والرخاء في ظل الدولة المهدوية لأن عصر الإمام المهدي ﷺ هو ذلك العصر الذي يصل فيه المجتمع الإنساني إلى مجتمع الغنى وعدم الحاجة، وتُمحى منه الطبقات الاجتماعية، ولا يعود الناس بحاجة إلى السؤال نظراً للتوزيع العادل للثروات.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة مجموعة كبيرة من الروايات التي تبين مدى النعيم الذي تحصل عليه الأمة في عصر الظهور وما يكون فيه من رخاء ووفرة في المال وسعة في الحال، ونحن إذ نورد هنا بعض هذه الروايات ليتسنى للقارئ الاطلاع على تفاصيل هذا الأمر.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«تصدقوا، فإنه يوشك أن يُخرج الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها»^(١).

ومثله عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«تصدقوا، فيوشك الرجل بمشي بصدقته فيقول الذي أعطيتها: لو جئت بها بالأس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لي فيها، فلا يجد من يقبلها»^(٢).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال:

«يخرج المهدي في أمتي خمساً أو سبعمائة أو تسعاً - زيد الشاك - قال قلت: أي شيء؟ قال سنين، ثم قال: يُرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تَدَخِرُ الأرض من نباتها شيئاً، ويكون المال كدوساً، قال: يجيء الرجل إليه، فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، قال فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحمل»^(٣).

عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«تقيء الأرض أفلاذ كبدها، أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلٌ ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعٌ رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعٌ يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً»^(٤).

عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«يرضى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الأرض، لا تَدَعُ السماء من قَطْرِها

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ١، ص ٢٣٦ - ٢٤٤، ح ١٤٤ - ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٠، ح ١٤٢.

شيئاً إلا صبته، ولا الأرض إلا أخرجته، حتى يتمنى الأحياء
الأموات»^(١).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في
المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق»^(٢).

وفي حديث عن زيد بن الجهمي قال : لما طعن الحسن بن علي عليه السلام
بالمدائن أتيته وهو متوجع فقلت : ما ترى يا بن رسول الله فإن الناس متحيرون؟
فبين الإمام عليه السلام رأيه وأشار إلى حكم بني أمية وفسادهم في الأرض وكيفية
استيلائهم على مقدرات العباد وتحكمهم بربابهم إلى أن قال :

«... فكذاك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكَلْبٍ من الدهر
وَجَهْلٍ من الناس، يؤيده الله بملائكته، ويعصم أنصاره وينصره
بآياته، ويُظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً، يملأ
الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها،
لا يبقى كافر ولا طامع إلا ضلَّح، وتصلح في ملكه السباع،
وتُخرج الأرض نبتها، وتُنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز،
يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع
كلامه»^(٣).

عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل وفيه :

«... ويُعطي الناس عطايا مرتين في السنة، ويرزقهم في الشهر
رزين، ويسوي بين الناس حتى لا ترى محتاجاً على الزكاة وبجيء
أصحاب الزكاة بزكاتهم إلى المحاويع من شيعته فلا يقبلونها،
فيصرونها ويدورون في دورهم فيخرجون إليهم، فيقولون لا حاجة

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٩، ح ١٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٦، ح ١١٣٠.

(٣) البحار، ج ٤٤، ص ٢٠، باب ١٨، ح ٤، رواه عن الاحتجاج.

لنا في دراهمكم . . . ويجتمع إليه أموال أهل الدنيا كلها من بطن الأرض وظهرها . . .^(١).

الثالثة عشرة: أنها دولة القضاء والحكم العادل بين أفراد المجتمع، فلا ظلم ولا جور ولا حيف فيها، ولن يكون فيها مظلومية لأحد.

فالإمام المهدي ﷺ خليفة الله في الأرض، ووارث النبيين، والداعي إلى سبيل الحق والقائم بالقسط ومُجَلِّي الظلمة ومنير الحق، والناطق بالحكمة والصدق، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ينتظره الناس لإزالة الهم وكشف الكرب والبلوى.

فعلى يديه ستتحقق دولة العدل الإلهي في آخر الزمان ليعيش الناس بأمان واطمئنان لما يروونه ويتذوقونه من طعم الإيمان وحلاوة العدل الذي يحققه الإمام ﷺ.

ولهذا أشارت الروايات والأخبار إلى معالم الزمن المهدوي وما يتم على يد الإمام المهدي ﷺ من إنجازات على مستوى تحقيق الرفاهية والعدل للبشرية.

في الملاحم والفتن عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«المهدي كأنما يلحق المساكين الزيد»^(٢).

عن الإمام أمير المؤمنين ع قال:

« . . . وتخرج له الأرض - أي للمهدي ﷺ - أقاليد كبدها وتلقى سلمى مقابلبدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة»^(٣).

عن النبي ﷺ قال:

«يأوي إلى المهدي أمته كما تأوي النحل إلى يعسوبها، يملأ الأرض

(١) المصدر السابق، ج ٥٢، ص ٣٩٠، باب ٢٧، ح ٢١٢.

(٢) المهدي الموعود المنتظر، نجم الدين العسكري، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

عدلاً كما ملئت جوراً حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول أي
كما كانوا في زمان النبي ﷺ لا يوقظ نائماً ولا يهرق دماً (أي على
الباطل)»^(١).

نقل صاحب كتاب عقد الدرر بسنده عن جعفر بن بشار الشامي قال: يبلغ
رد المهدي المظالم حتى ولو كان تحت ضرب إنسان شيء انتزعه حتى يرده»^(٢).

عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السماء
عليهم مدراراً ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجه»^(٣).

وعنه أيضاً ﷺ قال:

«يخرج المهدي من أمتي يبعثه الله غياثاً للناس، فتنعم الأمة وتعيش
الماشية، وتُخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً (أي
بالسوية)»^(٤).

وعنه ﷺ قال:

«يكون في آخر الزمان عند تظاهر من الفتن، وانقطاع من الزمن،
أمير أول ما يكون عطاؤه للناس أن يأتيه الرجل، فيحشى له في
حجره، يهيمه أن يقبل منه صدقته ذلك المال لما يصيب الناس من
الفرح»^(٥).

وعن عدله في الحكم والقضاء ورد عن كعب الأحبار أنه قال:

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) عقد الدرر في أخبار المنتظر، الشيخ يوسف الشافعي الحديث ٥١ من الباب الثاني ومستخب الأثر، ص ٣٠٨ الفصل الثالث، الحديث ٣.

(٣) عقد الدرر، الحديث ١٩٨، الباب السابع.

(٤) المصدر نفسه، الحديث ٢٤٢ من الباب الثامن.

(٥) المهدي الموعود المنتظر، نجم الدين المسكري، ص ٢٧٦.

«إني لأجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء ما في حكمه ظلم ولا عنت»^(١).

وفي لفظ آخر ورد هذا الحديث بما يلي:

«إني لأجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء ما في عمله ظلم ولا عيب».

في إسعاف الراغبين (ص ١٦١) عن الفتوحات المكية قال:

وقال في محل آخر من فتوحاته أنه يحكم بما ألقى إليه ملك الإلهام من الشريعة وذلك أنه يلهم الشرع المحمدي فيحكم به كما أشار إليه حديث المهدي، يقفو أثره لا يخطئ، فعرفنا ﷺ أنه متبع لا متبوع، وأنه معصوم في حكمه فعلم أنه يحرم عليه القياس مع وجود النصوص التي منحه الله إياها على لسان ملك الإلهام، بل حرم بعض المحققين القياس على جميع أهل الله لكون رسول الله ﷺ مشهوداً لهم فإذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا إليه في ذلك فأخبرهم بالأمر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج إلى تقليد أحد من الأئمة غير رسول الله ﷺ^(٢).

عن جابر بن عبد الله قال:

«دخل رجل على أبي جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ فقال له: إقبض مني هذه الخمسمائة درهم، فإنها زكاة مالي، فقال له أبو جعفر ﷺ: خذها أنت فضعها في جيرانك من أهل الإسلام، والمساكين من أخوانك. ثم قال: إذا قام مهدينا أهل البيت قسم بالسوية، وعدل في الرعية، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله... وإنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى أمر خفي».

وعن كعب الأحبار قال:

«... ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها إنطاكية»^(٣).

(١) عقد الدرر، الحديث ٦٠، الباب الثالث.

(٢) المهدي، السيد صدر الدين الصدر، ص ٨٤.

(٣) عقد الدرر، ص ٤٠.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«لا تذهب الدنيا حتى يَخْرُجَ رجل مني، رجلٌ يحكم بحكومة آل داوود، ولا يَسْأَلُ عن بينةٍ، يعطي كل نفس حُكْمَهَا»^(١).

الرابعة عشرة: أنها الدولة التي لا يُعبد فيها غير الله عز وجل، وهذا من الفوارق المهمة بينها وبين دولة النبي محمد ﷺ الذي جاء يدعو الناس إلى عبادة الله عز وجل ونبذ الشرك والوثنية وكانت القاعدة التي سنّها النبي ﷺ «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»، «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» فالناس أحرار في اختيار العقيدة والدين، والحساب في ذلك مؤجل إلى يوم القيامة.

أما في دولة الإسلام المهدوية فإن البشر قد مروا بفرصة كافية تسمح لهم باختيار الطريق الصحيح ليصلوا إلى تمييز الحق من الباطل، وتتوقف بعد ذلك عملية الإختيار لهذا يؤمر كل الناس باتباع الحق الذي هو رسالة الإسلام.

فعن علي بن أسباط قال: روى أصحابنا في قول الله عز وجل «الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ» قال: الملك للرحمن اليوم، وقبل اليوم، وبعد اليوم، ولكن إذا قام القائم لم يعبد إلا الله عز وجل^(٢).

وعن ابن بكير قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» قال:

«أنزلت في القائم إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة، وأهل الردة، والكفار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة، وما يؤمر به المسلم، ويجب لله، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحداً إلا وحده الله، قلت جعلت فداك إن الخلق أكثر من ذلك فقال: إن الله إذا أراد أمراً قلل الكثير، وكثر القليل»^(٣).

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٤، ص ٦٤، ح ١١٣٨.

(٢) منتخب الأثر، ص ٤٧٦، ح ٢، عن المحجة في ما نزل في القائم الحجة.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧٦، ح ١.

الفصل الثاني

مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام

مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام

تقوم المهمة الأساسية للإمام المهدي عليه السلام على العمل لتأسيس المجتمع البشري العادل، والحكم وفق الشريعة الإلهية الحقة والصحيحة، وقد ثبت لنا بالبرهان والدليل القاطع أنه عليه السلام يحكم الدنيا كلها وتدخل البشرية كلها تحت سيطرته.

والسؤال الذي يدور في الأذهان هو:

إلى متى وكم تكون مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام لهذه الأرض؟ وهل أنه عليه السلام بعد رحيله إلى ربه تستمر حكومته عبر خلفاء وأوصياء يأتون من بعده؟ وهذا بالطبع مترتب على الرأي القائل بأن حكم الإمام ودولته يستمران إلى ما بعد وفاته عليه السلام.

الإجابة على السؤال الأول هو أننا لا نستطيع أن نعرف المدة التي يحكم فيها الإمام المهدي عليه السلام إلا عن طريق الأحاديث والروايات الشريفة التي تحدد هذا الأمر.

إلا أن هذه الروايات التي تشير إلى مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام هي متضاربة في مضمونها إلى حد كبير بشكل يوقع الباحث في الحيرة والذهول وعدم القدرة على تحديد مدة حكمه بشكل واضح وصريح.

وهذه الروايات يمكن تصنيفها إلى نوعين:

النوع الأول: الروايات التي تدل على بقاء الإمام المهدي عليه السلام في الحكم لفترة تتراوح ما بين خمس وتسع سنين.

النوع الثاني: الروايات التي تدل على بقاءه عليه السلام في الحكم لفترة تزيد عن العشر سنوات وفيما يلي نشير إلى طائفة من هذه الروايات:

روى عبد الكريم بن عمرو الخثعمي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام كم يملك القائم عليه السلام؟ قال:

«سبع سنين يكون سبعين سنة من سنيكم هذه»^(١).

عن أبي سعيد الخدري عن النبي عليه السلام قال:

«يملك المهدي أمر الناس سبعاً أو عشرأ»^(٢).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ملك القائم منا تسع عشرة سنة وأشهرأ»^(٣).

وعن جابر بن يزيد الجعفي أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام: كم يقوم القائم في عالمه حتى يموت؟ فقال عليه السلام:

«تسع عشرة سنة، من يوم قيامه إلى يوم موته»^(٤).

وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله عليه السلام:

«المهدي مني - ويملك سبع سنين»^(٥).

وروى في حديث آخر عن أم سلمة عن النبي عليه السلام:

«فيلبث سبع سنين. ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون...»^(٦).

وأخرج الترمذي أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي عليه السلام:

«إن في أمتي المهدي، يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً...»^(٧).

(١) منتخب الأثر، ص ٤٩٢ نقلاً عن الغيبة للطوسي.

(٢) المصدر نفسه، نقلاً عن أعيان الشيعة.

(٣) الغيبة، النعماني، باب ٢٦، ح ٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٢.

(٥) راجع تاريخ ما بعد الظهور، ص ٦٢٣.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

وروى المفضل بن شاذان عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئِلَ عن مدة ملك القائم فقال عليه السلام :

«سبع سنين، تطول له الأيام حتى تكون السنة من سنه مقدار عشر سنين من سنيكم، فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيكم هذه...»^(١).

ولأجل إشباع الحديث في هذا الموضوع نقل للقارئ الكريم ملخصاً لبعض آراء علماء أهل السنة والشيعة.

روى أحمد في مسنده في الجزء الثالث من الصفحة ٢٨ أنه يملك سبعا أو تسعاً.

وروى في صفحة ٣٧ فقال: «... يكون ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ثم لا خير في العيش بعده».

وروى مثله في الصفحة ١٧.

وروى الحاكم في المستدرك في (ج ٢ - ص ٥٥٨) وعلق على هذا الرأي بالقول وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وروى الحاكم في المستدرك في (ج ٤ - ص ٤٦٥) فقال: يعيش فيهم سبع سنين أو ثمان أو تسع ثم قال: هذا الحديث صحيح الإسناد.

في (ص ٥٥٧) قال: يعيش سبعا أو ثمانياً.

في (ص ٥٥٨) روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع).

وفي الجامع الصغير (ح - ٩٢٤٤) قال: يملك سبع سنين.

وفي منتخب كنز العمال (ج ٦ - ص ٢٩) قال: (يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعاً).

(١) الإرشاد المفيد، ص ٣٦٣ والغية للطوسي، ص ٢٨٣.

وفي كشف الغمة عن الحافظ أبي نعيم في الأحاديث الأربعين قال: يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس.

وروى الشيخ الطوسي أن مدة ملكه سبع سنين (يكون سبعين سنة من سنينكم).

وروى النعماني في الغيبة في عدة روايات أن مدة ملكه تسع عشرة سنة.

ويمكن التعليق على هذه الروايات ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى:

إن ما دل من الروايات على أن مدة حكمه وبقائه في الدنيا أقل من عشر سنوات هي روايات علماء أهل السنة بمعظمها.

وما دل على بقاءه في الحكم أكثر من عشر سنوات هو موجود في الأغلب في روايات علماء الشيعة ومصادره.

النقطة الثانية:

إن الروايات التي ذكرها الشيعة عن مدة حكم الإمام عليه السلام وحددتها بأقل من عشر سنوات كانت مقرونة غالباً بالإشارة إلى أن هذه السنين ليست كسني الدنيا المتعارف عليها بين الناس مثل ما ورد عن الصادق عليه السلام (يكون سبعين سنة من سنينكم هذه) أو (تكون السنة من سنه مقدار عشر سنين من سنينكم).

النقطة الثالثة:

أنه يمكن إيجاد وجه للجمع بين الروايات بما ذكره العلامة المجلسي في البحار حيث قال:

الأخبار المختلفة الواردة في أيام ملكه عليه السلام بعضها محمول على جميع مدة ملكه، وبعضها على زمان استقرار دولته، وبعضها على سنه وشهوره الطويلة.

أو بما نقله صاحب (منتخب الأثر) عن أبي حجر في رسالته (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر) في إمكان الجمع بين الروايات على تقدير صحة الجميع:

بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة، فالأربعون مثلاً باعتبار جملة ملكه، والسبع ونحوها باعتبار غاية ظهور ملكه وقوته، والعشرون ونحوها باعتبار أمر الوسط.

أما الإجابة عن السؤال الثاني، وهو المتعلق باستمرار دولته، وحكومته بعد شهادته فنوكل أمر الإجابة عنه إلى البحوث القادمة.

القسم السابع

رحيل الإمام المهدي عليه السلام

★ الفصل الأول:

رحيل الإمام المهدي عليه السلام عن الدنيا والعالم بعده
ماذا بعد المهدي عليه السلام

★ الفصل الثاني:

الرجعة أدلتها وأقوال العلماء فيها، وما هو المقصود منها

الفصل الأول

رحيل الإمام المهدي عليه السلام

عن الدنيا والعالم بعده

★ ماذا بعد المهدي عليه السلام

رحيل الإمام المهدي عليه السلام عن الدنيا والعالم بعده

بعد الانتصارات العظيمة التي يحققها الإمام المهدي عليه السلام على أعدائه وقيام الدولة الإسلامية بقيادته، وما يقوم به من إنجازات فيها الخير الكثير للبشرية، وانتشار العدل في كافة أرجاء الأرض، بحيث لا يعود هناك بقعة إلا وينادي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وغيرها من الجوانب المضيئة التي تعكسها عملية نشوء هذه الدولة المهدوية.

بعد هذا يبرز إلى الواجهة السؤال التالي:

إن هذه الدولة مهما كانت مدة بقاؤها واستمرارها، وأياً كانت الفترة التي يحكم فيها الإمام المهدي هذه الأرض...

فهل ينتهي عمر الدنيا مع انتهاء حياة الإمام المهدي عليه السلام؟ أم أنه عليه السلام يرحل عن الدنيا تاركاً وراءه من ينهض ويتحمل أعباء المسؤولية الكاملة في استمرار دولة العدل الإلهي؟ وكيف تنتهي حياته عليه السلام؟

وعلى فرض وجود من يحكم من بعد الإمام المهدي عليه السلام فهل أن الحاكم هو من الأئمة المعصومين عليهم السلام؟ أم أنه من الخلفاء والحكام العادليين الذين يمارسون الحكم على ضوء ما تعلموه وتلقوه من تعاليم الإمام عليه السلام؟ وهذا موضوع يتعلق بمسألة وقضية العالم بعد الإمام المهدي عليه السلام.

تبين لنا مما سبق في الحديث عن مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام أن الروايات وإن كانت متضاربة ولا تعكس لنا جواباً واضحاً وصريحاً في هذا

المجال إلا أن الجامع المشترك بينها هو الاتفاق على مبدأ انتهاء عمر الإمام المهدي عليه السلام وعدم بقاءه، لأنه وإن كان قد عاش في هذه الدنيا لفترة طويلة كانت له فيها غيبتان (الصغرى والكبرى) لكنه بعد قيامه بالمهمة الإلهية التي من أجلها إدخره الله سبحانه وتعالى وأبقاه حياً لتحقيقها ستعود حياته لتتخذ شكلها الطبيعي، فهو سيظهر كما تقول الروايات ابن أربعين أو شاباً... ثم يمارس حياته الطبيعية التي تنتهي في أمر معين كما كتب الله ذلك لكل نفس إنسانية وكما قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١).

والأئمة المعصومين ومنهم الإمام المهدي عليه السلام لا بد وأن يطراً عليهم عارض خارجي كالقتل ونحوه لكي يكون السبب في انتهاء حياة كل واحد منهم. وعلى ضوء ما ورد لدينا من روايات نستطيع القول في الإجابة على السؤال المتقدم بأن الإمام المهدي عليه السلام تنتهي حياته وتبقى دولته مستمرة إلى فترة من الزمن حتى قيام الساعة.

ونذكر من هذه الروايات التي تشير إلى وفاته عليه السلام ما ورد عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ:

«أبشركم بالمهدي... إلى أن قال: فيكون ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين. ثم لا خير في العيش بعده (لا خير في الحياة بعده)»^(٢).

وعن أم سلمة في حديث عن النبي ﷺ يتحدث فيه عن المهدي عليه السلام:

«فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»^(٣).

أما كيف تنتهي حياته وكيف تكون وفاته عليه السلام؟

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) الملاحم والفتن، ابن طاووس، ص ١٣٥.

(٣) سنن أبي داود، ج ٢، ص ٤٢٣.

فإن الثابت لدينا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يموتوا حتف أنفهم بل إما عن طريق القتل أو دس السم لهم.

ويؤيد هذا الأمر الروايات المنقولة عنهم وكذلك الشواهد التاريخية.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ما منا إلا مقتول أو شهيد»^(١).

وما روي عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام حيث قال لجنادة بن أبي أمية:

«والله لقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله إن هذا الأمر يملكه أحد عشر

إماماً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام ما منا إلا مسموم أو مقتول».

وأما الشواهد التاريخية في كيفية انتهاء حياة كل واحد من الأئمة

المعصومين عليهم السلام.

فالإمام علي عليه السلام قُتل بالسيف، والإمام الحسن المجتبي عليه السلام قتل

بالسم، والإمام الحسين عليه السلام استشهد بالسيف وهكذا بقية الأئمة وصولاً إلى

الإمام الحسن العسكري عليه السلام فهل يمكن أن يشذ أمر وفاة أو استشهاد الإمام

المهدي عليه السلام عن هذه القاعدة؟ بالطبع لا.

ولكن هل تختم حياته بالقتل أم بالسم؟

ليس ما بين أيدينا ما يمكن أن نستشهد به على هذه القضية سوى ما ذكره

الشيخ اليزدي الحائري في كتابه إلزام الناصب حيث قال:

«ملخص الاعتقاد في الغيبة والظهور ورجعة الأئمة. لبعض العلماء:

ومما ينبغي اعتقاده: رجعة محمد وأهل بيته... إلى أن يقول:

فإذا تمت السبعون سنة، أتى الحجة الموت، فتقتله امرأة من بني

تميم اسمها سعيذة، ولها لحية كالحية الرجال - بجاون صخر من

فوق سطح، وهو متجاوز في الطريق، فإذا مات تولى تجهيزه الحسين عليه السلام...^(١).

وهذا الخبر الذي نقله صاحب إلزام الناصب عن بعض العلماء من دون أن يذكر اسمه لا يخلو من الغموض والإجمال وهو يدل على أن الإمام المهدي عليه السلام يقتل بجاون صخر يقع عليه من أعلى وهو ماشٍ في الطريق، والجاون آلة قديمة لسحق الأشياء ودقها كالحبوب وهو عبارة عن جسم مجوف ثقيل الوزن له فتحة من أعلاه توضح فيه الحبوب، ويلحق به جسم أسطواني ضخم للدق فيه، وهو قد يعمل من الصخر وقد يعمل من الخشب.

ومن الممكن حمل (الجاون) على بعض الآلات المتطورة، كما يُحمل لفظ السيف على كل آلة للقتال.

فهذا الخبر مع ضمنية الخبر الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام بأنه «ما منا إلا مقتول أو شهيد» والخبر الوارد عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام «ما منا إلا مسموم أو مقتول» وشهادة التاريخ على سيرة أهل بيت العصمة عليهم السلام يمكننا القول بأن الإمام المهدي عليه السلام ستكون نهاية حياته الطاهرة بنفس هذه الطرق - والباقي علمه عند علام الغيوب...

وفي أثناء كتابة هذه السطور عثرت على رواية تدعم الرأي المتقدم من أن الإمام المهدي عليه السلام تنتهي حياته قتلاً. ففي رواية عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«... ثم يخرج المنصور إلى الدنيا، فيطلب دمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتى يقال: ... فإذا اشتد البلاء عليه مات المنتصر وخرج السفاح إلى الدنيا غضباً للمنتصر فيقتل كل عدو لنا جائر ويملك الأرض كلها... ثم قال عليه السلام: يا جابر وهل تدري من المنتصر

(١) راجع إلزام الناصب، ج ٢، الفصل التاسع، ص ٢٨٠.

والسفاح؟ يا جابر المنتصر الحسين والسفاح أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

وهذا الخبر فيه دلالة صريحة على أن الإمام المهدي عليه السلام يرحل عن هذه الدنيا عن طريق القتل، وإلا ما معنى أن يخرج المنصور والسفاح أو الإمام الحسين عليه السلام وأبوه الإمام علي عليه السلام من أجل طلب دمه ودم أصحابه وانتقامهم له!!!!...

ماذا بعد المهدي عليه السلام؟

وهذا هو جواب عن السؤال الأخير من الأسئلة التي طرحناها في الفقرة السابقة.

وحيث ثبت لدينا بأنه عليه السلام ينتقل من عالم الدنيا، وأن انتهاء حياته لا يرتبط بانتهاء حياة البشرية وبالتالي قيام الساعة. وأن الدولة الإسلامية المهدوية ستبقى وهي بحاجة إلى القيادة الإلهية الحكيمة والداعية.

فمن هي الشخصية الحاكمة والقيادة الباقية بعد الإمام المهدي عليه السلام؟
في هذا المجال يمكن طرح احتمالين:

الأول: هو استمرار القيادة المهدوية من خلال خلفاء وأوصياء يسرون على نهج المهدي عليه السلام ويكون أمر تعيينهم مشابهاً لتعيين أمر القيادة في عصر الغيبة الكبرى والتي كانت للفقهاء العدول والصلحاء من هذه الأمة والأمناء على خط الرسالة.

الثاني: استمرار القيادة من خلال المعصومين أنفسهم وذلك بما دلّت عليه الروايات في مسألة الرجعة المتسالم عليها عند الشيعة وعلمائهم - مع الالتفات إلى أن الرجعة كما دلّت على رجوع المعصومين من أئمة أهل البيت عليهم السلام

(١) الغيبة، للطوسي، ص ٢٨٦، الاختصاص، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ والبحار، ج ٥٢، ص ٢٩٨، باب ٢٦،

كذلك دلت على رجوع المؤمنين ممن محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً وهذا من مؤيدات الاحتمال الأول.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن كلا الاحتمالين اللذين سنذكرهما مبنيان على فرض استمرارية الدولة الإسلامية بعد رحيل الإمام المهدي عليه السلام عن هذه الدنيا وإلا فإن في مقابل هذين الاحتمالين يوجد ما يعارضهما وهو القول بأنه مع انتهاء حياة الإمام المهدي عليه السلام فلن تبقى الدنيا بل سيعقب ذلك قيام الساعة.

قال الطبرسي في أعلام الوري: وجاءت الرواية الصحيحة بأنه ليس بعد دولة القائم دولة لأحد، إلا ما روي من قيام ولده إن شاء الله ذلك.

ولم ترد به الرواية على القطع والثبات. وأكثر الروايات أنه لن يمضي - يعني الإمام المهدي عليه السلام - من الدنيا إلا قبل القيامة بأربعين يوماً، يكون فيها الهرج^(١).

هذا ما قالته المصادر الإمامية. ولم نجد لدولة ما بعد المهدي في المصادر العامة أي أثر^(٢).

وفي محاكمتنا لكلا الاحتمالين نجد أن كلاهما مما أيده الروايات وأشارت إليه. ولكن الدلالة للروايات على الاحتمال الثاني أقوى من دلالتها على الاحتمال الأول.

ويضاف إلى ذلك أن دولة المهدي عليه السلام هي آخر دولة إسلامية تحكم هذا العالم، وعلى ضوء ما بيناه سابقاً من مواصفات وخصائص لهذه الدولة يقوى الاحتمال العقلي في الدلالة والبرهان على أن هذه الدولة التي هي بمثل هذه المواصفات لا يمكن بقاؤها ولا قيادتها ولا استمرارها على نفس النهج والقاعدة التي أسسها الإمام المهدي عليه السلام إلا من خلال شخص المعصومين أنفسهم ولا يستطيع أحد مهما بلغت قدراته ومواصفاته القيادية، أن يتحمل عبء هذه المسؤولية في إدارة شؤون هذه الدولة وتحمل مسؤولياتها.

(١) أعلام الوري، الطبرسي، ص ٤٣٥.

(٢) تاريخ ما بعد الظهور، ص ٩١٤.

ويؤيد ذلك ما ذكرناه من دلالة الروايات في قضية الرجعة التي تنص بوضوح على رجوع أئمة أهل البيت عليهم السلام سيما الرواية التي تشير إلى رجوع الإمام الحسين عليه السلام إلى الدنيا وتولية أمر الصلاة على الإمام المهدي عليه السلام بعد وفاته وتجهيزه وتكفينه ودفنه. باعتبار العقيدة الثابتة عند الشيعة في أن الإمام المعصوم لا يغسله ولا يصلي عليه إلا الإمام المعصوم.

فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الرجعة... أحق هي؟

فقال عليه السلام: نعم

فسئل: من أول من يخرج؟

فقال عليه السلام: ... الحسين... يخرج على أثر القائم عليه السلام ^(١).

وعنه عليه السلام قال:

«... ويقبل الحسين عليه السلام... فيدفع إليه القائم عليه السلام الخاتم، فيكون الحسين هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه، ويواريه في حفرته» ^(٢).

ولأجل استكمال البحث في هذا الموضوع وإتماماً للفائدة نذكر الروايات المؤيدة لكلا الاحتمالين:

فمن الروايات التي تؤيد الاحتمال الأول: (استمرار القيادة بعد المهدي عليه السلام عن طريق الأولياء والحكام الصالحين)، ما ورد عن أبي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

«يا بن رسول إني سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: يكون بعد القائم إثنا عشر مهدياً فقال: إنما قال إثنا عشر مهدياً ولم يقل إثنا عشر إماماً، ولكنهم قومٌ من شيعتنا يدهون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا» ^(٣).

(١) منتخب الأنوار المضيئة، السيد علي بن عبد الكريم النبلي، من علماء القرن التاسع الهجري.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٠٣، باب ٢٩، ح ١٣٠.

(٣) كمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٣٥٨، باب ٣٣، ح ٥٦.

ونقل العلامة المجلسي عن الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله ﷺ في الليلة التي كانت فيها وفاته، لعلي: يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة. فأملى رسول الله ﷺ وصيته حتى انتهى على هذا الموضع. فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي إثنا عشر إماماً ومن بعدهم إثنا عشر مهدياً. فأنت يا علي أول الإثنا عشر إماماً... إلى أن قال: وليسلمها الحسن (يعني الإمام الحسن العسكري عليه السلام) إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد ﷺ. فذلك إثنا عشر إماماً. ثم يكون من بعده إثنا عشر مهدياً. فإذا حضرته الوفاة فليسلمها على ابنه أول المهديين...»^(١).

وفي عدد من الأدعية الواردة في المصادر الإمامية الدعاء لهؤلاء الأولياء الصالحين والسلام عليهم بعد الدعاء للمهدي عليه السلام.

ففي بعض الأدعية المكرسة للدعاء للإمام المهدي عليه السلام والثناء عليه يقول في آخره:

«اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمالهم وزد في آجالهم، وأعز نصرهم وتمم لهم ما أسندت إليهم من أمرك لهم وثبت دعائهم، واجعلنا لهم أحوالاً وعلى دينك أنصاراً...»^(٢).

ومن الروايات التي تؤيد الاحتمال الثاني (استمرار القيادة عن طريق أئمة أهل البيت عليه السلام) نذكر الخبر الذي يشير إلى حكم أو حكومة الإمام الحسين عليه السلام في هذه الأرض بعد مقتل الإمام المهدي عليه السلام: عن المعلى بن خنيس وزيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعناه يقول:

(١) البحار نقلناه عن تاريخ ما بعد الظهور، ص ٩١٢.

(٢) راجع مفاتيح الجنان، ص ٥٤٢.

«إن أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي عليه السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة، حتى يسقط حاجباه على عينيه»^(١).

فمع وجود الإمام المعصوم - الإمام الحسين عليه السلام بعد القائم عليه السلام لا معنى لحكومة غير المعصوم، بل لا يجوز ذلك.

وقد حاول العلامة المجلسي في البحار أن يرفع التنافي بين هذه الأخبار الدالة على كلا الاحتمالين من حيث كونها دالة على إكمال القيادة بعد الإمام المهدي عليه السلام إلى غير الأئمة المعصومين عليهم السلام وبين القول بالرجعة الذي يقول: بإكمال القيادة إلى الأئمة المعصومين أنفسهم. فقال: هذه الأخبار مخالفة للمشهور - يعني القول بالرجعة - وطريق التأويل أحد وجهين:

الأول: أن يكون المراد بالإثني عشر مهدياً: النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة سوى القائم عليه السلام بأن يكون ملكهم بعد القائم.

الثاني: أن يكون هؤلاء المهديون من أحباء القائم هاديين للخلق في زمن سائر الأئمة الذين رجعوا، لئلا يخلو الزمان من حجة. وإن كان أوصياء الأنبياء وأوصياء الأئمة حججاً أيضاً. والله تعالى يعلم.

وعلى كل حال فإن هذا البحث يقودنا بل يحتم علينا تناول موضوع الرجعة وتفصيلها عند الشيعة.

(١) البحار، ج ٥٣، ص ٦٣ - ٦٤، باب ٢٩، ح ٥٤.

الفصل الثاني

الرجعة أدلتها وأقوال العلماء فيها، وما هو المقصود منها

- ★ الرجعة في المفهوم الشيعي
- ★ أدلة الرجعة في القرآن والروايات
- ★ أقوال العلماء في الرجعة
- ★ من الذي يرجع إلى الدنيا
- ★ رجعة النبي ﷺ والإمام علي ﷺ وسائر الأئمة ﷺ
- ★ رجعة الحسين ﷺ وعدد من الأنبياء ﷺ
- ★ رجعة بعض وزراء المهدي ﷺ
- ★ رجعة المؤمنين من أنصار المهدي ﷺ
- ★ رجعة أعداء المؤمنين للإنتصاف منهم
- ★ بين الإمام المهدي ﷺ وقيام الساعة

الرجعة أدلتها وأقوال العلماء فيها، وما هو المقصود منها

الرجعة في المفهوم الشيعي:

الرجعة في اللغة ترادف العودة أو تطلق اصطلاحاً على عودة الحياة إلى مجموعة من الأموات بعد النهضة العالمية للإمام المهدي عليه السلام وهذه العودة تتم بالطبع قبل حلول يوم القيامة. وطبقاً لهذا المبدأ، فالحديث عن العودة يعد من أشراط القيامة.

وعلى ضوء ذلك، فظهور الإمام المهدي عليه السلام شيء، وعودة الحياة إلى مجموعة من الأموات شيء آخر، كما أن البعث يوم القيامة أمر ثالث، فيجب تمييزها وعدم الخلط بينها^(١).

فإطلاق معنى الرجعة على ظهور الإمام المهدي نفسه باعتبار رجوعه إلى الناس بعد الغيبة غير صحيح.

ويمكن حصر معنى العودة الذي هو تعبير آخر عن الرجعة بمعنيين:

الأول: رجوع بعض الأئمة المعصومين عليهم السلام كأمر المؤمنين علي عليه السلام والحسين... وربما قيل برجوع النبي صلى الله عليه وآله...

الثاني: رجوع بعض الأموات إلى الدنيا، وإن لم يكونوا من الأئمة المعصومين عليهم السلام. وخاصة من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً.

(١) راجع، الإلهيات، الشيخ السبعاني، ج ٢، ص ٧٨٨.

وعن إمكانية قبول فكرة الرجعة في العقيدة الإسلامية فإن ذلك يمكن وضعه في خانة الاعتقاد برجع أو بإحياء الموتى يوم القيامة.

وهو اعتقاد راسخ لدى كل مسلم يؤمن بالإسلام وأصوله العقائدية التي منها إحياء الموتى في يوم القيامة أو الاعتقاد بالمعاد.

وإحياء الموتى لم يقتصر في العقيدة الإسلامية على حصوله ووقوعه يوم القيامة فقط، وإنما أخبر القرآن الكريم عن وقوع إحياء الموتى، مرات عديدة، منها ما ورد في قوله تعالى:

١ - ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ نَسًا فَإِنَّهُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَفَلَنَّا أَصْرُهُمْ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَفِيٌّ﴾ (١).

وهي تشير إلى إحياء ميت من بني إسرائيل وقد أحياء الله في هذه الدنيا لينطلق ويعلن عن اسم قاتله.

وغيرها من الآيات الكثيرة في القرآن الكريم التي لا يتسع المجال لذكرها، ولكن نشير إلى أسماء السور والآيات التي ورد فيها الحديث عن عملية إحياء الموتى في الدنيا وهي:

٢ - سورة البقرة - الآية ٢٤٣ (وهي حول موت ألوف من الناس وبعثهم من جديد)

٣ - سورة البقرة - الآية ٢٥٩ (وهي عن بعث عزيز بعد مائة عام من موته).

٤ - سورة البقرة - الآية ٥٥ (وهي حول إحياء جماعة من بني إسرائيل).

٥ - سورة آل عمران - الآية ٤٩ (وهي عن إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام).

٦ - سورة المائدة - الآية ١١٠ (وهي كآلية السابقة في سورة آل عمران).

ويكفي في إمكان الرجعة، إمكان بعث الحياة من جديد يوم القيامة وعليه

فالإعتراف بإمكان بعث الحياة من جديد يوم القيامة، ملازم للاعتراف بإمكان الرجعة في حياتنا الدنيا.

أدلة الرجعة في القرآن والروايات:

صرح القرآن الكريم بشكل واضح لا لبس فيه بوقوع الرجعة في عدد من آياته الكريمة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾^(١).

ففي تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق عليه السلام بأنها مأولة بالرجعة.

قد روي أن رجلاً قال للإمام الصادق عليه السلام: إن العامة تزعم أن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ عنى يوم القيامة. فقال عليه السلام:

«أفيحشر الله يوم القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقين؟ لا... ولكنه في الرجعة، وأما آية القيامة ﴿وَنَحْشُرُهُمْ فَلَمْ تَقَاوِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾»^(٢).

فالآية الكريمة ظاهرة في بيان وقوع حوادث قبل يوم القيامة، وذلك لأن الآية تركز على حشر فوج من كل جماعة بمعنى عدم حشر الناس جميعاً، ومن المعلوم إن الحشر ليوم القيامة يتعلق بالجميع، لا بالبعض، يقول الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ فَلَمْ تَقَاوِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾»^(٣).

وحول أصالة عقيدة الرجعة في فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام، روى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

(ليس منا من لم يؤمن بكرتنا، ويستحل متعتنا)^(٤).

(١) سورة النمل، الآية: ٨٣.

(٢) تفسير البرهان، ج ٣٠، ص ٣١٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٧.

(٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج ٣، ص ٤٥٨، ح ٤٥٨٣.

ونقل الشيخ في رسائله مرسلًا عن الإمام الصادق عليه السلام :

«ليس منا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا»^(١).

وسأل المأمون العباسي، الإمام الرضا عليه السلام عن الرجعة فقال: يا أبا الحسن ما تقول في الرجعة؟ فقال عليه السلام :

«إنها الحق، قد كانت في الأمم السالفة، ونطق بها القرآن، وقد قال رسول الله ﷺ : يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السابقة، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة»^(٢).

وروى الشيخ الصدوق عن رسول الله ﷺ أنه قال :

«كل ما كان في الأمم السابقة فإنه يكون في هذه الأمة مثله، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة»^(٣).

وبما أن الرجعة من الحوادث المهمة في الأمم السالفة، فيجب أن يقع نظيرها في هذه الأمة أخذًا بالمماثلة، والتنزيل.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

«أيام الله ثلاثة: يوم القائم، ويوم الكرة (أي الرجعة) ويوم القيامة»^(٤).

أقوال العلماء في الرجعة:

قال الشيخ المفيد:

«إن الله تعالى يحشر قومًا من أمة محمد ﷺ، بعد موتهم، قبل يوم القيامة، وهذا مذهب يختص به آل محمد (صلوات الله عليه وعليهم)، والقرآن شاهد به»^(٥).

(١) أجوبة المسائل الروية، المفيد، ص ٢٠٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٣، ح ٤٥.

(٣) كمال الدين، ص ٥٧٦.

(٤) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٦٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣٦، نقلًا عن المسائل الروية للشيخ المفيد.

وقال السيد المرتضى :

«إعلم أن الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه، أن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان، المهدي عليه السلام قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعة ليفوزوا بثواب نصرته ومعاونته، ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق وعلو كلمة أهله»^(١).

وقال العلامة المجلسي :

«والرجعة إنما هي للمحضي الإيمان من أهل الملّة، وممحضي النفاق منهم، دون من سلف من الأمم الخالية»^(٢).

ووصف الشيخ الحر العاملي الروايات المتعلقة بالرجعة بأنها أكثر من أن تعد وتحصى وأنها متواترة المعنى.

وقال العلامة المجلسي بعد سرده لأخبار الرجعة :

«إعلم يا أخي إنني لا أظنك ترتاب بعدما مهدت وأوضحت لك في القول بالرجعة التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار . . . وكيف يشك مؤمن بحقبة الأئمة الأطهار فيما تواتر عنهم فيما يقرب من مائتي حديث صريح، رواها نيف وثلاثون من الثقات العظام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم كشقة الإسلام الكليني والصدوق محمد بن بابويه، والشيخ أبي جعفر الطوسي، والسيد المرتضى، والنجاشي، والكشي، والعباشي، وعلي بن إبراهيم، وسليم الهلالي والشيخ المفيد والكراجكي والنعماني والصفار وسعد بن عبد الله (القمي) وابن قولويه وعلي بن عبد الحميد والسيد علي بن طاووس ومؤلف

(١) المصدر السابق، نقلاً عن رسالة للسيد المرتضى جواباً على أسئلة أهل الري.

(٢) المصدر نفسه.

كتاب التنزيل والتحريف وأبي الفضل الطبرسي وإبراهيم بن محمد الشافعي، ومحمد بن العباس بن مروان، والبرقي وابن شهر آشوب والحسن بن سليمان والقطب الراوندي والعلامة الحلبي والسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم و...".

وكتب علماء الشيعة أبحاثاً معمقة وصنفوا الكتب والمؤلفات عن قضية الرجعة، وردوا على منكريها، واحتجوا عليهم بالأدلة والبراهين ومن ذلك نذكر:

- ١ - أحمد بن داود بن سعيد الجرجاني، قال الشيخ الطوسي في كتاب الفهرست: له كتاب (المتعّة والرجعة).
- ٢ - الحسن بن حمزة البطائني، وعد النجاشي من جملة كتبه: كتاب الرجعة.
- ٣ - الفضل بن شاذان النيسابوري. ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الفهرست والنجاشي أن له كتاباً في إثبات الرجعة.
- ٤ - الصدوق محمد بن علي بن بابويه، عد النجاشي من كتبه (كتاب الرجعة).
- ٥ - محمد بن مسعود العياشي، ذكر الشيخ والنجاشي في الفهرست كتابه في الرجعة.

من الذي يرجع إلى الدنيا:

باعتبار ما تقدم ظهر لدينا أن الاتفاق عند القائلين بالرجعة هو لصنفين من الناس:

الأول: النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام.

الثاني: رجوع الناس العاديين وهم على قسمين:

١ - من محض الإيمان محضاً.

٢ - من محض الكفر محضاً.

فمن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«... إن الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة، لا يرجع إلى الدنيا إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً»^(١).

وفيما يلي نذكر الروايات التي تشير إلى أصناف الراجعين إلى الدنيا:

رجعة النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إن رسول الله ﷺ وعلياً عليه السلام سيرجعان»^(٢).

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن لعلي عليه السلام في الأرض كرة مع الحسين ابنه عليه السلام يقبل برايته حتى ينتقم له... ثم كرة أخرى مع رسول الله ﷺ حتى يكون خليفة في الأرض...»^(٣).

وعن عودة النبي ﷺ ورجعته مع الإمام علي عليه السلام وقتاله لإبليس وحزبه روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«... فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم... فإذا كان يوم الوقت المعلوم كثر أمير المؤمنين في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات... فعند ذلك يهبط الجبار عز وجل في ظلال من الغمام والملائكة وقضي الأمر ورسول الله ﷺ بيده حربة من نور... فيلحقه النبي ﷺ (أي لإبليس) فيطعنه طعنة بين كتفيه، فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه، فعند ذلك يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئاً»^(٤).

(١) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٣٩، باب ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩، باب ٢٩، ح ٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٤ - ٧٥، باب ٢٩، ح ٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢ - ٤٣، باب ٢٩، ح ١٢.

ومما ورد حول الرجعة في الزيارات المأثورة المروية عن الأئمة المعصومين عليه السلام:

١ - في الزيارة الجامعة المروية عن الإمام المهدي عليه السلام والتي يزار بها كل إمام من أئمة أهل البيت عليه السلام، تقول:

«... مؤمنٌ بإيابكم، مُصدقٌ برجعتكم، منتظرٌ لأمركم، مرتقبٌ لدولتكم...».

٢ - في زيارة الإمام المهدي عليه السلام والتي صدرت من ناحيته المقدسة تقول:

«... وإن رجعتكم حق لا ريب فيها...».

٣ - وعند الإنصراف من زيارة كل إمام من الأئمة الطاهرين ووداعه تقول:

«... وحشرنِي في زمركم... ومكنني في دولتكم، وأحياني في رجعتكم، وملكني في أيامكم...».

رجعة الحسين عليه السلام وعدد من الأنبياء عليهم السلام:

«ويُقبل الحسين في أصحابه الذين قتلوا معه ومعه سبعون نبياً، كما بعثوا مع موسى بن عمران...»^(١).

وتشير بعض الروايات إلى أن أول من يرجع إلى الدنيا الإمام الحسين عليه السلام.

منها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام...»^(٢).

وعنه أيضاً عليه السلام:

(١) المصدر السابق، ص ١٠٣، باب ٢٩، ح ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩، باب ٢٩، ح ١.

«إن أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي عليه السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة، حتى يسقط حاجاه على عينيه»^(١).

وعنه أيضاً عليه السلام قال عندما سئل: من أول من يخرج؟

فقال عليه السلام:

«... الحسين ... يخرج على أثر القائم»^(٢).

وقال عليه السلام في تفسير وتأويل قوله تعالى: «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ»^(٣).

«خروج الحسين في سبعين من أصحابه، عليهم البيض المذهبة... يؤديون إلى الناس: إن هذا الحسين قد خرج، حتى لا يشك المؤمنون فيه... والحجة القائم بين أظهرهم فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين، جاء الحجة الموت، فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحطه ويلحده في حفرته: الحسين بن علي عليه السلام، ولا يلي أمر الوصي إلا الوصي»^(٤).

رجعة بعض وزراء المهدي عليه السلام:

عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«يا مفضل، أنت وأربعة وأربعون رجلاً تحشرون مع القائم، أنت على يمين القائم تأمر وتنهي والناس إذاك أطوع لك منهم اليوم»^(٥).

وعن أبي عبد الله البرقي قال: نظر أبو عبد الله عليه السلام إلى داود الرقي قد ولي فقال:

(١) المصدر نفسه، ص ٦٣ - ٦٤، باب ٢٩، ح ٥٤.

(٢) منتخب الأنوار المضيئة، السيد النيلي.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦.

(٤) راجع تفسير البرهان، السيد البحراني، تفسير سورة الإسراء.

(٥) دلائل الإمامة، ص ٢٤٨.

«من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ من أصحاب القائم عليه السلام، فليُنظر على هذا. وقال في موضعٍ آخر: أنزلوه فيكم بمنزلة المقداد رحمه الله»^(١).

رجعة المؤمنين من أنصار المهدي عليه السلام:

عن المفضل بن عمر قال: ذكرنا القائم ومن مات من أصحابنا ينتظره فقال لنا الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام أتني المؤمن في قبره، فيقال له: يا هذا، إنه قد ظهر صاحبك، فإن نشأ أن تلحق به فالحق، وإن نشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم»^(٢).

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«كأنني بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء. وذؤبته بين كتفيه مصعداً في لحف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت، في أربعة آلاف مكرون ومكروون»^(٣).

وفيما نقل عن أهل البيت عليه السلام أنهم كانوا يأمرّون شيعتهم بالدعاء والتوسل إلى الله تعالى، كي يعيدهم إلى الحياة بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام حتى يدركوا أيامه المباركة وحكومته الميمونة، ولذا كانوا يعلمون شيعتهم الأدعية التي يدعى بها في هذا المجال والتي منها:

١ - الدعاء المروي عن الإمام الصادق عليه السلام والمعروف بدعاء العهد وفيه:

«... الله إن حال بيني وبينه (أي الإمام المهدي)، الموت - الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً - فأخرجني من قبري مؤثراً كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قناتي! ملبياً دعوة الداعي...».

(١) معجم رجال الحديث: ج ٧، ص ١٢٤، عن الكشي.

(٢) حق اليقين، السيد عبد الله شبر، ج ٢، ص ١٤.

(٣) البحار، ج ٥٣، ص ٧٦، باب ٢٩، ح ٨١.

٢. ورد في زيارة الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السلام في سامراء أنك تقول:
 «... وإن حال بيني وبين لقائه الموت - الذي جعلته على عبادك
 حتماً، وأقدرت به على خليقتك رغماً - فابعثني عند خروجه ظاهراً
 من حفرتي، مؤتزرأ كفتي، حتى أجاهد بين يديه، في الصف الذي
 أثبت على أهله في كتابك، فقلت: ﴿كَأَنَّهُمْ يُبَيِّنُ مَرَضُومٌ﴾. اللهم
 إني أدبني بالرجعة، بين يدي صاحب هذه البقعة...»
 وغيرها من الأدعية المذكورة في كتب الأدعية...

رجعة أعداء المؤمنين للانتصاف منهم:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:
 «إذا قام قائمنا رد الله كل مؤذ للمؤمنين في زمانه في الصورة التي
 كانوا عليها وفيها بين أظهرهم، ليتصف منهم المؤمنون»^(١).
 وعنه أيضاً قال:

«اتقوا دعوة سعد، قال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن سعداً
 يكر فيقاتل علياً»^(٢).

وعن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقلت: إنا
 نتحدث أن عمرو بن ذر لا يموت حتى يقاتل قائم آل محمد عليه السلام فقال:
 «إن مثل ابن ذر مثل رجل في بني إسرائيل يقال له عبد ربه، وكان
 يدعو أصحابه إلى ضلالة فمات، فكانوا يلودون بقبيره ويتحدثون
 عنده، إذ خرج عليهم من قبره ينفض التراب من رأسه ويقول لهم
 كيت وكيت»^(٣).

وهذه الأسماء المذكورة في الروايتين المتقدمتين (سعد وعمرو بن ذر) وفيها

(١) دلائل الإجابة، ص ٢٤٧، نقلنا عن معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٤، ص ٩٥، ح ١١٦٢.

(٢) البحار، ج ٥٣، ص ٧٥، باب ٢٩، ح ٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٧، باب ٢٩، ح ٦٤.

ما يتعلق برجعتهما، يبدو أنهما كانا من أشد أعداء الأئمة عليهم السلام، وكذا رجعة أمثالهم من الطغاة والمنافقين مصاديق مما تقدم من رجعة أعداء الأنبياء في العصور المختلفة واقتصاص النبي صلى الله عليه وآله والأئمة منهم.

بين الإمام المهدي عليه السلام وقيام الساعة:

أشرنا في البحوث المتقدمة إلى الخلط والاشتباه الحاصل بين الروايات الدالة على علامات الظهور والروايات الدالة على قيام الساعة والذي ولد في الأذهان فكرة حاصلها أن قيام الساعة وانتهاء العالم يرتبط بظهور الإمام المهدي عليه السلام ثم رحيله عن هذا العالم.

والموضوع الذي نود معالجته في هذه الفقرة يتمحور حول الإجابة عن السؤال التالي:

هل ينتهي عمر الدنيا ويكون فناءها وقيام الساعة بعد وفاة الإمام المهدي عليه السلام (بأربعين يوماً كما دلت على ذلك بعض الروايات)؟؟

وهل أن قيام الساعة يكون على شرار الخلق أم أن ذلك يتزامن مع وجود الدولة المهدوية التي تكون محكومة من خلال قيادة الأئمة المعصومين عليهم السلام أو الأولياء الصالحين؟؟؟

في المصادر العامة إشارة واضحة وصريحة بحسب تتبع الروايات الموجودة في كتبهم إلى أن قيام الساعة يكون على شرار الخلق، وعند ابتعاد الناس عن الدين، وفساد المجتمع أو انهيار القيم الأخلاقية... وهذه الأخبار في الميزان الشيعي ساقطة عن الاستدلال حيث يمكن المناقشة في سندها من جهة وتأويلها من جهة أخرى.

وبغض النظر عن النقاش في سند هذه الأخبار فإن الأحاديث التي تشير إلى وجود شرار الخلق وفساد المجتمع ناظرة إلى فترة أو عصر ما قبل الظهور الذي يسبقه الفسق والفجور وحكم الظالمين والأشرار ثم يعقبه ظهور الإمام المهدي عليه السلام ليقوم بأعظم عملية إصلاح وتغيير على المستوى الديني والأخلاقي والاجتماعي، ولعل هذا هو الدور الأبرز له عليه السلام.

ويضاف إلى ذلك ما تقدم من أن الإمام المهدي عليه السلام يقوم ببناء دولة إسلامية لها خصائص ومميزات من حيث نشر العدل بين الناس والقضاء بأحكام الله واستئصال المنحرفين والظالمين، وعدم بقاء بقعة في الأرض إلا وينادي فيها بكلمة التوحيد وغيرها من الأمور الدالة على أن هذه الدولة تؤسس للعدل إلى قيام الساعة وهذا يتنافى مع إمكانية وجود شرار الخلق وقيام الساعة عليهم.

حيث لا مكان لهم في ظل هذه الدولة، بل كل الروايات والأحداث تتحدث عن فنائهم عن بكرة أبيهم.

وفي الروايات ما يؤيد استمرار هذا الجو (العدالة والإصلاح وبقاء الأولياء الصالحين إلى يوم القيامة).

فعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل أنه قال:

«فوديت: يا محمد أنت عبيدي وأنا ربك - ويستمر الحديث إلى ذكر آخر الأئمة الإثني عشر المهدي عليه السلام فيقول: حتى يعلن دعوتي وجميع الخلق على توحيدني. ثم لأدينن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة»^(١).

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل البيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لثلاثا يقولوا، إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل ﴿وَالْمَقِيَّةُ لِلشَّقِيقِ﴾»^(٢).

فهذه الروايات تدل على أنه ليس بعد دولة أهل البيت عليهم السلام التي هي دولة الحق آية دولة من حين قيامها. إلى آخر عمر البشرية، وهي دولة ليس فيها أشرار من الناس، وليس فيها فساد أخلاقي ولا انهيار اجتماعي.

وأيضاً... إن دولة الإمام المهدي عليه السلام هي الدولة التي وعد الله سبحانه

(١) إكمال الدين - الصدوق.

(٢) الغيبة، الطوسي، ص ٢٨٢.

وتعالى عباده بأن تكون الدولة الإسلامية النموذجية في آخر الزمان والتي يستحيل أن تقوم بعدها دولة تخالف الإسلام، وهي الدولة التي سيطبق فيها الإسلام على كل الناس ومن خلالها تمحى آثار الظلم والعدوان وكذلك كل رموز الظلم والظغيان في هذه الأرض.

ومحصل ذلك هو بقاء المجتمع الصالح وأفراده في آخر الزمان الذين بهم ينتهي عمر هذه الدنيا.

القسم الثامن

الخاتمة

★ واجبات المؤمنين وتكاليفهم تجاه صاحب العصر والزمان ﷺ

★ بعض الأدعية والزيارات المختصة بالإمام المهدي ﷺ

الخاتمة

واجبات المؤمنين وتكاليفهم تجاه صاحب العصر والزمان عليه السلام

خلق الله سبحانه وتعالى عباده غنياً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم، وجعل الإنسان أشرف المخلوقات وأعظمها.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

ثم أمره بالطاعة والعبادة إن هو أراد الآخرة وسعى لها سعيها، ولم يتركه في الحيرة والضلالة عندما بين له طريق الخير وطريق الشر، وأن الأول يكون تحصيله بالإيمان والثاني يكون نتيجة المعاصي والذنوب والآثام.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَ وَإِنَّمَا كَفُرَ﴾^(٢).

وحتى لا يتيه الإنسان ويتعد عن طريق الصراط المستقيم أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين ليكونوا الهداة الميامين والمبشرين والمنذرين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣).

واختار الله تعالى من بين رسله وأنبيائه أكملهم وأعظمهم شأنًا وجعله خاتم الرسل والأنبياء. وأمرنا بطاعته وإتباع نهجه وسلوك طريقه للوصول إلى كمال العبودية وتعامها.

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

فكان الواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يؤدوا حق الطاعة لنبيهم الأكرم محمد ﷺ .

وبعد أن ارتحل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى أوصانا بأمر من الله بخلفائه وأوصيائه الأئمة الإثني عشر عليه السلام ، وأمرنا بإتباعهم وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة الله عز وجل ، وجعلهم الشهود على الأمة ، ومشاعل النور وهداة الدرب والأدلاء على الصراط المستقيم .

ومن هنا كانت الأمة في كل مرحلة تاريخية تعيش فيها مع واحد من الأئمة المعصومين مكلفة بالقيام بواجباتها تجاهه .

ونحن الذين نعيش في عصر الإمام المهدي عليه السلام الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام ومن خلال إعتقادنا وبقيننا بأنه غائب عن الأنظار وأنه يعيش معنا في كل أفراحنا وآلامنا وهمومنا ويسدد خطواتنا ، ويقوم بتحمل أعباء مسؤولية الإمامة عبر طرق خاصة به . نعتبر أن هناك جملة من التكاليف والواجبات التي ينبغي علينا القيام بها لحقه علينا من جهة ، ولتعجيل فرجه من جهة ثانية .

وهذه الواجبات ما هي إلا لوازم طبيعية لبيان مبلغ إحترامنا وتوقيرنا لإمامنا الغائب المستور ، وأن ذلك سيكون سبباً للخيرات العاجلة والآجلة ، ولدفع الشرور الأرضية والسماوية .

وتتنوع التكاليف ليكون منها ما هو قلبي ، ومنها ما هو جوارحي ، ولساني ، ومالي

وسنحاول في هذا الفصل بيان ما أمكننا من هذه التكاليف مع مراعاة الإختصار فيها .

التكليف الأول : انتظار فرج آل محمد ﷺ في كل زمان .

وأن نعيش ونحن نترقب ظهوره المبارك وقيام دولته العادلة ، وامتلاء الأرض به قسطاً وعدلاً ، ليتنصر الدين الإسلامي على جميع الأديان كما وعد الله سبحانه وتعالى بذلك في كتابه الكريم .

روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: في حديث طويل:
 «... من سره أن يكون من أصحاب القائم فليتنظر، وليعمل بالورع
 ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من
 الأجر مثل أجر من أدركه. فجددوا وانتظروا، هنياً لكم أيتها
 العصابة المرحومة»^(١).

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال:
 «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل»^(٢).
 وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«المنتظر لأمرنا كالمشحط بدمه في سبيل الله»^(٣).

وروى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج أنه خرج توقيع عن صاحب الأمر عليه السلام
 بيد محمد بن عثمان، وكان في آخره:

«وأكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم»^(٤).

وروى الشيخ البرقي في المحاسن عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لرجلٍ
 من أصحابه:

«من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط
 القائم»^(٥).

وروي أيضاً عنه عليه السلام أنه قال:

«المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله ﷺ يذب
 عنه»^(٦).

(١) البحار، ج ٥٢، ص ١٤٠، باب ٢٢، ح ٥٠، والغنية، النعماني، ص ٢٠٠، باب ١١، ح ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٢٢، باب ٢٢، ح ١.

(٣) إكمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٦٤٤، باب ٥٥، ح ٣.

(٤) الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٥) المحاسن، البرقي، ص ١٧٣، كتاب الصفوة، باب ٣٨، ح ١٤٧.

(٦) إكمال الدين، ج ٢، ص ٦٤٥، ح ٥.

الثاني: أن يكون المؤمن في أيام الغيبة مهموماً للإمام المهدي عليه السلام وذلك لغيبابه واستتاره عنه، وعدم الوصول إلى شخصه الكريم، والنظر إلى نوره العظيم.

وهذا الشيء ما هو إلا نتيجة لمحبه ومولاته له ولأهل البيت عليهم السلام الذين حبهم درجة من درجات الإيمان الأولى، وذلك لما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته»^(١).

وروي في (الخصال) وفي من لا يحضره الفقيه، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«خمسة لا ينامون - إلى أن عد منها - والمحب حبيباً يتوقع فراقه»^(٢).

فكيف إذا كان هذا الحبيب أحب الخلق إلى الله، فهل لمؤمن أن يعرف لذة النوم وهو يعيش لوعة الفراق، وألم البعد عن حبيبه الإمام المعصوم. وهل يسكت لسانه دون ذكره.

وقد أشير إلى هذا المقام في فقرات شريفة من دعاء الندبة المعروفة الذي يُقرأ في الأعياد ويوم الجمعة وليلته منها:

«عزيز عليّ أن أرى الخلق ولا تُرى، ولا أسمع لك حسيماً ولا نجوى...»

بنفسي أنت مغيب لم يخل منا.

بنفسي أنت من نازح ما نزح عنا...

عزيز عليّ أن أبكيك ويخذلك الوري.

(١) الأمالي، الصدوق، ص ٢٧٤، ٢٧٥، المجلس ٥٤، ح ٩.

(٢) الخصال، الصدوق، ص ٢٩٦، باب الخمسة، ح ٦٤ ومن لا يحضره الفقيه، الصدوق، ج ١، ص ٥٠٣، باب ٧٨، ح ١٤٤٦.

عزيز علي أن يجري عليك دونهم ما جرى ...

هل من معين فأطيل معه العويل والبكاء ...

هل إليك يا بن أحمد سبيل فتلقى ...

هل يتصل يومنا منك بغده فتحظى ...

متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر ... إلى آخر الدعاء^(١).

وهذا الدعاء نموذج لشكوى ألم القلب الذي شرب كأساً من عين محبته .
فينبغي أن يشتكي بأمثال هذه الكلمات، ويكرر المؤمن هذا الدعاء .

الثالث: الدعاء الدائم لحفظ وجود الإمام المهدي عليه السلام المبارك من شر
شياطين الإنس والجن، والدعاء بطلب التعجيل لنصرته وظفره وغلبته على
الكفار والملحدين والمنافقين .

قال السيد الجليل علي بن طاووس في كتاب فلاح السائل بعد أن ذكر
الترغيب في الدعاء للإخوان :

«إذا كان هذا كله فضل الدعاء لإخوانك فكيف فضل الدعاء لسلطانك الذي
كان سبب إمكانك وأنت تعتقد أن لولاه ما خلق الله نفسك ولا أحداً من
المكلفين في زمانه وزمانك، وأن اللطف بوجوده صلوات الله عليه سبب لكل ما
أنت وغيرك فيه وسبب لكل خير تبلغون إليه . فإياك ثم إياك أن تقدم نفسك أو
أحداً من الخلائق في الولاء، والدعاء له بأبلغ الإمكان، وأحضر قلبك ولسانك
في الدعاء لذلك المولى العظيم الشأن ... ولأنك إذا دعوت له قبل الدعاء
لنفسك ولمن يعز عليك كان أقرب على أن يفتح جل جلاله أبواب الإجابة بين
يديك ...»^(٢).

وسنعرض لك لاحقاً نماذج من الأدعية الماثورة المختصة به عليه السلام، والتي
بعضها مطلق، وبعضها مخصوص بزمان معين :

(١) راجع مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص ٥٣٦ و ٥٣٧ .

(٢) فلاح السائل، السيد ابن طاووس، ص ٤٤ - ٤٥ .

الرابع: التصديق بما تيسر في كل وقت لحفظ الوجود المبارك لإمام العصر عليه السلام. فالصدقة يعطيها الإنسان لأي كان ابتغاء لفائدة أو غاية أو عن نفسه، أو عن محبوب عزيز له مكانة عنده.

والنتيجة لا شك أنه تعود بالفائدة أيضاً على نفس المتصدق ومن الأدعية الواردة في هذا المضمون، الدعاء للتصدق حين السفر وهو:

«اللهم إن هذه لك ومنك وهي صدقة عن مولانا محمد عجل الله فرجه وصلى عليه بين أسفاره وحركاته وسكناته في ساعات ليله ونهاره وصدقة عما يعنيه أمره وما لا يعنيه وما يضمنه وما يخلفه».

الخامس: إظهار التعظيم لسماع اسمه المبارك عليه السلام وبالأخص إذا كان باسمه المبارك (القائم) عليه السلام وذلك لما استقرت عليه سيرة الإمامية (أعز الله شأنهم ومقامهم).

وقد نقل بعض العلماء أنه سأل عن هذا الموضوع العالم الجليل السيد عبد الله سبط المحدث الجزائري، وقد أجاب رضوان الله عليه في بعض مؤلفاته أنه رأى خبيراً مضمونه أنه ذكر يوماً اسمه المبارك عليه السلام في مجلس الإمام الصادق عليه السلام، فقام عليه السلام تعظيماً واحتراماً له.

السادس: الاستمداد والاستغاثة به عليه السلام حين الشدائد والأحوال والبلايا والأمراض وعند الوقوع في الشبهات والفتن...

وقد قرر نفسه عليه السلام ذلك في التوقيع الذي بعثه إلى الشيخ المفيد:

«نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاشقين، فإننا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم»^(١).

السابع: إعداد السلاح للجهاد بين يديه.

ورد في البحار عن كتاب الغيبة للنعماني أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ليعدن أحدكم لخروج القائم ولو سهماً فإن الله تعالى إذا علم ذلك من نيته رجوت لأن ينسئ في عمره حتى يدركه»^(١).

الثامن: الثبات على الدين القويم، وعدم إتباع الدعوات الباطلة. باعتبار أن الظهور المبارك يسبقه خروج السفيناني والصبيحة في السماء التي يطلقها إبليس في آخر النهار وينادي فيها «إن الحق مع عثمان وشيعته».

التاسع: إهداء ثواب الأعمال الصالحة كقراءة القرآن وغيرها إليه عليه السلام، وزيارته.

وهذان العملان غير مختصين بالإمام المهدي عليه السلام بل وردا بشأن جميع الأئمة المعصومين عليه السلام.

العاشر: الدعاء دائماً لتعجيل ظهوره وطلب الفتح والنصر له عليه السلام من الله تعالى.

فقد ورد في التوقيع الشريف المروي في الاحتجاج عنه عليه السلام.

«وأكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم»^(٢).

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال:

«والله لبغيب غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبته الله عز وجل

على القول بإمامته ووقفه بتعجيل فرجه»^(٣).

الحادي عشر: إظهار المحبة والولاء له عليه السلام.

فقد ورد عن رسول الله في حديث المعراج إن الله تعالى قال له:

«يا محمد، أتحب أن تراهم؟ فقال: تقدم أمامك، فتقدمت أمامي

فلذا علي ابن أبي طالب، والحسن والحسين وعلي بن الحسين،

(١) البحار، ج ٥٢، ص ٣٦٦، ح ١٤٦.

(٢) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٣) كمال الدين، الصدوق، ج ٢، ص ٣٨٤، ح ١.

ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد والحسن بن علي، والحجة القائم كأنه الكوكب الدري في وسطهم. فقلت: يا رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أئمة الحق، وهذا القائم، محلل حلالي ومحرم حرامي، وينتقم من أعدائي، يا محمد أحبه فإنني أحبه، وأحب من يحبه.

ولعل الأمر بمحبته - مع أن محبة جميع الأئمة واجبة - أن في محبته خصوصية معينة كانت وراء أمر الله تعالى هذا، وأن في وجوده المبارك صفات وشؤون تقتضي هذا التخصيص.

الثاني عشر: الدعاء لأنصاره وأعوانه وأصحابه.

الثالث عشر: لعن أعدائه.

الرابع عشر: تجديد العهد والبيعة له عليه السلام في كل يوم أو في كل وقت ممكن.

الخامس عشر: قراءة دعاء النذبة المتعلق به عليه السلام في يوم الجمعة، وعيد الغدير وعيد الفطر، وعيد الأضحى، بتوجه وخشوع.

بعض الأدعية والزيارات المختصة بالإمام المهدي عليه السلام

أما الأدعية الواردة عن الأئمة عليهم السلام المختصة به عليه السلام فكثيرة جداً وسنذكر في هذا المختصر خمساً منها:

١ - روي في «الفقيه» عن الإمام محمد التقي عليه السلام أنه قال: إذا انصرفت من صلاة مكتوبة فقل:

«رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً وَبِالْقُرْآنِ كِتَاباً وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً وَبِعَلِيِّ عليه السلام وَلِأَيِّمٍ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ وَعلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ وَمُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَعلِيِّ بْنِ مُوسَى وَمحمد بن علي، وعلي بن محمد والحسن بن علي وَالحُجَّةِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَئِمَّةً.

اللَّهُمَّ وَلِيكَ الْحُجَّةَ فَاخْفِظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ وَأَمُدَّهُ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَاجْعَلْهُ الْقَائِمَ بِأَمْرِكَ الْمُتَّصِرَ لِدِينِكَ وَارِهِ مَا يُحِبُّ وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ فِي نَفْسِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَفِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَفِي شَيْعَتِهِ وَفِي عَدُوِّهِ وَارْهِمِ مِنْهُ مَا يَخْذَرُونَ وَارِهِ فِيهِمْ مَا يُحِبُّ وَتَقَرُّ بِهِ صُدُورُنَا وَصُدُورُ قَوْمِ مُؤْمِنِينَ»^(١).

٢ - ورد في «مكارم الأخلاق» وغيره عن الصادق عليه السلام قراءة هذا الدعاء بعد كل فريضة:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إِنَّ رَسُولَكَ الصَّادِقَ الْمُصَدَّقَ الْأَمِينِ

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣٢٧/١.

صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ إِنَّكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ: مَا تَرَدَدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ
كَتَرَدَدِي فِي قَبْضِ رُوحِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.
اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَصَجِّلْ لَوْلِيكَ الْفَرَجَ وَالرَّاحَةَ وَالنَّصْرَ
وَالْكَرَامَةَ وَالْعَافِيَةَ وَلَا تَسُوْنِي فِي نَفْسِي وَلَا فِي أَحَدٍ مِنْ أَجْنَتِي^(١).

٣ - الدعاء المذكور في «جمال الأسبوع» عن الإمام الرضا عليه السلام في دعائه
للحجة - عجل الله تعالى فرجه - وليس لهذا الدعاء وقت معين بل في أي وقت
تيسر قراءته :

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَادْفَعْ عَنْ وَلِيِّكَ وَخَلِيفَتِكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى
خَلْقِكَ وَلِسَانِكَ الْمُعَبِّرِ عَنْكَ بِإِذْنِكَ النَّاطِقِ بِحُكْمَتِكَ وَعَيْنِكَ النَّاطِرَةِ فِي بَرِّيَّتِكَ
وَشَاهِدِكَ عَلَى عِبَادِكَ الْجَحْجَاحِ الْمُجْتَهِدِ عَبْدِكَ الْعَائِدِ بِكَ.

اللَّهُمَّ وَأَعِذْهُ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتَ وَذَرَأْتَ وَبَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ وَاحْفَظْهُ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ قَوْعِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مِنْ
حِفْظَتِهِ بِهِ وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَوَصِيَّ رَسُولِكَ وَأَبَاءَهُ أَيْمَتَكَ وَدَعَائِمَ دِينِكَ
صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَاجْعَلْهُ فِي وَدِيعَتِكَ الَّتِي لَا تَضِيعُ وَلِيَّ جَوَارِكَ الَّذِي لَا
يُخْصَرُ^(٢) وَفِي مَنَافِكَ وَعِزِّكَ الَّذِي لَا يُفْهَرُ.

اللَّهُمَّ وَأَمِنَهُ بِأَمَانِكَ الْوَثِيقِ الَّذِي لَا يُخْذَلُ مَنْ آمَنَتْهُ بِهِ وَاجْعَلْهُ فِي كَنْفِكَ الَّذِي
لَا يُضَامُ مَنْ كَانَ فِيهِ وَالنُّصْرَةَ بِنُصْرِكَ الْعَزِيزِ وَأَيِّدْهُ بِجُنْدِكَ الْغَالِبِ وَقُوَّةِ بِقُوَّتِكَ
وَأَزِدْهُ بِمَلَائِكَتِكَ.

اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَالْبَيْسَ دِرْعَكَ الْحَصِينَةَ وَخَفْهُ بِالمَلَائِكَةِ
حَفًّا.

اللَّهُمَّ وَبَلِّغْهُ أَفْضَلَ مَا بَلَغْتَ الْقَائِمِينَ بِقِسْطِكَ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّينَ.
اللَّهُمَّ اشْعَبْ بِهِ الصُّدْعَ وَارْتُقْ بِهِ الْفَتْقَ وَأَمِتْ بِهِ الْجَوْرَ وَأُظْهِرْ بِهِ الْعَدْلَ وَزَيِّنْ

(١) مكارم الأخلاق، ٢٨٤.

(٢) وفي رواية العلامة المجلسي: يُخْصَرُ.

يُطَوِّلُ بَقَائِهِ الْأَرْضَ، وَأَيِّدُهُ بِالنُّصْرِ وَانصُرْهُ بِالرُّغْبِ وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِ سُلْطَاناً نَصِيراً.

اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الْقَائِمَ الْمُنْتَظَرَ وَالْإِمَامَ الَّذِي بِهِ تَنْتَصِرُ وَأَيِّدُهُ بِنُصْرٍ عَزِيزٍ وَفَتْحٍ قَرِيبٍ وَوَرُثَةً مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا اللَّاتِي بَارَكْتَ فِيهَا وَآخِي بِهِ سُنَّةَ نَبِيِّكَ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةً أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَقُوَّ نَاصِرَهُ وَاخْذُلْ خَاذِلَهُ وَدَمْدِمْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ وَدَمَّرْ عَلَى مَنْ عَشَّه.

اللَّهُمَّ وَاغْلِبْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ وَعُنْدَهُ وَدَعَائِمَهُ وَالْقَوَامَ بِهِ وَاقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلَالَةِ وَشَارِعَةَ الْبِدْعَةِ وَمُيَمِّتِ السُّنَّةَ وَمُقَوِّمَةِ الْبَاطِلِ وَأَذِلِّ بِهِ الْجَبَّارِينَ وَأَبِرْ بِهِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَجَمِيعَ الْمُلْحِدِينَ حَيْثُ كَانُوا وَإِنَّ كَانُوا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا حَتَّى لَا تَدْعَ مِنْهُمْ دِيَاراً وَلَا تُبْقِيَ لَهُمْ آثَاراً.

اللَّهُمَّ وَطَهِّرْ مِنْهُمْ بِلَادَكَ وَاشْفِ مِنْهُمْ عِبَادَكَ وَأَعِزِّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَآخِي بِهِ سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَدَارِسَ حِكْمِ النَّبِيِّينَ وَجَدِّدْ بِهِ مَا مُجِيَ مِنْ دِينِكَ وَبَدِّلْ مِنْ حُكْمِكَ حَتَّى تُعِيدَ دِينَكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضّاً جَدِيداً صَحِيحاً مَخْصِصاً لَا عَوَجَ فِيهِ وَلَا بِدْعَةَ مَعَهُ حَتَّى تُبَيِّرَ بِعَذَابِهِ ظُلْمَ الْجَوْرِ وَتُطْفِئَ بِهِ نِيرَانَ الْكُفْرِ وَتُظْهِرَ بِهِ مَعَايِدَ الْحَقِّ وَمَجْهُولَ الْعَذْلِ وَتُوضَحَ بِهِ مُشْكِلَاتِ الْحُكْمِ.

اللَّهُمَّ وَإِنَّهُ عَبْدُكَ الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ وَاصْطَفَيْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ وَاتَّمَنَّتَهُ عَلَى غَيْبِكَ وَعَصَمْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبَرَأْتَهُ مِنَ الْعُيُوبِ وَطَهَرْتَهُ مِنَ الرِّجْسِ وَصَرَفْتَهُ عَنِ الدَّنَسِ وَسَلَّمْتَهُ مِنَ الرِّبِّ.

اللَّهُمَّ فَإِنَّا نَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّهُ لَمْ يَذْنِبْ ذَنْباً وَلَمْ يَأْتْ خَوْياً وَلَمْ يَزْكَبْ لَكَ مَعْصِيَةً وَلَمْ يُضَيِّعْ لَكَ طَاعَةً وَلَمْ يَهْتِكْ لَكَ حُرْمَةً وَلَمْ يَبْدُلْ لَكَ فَرِيضَةً وَلَمْ يُغَيِّرْ لَكَ شَرِيعَةً وَأَنَّهُ الْإِمَامُ النَّقِيُّ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ الطَّاهِرُ النَّقِيُّ الْوَفِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ.

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ وَأَعِطِهِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَّتِهِ وَجَمِيعَ رَحِيَّتِهِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ وَتُسِرُّ بِهِ نَفْسُهُ وَتُجْمَعُ لَهُ مُلْكُ الْمَمْلَكَاتِ كُلِّهَا قَرِيبِهَا

وَيَعِيدُهَا وَعَزِيْزُهَا وَذَلِيْلُهَا حَتَّى يَجْرِيَ حُكْمُهُ عَلَى كُلِّ حُكْمٍ وَيَغْلِبَ بِحَقِّهِ عَلَى كُلِّ بَاطِلٍ .

اللَّهُمَّ واسلُكْ بِنَا عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَاجَ الْهُدَى وَالْمَحَبَّةِ الْمُظْمَى وَالطَّرِيقَةَ الْوَسْطَى الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْعَالِي وَيُلْحَقُ بِهَا الثَّالِي .

اللَّهُمَّ وَقُونَا عَلَى طَاعَتِهِ وَثَبِّتْنَا عَلَى مُشَايَعَتِهِ وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِمُتَابَعَتِهِ وَاجْعَلْنَا فِي جَزَائِهِ الْقَوَائِمِينَ بِأَمْرِ الصَّابِرِينَ مَعَ الطَّالِبِينَ رِضَاكَ بِمُنَاصَحَتِهِ حَتَّى تَحْشُرَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَمُقَوِّتِي سُلْطَانِهِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَّا لَكَ خَالِصًا مِنْ كُلِّ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ وَرِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ حَتَّى لَا نَفْتَحِدَ بِهِ غَيْرَكَ وَلَا نَطْلُبَ بِهِ إِلَّا وَجْهَكَ وَحَتَّى تَجْعَلَنَا مَجْلَهً وَتَجْعَلَنَا فِي الْجَنَّةِ مَعَهُ وَلَا تَنْقِلْنَا فِي أَمْرِهِ بِالسَّامَةِ وَالْكَسَلِ وَالْفَقْرَةِ وَالْفُشْلِ وَاجْعَلْنَا مِنْ تَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ وَتَعَزُّ بِه نَصْرَ وَلِيِّكَ وَلَا تَسْتَبْدِلْ بِنَا غَيْرَنَا فَإِنَّ اسْتِبدَالَكَ بِنَا غَيْرَنَا عَلَيْكَ يَسِيرٌ وَهُوَ عَلَيْنَا كَبِيرٌ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى وَلَاةِ عُهْدِهِ وَيَلْفُظْهُمَ آمَالَهُمْ وَرَدِّ فِي آجَالِهِمْ وَأَنْصُرْهُمْ وَتَمِّمْ لَهُ مَا اسْتَدْتَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ وَاجْعَلْنَا لَهُمْ أَهْوَانًا وَعَلَى دِينِكَ أَنْصَارًا وَصَلِّ عَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ الْأَيُّمَةِ الرَّاشِدِينَ .

اللَّهُمَّ فَإِنَّهُمْ مَعَادُنْ كَلِمَاتِكَ وَخَزَانُ عِلْمِكَ وَوَلَاةُ أَمْرِكَ وَخَالِصَتُكَ مِنْ عِبَادِكَ وَخَيْرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ وَأَوْلِيَّائِكَ وَسَلَاتِلْ أَوْلِيَّائِكَ وَصَفْوَتِكَ وَأَوْلَادِ أَصْفِيَّائِكَ صَلَوَاتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكَاتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ وَشُرَكَائِهِ فِي أَمْرِهِ وَمُعَاوَنُوهُ عَلَى طَاعَتِكَ الَّذِينَ جَعَلْتَهُمْ حِصْنَهُ وَسِلَاحَهُ وَمَفْرَعَهُ وَانْسَهُ الَّذِينَ سَلَوْا عَنْ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَتَجَافَوْا الْوَطْنَ وَعَظَلُوا الْوَثِيرَ مِنَ الْمِهَادِ قَدْ رَفَضُوا تِجَارَتَهُمْ وَأَصْرُوا بِمَعَايِشِهِمْ وَقَدُّوا فِي أَنْدِيَّتِهِمْ بِغَيْرِ غَيْبَةٍ عَنْ مَصْرِهِمْ وَخَالَفُوا الْبَعِيدَ مِنْ عَاصِدَتِهِمْ عَلَى أَمْرِهِمْ وَخَالَفُوا الْقَرِيبَ مِنْ صَدِّ عَنْ وَجْهِتِهِمْ وَاتَّقَلَفُوا بَعْدَ التَّدَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ فِي دَهْرِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِمَاجِلِ خُطَامِ مِنَ الدُّنْيَا فَاجْعَلْهُمْ اللَّهُمَّ فِي جِزْرِكَ وَفِي كَفَيْتِكَ وَرَدِّ عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِمْ بِالْعَدَاوَةِ مِنْ خَلْقِكَ وَاجْزِلْ لَهُمْ مِنْ دَهْوَتِكَ مِنْ كِفَايَتِكَ وَمَعُونَتِكَ لَهُمْ

وَتَأْيِيدِكَ وَتَضَرِّكَ لِتَأْتَهُمْ مَا تُعِينُهُمْ بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ وَأَزْهَقَ بِحَقِّهِمْ بَاطِلَ مَنْ أَرَادَ
إِطْفَاءَ نُورِكَ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَمْلَأْ بِهِمْ كُلَّ أَفْقٍ مِنَ الْآفَاقِ وَقَطِّرْ مِنَ
الْأَفْطَارِ قِسْطاً وَعَذْلاً وَرَحْمَةً وَفَضْلاً وَاشْكُرْ لَهُمْ عَلَى حَسَبِ كَرَمِكَ وَجُودِكَ وَمَا
مَنْنْتَ بِهِ عَلَى الْقَائِمِينَ بِالْقِسْطِ مِنْ عِبَادِكَ وَأَذْخِرْ لَهُمْ مِنْ ثَوَابِكَ مَا تَرْفَعُ لَهُمْ بِهِ
الدَّرَجَاتِ إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وَتَحْكُمُ مَا تُرِيدُ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ^(١).

٤ - الصلوات التي وردت عنه عليه السلام في «جمال الأسبوع» و«البحار»
وتشتمل على الدعاء له والصلوة عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الْمُنْتَجِبِ فِي الْمِيثَاقِ الْمُصْطَفَى فِي الظَّلَالِ الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ بَرِيءٍ مِنْ كُلِّ
غَيْبِ الْمُؤْمَلِ لِلنَّجَاةِ الْمُرْتَجَى لِلشَّفَاعَةِ الْمُفَوَّضِ إِلَيْهِ دِينَ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ شَرِّفْ بُنْيَانَهُ وَعَظِّمْ بِرَهْمَانَهُ وَأَفْلِحْ حُجَّتَهُ وَارْزُقْ دَرَجَتَهُ وَأَضِيءْ نُورَهُ
وَبَيِّضْ وَجْهَهُ وَاعْظِمْ الْفَضْلَ وَالْفَضِيلَةَ وَالْدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ الرَّفِيعَةَ وَأَبْعَثْهُ مَقَاماً
مَخْمُوداً يَغِطُّهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.

وَصَلِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَقَائِدِ الْفِرِّ الْمُحِبِّينَ وَسَيِّدِ
الْوَصِيِّينَ وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ وَحُجَّةِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ وَإِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ.
وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ. وَحُجَّةِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ.

وَصَلِّ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ . وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَصَلِّ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ . وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ . وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ . وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَصَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ . وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَصَلِّ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ . وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَصَلِّ عَلَى الْخَلْفِ الصَّالِحِ الْهَادِي الْمَهْدِيِّ وَإِمَامِ الْهُدَى وَإِمَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَارِثِ الْمُرْسَلِينَ . وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَيِّمَةِ الْهَادِينَ الْعُلَمَاءِ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ ذَوَاتِهِمْ دِينِكَ وَأَرْكَانِ تَوْحِيدِكَ وَتَرَاجِمَةِ وَحْيِكَ وَحُجَجِكَ عَلَى خَلْقِكَ وَخُلَفَائِكَ فِي أَرْضِكَ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَهُمْ عَلَى عِبَادِكَ وَارْتَضَيْتَهُمْ لِدِينِكَ وَخَصَصْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ وَجَلَّلْتَهُمْ بِكَرَامَتِكَ وَغَشَّيْتَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَرَبَّيْتَهُمْ بِنِعْمَتِكَ وَغَدَّيْتَهُمْ بِحِكْمَتِكَ وَالْبَسْتَهُمْ (مِنْ) نُورِكَ وَرَفَعْتَهُمْ فِي مَلَكُوتِكَ وَخَفَّيْتَهُمْ بِمَلَائِكَتِكَ وَشَرَّفْتَهُمْ بِنَبِيِّكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِمْ صَلَوَاتٍ كَثِيرَةٍ دَائِمَةٍ طَيِّبَةٍ لَا يَحِيطُ بِهَا إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَسْمَعُهَا إِلَّا عِلْمُكَ وَلَا يُخَصِّصُهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ .

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ الْمُحِبِّي سُنَّتِكَ الْقَائِمِ بِأَمْرِكَ الدَّاهِي إِلَيْكَ الدَّلِيلِ عَلَيْكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ وَخَلِيفَتِكَ فِي أَرْضِكَ وَشَهِيدِكَ عَلَى عِبَادِكَ .

اللَّهُمَّ اجْعَزْ نَصْرَهُ وَمُدِّ فِي عُمْرِهِ وَزَيِّنِ الْأَرْضَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ .

اللَّهُمَّ اكْفِهِ بَغْيَ الْحَاسِدِينَ وَأَعِذْهُ مِنْ شَرِّ الْكَافِرِينَ وَارْجُزْ عَنْهُ إِرَادَةَ الظَّالِمِينَ وَخَلِّصْهُ مِنْ أَيْدِي الْجَبَّارِينَ .

اللَّهُمَّ اغْطِهِ فِي نَفْسِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَشَبِيعَتِهِ وَرَعِيَّتِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ وَعَدُوِّهِ وَجَمِيعِ الدُّنْيَا مَا تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنُهُ وَتَسَرَّ بِهِ نَفْسُهُ وَيَلْتَفُّهُ أَفْضَلُ مَا أَمَّلَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ جَدِّدْ بِهِ مَا امْتَحَى مِنْ دِينِكَ وَآخِي بِهِ مَا يَدُلُّ مِنْ كِتَابِكَ وَأَظْهِرْ بِهِ مَا غَيَّرَ مِنْ حُكْمِكَ حَتَّى يَمُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضًا جَدِيدًا خَالِصًا مُخْلِصًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شُبْهَةَ مَعَهُ وَلَا بَاطِلَ عِنْدَهُ وَلَا بَذْعَ لَدَيْهِ .

اللَّهُمَّ نَوِّزْ بِنُورِهِ كُلَّ ظُلْمَةٍ وَهْدْ بِرُكْنِهِ كُلَّ بَذْعَةٍ وَاهْدِمْ بِعِمْرَتِهِ كُلَّ ضَلَالَةٍ وَاقْصِمْ بِهِ كُلَّ جَبَّارٍ وَاخْمِدْ بِسَيْفِهِ كُلَّ نَارٍ وَاهْلِكْ بِعَذْلِهِ كُلَّ جَبَّارٍ وَاجْرِ حُكْمَهُ عَلَى كُلِّ حُكْمٍ وَادِلْ بِسُلْطَانِهِ كُلَّ سُلْطَانٍ .

اللَّهُمَّ اذِلْ كُلَّ مَنْ نَاوَاهُ وَاهْلِكْ كُلَّ مَنْ عَادَاهُ وَامْكُرْ بِمَنْ كَادَاهُ وَاسْتَاصِلْ مَنْ جَحَدَ حَقَّهُ وَاسْتَهَانَ بِأَمْرِهِ وَسَعَى فِي إِطْفَاءِ نُورِهِ وَأَرَادَ إِخْمَادَ ذِكْرِهِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَعَلَيْهِ الْمُرْتَضَى وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَالْحَسَنِ الرُّضَا وَالْحُسَيْنِ الْمُصَفَّى وَجَمِيعِ الْأَوْصِيَاءِ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ الْهُدَى وَمَنَارِ التَّقَى وَالْعَزْوَةِ الْوُثْقَى وَالْحَبْلِ الْمَتِينِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ وَوَلَاةِ عَهْدِكَ وَالْإِثْمَةِ مِنْ وَلَدِكَ وَمَنْدُ فِي أَهْمَارِهِمْ وَرَدَّ فِي آجَالِهِمْ وَيَلْتَفُّهُمْ أَفْضَلُ أَمَالِهِمْ دِينًا وَدُنْيَا وَآخِرَةً إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١) .

٥ - الدعاء الذي ذكر في «النجم الثاقب» لكافة الأوقات وخصوصاً في شهر رمضان المبارك وخاصة في ليلة الثالث والعشرين منه، فتقول بعد تمجيد الله تعالى والصلاة على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام :

اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيكَ الْقَائِمِ بِأَمْرِكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلَيْتَا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا

وَدَلِيلًا وَمُؤَيِّدًا حَتَّى تُسَكِّنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوْلًا وَعَرْضًا وَتَجْعَلَهُ وَذُرِّيَّتَهُ مِنَ الْأَيْمَةِ الْوَارِثِينَ .

اللَّهُمَّ انصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ وَاجْعَلِ النُّصْرَ مِنْكَ لَهُ وَعَلَى يَدِهِ وَاجْعَلِ النُّصْرَ لَهُ وَالْفَتْحَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَا تَوَجِّهِ الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِهِ .

اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي ذُوْلَةِ كَرِيْمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِهَا النُّفَاقَ وَأَهْلَهُ وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاجْمَعْ لَنَا خَيْرَ الدَّارَيْنِ وَأَقْضِ هُنَا جَمِيعَ مَا تُحِبُّ فِيهِمَا وَاجْعَلْ لَنَا فِي ذَلِكَ الْخَيْرَةِ بِرَحْمَتِكَ وَمِنْكَ فِي عَافِيَةِ آمِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَاهْدِنَا مِنْ فَضْلِكَ وَيَدِكَ الْمَلَأَى فَإِنَّ كُلَّ مُعْطٍ يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِهِ وَعَطَاؤُكَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ»^(١) .

وأما زيارته عليه السلام، فقد ورد في «الاحتجاج» أن حضرة صاحب الأمر - عجل الله تعالى فرجه - قال في توقيعه الشريف إلى محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري: إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى:

سَلَامٌ عَلَى آلِ يَسَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللَّهِ وَرَبَّانِي آيَاتِهِ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ وَذِيَّانَ دِينِهِ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ وَنَاصِرَ حَقِّهِ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ وَدَلِيلَ إِرَادَتِهِ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَالِي كِتَابِ اللَّهِ وَتَرْجُمَانَهُ

السَّلَامُ عَلَيْكَ فِي آتَاءِ لَيْلِكَ وَأَطْرَافِ نَهَارِكَ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِيثاقَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَغْدَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَهُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمَضْبُوبُ وَالْعَوْتُ وَالرَّحْمَةُ
 الْوَاسِعَةُ وَغَدَاً غَيْرَ مَكْذُوبٍ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ جِئِن تَقُومُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ جِئِن تَقْعُدُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ جِئِن تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ جِئِن تُصَلِّيَ وَتَقُتُّ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ جِئِن تَزْكُعُ وَتَسْجُدُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ جِئِن تُهْلِلُ وَتَكْبِرُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ جِئِن تُحْمَدُ وَتُسْتَغْفِرُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ جِئِن تُصْبِحُ وَتُمْسِي
 السَّلَامُ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى
 السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ الْمَأْمُونُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُقَدَّمُ الْمَأْمُولُ
 السَّلَامُ عَلَيْكَ بِجَوَامِعِ السَّلَامِ .
 أَشْهَدُكَ يَا مَوْلَايَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
 عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَا حَبِيبَ إِلَّا هُوَ وَأَهْلُهُ
 وَأَشْهَدُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّتَهُ وَالْحَسَنَ حُجَّتَهُ وَالْحُسَيْنَ حُجَّتَهُ وَعَلِيَّ بْنَ
 الْحُسَيْنِ حُجَّتَهُ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتَهُ وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتَهُ وَمُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ
 حُجَّتَهُ وَعَلِيَّ بْنَ مُوسَى حُجَّتَهُ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتَهُ وَعَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتَهُ
 وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتَهُ .
 وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللَّهِ، أَنْتُمْ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَأَنَّ رَجَعْتَكُمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهَا

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا وَأَنَّ
الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّ نَائِرًا وَتَكْبِيرًا حَقٌّ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ النَّشْرَ وَالْبَعْثَ حَقٌّ وَأَنَّ الصِّرَاطَ وَالْمِرْصَادَ حَقٌّ وَالْمِيزَانَ وَالْحِسَابَ
حَقٌّ وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ وَالْوَعْدَ وَالْوَعْدَ بِهِمَا حَقٌّ.

يَا مَوْلَايَ، شَقِيٌّ مَنْ خَالَفَكَمْ وَسَعِدَ مَنْ أَطَاعَكُمْ فَاشْهَدْ عَلَيَّ مَا أَشْهَدُكَ عَلَيْهِ
وَأَنَا وَلِيُّكَ لَكَ بَرِيءٌ مِنْ عَدُوِّكَ فَالْحَقُّ مَا رَضَيْتُمُوهُ وَالْبَاطِلُ مَا اسْخَطَتْكُمْوهُ
وَالْمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ وَالْمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَتَقْضِي مُؤِمَّةً بِاللَّهِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِرَسُولِهِ وَيَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَكْفُمُ يَا مَوْلَايَ، أَوْلِيَكُمْ وَأَجْرَكُمْ وَتُصْرَتِي مُعَدَّةً لَكُمْ
وَمَوْدُنِي خَالِصَةً لَكُمْ آمِينَ آمِينَ.

ويقرا هذا الدعاء بعد الزيارة:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ رَحْمَتِكَ وَكَلِمَةِ نُورِكَ وَأَنْ تَمْلَأَ
قَلْبِي نُورَ الْيَقِينِ وَصُدْرِي نُورَ الْإِيمَانِ وَفِكَرِي نُورَ النِّيَّاتِ وَغَرْمِي نُورَ الْعِلْمِ وَقُوَّتِي
نُورَ الْعَمَلِ وَلِسَانِي نُورَ الصِّدْقِ وَيَدَيَّ نُورَ الْبَصَائِرِ مِنْ هَدْيِكَ، وَبَصْرِي نُورَ الضِّيَاءِ
وَسَمْعِي نُورَ الْحِكْمَةِ وَمَوْدُنِي نُورَ الْمَوَالَةِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَتَّى أَلْقَاكَ
وَقَدْ وَفَيْتَ بِعَهْدِكَ وَمِثَاقِكَ فَيَسْمَعَنِي رَحْمَتُكَ يَا وَلِيَّيَ يَا حَمِيدُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ حُجَّتِكَ فِي أَرْضِكَ وَخَلِيفَتِكَ فِي بِلَادِكَ وَالِدَايَ إِلَى
سَبِيلِكَ وَالْقَائِمِ بِقِسْطِكَ وَالثَّابِتِ بِأَمْرِكَ وَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ وَبَوَارِ الْكَافِرِينَ وَمُجَلِّي
الظُّلْمَةِ وَمُبِيرِ الْحَقِّ وَالنَّاطِقِ بِالْحِكْمَةِ وَالصِّدْقِ وَكَلِمَتِكَ الثَّامَةِ فِي أَرْضِكَ الْمُرْتَقِبِ
الْخَائِفِ وَالْوَلِيِّ النَّاصِحِ سَفِينَةِ النَّجَاةِ وَعَلَمِ الْهُدَى وَنُورِ أَبْصَارِ الْوَرَى وَخَيْرِ مَنْ
تَقْصَصُ وَازْتَدَى وَمُجَلِّي الْعَمَى الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا، كَمَا مَلَأْتَ ظُلُمًا
وَجَوْرًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ وَلِيِّكَ وَابْنِ أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ قَرَضَتْ طَاعَتَهُمْ وَأَوْجَبَتْ حَقَّهُمْ
وَأَذْهَبَتْ عَنْهُمْ الرُّجْسَ وَطَهَّرَتْهُمْ تَطْهِيرًا.

اللَّهُمَّ انصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ لِإِدْبِكَ وَانصُرْ بِهِ أَوْلِيَائَكَ وَأَوْلِيَاءَهُ وَشِيعَتَهُ وَأَنْصَارَهُ
وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

اللَّهُمَّ اهْذِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ بَاغٍ وَطَاغٍ وَمِنْ شَرِّ جَمِيعِ خَلْقِكَ وَاخْفِظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَأَحْرَسْهُ وَامْنَعْهُ مِنْ أَنْ يُوَصَلَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ وَاخْفِظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَآلَ رَسُولِكَ وَأَظْهِرْ بِهِ الْعَدْلَ وَأَيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ وَأَنْصُرْ نَاصِرِيهِ وَاخْذُلْ خَاذِلِيهِ وَأَقْصِمْ قَاصِمِيهِ وَأَقْصِمْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ وَأَقْتُلْ بِهِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَجَمِيعَ الْمُلْجِدِينَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَبَرَزِهَا وَبَحْرِهَا وَأَمْلَأْ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا وَأَظْهِرْ بِهِ دِينَ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَاجْعَلْنِي اللَّهُمَّ مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَاتَّبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَأُرْنِي فِي آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا يَأْمَلُونَ وَفِي عَدُوِّهِمْ مَا يَخْذَرُونَ إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١).

دعاء العهد الصغير:

ويقرأ يومياً بعد صلاة الصبح باعتباره زيارة له عليه السلام وقد ورد في «البحار» و«زاد المعاد» وغيرها وهو:

اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَايَ صَاحِبَ الزَّمَانِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَبَرَزِهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا حَبِيبَهُمْ وَمَتِّبَهُمْ وَعَنْ الْيَدِيِّ وَالْيَدِيِّ وَعَنْيَ مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالتَّحِيَّاتِ زِنَةَ عَرْشِ اللَّهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ وَمُنْتَهَى رِضَاؤِهِ وَعَدَدَ مَا أَحْصَاهُ كِتَابُهُ وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَجِدُكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ عَهْدًا وَوَعْدًا وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي.

اللَّهُمَّ فَكَمَا شَرَفْتَنِي بِهَذَا التَّشْرِيفِ وَفَضَّلْتَنِي بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ وَخَصَصْتَنِي بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَصَلِّ عَلَى مَوْلَايَ وَسَيِّدِي صَاحِبِ الزَّمَانِ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَشْيَاعِهِ الدَّابِّينَ عَنْهُ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرِهِ فِي الصَّفِّ الَّذِي نَعَتْ أَهْلَهُ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتُ «صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانُ مَرْصُوصٍ» عَلَى طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

اللَّهُمَّ هَذِهِ بَيْعَةٌ لَهُ فِي عُنُقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٢).

(١) الاحتجاج، ج ٢، ص ٣١٦.

(٢) زاد المعاد، ص ٣٢٢.

صلاة صاحب الأمر عليه السلام:

كما ورد في «جمال الأسبوع» وغيره وهي ركعتان في كل ركعة تقرأ الحمد ﴿قل هو الله أحد﴾ وعندما تصل إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تكررهما مائة مرة.

وفي رواية تصلي بعدها مائة مرة على النبي وآله عليهم السلام.

وبرواية السيد ابن طاووس - رحمه الله عليه - تقرأ هذا الدعاء ^(١) بعدها:

«اللَّهُمَّ عَظَمَ الْبَلَاءُ وَبَرَحَ الْخُفَاءُ» ^(٢) وَانْكَشَفَ الْغُطَاءُ وَضَاقَتْ الْأَرْضُ وَمَنِعَتْ السَّمَاءُ وَإِلَيْكَ يَا رَبَّ الْمُشْتَكَى وَعَلَيْكَ الْمَعُولُ فِي الشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْنَا بِطَاعَتِهِمْ وَعَجَّلَ اللَّهُمَّ فَرَجَهُمْ بِقَائِمِهِمْ. وَأُظْهِرْ إِعْرَازَةَ يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيَّ يَا مُحَمَّدُ أَكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيَّ يَا مُحَمَّدُ أَنْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيَّ يَا مُحَمَّدُ احْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَايَ، يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ الْقَوْتُ الْقَوْتُ الْقَوْتُ أَذْرِكْنِي أَذْرِكْنِي الْأَمَانُ الْأَمَانُ الْأَمَانُ» ^(٣).

الدعاء له عليه السلام:

روى يونس بن عبد الرحمن، أن الإمام الرضا عليه السلام كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر بهذا:

اللَّهُمَّ اذْفَعْ عَنَّا وَلِيِّكَ وَخَلِيفَتِكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ وَلِسَانِكَ الْمُغْبَرِّ عَنْكَ النَّاطِقِ بِحُكْمِكَ، وَعَيْنِكَ النَّاطِرَةِ بِإِذْنِكَ، وَشَاهِدِكَ عَلَى عِبَادِكَ، الْجَحْجَاحِ لَتَجَاحِدَ (كَذَا) الْمَائِدِ بِكَ الْمَائِدِ هُنْدِكَ، وَأَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ وَبَرَأْتَ

(١) ورد في رواية: أن حضرة صاحب الأمر علم الدعاء لأحد الأصحاب وبيركته نجا من القتل.

(٢) يعني زاد ظلم الأعداء.

وفي بعض النسخ: برح الخفاء يعني اشتدت صعوبة اختفاء إمامنا أو اشتدت صعوبة اختفاء طريق نجاة المؤمنين.

(٣) جمال الأسبوع، ص ٢٨٠، البحار، ج ٩١، ص ١٩٠.

وَأَنْشَأَتْ وَصُورَتْ، وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ
فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مِنْ حِفْظَتِهِ بِهِ، وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَأَبَاءَهُ
أَيْمَتَكَ وَدَعَائِمَ دِينِكَ، وَاجْعَلْهُ فِي وَدِيعَتِكَ الَّتِي لَا تَضِيعُ، وَفِي جَوَارِكَ الَّذِي لَا
يُخْفَرُ، وَفِي مَنَعِكَ وَعِزِّكَ الَّذِي لَا يَقْهَرُ، وَأَمِنَهُ بِأَمَانِكَ الْوُثِيقِ الَّذِي لَا يُخْذَلُ مَنْ
آمَنَتْهُ بِهِ، وَاجْعَلْهُ فِي كَنَفِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ مَنْ كَانَ فِيهِ، وَأَنْصُرْهُ بِتَنْصُرِكَ الْعَزِيزِ،
وَأَيِّدْهُ بِجُنْدِكَ الْغَالِبِ وَقُوَّةِ بِقُوَّتِكَ، وَأَزِدْهُ بِمَلَائِكَتِكَ، وَوَالٍ مَنْ وَالَاهُ وَعَادٍ مَنْ
عَادَاهُ، وَالْإِسْمَ دِرْعَكَ الْحَصِيَّةَ، وَحُفَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ حَقًّا.

«اللَّهُمَّ اشْمَبْ بِهِ الصَّدْعَ، وَارْتُقْ بِهِ الْفَتْقَ وَأَيْثُ بِهِ الْجُورَ، وَأَظْهِرْ بِهِ الْعَدْلَ،
وَزَيِّنْ بِطَوْلِ بَقَائِهِ الْأَرْضَ، وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ وَأَنْصُرْهُ بِالرُّغْبِ، وَقُوْ نَاصِرِيهِ، وَاخْذُلْ
خَاذِلِيهِ، وَدَمِّمْ مَنْ نَصَبَ لَهُ، وَدَمِّرْ مَنْ عَشَّاهُ، وَأَقْتُلْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ وَعَمَدَهُ
وَدَعَائِمَهُ، وَأَقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلَالَةِ، وَشَارِعَةَ الْبِدْعِ، وَمُحِيطَةَ السُّنَّةِ، وَمُقَوِّنَةَ
الْبَاطِلِ، وَذَلِّلْ بِهِ الْجَبَّارِينَ، وَأَبِرْ بِهِ الْكَافِرِينَ وَجَمِيعَ الْمُلْحِدِينَ فِي مَشَارِقِ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا، حَتَّى لَا تَدْعَ مِنْهُمْ دِيَارًا، وَلَا
تُبْقِيَ لَهُمْ آثَارًا.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ مِنْهُمْ بِلَادَكَ وَاشْفِ مِنْهُمْ عِبَادَكَ، وَأَعِزِّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخِي بِهِ
سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَدَارِسَ حُكْمِ النَّبِيِّينَ، وَجَدِّدْ بِهِ مَا امْتَحَى مِنْ دِينِكَ، وَبَدِّلْ مِنْ
حُكْمِكَ، حَتَّى تُعِيدَ دِينَكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ جَدِيدًا غَضًّا صَحِيحًا، لَا جَوْجَ فِيهِ وَلَا
بِدْعَةَ مَعَهُ، وَحَتَّى تُبَيِّرَ بِعَدْلِهِ ظُلْمَ الْجُورِ، وَتُطْفِئَ بِهِ نِيرَانَ الْكُفْرِ، وَتُوضِحَ بِهِ
مَعَاقِدَ الْحَقِّ وَمَجْهُولَ الْعَدْلِ، فَإِنَّهُ عَبْدُكَ الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ، وَاصْطَفَيْتَهُ عَلَى
غَيْبِكَ، وَعَصَمْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَبَرَّأْتَهُ مِنَ الْعُيُوبِ، وَطَهَّرْتَهُ مِنَ الرُّجَسِ، وَسَلَّمْتَهُ
مِنَ الدَّنَسِ.

اللَّهُمَّ فَإِنَّا نَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ طُولِ الطَّامَةِ أَنَّهُ لَمْ يَذْنِبْ ذَنْبًا وَلَا آتَى
خَوِيًّا وَلَمْ يَزْنِكِبْ مَعْصِيَةً، وَلَمْ يَضِيعْ لَكَ طَاعَةٌ وَلَمْ يَهْتِكْ لَكَ حُرْمَةً، وَلَمْ يَبْدُلْ
لَكَ فَرِيضَةً، وَلَمْ يَغْيِرْ لَكَ شَرِيعَةً، وَأَنَّهُ الْهَادِي الْمُهْتَدِي، الطَّاهِرُ النَّقِيُّ النَّقِيُّ
الرَّضِيُّ الرَّكْبِيُّ.

اللَّهُمَّ أَغْطِهِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَّتِهِ وَجَمِيعَ رَجَائِهِ مَا تُقِرُّ بِهِ عَيْنُهُ وَتُسَرُّ بِهِ نَفْسُهُ، وَتَجْمَعُ لَهُ مَلَكَ الْمَلَلِ كُلُّهَا قَرِيبَهَا وَيَعْبِدُهَا وَعَزِيزَهَا وَذَلِيلَهَا، حَتَّى تُجَرِّي حُكْمَهُ عَلَى كُلِّ حُكْمٍ، وَتَغْلِبَ بِحَقِّهِ كُلَّ بَاطِلٍ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَاجَ الْهُدَى وَالْمَحَبَّةِ الْعُظْمَى، وَالطَّرِيقَةَ الْوَسْطَى، الَّتِي يَزْجِعُ إِلَيْهَا الْعَالِي وَيُلْحِقُ بِهَا الثَّالِي، وَقَوْنَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَتُبُّنَا عَلَى مُسَائِفَتِهِ، وَآمَنَّا عَلَيْنَا بِمُتَابَعَتِهِ، وَاجْعَلْنَا فِي حِزْبِهِ الْقَوَّامِينَ بِأَمْرِهِ، الصَّابِرِينَ مَعَهُ، الْعَالِيِينَ رِضَاكَ بِمُتَاصِحَتِهِ، حَتَّى تَخْشُرَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَمُقَوِّتَةِ سُلْطَانِهِ.

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ ذَلِكَ لَنَا خَالِصاً مِنْ كُلِّ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ وَرِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ، حَتَّى لَا نَعْتَمِدَ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا نَطْلُبَ بِهِ إِلَّا وَجْهَكَ، وَحَتَّى نُجَلِّئَا مَحَلَّةً، وَتَجْعَلَنَا فِي الْحَيَّةِ مَعَهُ، وَأَعِزَّنَا مِنَ السَّامَةِ وَالْكَسَلِ وَالْفَقْرَةِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَنْتَقِرُ بِهِ لِإِدِينِكَ وَتُعَزُّ بِه نَصْرَ وَلِيكَ، وَلَا تَسْتَبْدِلُ بِنَا غَيْرَنَا، فَإِنَّ اسْتِئْذَالَكَ بِنَا غَيْرَنَا عَلَيْكَ يَسِيرٌ وَهُوَ عَلَيْنَا كَثِيرٌ^(١).

التوسل به ﷺ إلى الله تعالى:

عن يونس بن بكير قال: سألت سيدي أن يعلمني دعاء أدعو به عند الشدائد فقال لي يا يونس:

«... تَحْفَظُ مَا اكْتَبَهُ لَكَ وَأَدْعُ بِهِ فِي كُلِّ شِدَّةٍ تُجَابُ وَتُعْطَى مَا تَسْتَأْهُ ثُمَّ كَتَبَ لِي: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي وَكَثْرَتُهَا قَدْ أَخْلَقَتْ وَجْهِي عِنْدَكَ... اللَّهُمَّ وَقَدْ أَصْبَحْتُ يَوْمِي هَذَا لَا يَفْقَهُ لِي وَلَا رَجَاءَ وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَفْرَجَ وَلَا مَنَاجِيَ غَيْرَ مَنْ تَوَسَّلْتُ بِهِمْ إِلَيْكَ مُتَقَرِّباً إِلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالزُّهْرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيِّ وَمُحَمَّدٍ وَجَعْفَرٍ وَمُوسَى وَعَلِيٍّ وَمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ يُقِيمُ الْخُجَّةَ إِلَى الْخُجَّةِ الْمَسْتَوْرَةِ مِنْ وَلَدِ الْمَرْجُو لِلْأَمَةِ مِنْ بَعْدِ، اللَّهُمَّ فَاجْعَلْهُمْ فِي

هَذَا الْيَوْمَ وَمَا بَعْدَهُ حِضْنِي مِنَ الْمَكَارِهِ وَمَغْلِبِي مِنَ الْمَخَافِ وَتَجَنِّي بِهِمْ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَطَاغٍ وَبَاغٍ وَقَاسِيٍّ وَمِنْ شَرِّ مَا أَهْرَفُ وَمَا أَنْكَرُ وَمَا اسْتَرَّ عَنِّي وَمَا أَبْصُرُ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذَايَةٍ رَبِّي أَجِدُ بِتَأْصِيَّتِهَا إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اللَّهُمَّ بِتَوْسُلِي بِهِمْ إِلَيْكَ وَتَقَرُّبِي بِمَحَبَّتِهِمْ وَتَحْصُنِي بِأَمَانَتِهِمْ افْتَحْ عَلَيَّ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَبْوَابَ رِزْقِكَ وَأَنْشُرْ عَلَيَّ رَحْمَتَكَ وَحَبِّبْنِي إِلَى خَلْقِكَ وَجَنِّبْنِي بَغْضَهُمْ وَعَدَاوَتَهُمْ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

التوسل إلى الله تعالى بالمهدي

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إِذَا حَضَرَتْ أَحَدُكُمْ الْحَاجَةُ فَلْيَصُمْ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ اغْتَسَلَ وَلَبَسَ ثَوْبًا نَظِيفًا، ثُمَّ يَضَعُ إِلَى أَعْلَى مَوْضِعٍ فِي دَارِهِ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَمْدُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ... وَاتَّقَرُّبُ إِلَيْكَ بِالْبَقِيَّةِ الْبَاقِي الْمُقِيمِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ الَّذِي رَضِيَتْهُ لِنَفْسِكَ، الْكَتَبِ الْفَاضِلِ الْخَيْرِ. ذُو الْأَرْضِ وَعِمَادِهَا، وَرَجَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسَيِّدِهَا، الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ النَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ، النَّاصِحِ الْأَمِينِ، الْمُؤَدِّي عَنِ النَّبِيِّينَ، وَخَاتَمِ الْأَوْصِيَاءِ الثُّجَاءِ الطَّاهِرِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ...»^(٢).

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«وَمَنْ قُلَّ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ ضَاعَتْ عَلَيْهِ مَعِيشَتُهُ أَوْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ مُهِمَّةٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاةٍ وَآخِرَتِهِ فَلْيَكْتُبْ فِي رُقْعَةٍ بَيْضَاءَ وَيَطْرَحُهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ تَكُونُ الْأَسْمَاءُ فِي سَطْرِ وَاحِدٍ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، مِنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ إِلَى التَّوَلَّى الْجَلِيلِ، سَلَامٌ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ وَمُحَمَّدٍ وَجَعْفَرٍ وَمُوسَى وَعَلِيٍّ وَمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْقَائِمِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، رَبِّ مَسْنِي الضُّرِّ وَالْخَوْفِ،

(١) مهج الدعوات، ص ٢٥٣ - ٢٥٥.

(٢) مصباح المتعبد، ص ٢٨٧ - ٢٩٢.

فَاكْشَفْ ضُرِّي، وَأَمِنْ خَوْفِي، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَوَصِيِّ وَصِدِّيقٍ وَشَهِيدٍ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اشفَعُوا لِي يَا سَادَتِي بِالشَّانِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَشَأْنًا مِنَ الشَّانِ، فَقَدْ مَسَّنِيَ الضُّرُّ يَا سَادَتِي وَاللَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فافْعَلْ بِي يَا رَبِّ كَذَا وَكَذَا»^(١).

«صُمَّ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ اغْتَسِلْ وَالْبَسْ ثَوْبًا جَدِيدًا، ثُمَّ اِصْعَدْ إِلَى أَعْلَى مَوْضِعٍ فِي دَارِكَ، وَأَبْرِزْ مُصَلَّاكَ فِي زَاوِيَةٍ وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي خَلَلْتُ بِسَاحَتِكَ لِمَعْرِفَتِي بِوَحْدَانِيَّتِكَ... وَأَسْأَلُكَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَعِنْدَ الْأَئِمَّةِ عَلِيِّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيِّ وَمُحَمَّدٍ وَجَعَفَرٍ وَمُوسَى وَعَلِيِّ وَمُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَالْحَسَنِ وَالْحُجَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ»^(٢).

(١) البحار، ج ١٠٢، ص ٣٥، باب ١، ح ٣.

(٢) المصدر نفسه، ج ٩٠، ص ٣٨، باب ٦، ح ٨.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

كلام الله المجيد

١ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد

الشيخ المفيد - دار المفيد - بيروت - لبنان

٢ - أصالة المهدوية في الإسلام

الشيخ مهدي فقيه إيماني - مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران

٣ - الأصول والفروع من الكافي

ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني - دار الكتب الإسلامية -

طهران إيران .

٤ - الأعلام

خير الدين الزركلي - دال العلم للملايين - بيروت - لبنان

٥ - أعلام الوري بأعلام الهدى

الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - دار المعرفة - بيروت - لبنان

٦ - أعيان الشيعة

السيد محسن الأمين - دار التعارف - بيروت لبنان

٧ - الأغاني

أبو الفرج الأصفهاني

٨ - إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عليه السلام

الشيخ علي اليزدي الحائري - دار التوحيد - بيروت - لبنان

- ٩ - الإمام الثاني عشر الإمام الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام
لجنة التحرير في طريق الحق - قم - إيران
- ١٠ - الإمام المنتظر أمل المصومين الأطهار
الشيخ محمد رضا الحكيمي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان
- ١١ - الإمام المهدي حقيقة لا خيال
الشيخ كاظم جعفر المصباح - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان
- ١٢ - الإمام المهدي من المهد إلى الظهور
السيد محمد كاظم القزويني - مؤسسة النور للمطبوعات - بيروت - لبنان
- ١٣ - الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية المهدوية (بين النظرية والواقع)
السيد عدنان البكاء - منشورات الغدير - بيروت - لبنان
- ١٤ - الإمام المهدي عليه السلام وظهوره
السيد جواد السيد حسين الحسين الشاهرودي - مؤسسة النعمان - بيروت - لبنان
- ١٥ - بحار الأنوار
العلامة محمد باقر المجلسي - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان
- ١٦ - البداية والنهاية
إسماعيل بن عمر البصري (ابن كثير)
- ١٧ - بشارة الإسلام في علامات ظهور صاحب الزمان
السيد مصطفى الكاظمي - دار الكتاب الإسلامي - بيروت - لبنان
- ١٨ - البيان في أخبار صاحب الزمان عليه السلام
الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي - منشورات مؤسسة المهادي - بيروت - لبنان
- ١٩ - تاج العروس
محمد مرتضى بن محمد الزبيدي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان
- ٢٠ - تاريخ بغداد
الخطيب البغدادي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

- ٢١ - تاريخ الغيبة الصغرى
السيد محمد الصدر - دار المعارف - بيروت - لبنان
- ٢٢ - تاريخ الغيبة الكبرى
السيد محمد الصدر - دار المعارف - بيروت - لبنان
- ٢٣ - تاريخ ما بعد الظهور
السيد محمد الصدر - دار المعارف - بيروت - لبنان
- ٢٤ - تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى... إلى ولاية الفقيه
أحمد الكاتب - دار الشورى
- ٢٥ - التفسير الكبير
الإمام أبو الفخر الرازي - دار إحياء التراث - بيروت - لبنان
- ٢٦ - تفسير المنار
محمد رشيد رضا
- ٢٧ - الجزيرة الخضراء وقضية مثلث برمودا
ناجي النجار - مؤسسة البلاغ - بيروت - لبنان
- ٢٨ - حق اليقين في معرفة أصول الدين
السيد عبد الله شبر - منشورات الأعلمي - بيروت - لبنان
- ٢٩ - حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام
الشيخ محمد جواد الطبسي - منشورات مكتبة الإعلام الإسلام - طهران - إيران
- ٣٠ - حياة الإمام المهدي عليه السلام دراسة وتحليل
الشيخ باقر شريف القرشي - دار المرتضى - بيروت - لبنان
- ٣١ - سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد
الشيخ المفيد
- ٣٢ - سنن أبي داود ١ - ٢
سليمان بن الأشعث السجستاني - دار الفكر - بيروت - لبنان
- ٣٣ - سنن الترمذي ١ - ٥
محمد بن عيسى الترمذي - دار الفكر - بيروت - لبنان

- ٣٤ - سنن الدارمي ١ - ٢
عبد الله بن عبد الرحمان الدارمي - دار الفكر - بيروت - لبنان
- ٣٥ - سنن النسائي
أحمد بن علي النسائي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان
- ٣٦ - شبهات وردود
السيد سامي البدري - مطبعة الهادي - قم - إيران
- ٣٧ - شرح نهج البلاغة
ابن أبي الحديد المعتزلي - منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي
- ٣٨ - شمس المغرب
الشيخ محمد رضا حكيمي - الدار الإسلامية - بيروت - لبنان
- ٣٩ - صحيح البخاري
محمد بن إسماعيل البخاري - دار الفكر - بيروت - لبنان
- ٤٠ - صحيح مسلم
مسلم بن الحجاج النيسابوري - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان
- ٤١ - الصواعق المحرقة
ابن حجر الهيتمي
- ٤٢ - ضحى الإسلام
أحمد أمين
- ٤٣ - الطريق إلى المهدي المنتظر
سعيد أيوب - مؤسسة الغدير للدراسات - بيروت - لبنان
- ٤٤ - عصر الظهور
الشيخ علي الكوراني - مؤسسة الشهيد - بيروت - لبنان
- ٤٥ - عقد الدرر في أخبار المنتظر
يوسف بن يحيى الشافعي السلمي - مكتبة عالم الفكر - القاهرة - مصر
- ٤٦ - علامات المهدي المنتظر في خطب الإمام علي عليه السلام ورسائله وأحاديثه
الشيخ مهدي الفتلاوي - دار الهادي - بيروت - لبنان

٤٧ - علم الكلام في الإسلام

فضل الله الزنجاني

٤٨ - علم اليقين في أصول الدين

المولى محسن الكاشاني - دار البلاغة - بيروت - لبنان

٤٩ - الفدير

الأميني - دار الكتب الإسلامية - قم - إيران

٥٠ - الفتاوى الكبرى

ابن تيمية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

٥١ - فرق الشيعة

الحسن بن موسى النوبختي

٥٢ - فضائل الخمسة من الصحاح السنة

السيد مرتضى الفيروز آبادي - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان

٥٣ - كتاب الغيبة

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي - مؤسسة المعارف الإسلامية - قم

- إيران

٥٤ - كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأنظار

الميرزا حسين النوري الطبرسي - مكتبة نينوى الحديثة - طهران - إيران

٥٥ - كمال الدين وتعمام النعمة

الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي - مؤسسة النشر

الإسلامي - قم - إيران

٥٦ - لسان العرب

ابن منظور - دار الفكر - بيروت - لبنان

٥٧ - مائتان وخمسون علامة حتى ظهور الإمام المهدي عليه السلام

السيد محمد علي الطباطبائي - مؤسسة البلاغ - بيروت - لبنان

٥٨ - مجموعة وفيات الأئمة

مراجع من العلماء الأعلام - دار البلاغة - بيروت - لبنان

- ٥٩ - المحجة في ما نزل في القوائم الحجة
- المحدث السيد هاشم البحراني - مؤسسة النعمان - بيروت - لبنان
- ٦٠ - مدخل إلى الإمامة
- السيد كمال الحيدري - مؤسسة الفكر الإسلامي - هولندا
- ٦١ - المسائل الصاغانية
- الشيخ المفيد - دار المفيد - بيروت - لبنان
- ٦٢ - مسند الإمام أحمد
- أحمد بن حنبل الشيباني
- ٦٣ - المصلح الغيبي والحكومة العالمية الواحدة
- السيد حسن الأبطحي - مؤسسة البلاغ - بيروت - لبنان
- ٦٤ - معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ
- مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران
- ٦٥ - المعجم الكبير
- سليمان بن أحمد الطبراني
- ٦٦ - مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية
- الشيخ محمد حسين المظفر - مؤسسة النعمان - بيروت - لبنان
- ٦٧ - مقاتل الطالبين
- علي بن الحسين (أبو الفرج) الأصفهاني
- ٦٨ - مقدمة ابن خلدون
- عبد الرحمن بن محمد (ابن خلدون) الاشبيلي - مصر
- ٦٩ - مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم
- الميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني - منشورات مدرسة الإمام المهدي ﷺ - قم - إيران
- ٧٠ - الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ﷺ
- ابن طاووس (أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس)، مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان

٧١ - الممهّدون للمهدي

الشيخ علي الكوراني - الدار الإسلامية - بيروت - لبنان

٧٢ - منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر

الشيخ لطف الله الصافي الكلبيكاني - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان

٧٣ - منتخب الانوار المضيئة

السيد علي بن عبد الكريم النيلي النجفي - مطبعة الخيام - قم - إيران

٧٤ - منقلد البشرية

الشيخ إبراهيم الأميني - دار الهادي - بيروت - لبنان

٧٥ - المهدي

السيد صدر الدين الصدر - انتشارات أنصاريان - قم - إيران

٧٦ - المهدي عند أهل السنة

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

٧٧ - المهدي في أحاديث المسلمين - حقيقة ثابتة

السيد محمد رضا الحسيني الجلالي

٧٨ - المهدي المنتظر بقية الله الأعظم

الشيخ مصطفى قصير - دار الهادي - بيروت - لبنان

٧٩ - المهدي المنتظر بين الدين والفكر البشري

د. محمد طي - منشورات الغدير - بيروت - لبنان

٨٠ - المهدي المنتظر حقيقة أم خرافة

أمير عرب - دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء - بيروت - لبنان

٨١ - المهدي المنتظر من ولد الإمام الحسن أم الإمام الحسين

الشيخ مهدي حمد الفتلاوي - دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم -

بيروت - لبنان

٨٢ - المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية

الشيخ نجم الدين جعفر بن محمد العسكري - مؤسسة الإمام المهدي - طهران

- إيران

- ٨٣ - المهدي والمسيح قراءة في الإنجيل
باسم الهاشمي - دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم عليه السلام - بيروت - لبنان
- ٨٤ - النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب
الشيخ حسين الطبرسي النوري - منشورات أنوار الهدى - قم - إيران
- ٨٥ - وسائل الشيعة
الحر العاملي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان
- ٨٦ - وظيفة الأئمة في زمن غيبة الإمام
الميرزا محمد تقي الأصفهاني - جمعية المعارف الإسلامية - بيروت - لبنان
- ٨٧ - وفيات الأعيان
ابن خلكان - دار صادر - بيروت - لبنان
- ٨٨ - يتابع المودة
الشيخ سليمان البلخي القندوزي الحنفي - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان
- ٨٩ - يوم الخلاص في ظل القائم المهدي عليه السلام
الشيخ كامل سليمان - دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان

الفهرس

٥	 المقدمة
٩	 القسم الأول: ولادته ﷺ شبهات وردود
١١	 الفصل الأول: تحقيق في تاريخ ولادته ﷺ
٣٤	 الأحداث التي رافقت الولادة
٣٩	 الإمام العسكري ﷺ وإجراءاته لتثبيت الولاية والإمامة
٤١	 عرض الإمام الحجة ﷺ على الأصحاب في اليوم الثالث
٤٢	 عرض الإمام الحجة ﷺ على أحمد بن إسحاق
٤٤	 عرض الإمام الحجة ﷺ على أربعين نفرأ من أصحابه
٤٥	 عرض الإمام الحجة ﷺ على يعقوب بن منقوش
٤٧	 الفصل الثاني: الأدلة على ولادة وإمامة ووجود الإمام المهدي ﷺ
٤٩	 الدليل العقلي
٥٣	 دلائل استمرار الإمامة
٥٣	 القرآن الكريم
٥٥	 الروايات والأحاديث الشريفة
٦٠	 الدليل النقلى
٦٠	 أ. القرآن والمهدي
٧٨	 ب. الدليل الروائى
٧٨	 النبى ﷺ والأئمة ﷺ وإخبارهم عن الإمام المهدي ﷺ
٧٩	 ما روي عن النبى ﷺ
٨١	 الإمام علي ﷺ
٨٣	 الإمام الحسن ﷺ
٨٤	 الإمام الحسين ﷺ
٨٥	 الإمام علي بن الحسين ﷺ
٨٦	 الإمام محمد الباقر ﷺ

٨٧	الإمام جعفر الصادق عليه السلام
٨٩	الإمام موسى الكاظم عليه السلام
٩٠	الإمام علي الرضا عليه السلام
٩١	الإمام محمد الجواد عليه السلام
٩٢	الإمام علي الهادي عليه السلام
٩٣	الإمام الحسن العسكري عليه السلام
٩٧	الفصل الثالث: الإمام المهدي عليه السلام في أحاديث الصحابة والرواة
١٠١	أحاديث المهدي بين الصحة والضعف
١٠٣	المناقشة في مقولة ضعف أحاديث المهدي عليه السلام
١١٧	الفصل الرابع: الإمام المهدي عليه السلام حقيقة تاريخية ودينية وليس فرضية شيعية
١٢٠	المنكرون لحقيقة وجود المهدي عليه السلام
١٢٣	تصريحات علماء السنة حول وجود الإمام المهدي عليه السلام
١٢٧	مفوات وتناقضات المشككين
١٣٣	ردود علماء السنة على منكري المهدي عليه السلام
١٣٧	الفصل الخامس: الإمام المهدي عليه السلام أوصافه وخصائصه
١٣٩	أسماءه وألقابه
١٤٠	١. المهدي
١٤١	٢. القائم
١٤٢	٣. المنتظر
١٤٢	٤. المؤمل
١٤٢	٥. صاحب الأمر
١٤٣	٦. الحجة
١٤٣	٧. بقية الله
١٤٤	٨. صاحب الزمان
١٤٤	لماذا النهي عن التسمية باسمه
١٤٧	صفات المهدي عليه السلام
١٤٩	١. أنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله
١٥٠	٢. فيه شبه من الأنبياء عليهم السلام
١٥١	٣. اسمه اسم نبي وأسم أبيه اسم وصي
١٥١	٤. توالي ثلاثة أسماء فيه
١٥٢	٥. إمام ابن إمام
١٥٢	٦. من أهل البيت عليه السلام

١٥٢	٧ . من ولد الحسين عليه السلام
١٥٣	٨ . شاب المنظر لا يهرم
١٥٣	٩ . مواصفاته الجسدية وشكله وعلاماته
١٥٣	أوصافه في أقوال النبي صلى الله عليه وآله
١٥٨	أوصافه في أقوال الأئمة عليه السلام
١٦١	خصائص الإمام المهدي عليه السلام
١٦٩	الفصل السادس: الفرق الإسلامية واختلافها في شخص المهدي عليه السلام
١٧٣	الأشخاص والفرق التي ادعت المهدوية
١٧٥	مهدوية عيسى بن مريم عليه السلام
١٧٦	مهدوية الإمام علي عليه السلام
١٧٧	مهدوية محمد بن الحنفية وولده
١٧٨	مهدوية أبناء الإمام الحسن عليه السلام
١٨٢	مهدوية أبناء العباس
١٨٥	الإدعاءات المهدوية الباقية
١٨٩	الإدعاءات المهدوية بعد عصر الغيبة
١٩٤	علماء السنة ورأيهم في ولادة الإمام المهدي عليه السلام
١٩٦	الإمام العسكري ووصيته لوالده
٢٠١	القسم الثاني: غيبة الإمام المهدي عليه السلام
٢٠٧	الفصل الأول: الغيبة الصغرى وما جرى فيها من أحداث
٢١١	الإمام المهدي عليه السلام وعصر الغيبة الصغرى
٢١٣	نشاطات الإمام المهدي عليه السلام خلال عصر الغيبة الصغرى
٢٢٠	قصة السرداب واختفاء الإمام عليه السلام فيه
٢٢٩	الفصل الثاني: السفارة في عصر الغيبة الصغرى
٢٣٤	سفراء الإمام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى (السفراء الأربعة)
٢٣٤	السفير الأول
٢٣٨	السفير الثاني
٢٤١	السفير الثالث
٢٤٤	السفير الرابع
٢٤٧	وكلاء الإمام المهدي عليه السلام
٢٤٩	السفارات الكاذبة عن الإمام المهدي عليه السلام
٢٥٠	التسلسل التاريخي للتزوير
٢٥٢	* أولهم . المعروف بالشريعي

٢٥٢	 * ثانيهم . محمد بن نصير النميري
٢٥٣	 * ثالثهم . أحمد بن هلال الكرخي
٢٥٤	 * رابعهم . أبو طاهر محمد بن علي بن بلال
٢٥٥	 * خامسهم . الحسين بن منصور الحلاج
٢٥٧	 * سادسهم . محمد بن علي الشلمغاني
٢٦١	 * سابعهم . أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي
٢٦١	 * ثامنهم . أبو دلف الكاتب
٢٦٣	 الفصل الثالث: الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام
٢٦٩	 الحكمة من غيبة المهدي عليه السلام وفوائدها
٢٧٠	 الأولى . أطروحة خفاء الشخص
٢٧١	 الثانية . أطروحة خفاء العنوان
٢٧٨	 شبهات وتساؤلات حول المهدي عليه السلام وغيبته
٢٧٩	 الشبهة الأولى
٢٨١	 الشبهة الثانية
٢٨٢	 الشبهة الثالثة
٢٨٣	 الشبهة الرابعة
٢٨٤	 الشبهة الخامسة
٢٨٤	 الشبهة السادسة
٢٨٥	 الشبهة السابعة
٢٨٦	 الشبهة الثامنة
٢٨٧	 الشبهة التاسعة
٢٨٧	 الشبهة العاشرة
٢٨٨	 غيبة المهدي وغيبات الأنبياء
٢٨٩	 أولى الغيبيات: غيبة إدريس النبي عليه السلام
٢٩٠	 غيبة صالح عليه السلام
٢٩٠	 غيبة إبراهيم عليه السلام
٢٩١	 غيبة يوسف عليه السلام
٢٩٢	 غيبة موسى عليه السلام
٢٩٤	 وقوع الغيبة بالأوصياء والحجج من بعد موسى إلى زمان المسيح عليه السلام
٢٩٧	 القسم الثالث: يوم الظهور
٢٩٩	 الفصل الأول: يوم الظهور: شروطه وعلاماته
٣٠١	 النهي عن التوقيت

٣٠٦	بين شرائط الظهور وعلاماته
٣٠٨	ما هي شرائط الظهور
٣١١	علامات الظهور
٣١٤	العلامات الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام
٣١٤	العلامات الخاصة بالناس
٣١٥	العلامات المحتومة
٣١٧	العلامات الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام
٣١٩	العلامات الخمس المحتومة
٣١٩	الأولى: خروج السفيناني
٣٢٠	الروايات حول السفيناني
٣٢١	اسمه ونسبه
٣٢٢	صفاته
٣٢٤	عقيدته
٣٢٦	زمان خروجه وملكه
٣٢٨	تفصيل حركة السفيناني
٣٣١	معركة قرقيسيا الكبرى
٣٣٣	السفيناني والعراق
٣٣٤	السفيناني والحجاز
٣٣٦	نهاية السفيناني
٣٣٩	الثانية: اليماني
٣٤٢	الثالثة: الخسف بالبيداء
٣٤٥	الرابعة: النداء من السماء
٣٥١	الخامسة: قتل النفس الزكية
٣٥٧	الفصل الثاني: العلامات الحتمية التي لها علاقة بالإمام المهدي عليه السلام وبقيام الساعة
٣٥٩	الدجال وكيفية ظهوره
٣٦١	صفات الدجال
٣٦٤	اسمه ولقبه وكنيته
٣٦٧	كيفية ظهوره
٣٦٩	مكان خروجه
٣٧٠	أتباعه وجنوده
٣٧٢	حركة الدجال ونهايته
٣٧٥	خروج ياجوج وماجوج

٣٧٨	هلاك ياجوج وماجوج
٣٧٩	الرايات السود من المشرق (الخراساني)
٣٨٥	ما هو المقصود من خراسان وبلاد المشرق
٣٨٦	الخراساني وشعيب من هما؟ ومتى يظهران؟
٣٨٩	دور الخراساني وشعيب قبل الظهور
٣٩١	الهدف من تحرك الخراساني وشعيب
٣٩٣	بين رايات العباسيين ورايات المشرق
٣٩٥	الكسوف والخسوف في غير وقتها
٣٩٧	طلوع الشمس من مغربها
٣٩٩	خروج السيد الحسنی
٤٠١	موت خليفة في الحجاز
٤٠٢	ظهور الفساد والمنكرات
٤٠٣	نزول المطر الشديد
٤٠٥	خلع العرب أعتتها
٤٠٦	كف تطلع من السماء
٤٠٧	الشيخ المفيد وعلامات الظهور
٤٠٩	القسم الرابع: تاريخ الظهور وموعده
٤١١	الفصل الأول: متى موعد الظهور؟
٤١٤	أما السنة التي يظهر فيها
٤١٦	مكان الظهور
٤١٩	البيعة للإمام ﷺ وخطبته الأولى
٤٢٢	البيان الأول للإمام ﷺ
٤٢٣	البيان الثاني للإمام ﷺ
٤٢٤	لواء الإمام ﷺ ورايته
٤٢٩	الفصل الثاني: أصحاب الإمام ﷺ وأنصاره
٤٣٢	الفرق بين الأصحاب والأنصار
٤٣٣	فالأصحاب
٤٣٣	أما الأنصار
٤٣٥	أهميتهم
٤٣٥	إيمانهم وعبادتهم
٤٣٧	علمهم
٤٣٨	طاعتهم

٤٣٩	 عددهم
٤٤٦	 أسماؤهم وجنسياتهم
٤٥٧	 شجاعتهم
٤٥٩	 شعارهم
٤٦١	 لقاء الإمام عليه السلام بأصحابه
٤٦٥	 الفصل الثالث: الدين الذي يدعو إليه الإمام المهدي عليه السلام
٤٧٣	 القسم الخامس: أحداث ما بعد الظهور
٤٧٥	 الفصل الأول: بداية الظهور
٤٨١	 أحداث منطقة الحجاز
٤٨٥	 الإمام عليه السلام في طريقه إلى المدينة
٤٩١	 الفصل الثاني: الإمام عليه السلام في العراق
٥١١	 الفصل الثالث: الإمام المهدي عليه السلام وإيران
٥١٧	 خروج رجل من قم
٥١٨	 حروب الإيرانيين مع أعدائهم
٥٢٥	 الفصل الرابع: أحداث منطقة الشام
٥٣١	 أبدال أهل الشام
٥٣٢	 معركة قرقيسيا
٥٣٤	 المناطق الباقية وأحداثها
٥٣٧	 الفصل الخامس: الإمام المهدي عليه السلام في واجهة الصراع
٥٤٥	 نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال
٥٥٢	 مدة حروب الإمام المهدي عليه السلام
٥٥٥	 القسم السادس: دولة المهدي عليه السلام
٥٥٧	 الفصل الأول: دولة المهدي عليه السلام خصائصها ومميزاتها
٥٥٩	 استئصال المنحرفين والمنافقين
٥٦٠	 القيادة المعصومة
٥٦١	 التشريع الإلهي
٥٦١	 إلغاء كل التيارات الفكرية المنحرفة
٥٦٢	 القضاء على مظاهر الفساد
٥٦٢	 شمولها للعالم كله
٥٦٤	 التأييد الإلهي لها
٥٦٥	 تكامل وعي البشر فيها
٥٦٥	 تطور الحياة العصرية فيها

٥٦٦	تسخير قوى الطبيعة لها
٥٦٧	إحياء الدين وبعث الإسلام من جديد
٥٧٠	العطاء والنعيم والرخاء
٥٧٣	دولة القضاء والحكم العادل
٥٧٦	الدولة التي لا يُعبد فيها غير الله
٥٧٧	الفصل الثاني: مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام
٥٨٥	القسم السابع: رحيل الإمام المهدي عليه السلام
٥٨٧	الفصل الأول: رحيل الإمام المهدي عليه السلام عن الدنيا والعالم بعده
٥٩٣	ماذا بعد المهدي عليه السلام؟
٥٩٩	الفصل الثاني: الرجعة أدلتها وأقوال العلماء فيها، وما هو المقصود منها
٦٠١	الرجعة في المفهوم الشيعي
٦٠٣	أدلة الرجعة في القرآن والروايات
٦٠٤	أقوال العلماء في الرجعة
٦٠٦	من الذي يرجع إلى الدنيا
٦٠٧	رجعة النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام
٦٠٨	رجعة الحسين عليه السلام وعدد من الأنبياء عليهم السلام
٦٠٩	رجعة بعض وزراء المهدي عليه السلام
٦١٠	رجعة المؤمنين من أنصار المهدي عليه السلام
٦١١	رجعة أعداء المؤمنين للانتصاف منهم
٦١٢	بين الإمام المهدي عليه السلام وقيام الساعة
٦١٥	القسم الثامن: الخاتمة
٦١٧	وأجبات المؤمنين وتكاليفهم تجاه صاحب العصر والزمان عليه السلام
٦٢٥	بعض الادعية والزيارات المختصة بالإمام المهدي عليه السلام
٦٣٥	دعاء العهد الصغير
٦٣٦	صلاة صاحب الأمر عليه السلام
٦٣٦	الدعاء له عليه السلام
٦٣٨	التوسل به عليه السلام إلى الله تعالى
٦٣٩	التوسل إلى الله تعالى بالمهدي عليه السلام
٦٤١	فهرس المصادر والمراجع
٦٤٩	فهرس المحتويات